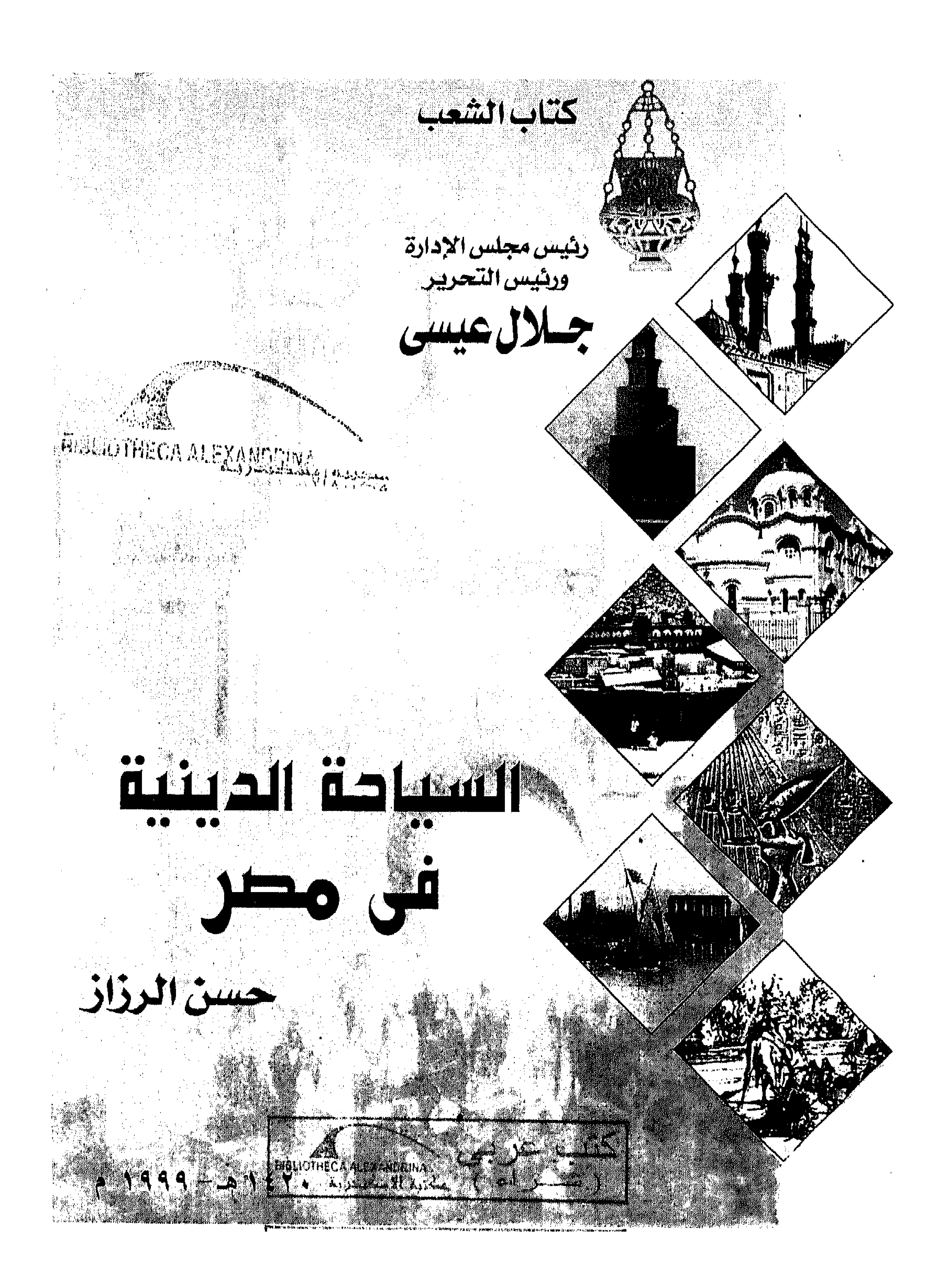
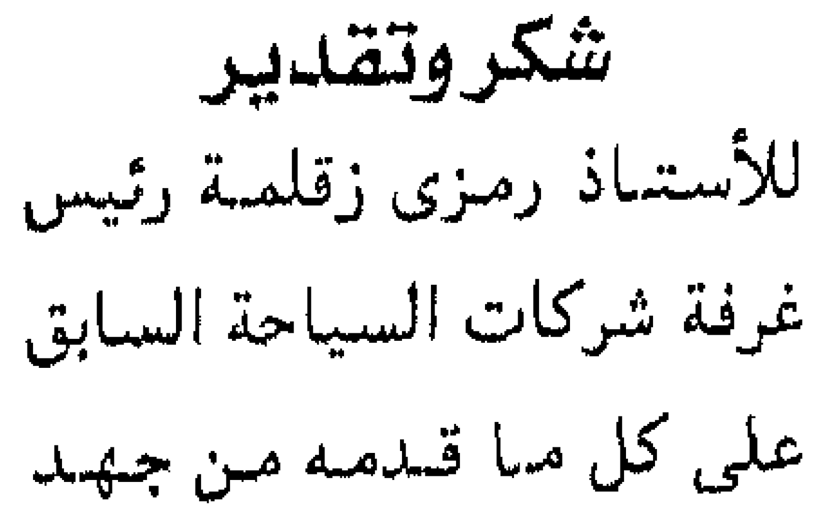

السياحة الدينية
فى مصر
حسن الرزاز
مؤسسة


كتاب الشعب
رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
جلال عيسى
السياحة الدينية
فى مصر
حسن الرزاز
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

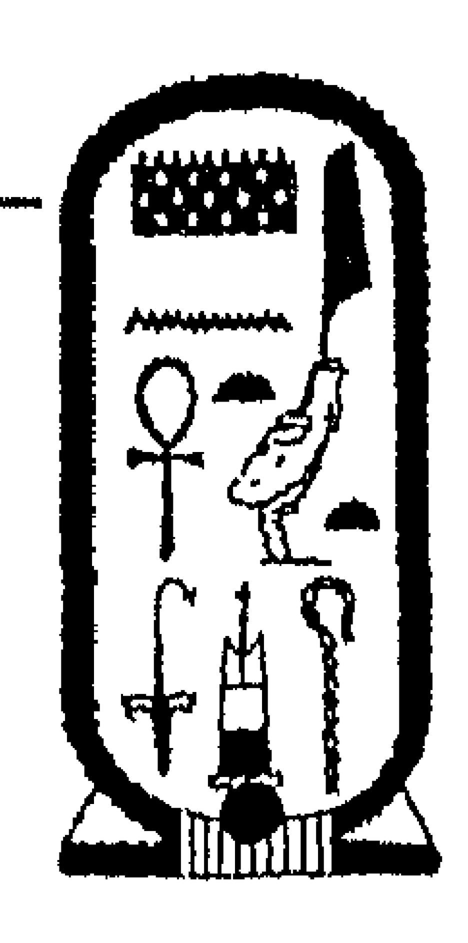


شكر وتقدير

للأستاذ رمزى زقلمة رئيس غرفة شركات السياحة السابق على كل ما قدمه من جهد فى مراجعة الكتاب.

الإخراج الفنى: أشرف سعيد

مؤسسة دار الشعب
للصحافة والطباعة والنشر
٩٢ شارع قصر العينى تليفون: ٢٥٥١٨١٨ ـ ٢٥٥١٨١٠ فاكس: ٢٥٤٤٨١١ ـ ٥٩٤٢٩٦٦



بقلم
الأستاذ الدكتور
مصطفى
الرزاز

حينما يتم تكليف الفرد بكتابة مقدمة لكتاب ما ، فإنه ـ بالضرورة - يحاول أن يكون موضوعيا ، بمعنى أن يتحدث بنوع من الحياد العاطفى عن موضوع الكتاب.

وحين طلب منى أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب كان الوضع مختلفا ، فالمؤلف هو أخى الحبيب الذى توفى منذ فترة وهنا يصبح نفي الحياد العاطفى خروجا على الموضوعية، لأن الكلام لن يتطابق مع مقتضى الحال كما يقول البلاغيون، لذا قررت البدء بالحديث عن مؤلف الكتاب لا عن موضوع الكتاب لسببين:

الأول: أن الموضوع لا يمكن أن ينفصل عن مؤلفه.

الثانى: أن الانحياز العاطفى يعبر بدوره عن موقف نقدى، حتى وإن كان هذا الموقف يعتمد على الوجدان لا العقل.

كان أخى حسن شخصية استثنائية، لأن شخصيته كانت مركبة، فهو قد يجمع بين نقيضين: الخجل الشديد والانفعال السريع، خصوصا حينما يتعلق الأمر بعمله الذى كان يقدسه، لذلك لم يكن غريبا عليه أن يضحى بماله وجهده ووقته فى سبيل إنجاح هذا العمل إضافة إلى مساندته الفعالة لكل معاونيه، وحمايتهم من مؤامرات أعداء النجاح.

وإذا كان حبه لعمله يمثل سمة أساسية فى شخصيته فإن حبه لمصر كان يشكل المحور الذى تتشكل من حوله تلك الشخصية، فلقد ظلت مصر ترتبط ـ فى وجدانه ـ بصيغة (أفعل) التفضيل، فهى: الأسمى والأكرم والأجمل، والأحق بالخير، والأولى بكل عطاء،ومن منطلق هذا العشق لأرض الوطن، عمل حسن الرزاز - فى بداية حياته ـ كمقرر للنشاط الفنى والثقافى بمنظمة الشباب لسنوات طويلة، حينما كان المثل الأعلى آنذاك هو نموذج الثائر لا

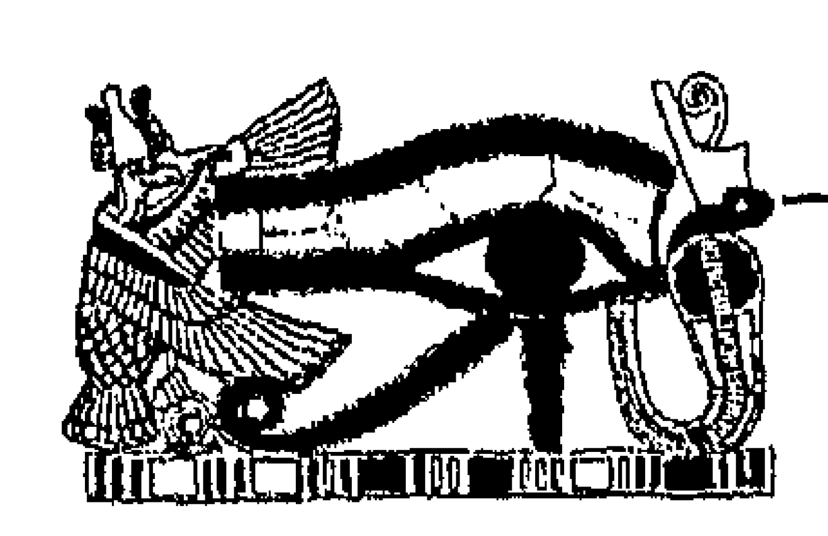
السياسى، وقد أعجب كثيرا بتجلى هذا النموذج فى شخص د.مفيد شهاب الذى عمل معه لسنوات طويلة..

ومن الملامح اللافتة فى شخصيته، وهو لم يزل بعد طالبا بكلية الفنون التطبيقية قسم التصوير السينمائى، أنه كان يطوف ـ معى ـ شاطىء النيل بالجيزة والمانسترلى والمعادى وروض الفرج، يصور النخيل والعروق الجافة، بينما تسرى مراكب الصيادين بشباكهم على صفحة النيل الخالد، كنا نمر على شجرة مريم العذراء بالقرب من كوبرى الملك الصالح، يتوقف عندها مشدوهاً، يشم عبق التاريخ وكم طفنا ـ معا ـ أرجاء مصر الفاطمية والقبطية، من مارى جرجس إلى الفسطاط، ومن جامع عمرو إلى قمائن الفخارين كنا نتوغل ـ داخل ـ وفوق مآذن جامع عمرو، وصحن ابن طولون، والسلطان حسن، والجامع الأزرق، وبيت الكريتليج والسنارى.. هو يصور وأنا أرسم، ولسنوات طويلة متتابعة، ظل هذا الطقس يتكرر كل يوم جمعة، كانت الخبرات المتراكمة عن هذا الطقس بمثابة دراسة قائمة بذاتها، أثرت وجدان كل منا، كما عمقت إحساسنا بمواطن الإبداع والجمال فى القاهرة المعزية..

وها أنا أتذكر الآن جانباً آخر من شخصية أخى الراحل، إذ كان يعزف (سماعياً) على العود بمهارة، لأننى كنت أجيد كتابة النوتة الموسيقية، فقد علمته إياها حتى أتقنها، وكان من نتيجة ذلك أن أبدع فى عملية التأليف الموسيقى كما قام بتدوين تلك المؤلفات، إلا أن انقلاباً طرأ على الإبداع المتفجر، نتيجة لوفاة والدى، حيث توقف تماما، بل واختفت النوت الموسيقية الكثيرة، وانتقل أخى حسن من العزف على العود إلى العزوف عنه تماما ،حتى اختفى العود من منزلنا.

ولقد عمل حسن فى بداية حياته العملية بمعامل الألوان باستديو مصر، ولأنه لم يحب هذا العمل، فقد آثر الانتقال إلى التليفزيون للعمل كمهندس إضاءة، ثم مصوراً قديراً، فمخرجا مجيدا للأفلام التسجيلية التى تعد علامات بارزة، مثل فيلمه عن الحرف الشعبية (صنعة فى اليد)، وآيات الجمال التى تجلت فى أفلامه عن التراث الإسلامى وعن الحضارة المصرية.

وقد تميز دائما بأنه يمتلك عيناً فنانة متأملة وعميقة، تجلى ذلك فى إحساسه المرهف



بالحركة من ناحية، وبالضوء وانعكاساته من ناحية أخرى، وقد صقل تلك الهبة الإلهية بالتعمق فى القراءة، والإفادة من المتخصصين فى التاريخ والحضارة والآثار والفنون، وكان من الطبيعى أنه عندما أصبح مسئولا عن البرامج السياحية أن أخرج بعضا من أهم البرامج التى تلقى الضوء على مواطن الجمال والأصالة فى أرجاء مصر، مع زميلته المخلصة جانيت فرج، ومجموعة من أحب مساعديه فى برنامج (خمسة سياحة).

وإلى جانب هواياته الفنية، فقد تميز بملكة التأليف، إذ ألف رواية (كفر الكرامة)، وكتاب (عواصم مصر الإسلامية)، ثم هذا الكتاب عن السياحة الدينية فى مصر، ولعل الكتاب الأخير كان تجسيدا لحلم راوده فى صباه، منذ أن كان يقف متأملا أمام شجرة مريم العذراء فى مصر القديمة وفى المطرية، وكذا تأمله فى تبتلات اخناتون ومقارنتها بالكتب السماوية، وبحثه فيها عن بدايات الوعى بالوحدانية وخلق الكون، وكذا بالوصايات المقدسة المنظمة لسلوك المؤمنين وما يترتب عن ذلك من مناجاة الخالق الواحد الأحد.

وبحكم عمق تراثه الذى فى الطبقات السحيقة للاوعى لدى الشعب المصرى، فقد تراسلت الأماكن المقدسة داخل ذاكرته: أخيت آتون والقدس.. كربلاء وبرارى الدلتا ..جامع عمرو والكنيسة المعلقة، كما تتبع الوصايا العشر فى مزامير اخناتون، مرورا بالكتاب المقدس، وانتهاء بالشريعة الإسلامية. وتداخلت بتلك الذاكرة كل الطرق التى سارت عليها كلمة الله فى الأرض، وكلها كانت تؤدى - أو تلتقى - بمصر بدءا من رحلة إبراهيم أبى الأنبياء، ثم رحلة يوسف، ومن بعده ميلاد موسى بأرض جاسان، ويمتد الزمن ليستمر مسلسل الرحلات التى سيرتها السماء بلجوء العائلة المقدسة إلى مصر - ثم كان الفتح العربى على يد الصحابة طبيعياً لدور التمصر الروحى ليس فى المنطقة فحسب، بل وفى العالم كله.

وهنا يحضرنى تفسير أخى حسن لتسميته مدينة (المساعيد) بالقرب من العريش، بأنها مشتقة من نداء عمرو بن العاص: «المساء عيد» تلميحاً بأن أيام الصوم انقضت، ومن ثم بدأ التأهب للزحف إلى بابليون لفتح مصر.

كان حسن يفتخر دائما بأن اسم مصر التى أحبها قد ورد فى كل الكتب المقدسة

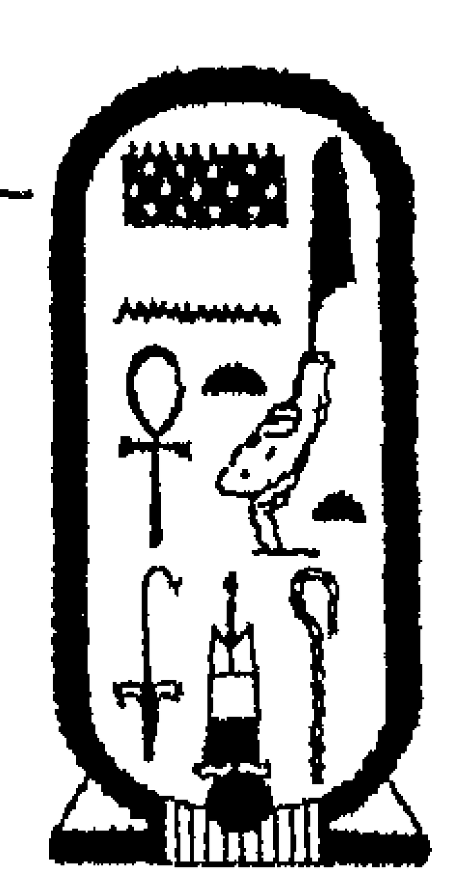
عشرات المرات، وأن الرسول الكريم قد أوصى بها خيرا فى الأحاديث النبوية، كما أنها اقترنت دائما داخل الذاكرة المقدسة بأنها الأرض التى ألجأ الله أنبياءه إليها ليطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف.

ذلك هو أخي حسن، وتلك هى مصر محبوبته.

تبقى كلمة أخيرة خاصة بموضوع الكتاب، وهى أن السياحة لم تعد معنى هلامياً غير محدد المعالم، بل لقد تعددت أشكال وأنماط السياحة: من السياحة الثقافية التى تعنى بالآثار إلى السياحة الترفيهية، ومن سياحة الغوص إلى سياحة المؤتمرات، ولقد نشأت الحاجة لتأسيس نمط سياحى جديد فى مصر هو السياحة الدينية، خاصة وأن مصر تشتمل على العديد من المزارات الدينية، بدءا من المواقع القبطية واليهودية الهامة، مثل دير المحرق وجبل موسى، وانتهاء بمزارات آل البيت والأولياء الصالحين وأقطاب الصوفية كالسيد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقى وغيرها..

من المؤكد أن الوعى بهذا الدور سوف يكون مفيدا لا على المستوى الروحى فقط، بل على المستوى الاقتصادى أيضاً، فرحم الله حسن الرزاز الذى ذاب عشقاً فى حب هذا البلد ومن هنا كان كتابه هذا..

د. مصطفى الرزاز



مقدمة المؤلف

لقد كانت مصر فصلا فى تاريخ كل دين، من مصر انطلقت أول دعوة لوحدانية الخالق فى نهاية الأسرة ١٨ (١٥٠٨ ـ ١٣١٤) قبل الميلاد، حينما أحدث الملك (أمنحتب الرابع) الذى عرف فى التاريخ باسم (إخناتون) انقلابا دينيا دعا فيه إلى عبادة الإله الواحد، ونقل عاصمة مصر من طيبة(١) إلى تل العمارنة فى المنيا، وأقام حاضرته الجديدة (آخت آتون)(٢)، وحينما استقر له الأمر فيها ، ضرب ضربته الكبرى ، فأبطل عبادة آمون ، وأى عبادات أخرى ، وحطم الأصنام فى كل مكان وخاصة أصنام آمون ، ودمر اسمه ، وتماثيله ، وشرد كهنته ، واستولى على أملاكه ، ولكى نتفهم مدى عمق إيمان إخناتون بفكرة الإله الواحد ؛ نذكر هنا بعض النصوص الدينية التى كان يتعبد بها تمجيداً وحمداً للإله الواحد خالق كل شىء(٣) :

- يا خالق النطفة فى ظهر الرجل
- يا واهب الحياة للجنين فى رحم أمه.
- يا واهب أنفاس الحياة لكل مخلوقاتك منذ يوم يولدون.
- أيها الإله الواحد الذى لا مثيل له أبدا.
- يا من خلقت الأرض كما يهوى فؤادك حين كنت وحدك.. ولا أحد غيرك

(١) طيبة: الأقصر الحالية.

(٢) آخت آتون: أفق آتون

(٣) يطلق العلماء على الفترة التى أطلق «إخناتون» فيها دعوته بوحدانية الخالق والتى لم تتجاوز الربع قرن ـ اسم عصر تل العمارنة، ولقد توقف التاريخ فجأة فيما يتعلق بإخناتون الذى اختفى فجأة وانطفأ نور رسالته، ولا ندرى أين دفن، وهل مات، أم قتل، وأين جثته الآن، أما فيما يتعلق بسيرة حياته، ومنجزاته،وأفكاره، وعقائده، فقد اختلف المؤرخون حولها ، فمنهم من يمجد فلسفته وعبقريته التى أخرجت عقيدة التوحيد،كما أخرجت مبادئ أخلاقية، وروائع فنية، ومنهم من يرى أنه حاكم أهمل واجباته المقدسة مما أدى إلى انهيار البلاد ، وتدهور أحوالها.

أنت الذى يهب كل حى رزقه

- وتمنحه أيام حياته المعدودة.
- أنت الذى جعل البشر يتكلمون بمختلف اللغات.

وجعلت أشكالهم مختلفة.

- وميزت بين الأمم وبعضها.
- وأنت الذى جعلت الفصول تختلف لينعم بها كل مخلوقاتك.
- خلقت الشتاء والبرد.
- وخلقت حرارة الصيف.
- وخلقت السموات العلا.
- أنت فى قلبى.
- وما من أحد آخر يعرفك سوى ابنك إخناتون الذى منحته الحكمة والقدرة على فهم تدابيرك وقدرتك.

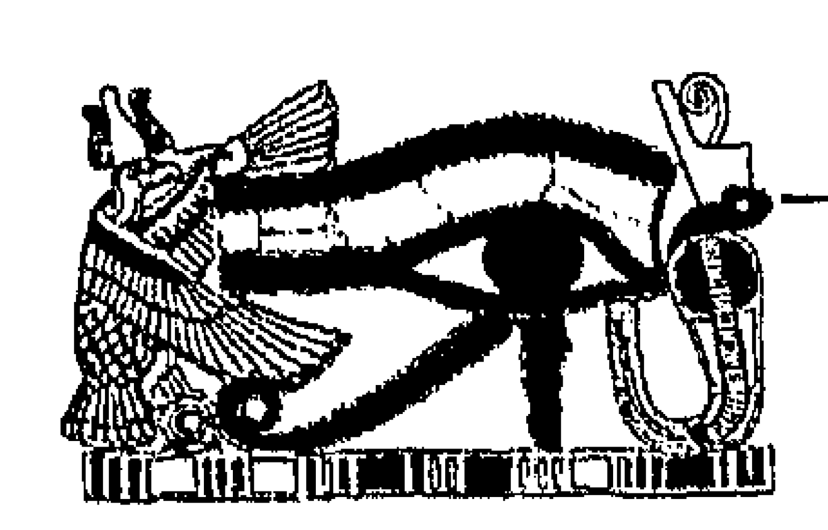
أقبل إلى مصر خليل الرحمن إبراهيم أبو الأنبياء، وكان قدومه كما روى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين؛ بسبب القحط والجوع الشديد الذى حل بفلسطين (وحدث جوع فى الأرض فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً).

ثم يخرج إبراهيم عليه السلام بهاجر المصرية أم لابنه البكر إسماعيل عليه السلام، ومن أبناء يعقوب عليه السلام وفد يوسف عليه السلام إلى مصر، ولقد أشار القرآن الكريم فى سورة يوسف إلى ذكرى قدومه إلى مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

صدق الله العظيم

(١) سورة يوسف: الآية ٢١.



وظلت مصر مهد الأديان تفتح ذراعيها، لاستقبال الوافدين الكرام، فاحتضنت موسى عليه السلام وليداً على محفة تنساب فوق صفحة النيل، ورضيعاً فى قصر فرعونها، وفتى يافعاً يتلقى حكمتها، وتبدأ رسالة موسى عليه السلام من مصر فيؤمن الناس به إلا فرعون، ويصدر الأمر الإلهى إليه بالخروج من مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1] صدق الله العظيم

وتلوذ العائلة المقدسة إلى مصر، وتفر السيدة مريم العذراء بابنها عيسى عليه السلام من فلسطين إلى مصر؛ هرباً من بطش الرومان، وخيانة اليهو، وبذا بدات رحلة العائلة المقدسة من فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[2] صدق الله العظيم

وجاء الفتح الإسلامى يحمل نور الدعوة المحمدية إلى مصر التى أوصى خاتم الأنبياء المرسلين باهلها خيراً.

قال رسول الله ﷺ:

(ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً)

صدق رسول الله ﷺ.

ويختار آل بيت النبى ﷺ مصر محلا لإقامتهم، بعد فاجعة كربلاء التى استشهد فيها الحسين بن على، واثنان وسبعون من رجال بنى هاشم، والصحابة، والتابعين رضى الله عنهم أجمعين، لما سمعوا عن أهلها من محبتهم لآل البيت، وولائهم ومودتهم لذوى القربى، لما يعرفون عن مصر كنانة الله فى أرضه.

وتضم مصر مهد الأديان، والأرض التى كرمتها السماء، وشرفتها خطوات الأنبياء عدداً من المواقع السياحية الدينية التى ترتبط برحلات مصر المقدسة:

- **رحلة إبراهيم عليه السلام إلى مصر.**
- **رحلة يوسف عليه السلام إلى مصر.**
- **رحلة خروج موسى عليه السلام من مصر.**

(١) سورة الشعراء: الآيتان ٦٥ ـ ٦٦ (٢) سورة المؤمنون : الآية ٥٠

- رحلة قدوم العائلة المقدسة إلى مصر.
- رحلة الفتح الإسلامى لمصر.
- زيارة آل بيت النبى عليه الصلاة والسلام إلى مصر.

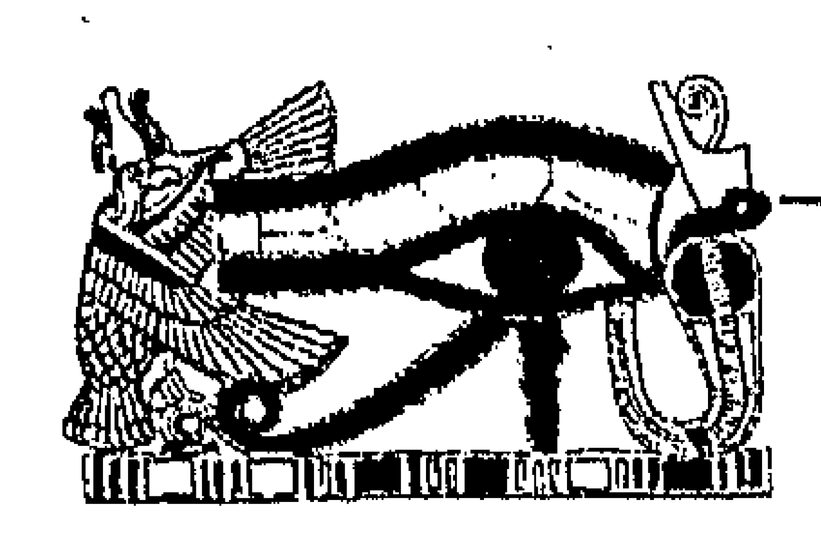
وانطلاقاً من الدور الهام الذى يمكن أن تلعبه (السياحة الدينية فى مصر) فى تنشيط حركة السياحة المصرية، التى تستهدف الآن جذب أعداد كبرى من السائحين لزيارة مصر والارتفاع بإيراداتها السياحية إلى مستوى يتناسب وتاريخها السياحى العريق، ومقوماتها السياحية الشهيرة التى لا نظير لها فى الوجود. أقدم كتابى هذا الذى اخترت له عنوان: **«السياحة الدينية فى مصر»**.

وحتى ندرك أهمية تنشيط السياحة الدينية فى مصر مع غيرها من المجالات السياحية الأخرى بالطبع؛ يكفى أن نذكر هنا أن السياحة العالمية قد أكدت دورها الحيوى فى دعم اقتصاد الدول مع منتصف القرن العشرين، فمع التزايد المضطرد فى عدد السائحين وإيرادات السياحة، أصبحت السياحة تمثل الشغل الشاغل لعلماء الاقتصاد، والاجتماع، والتاريخ، والجغرافيا، حتى أطلق على القرن العشرين **«قرن السياحة»**.

وأصبحت السياحة فى اتساع مداها الحالى ظاهرة فريدة، فملايين الناس يغادرون أوطانهم فى كل عام؛ فى سبيل البحث عن شىء من المستحيل على الرجل المعاصر - بسبب عجلة الحياة اليومية - أن يجده فى وطنه، هذا الشىء هو الفرصة التى يجد فيها نفسه، لذلك أصبحت السياحة على حد تعبير البروفسير النمساوى - بيير بيكر - P. Bernecker ضرورة بيولوجية من ضروريات تكوين الإنسان الحيوى، ولقد أعلنت منظمة السياحة العالمية أرقاماً مذهلة عن الناتج الإجمالى للسياحة تؤكد أنها أصبحت أكبر صناعات العالم.

بلغ الناتج الإجمالى للسياحة فى سنة ١٩٩١ (٣,٥) تريليون دولارا (٣٥٠٠) مليار دولار، ويمثل هذا الرقم (٦,١٪) من إجمالى ناتج الصناعة فى العالم فى هذه السنة.

وقفز هذا الرقم مع نهاية عام (١٩٩٣) إلى (٧,٣) تريليون دولار (٧٣٠٠) مليار دولار ويذكر تقرير المجلس العالمى للسياحة أن صناعة السياحة فى العالم تستوعب الآن



(١٢٧) مليون فرصة عمل، وأن هناك واحداً من كل (١٥) عاملا يعمل فى السياحة، وأن صناعة السياحة قدمت (٧,٥) مليون فرصة عمل خلال عام (١٩٩٣)، وأن سوق العمل فى صناعة السياحة شهد نمواً هائلاً ابتداء من عام ١٩٩٠ بلغت نسبته (٥٠٪) من نسبة النمو فى أنواع العمالة الأخرى، وأن أجور العاملين فى سوق السياحة بلغ (٨٦٩) مليار دولار فى عام (١٩٩٣)، ويمثل هذا الرقم (٧,٥٪) من إجمالى الأجور فى العالم، كما أصبحت السياحة أكبر مورد للضرائب فى الدول المختلفة، فقد وصلت ضرائب السياحة فى عام (١٩٩٣) إلى نحو (٥٢٠) مليار دولار.

من هنا تأتى أهمية دراسة الأسواق السياحية المصدرة، والعوامل المؤثرة على حركة السياحة الدولية، والتى تتصل بمجموعة عوامل اقتصادية، واجتماعية، ونفسية، وتنظيمية من أهمها مستوى الدخل، ومستوى الأسعار، وسعر الصرف، والمستوى الاقتصادى، وأوقات الفراغ، ودوافع السفر والترويح، والإجازات، والمستوى الثقافى، والمستوى الاجتماعى، والمستوى التعليمى، ومدى قوة التنشيط، وفعالية الأجهزة السياحية، وتطور وسائل الاتصال، والنقل، والإقامة، والتنسيق بين مختلف الخدمات والوعى السياحى بين المواطنين.

ومن الأمور الهامة فى مجال السياحة متابعة المواثيق الدولية (مؤتمر روما ١٩٦٣ - إعلان مانيلا ١٩٨٠ - مؤتمر أكابولكو ١٩٨٢) والتشريعات السياحية، وقوانين النقد، وقوانين الاستثمار، ولا يجب أن يوجه الاهتمام الأول إلى السياحة الدولية، التى لا تمثل أكثر من (١٢٪) من إجمالى الناتج العالمى، وأن توضع السياحة الداخلية موضع الاعتبار؛ لأنها تفوق فى حجمها السياحة الدولية.

ولقد وجدت أنه من المناسب أن أبدأ كتابى هذا بالحديث عن السياحة الدينية فى الماضى، فأوضحت أن زيارة المصريين القدماء «لمعابد الشمس» فى «أبو صير» وحرصهم على حضور «عرس النهر المقدس» فى طيبة بمناسبة «ذكرى زواج الإله آمون»، وزيارة الفرس القدماء لمدينة «برسيبوليس المقدسة» ومعابد النار فى «قلعة شاه مباذ» وخروج مئات الألوف من الهنود؛ لزيارة معابد آلهة السماء، والنار، والحظ، والأعاصير، والنور فى «مدراس» وسعى «البراهمة» للتطهر فى مياه «نهر جايا» وزيارة العرب «للكعبة» أيام الجاهلية، وزيارة الإسكندر الأكبر المقدونى لواحة آمون؛ للتقرب من آلهة وكهنة المصريين القدماء، ليس إلا نوعا من السياحة الدينية، تحمل فيها المسافر مشقة

السفر فى رحلات طويلة عبر طرق وعرة، وكانت المعتقدات الدينية، والرغبة فى رضا الآلهة، وتلقى بركة الكهنة، الحافز القوى لقيام مثل هذه الرحلات المقدسة.

ثم أشرت إلى مواقع السياحة الدينية التى ترتبط بذكرى صلب السيد المسيح عليه السلام، ومواقع السياحة الدينية التى ترتبط بذكرى معجزة الإسراء والمعراج، ومواقع السياحة الدينية التى ترتبط بظهور الإسلام، ثم تناولت بشىء من التفصيل رحلات مصر المقدسة التى ترتبط مواقعها السياحية بذكريات دينية تهم كل المؤمنين برسالات السماء، والتى تنافس بعراقتها، وقدسيتها، وشهرتها، وبالذكريات التاريخية التى تتصل بمواقعها، أى طرق أخرى مما يطلق عليها تجاوزاً اسم «الطرق التاريخية».

وفى الوقت الذى تشير فيه مطبوعات ونشرات الإرشاد السياحى الأوروبية فى صدر صفحاتها إلى الطريق التاريخى الذى سلكه الإسكندر الأكبر المقدوني لغزو باكستان، وأفغانستان، والطريق الذى سلكه مكتشفو منابع النيل «سبيك وستانلى ولفنجستون» تخلو هذه المطبوعات، والنشرات تماما من ذكر أى شىء عن «طرق مصر المقدسة» التى ترتبط مواقعها السياحية بذكريات دينية لها فى قلوب المؤمنين برسالات السماء كل الإجلال والتكريم.

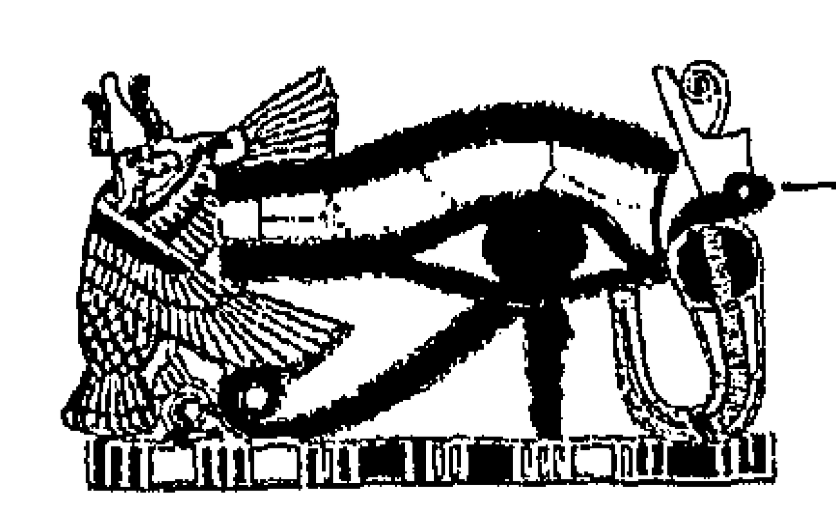
تناولت فى كتابى هذا تاريخ بعض المواقع، والمزارات التى تمثل أهمية خاصة فى رحلات مصر المقدسة، والتى ترتبط بتاريخ الأديان فى مصر بوجه خاص، فأشرت إلى مدينة (آخت آتون) العاصمة التى أقامها الملك «أمنحوتب الرابع»[1] ـ الذى عرف فى التاريخ «بإخناتون»[2] ـ فى منطقة «تل العمارنة» بالمنيا؛ لتكون منطلقاً لدعوته الدينية الجديدة، التى تؤمن بالإله الواحد رب كل شىء، ومدينة «تانيس»[3] التى ورد ذكرها فى التوراة باسم «صوعن».

وأرض «مدين» التى لجأ إليها موسى عليه السلام فى هجرته الأولى هرباً من بطش

(١) الملك أمنحوتب الرابع (نفر خبرو ـ رع رع) الذى أطلق على نفسه اسم (أن رع إخناتون).

(٢) (اخ ان آتون): أى حبيب آتون، وإخناتون عاشر ملوك الأسرة (١٨) التى بدأت بالملك «أحمس الأول» (نبى بحتى رع) (١٥٨٠ـ١٣١٤) قبل الميلاد، وانتهت بالملك (حور ـ ام ـ حب) (ز ـ سر ـ خبرو ـ رع).

(٣) تانيس.. صان الحجر الآن.. أصبحت عاصمة لمصر كلها فى عهد الأسرة (٢١).



فرعون والقلزم[١] وقنطير[٢] التى كانت نقطة البداية لرحلة خروج موسى عليه السلام من مصر وسقط[٣] وإيثام[٤]، وثيل[٥]، ويم صوف[٦]، وتل أبى ضبعة[٧] كما أشرت إلى أشهر المزارات اليهودية فى مصر، وتاريخ المواقع التى ارتبطت برحلة العائلة المقدسة إلى مصر وهى: رفح ـ العريش ـ الفرما[٨] ـ تل بسطة[٩] ـ مسطرد ـ سخا ـ وادى النطرون ـ هليوبوليس ـ المطرية ـ حصن بابليون ـ منف ـ المعادى ـ البهنسا ـ أسيوط، وأشهر المزارات المسيحية فى مصر، وتناولت أهم المواقع التى ارتبطت برحلة الفتح الإسلامى لمصر وهى: رفح ـ العريش ـ المساعيد ـ الفرما ـ القنطرة ـ بلبيس ـ هليوبوليس ـ أم دنين ـ الفيوم ـ البهنسا ـ قليوب ـ حصن بابليون ـ جزيرة الروضة ـ نقبوس[١٠] ـ دمنهور ـ الكريون[١١] ـ الإسكندرية ـ الفسطاط، وأشهر المزارات الإسلامية فى مصر، وفى مقدمتها بالطبع: جامع عمرو بن العاص، جامع أحمد بن طولون، الجامع الأزهر الشريف، الجامع الأقمر، جامع الحاكم بأمر الله، جامع الناصر حسن، ومسجد محمد على باشا بالقلعة.. والمزارات الدينية المرتبطة بزيارة آل بيت الرسول ﷺ إلى مصر.

ثم رأيت أن أنهى كتابى بالقرار الوزارى الخاص بتشكيل اللجنة العليا للسياحة الدينية فى مصر الذى اطلعت عليه، فوجدت فيه حلولا، واقتراحات إيجابية يمكن فى حالة تطبيقها تطوير مزارات مصر الدينية، التى تعتبر من وجهة نظرى ـ كأحد المهتمين بالعمل السياحى الإعلامى، والمشتغلين به منذ سنوات طويلة ـ الكنز السياحى الثمين الذى آن الأوان لاكتشافه.

---

(١) القلزم: السويس الحالية.
(٢) قنطير: تقع على بعد ٧ كيلو مترات من مدينة الزقازيق بالشرقية.
(٣) سقط: مكانها الحالى بحيرة «أكياد» بالشرقية.
(٤) إيثام: تقع شمال منطقة الصالحية وتمتد حتى شمال غرب سيناء.
(٥) ثيل: مكانها الحالى مدينة «القنطرة شرق».
(٦) يم صوف: التى تقع بين البلاح وبحيرة المنزلة.
(٧) تل أبى ضبعة: تقع شرق القنطرة.
(٨) الفرما: بورسعيد الآن.
(٩) تل بسطة: تقع بالقرب من مدينة الزقازيق بالشرقية.
(١٠) نقبوس: وردان فى إمبابة.
(١١) الكريون: على ضفة ترعة الإسماعيلية.

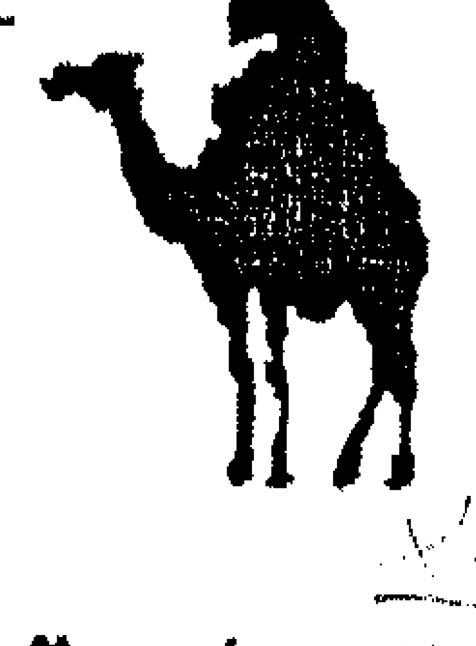
ويدفعني موضوع هذا الكتاب دفعاً إلى المطالبة بوضع خطة شاملة؛ لتعمير المواقع التى ترتبط برحلات مصر المقدسة بوعى سياحى باعتبارها من أغنى مناطق العالم أجمع بالثروة السياحية.

ولو حدث ذلك؛ لانحلت المعادلة الصعبة فى حركة السياحة المصرية، وتبوأت مصر مكانتها السياحية الرائدة المؤهلة لها تاريخياً، وحضاريا، وزاد سائحوها إلى أعداد تنافس ملايين السائحين الذين يحرصون على زيارة بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، التى تقع مصر فى دائرتها الجغرافية: كأسبانيا، وإيطاليا، واليونان، وارتفعت إيراداتنا السياحية إلى إيرادات دولةِ من دول الدرجة الأولى السياحية.

ولا يسعنى هنا إلا أن أشكر مؤسسة دار الشعب على جهودها المخلصة من أجل نشر كتابى هذا على هذا المستوى الممتاز، ولقد كان لى شرف التعامل معها فى إعداد كتابى ـ عواصم مصر الإسلامية ـ الذى نشر فى سبعة أجزاء، ولقد أثنى المهتمون بالنقد والفن والثقافة على مستوى إخراجه الفنى.

والله ولى التوفيق،،،،

حسن الرزاز



السياحة الدينية في الماضي

تعتبر السياحة الدينية بمفهوم السياحة العصرية، أحد مجالات الأنشطة السياحية المستحدثة برغم أن الأصل التاريخى لهذا النشاط قديم قدم الزمان، فكان الدافع الدينى، والرغبة فى زيارة الأماكن المقدسة حافزا قويا، دفع أعدادا كبيرة من الناس على اختلاف دياناتهم، ومعتقداتهم، للسفر والانتقال إلى أماكن بعيدة عن أوطانهم؛ طمعاً فى رضا الآلهة، وأملا فى تلقى بركات الكهنة.

فلم تكن زيارة المصريين فى الدولة القديمة لمعابد الشمس - فى أبى صير - وسعيهم لحضور الاحتفال بعرس النهر المقدس - فى طيبة - ومشاهدة الموكب الملكى الذى ينظم كل عام فى وقت فيضان النيل، من معبد الكرنك - مقر عرش آمون - حتى معبد الأقصر - قصر صاحب طيبة - بمناسبة الاحتفال بذكرى زواج آمون إلا نوعا من السياحة الدينية.

ولم تكن زيارة الفرس القدماء لآثار مدينة برسبولس المقدسة موطن «أهورامذدا» كبير الآلهة، وعاصمة إيران القديمة فى عهد «دارا الأول» وسعى أنصار «زرادشت» لزيارة معابد النار المقدسة فى قلعة «حصن شاه مباذ» فى شيراز الإيرانية، إلا نوعاً من السياحة الدينية.

ولم يكن خروج مئات الألوف من الهنود إلى «مدراس» لزيارة معابد آلهة السماء والنار، وآلهة الحظ، والأعاصير، والنور، وسعى «البراهمة» للتطهر فى مياه نهر «جابا» إلا نوعاً من السياحة الدينية.

وليست زيارة العرب لمكة - أيام الجاهلية - والحج إلى الكعبة إلا نوعاً من السياحة الدينية.

ولم يكن قدوم الإسكندر الأكبر إلى «سيوة» أكثر من رحلة مقدسة، استهدف الإسكندر من ورائها التقرب من آلهة وكهنة



السياحة الدينية في مصر

لم تحظ مصر - راعية رسالات السماء - بالرغم من آثارها الدينية الشهيرة، وتاريخها الديني العريق، وتراثها الحضاري الضخم، الذي بني على الإيمان - بقدر مناسب من حركة السياحة العالمية.

وكان المفروض أن تتقدم مصر - مهد الأديان - التي تضم مقومات حضارية، ودينية نادرة دول العالم السياحية الكبرى في مجال السياحة الدينية.

لقد كانت روح الإيمان المتأصلة في ضمير الشعب المصري منذ آلاف السنين - المشعل - الذي أضاء الطريق للمصريين بناة الحضارة، وأبطال التاريخ.

في مصر، خطا أمنحتب الرابع (إخناتون) خطوة كبيرة على طريق التوحيد، ولعلنا نحس بروح التوحيد المقرونة بمعاني التبجيل، والتعظيم لرب الكون العظيم، في هذه الأنشودة المكتوبة على جدران مقبرة الكاهن «آي» في تل العمارنة:

* أيها الإله الفرد الصمد الذي لا إله سواه.
* خلقت الأرض على مشيئتك.
* خلقتها ولا شريك لك.
* خلقت الناس، والماشية، والوحوش الضارية.

وكل ما يعيش على الأرض، ويسعى على قدميه

وكل ما يطير في الفضاء، ويرفرف بجناحيه.

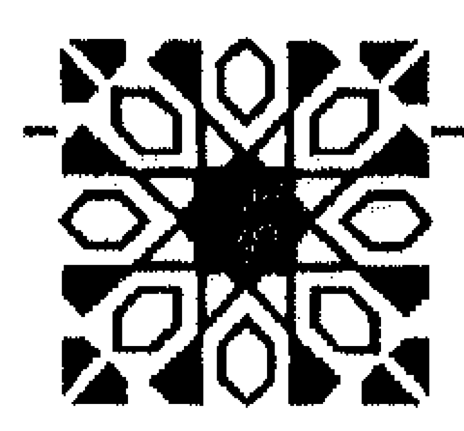
* أنت تضع كل واحد في مكانه، وتوفر له حاجاته

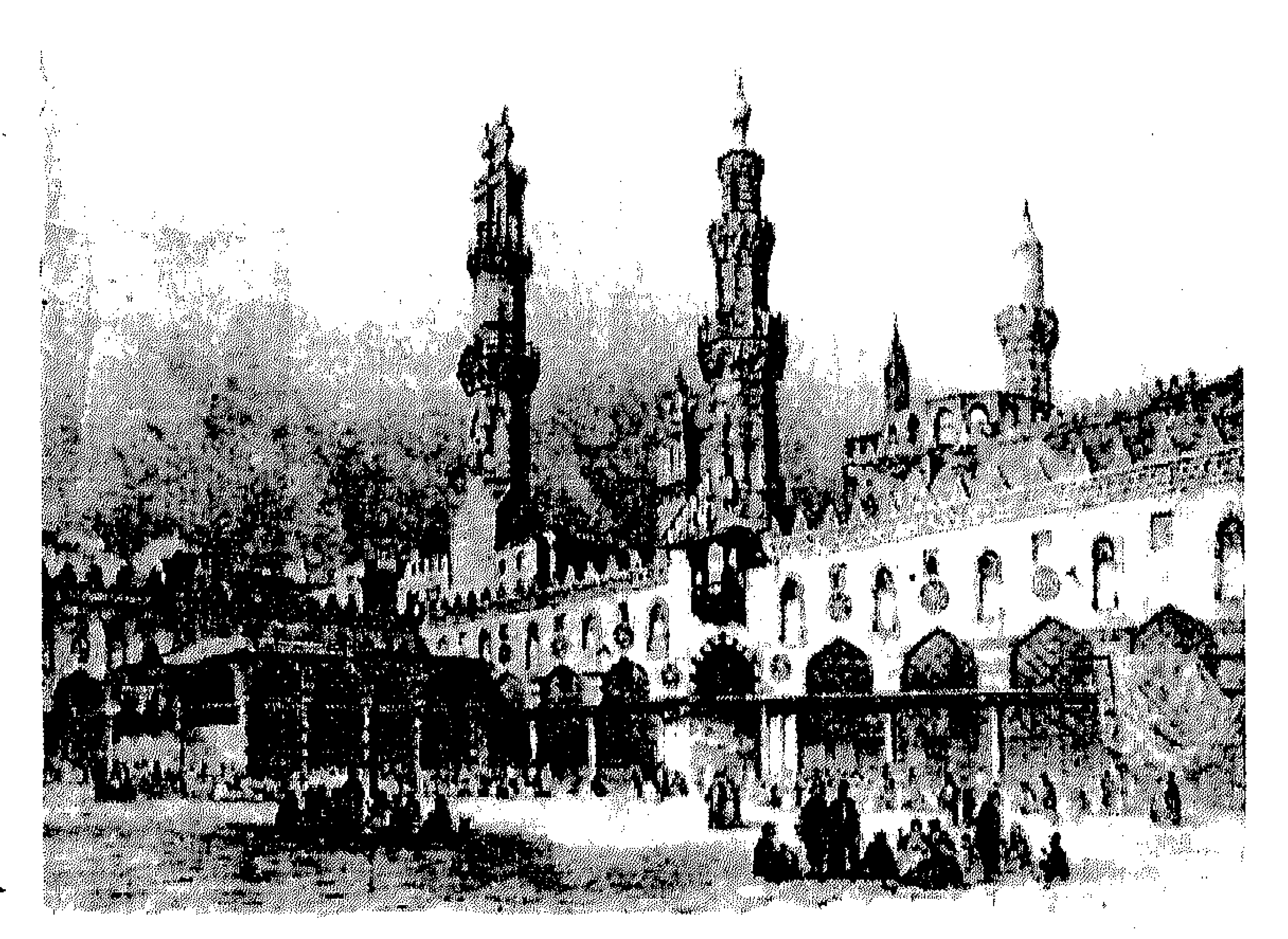
كفلت الرزق لهم جميعاً.

ووهبت لكل واحد فيهم أيامه المعدودة.

* ما أعظم تدبيرك يا مالك الخلود.

وحضارة مصر التي قامت على الإيمان، سارت في طريق السمو





جامع الأزهر

آلافاً من السنين، رغم حملات الغزو التى تعرضت لها مصر، على يد الفرس، والإغريق، والرومان.

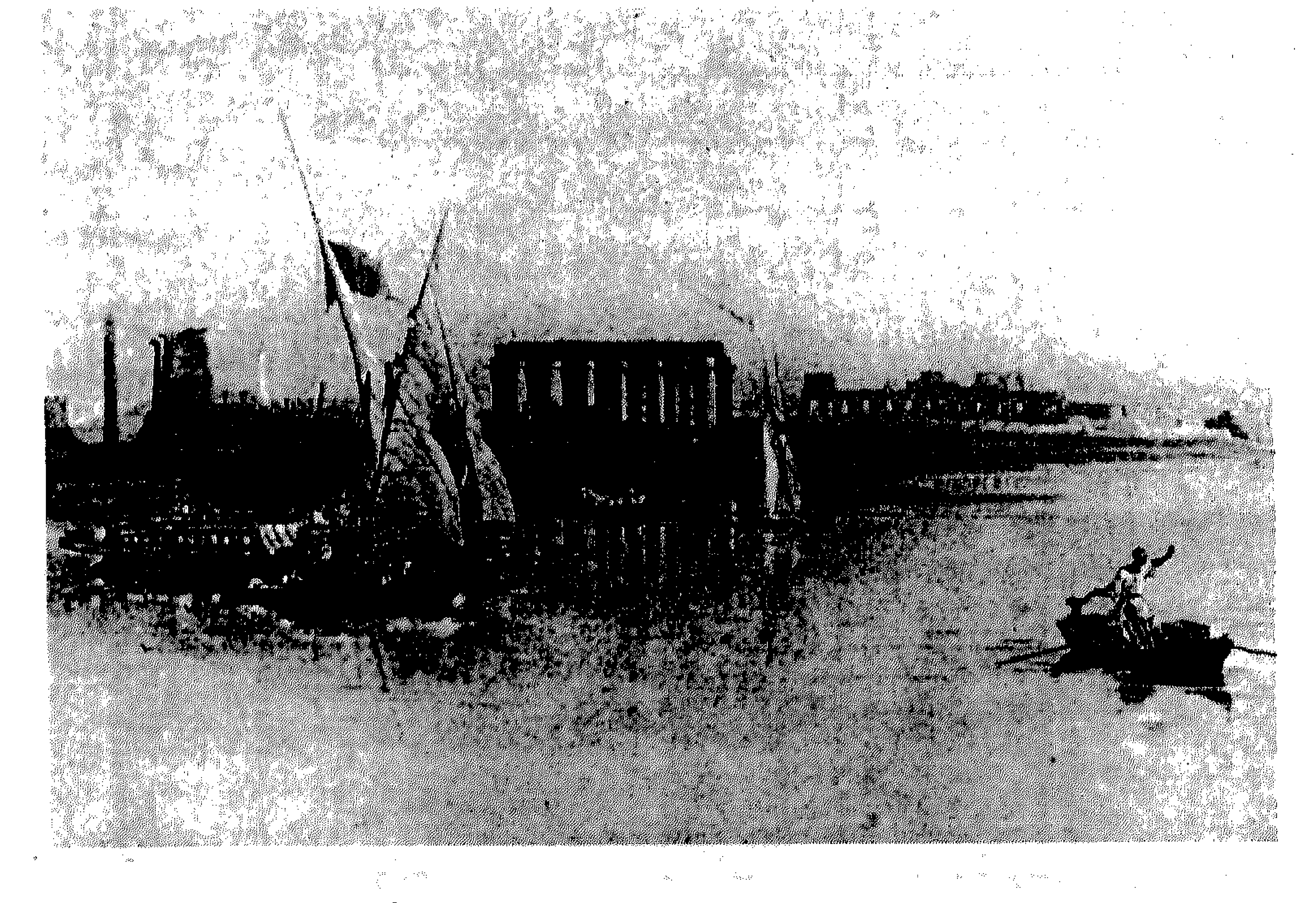
ووجدت المسيحية على أرض مصر مقاماً طيباً لها، وفى مغارات جبل المقطم كان أتباع القديس مرقص منذ ألف وستمائة عام، يقيمون شعائرهم الدينية خوفاً من بطش دقلديانوس،وللعصر القبطى فى مصر أهمية حضارية كبيرة باعتباره حلقة الاتصال بين حضارة العصر اليونانى الرومانى وحضارة العصر الإسلامى، وتزخر مصر بآثار الحضارة القبطية المتمثلة فى الكنائس، والأديرة، ورسوم العائلة المقدسة والقديسين.

وفى السنة العشرين من الهجرة، أقبل عمرو بن العاص إلى مصر يزف نور الله فهب شعب مصر يرحب بمحرره، وفتحت المدينة أبوابها مستبشرة، ودخلها جنود الله مهللين مكبرين.

وانبثق نور الدعوة المحمدية يغمر بضيائه أرض وادى النيل، وخفقت الراية الأرجوانية فوق ربوع مصر، على يد عمرو بن العاص.

ومنذ هذا التاريخ نشأت على أرض مصر حضارة جديدة، بلغت ذروتها الفنية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

وتعتبر مصر بما لديها من آثار الحضارة الإسلامية، ومقتنيات الفنون الإسلامية متحفاً كبيراً، يشد الانتباه، ويثير العجب، والاندهاش.



المصريين، واسترضاء الشعب المصرى، ولم تكن القصص، والأساطير التى دارت حول هذه الرحلة إلا نوعاً من الأدب السياحى الدينى.

خرج كهنة معبد سيوة لاستقبال الإسكندر الأكبر عند البوابة الخارجية لمدينة سيوة وصاحبوه حتى معبد آمون للتنبؤات، وعلى باب المعبد وقف الكاهن الأعظم؛ ليكون فى شرف استقبال الإسكندر الأكبر أعظم شخصيات هذا الزمان، وكان الاستقبال رائعاً.

الكهنة يحملون صور آمون المرصعة بالجواهر، ويدورون بها فى ساحة المعبد المقدسة العازفات، والمغنيات، والراقصات تعزفن، وتنشدن الأغانى وترقصن، وهن ترتدين الملابس البيضاء.

الإسكندر يتقدم ويوزع الهدايا على الكهنة، ويطلب الإذن له بمقابلة آمون، وإكراماً لشخصه، سمح له بذلك، ومر بعض الوقت، وخرج الإسكندر تبدو عليه علامات السعادة والرضا، ولم يبح الإسكندر بما دار بينه وبين آمون، ومات ودفن، ومعه أسرار هذه الرحلة المقدسة.

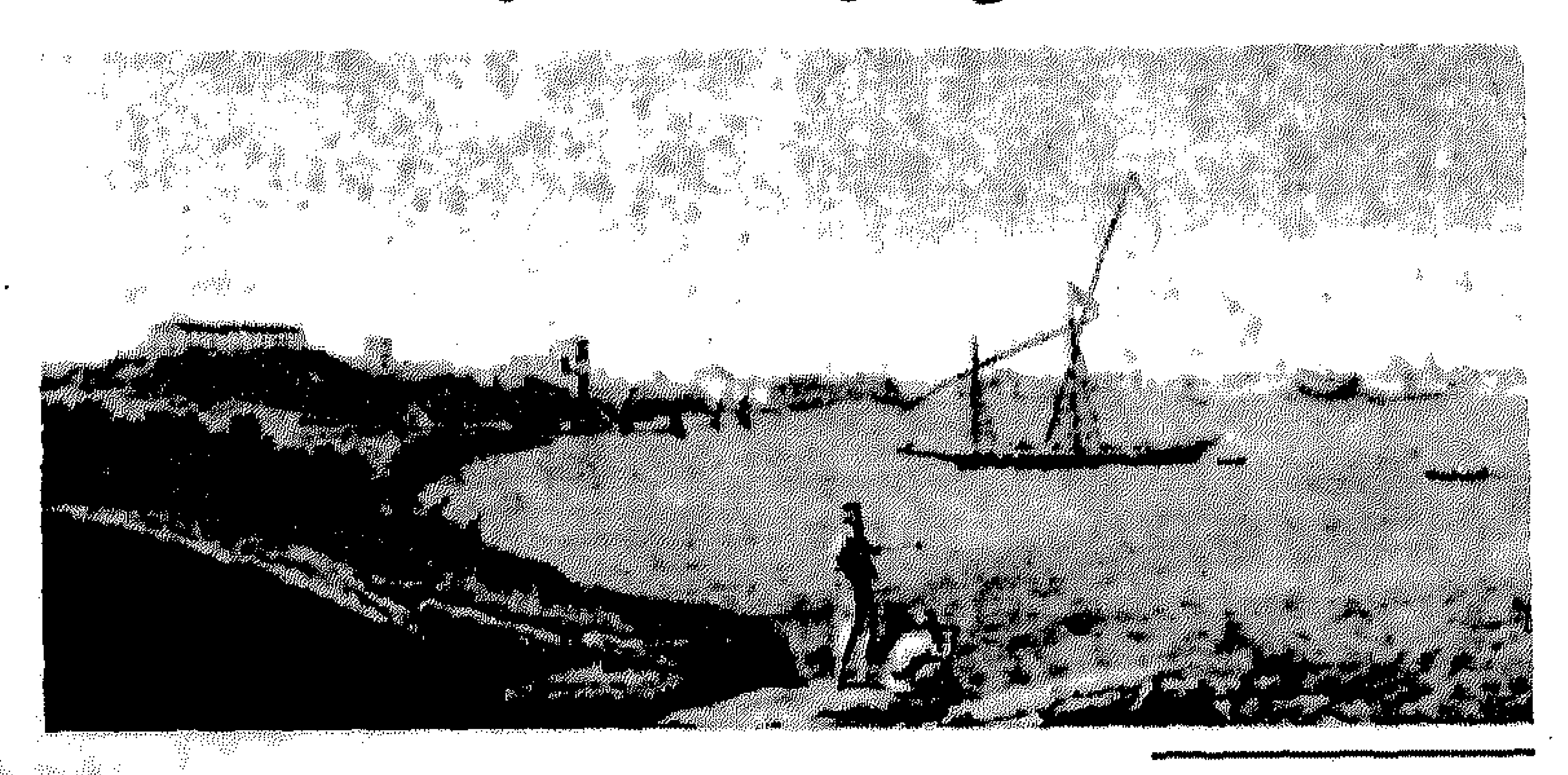
لم تعد السياحة الدينية - كما كانت في الماضى - رحلات عذاب، يتحمل فيها - المسافر - مشقة السفر في رحلات طويلة «عبر طرق وعرة» فأتاحت وسائل العصر الحديثة للمسافر فرصة الانتقال، والإقامة تحت ظروف مناسبة وسهلة، من خلال وسائل النقل السريعة، وأماكن الإقامة المريحة.

ولقد توفرت عدة عوامل كانت سبباً في ازدهار حركة السياحة الدينية - عالمياً - أهمها:

حق العاملين في الإجازات المدفوعة الأجر [1].

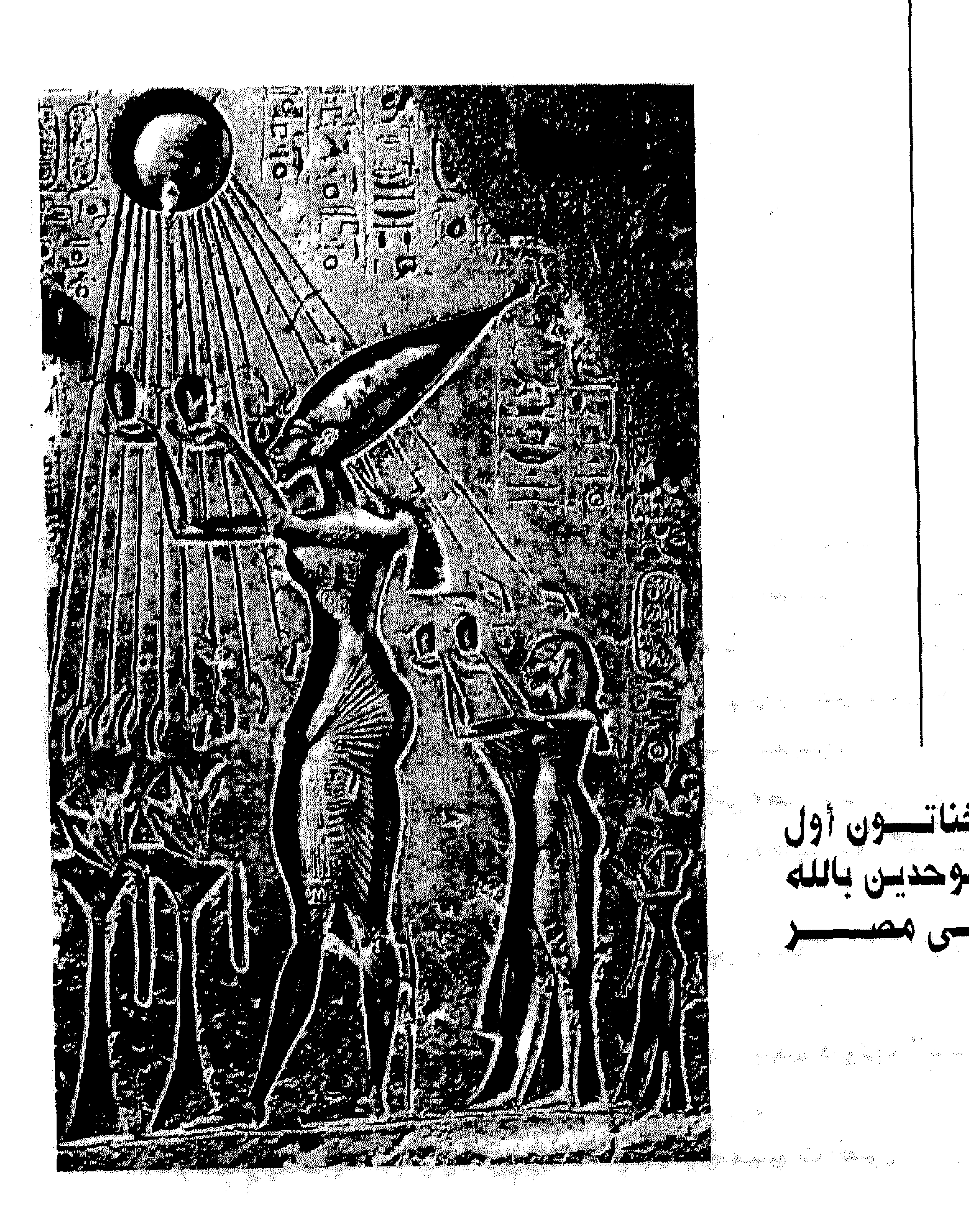
طبيعة الحياة المادية في الدول الغنية المصدرة للسائحين دفعت أعدادا كبيرة من سكان هذه الدول للهروب من عالمهم المادى إلى عالم آخر؛ يبحثون فيه عن ذاتهم، ويحققون فيه توازنهم النفسى.

ولم تعد الزيارات الدينية - كما كانت في الماضى - مجرد زيارة للمعابد الدينية، والأنهار المقدسة، فاتسع مفهوم الزيارات الدينية، فشملت بالإضافة إلى الأماكن المقدسة التقليدية، المزارات السياحية التي تعمق الشعور الدينى والتى ترتبط بذكريات دينية معينة، ويمكننا أن نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر.



ميناء الأسكندرية القديم

(١) اعترف الإعلان العالمى لحقوق الإنسان سنة (١٩٤٥) بأن لكل شخص الحق فى الراحة ووقت الفراغ، وبصفة خاصة في تحديد معقول لوقت العمل، وكذلك في الإجازات المدفوعة الأجر.



إخناتـــون أول الموحدين بالله فـى مصـــر

في أحد أيام سنة ١٣٨٢ قبل الميلاد رزق الزوجان الملكان «أمنحوتب الثالث» و «تي» بولد ثان سموه «أمنحوتب»، وكانت ولادته بمثابة فأل حسن، وطارت الأنباء إلى أرجاء الامبراطورية المصرية، تعلن هذا الخبر السعيد خاصة أن ابنهما الأول تحوتمس كان قد وافته المنية وهو في ريعان شبابه وفي باكورة رجولته.

ولم يكن هذا الطفل الملكي الذي دخل التاريخ من أوسع أبوابه، واستطاع أن يسجل على صفحاته اسمه مصحوبا بعبارات التبجيل، والتقدير إلا - إخناتون - أول من نادى بالتوحيد، ولم تكن دعوته سهلة أبدا، فتحداها عدو جبار تمثل في كهنة آمون أصحاب السلطة، والنفوذ الديني، والدنيوي.

ولد إخناتون، وتربى، وشب عن طوقه في بلاط كله مجون، وعبث، وكان أبوه قد بدأ كاهله ينوء تحت أعباء حياة الترف التي عاشها، ولم تشفه التمائم السحرية، ولا الطب المصري الذي ذاع صيته في أرجاء العالم القديم.

ولد إخناتون طفلا هزيلا.. ضعيفا.. تراكمت عليه الأمراض، ولازمته طوال حياته، يدل على ذلك تركيب جسمه الغريب، فوجهه كان نحيفا إلى حد الهزال؛ فبرزت عظامه وتدلت ذقنه، واتسعت مقلتا عينيه، وارتسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامة خفيفة إن دلت على شيء فهي تدل على طيبة قلبه العميقة، رغم كل ذلك فلقد كان إخناتون شديد الذكاء، مرهف الحس، فيلسوفاً سديد الرأي ذا عقل راجح ونفس صافية، يمقت الكذب، وينشد الصدق، وكان يبحث عن الحقيقة في أدق مظاهرها.

لقد دعا إخناتون الزاهد إلى عبادة آتون إلهاً واحداً ليس له مثيل، وصوره على هيئة قرص الشمس يرسل أشعته على الكون ممتدة بأيد بشرية تفيض على الخلق بالعافية، ولقد حظي إخناتون باهتمام لم يحظ به ملك مصري قبله، كرم إخناتون ومجده البعض ورفعوه إلى مرتبة الرسل، والأنبياء، واعتبروه أول من نادي بالتوحيد بين البشر، ويعتقد البعض بالخطأ بأن ديانة إخناتون لم تكن وليدة تفكيره، ووحي فلسفته، وما هي إلا استلهام لتعاليم التوراة استناداً إلى التشابه بين فقرات أنشودة آتون، وفقرات مزمور العهد القديم.

لم تبدأ دعوة إخناتون من فراغ، بل مهدت له تعاليم اللاهوت المصرى منذ أقدم العصور، فدعت أنشودة ترجع إلى الأسرة الخامسة من الدولة القديمة أى منذ نحو سنة (٢٧٠٠) قبل الميلاد إلى الواحد الذى قيل عنه أنه سيعيش أبدا.. وعظمت أنشودة من عصر الدولة الحديثة أى منذ سنة (١٤٥٠) ق.م [1] رب السماء، والأرض الذى خلق الكائنات والذى يحق له الصلاة عند الشروق، والغروب، الإله الأحد الذى خلق العالم، والبشر، وخلق النيل، وأقام الجبال، وخلق الماء، وأحيا ما فيه، ولعل فى هذه التعبيرات، والدعوات القديمة الموغلة فى التاريخ ما يؤكد أصالة دعوة إخناتون بوحدانية الخالق رب كل شىء، وهناك رأى يقول بأن المصريين القدماء وعلى الأخص من تفقه منهم فى الدين، وعرف أسراره، وربما اعتنقوا منذ عصور مبكرة ديانة الإله الواحد، وإن كانوا لم يجهروا بها.

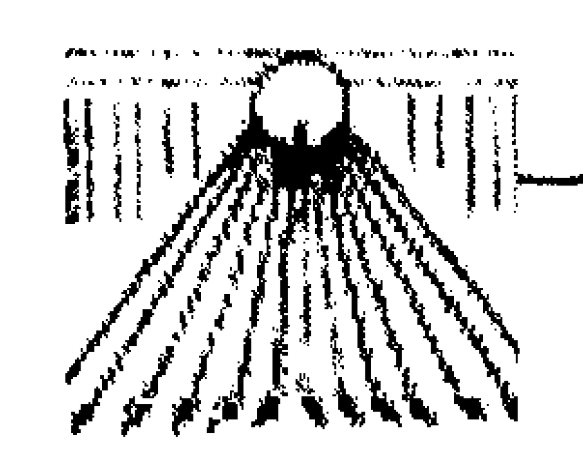
نشأ إخناتون فى «أرمنت» القريبة من طيبة «الأقصر الحالية» التى عرفت قديماً باسم (هليوبوليس مصر العليا)؛ ولقد حكم إخناتون ست سنوات فى حياة والده، وما يقرب من ثلاث عشرة سنة بمفرده، وتدل القرائن التاريخية أنه مات، ولم يكن قد تجاوز بعد الثلاثين من عمره، ولم يعثر على جثته التى لم تدفن فى المقبرة التى أعدها لأسرته فى تل العمارنة، وربما كان موته نتيجة لمؤامرة دبرت للقضاء عليه.

لقد أدت الهوة الشديدة بين إخناتون، وكهان آمون إلى استحالة بقائه فى طيبة، فقرر تشييد عاصمة جديدة له اختار لها مكاناً فى منتصف المسافة بين منف فى الشمال، وطيبة فى الجنوب فى نفس المكان المعروف الآن باسم «تل العمارنة» ودخلت هذه العاصمة الجديدة التاريخ باسم «إخناتون»[2]، ولقد ترك إخناتون نصاً اعترف فيه بأنه هاجر إلى المكان الذى أقام فيه عاصمته الجديدة بمحض إرادته، وأنه تلقى الوحى بذلك، وأنه ليس لأحد فضل ما فى اتخاذه لهذه الخطوة.

ولد أمنحوتب الرابع الذى أطلق على نفسه اسم «إخناتون» منذ حوالى ٣٣٠٠ سنة

(١) يجافى هذا الرأى الحقيقة التاريخية التى تؤكد أن إخناتون عاش فى عصر سابق لعصر ظهور المزامير، وأن أى مقارنة بين أناشيد إخناتون والمزمور لابد أن تؤكد أن النشيد هو أصل المزمور.

(٢) أخيتاتون أو «آخت آتون» أى أفق «آتون».



فى مدينة طيبة من أبوين عظيمين، فوالده هو الفرعون أمنحوتب الثالث، الذى يشبه عصره بعصر هارون الرشيد أيام الدولة العباسية، وعصر الملك لويس الرابع عشر فى فرنسا، أما أمه فهى الملكة «تى» التى تميزت بشخصيتها القوية الفذة، وآمن إخناتون منذ أيام شبابه الأولى بإله واحد هو «آتون» الذى رمز إليه بصورة قرص الشمس تشع منه أشعة تنتهى بأياد بشرية تمسك برمز الحياة المسماة «عنخ» فى اللغة المصرية القديمة، ولم يصور معبوده الجديد فى هيئة بشرية، ولم يقم له التماثيل، ولم يجعل له زوجاً أو ولدا، كما ربط بينه وبين رمز الصدق، والعدل والحق عند قدماء المصريين وهى المعبودة «معت»، ثم بدأ فى نشر عقيدته الجديدة بعد توليه الحكم وذلك ببناء معبد ضخم للإله آتون [١]، فى معبد الكرنك بطيبة، ويمكن اعتبار أناشيد آتون بمثابة دستور لعقيدته التى كانت أرفع، وأرقى مما سبقها من عقائد، وما كاد «إخناتون» [٢] يستقر فى عاصمته الجديدة «آخت آتون»، حتى ضرب ضربته الكبرى، فأبطل كل عبادة إلا عبادة «آتون» وحطم الأصنام فى كل مكان خاصة أصنام آمون، ودمر اسمه وتماثيله، وشرد كهنته، واستولى على أملاكه، واستمرت هذه الحملة الشعواء على آمون حتى بدأت الردة فى أواخر أيامه، وما تلا ذلك من أحداث سريعة انتهت بعودة آمون إلى قوته، ومجده القديم، ويطلق العلماء على تلك الفترة التى لم تتجاوز الربع قرن اسم «عصر تل العمارنة» ولقد أقام إخناتون بعاصمته الجديدة المعابد، والقصور، والمساكن، وأقسم ألا يترك المدينة، أو يتعدى حدودها الشمالية والجنوبية مدى حياته، كما أقام «إخناتون» عدداً من اللوحات حدد بها حدود المدينة، لا يزال بعضها قائماً فى مكانه حتى الآن، وكان معبد آتون العظيم يتوسط المدينة، وكان معبدا مفتوحا للسماء تصل أشعة الشمس فيه إلى كل مكان.

ومن الغريب أن هذه المدينة التى تميزت باتساعها قد اختفت تماما بعد موته، وأصبحت الآن مجرد مبان متناثرة لا يستدل منها على أية معلومات.

---

(١) هدم هذا المعبد للأسف بعد انتهاء إقامته.

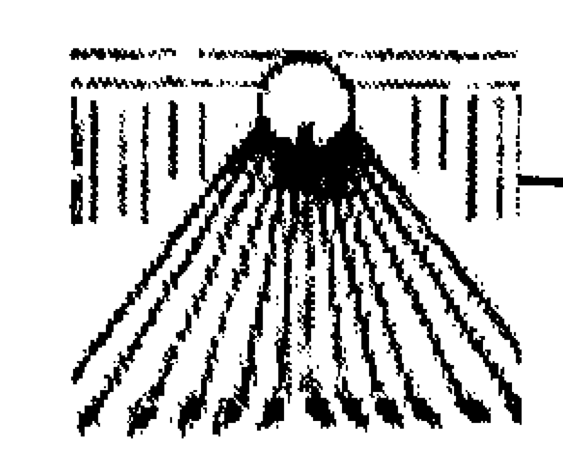
(٢) قام إخناتون «أمنحوتب الرابع» بتغيير اسمه من «آمون حتب» أى «آمون راضى» إلى «أخ إن آتون» «إخناتون» أى المفيد لآتون

لقد حمل إخناتون الرسالة ما يزيد على اثنى عشر عاما، ولكن حماسه لرسالته قد ضعف بعد أن تكاتفت عناصر مختلفة ضده، فالشعب البسيط الذى يعيش على التقاليد رفض أى تغيير لما كان فى عهد آبائه، وأجداده، كما أن رجال الجيش لم يغفروا له ضياع الامبراطورية المصرية المترامية الأطراف، التى أقاموها بدمائهم ودماء آبائهم، ثم رجال العقائد الدينية الأخرى وفى مقدمتها بالطبع عقيدة «آمون» الذين تربصوا به، وأخذوا يتكتلون ضده دفاعا عن مصالحهم، ولقد توقف التاريخ فجأة فيما يتعلق بإخناتون الذى اختفى فجأة، وانطفأ نور رسالته[1] ، حتى أننا لا ندرى أين دفن؟ وهل مات ميتة طبيعية أم قتل؟ وأين جثته الآن؟ أما فيما يتعلق بسيرة حياته، ومنجزاته، وأفكاره، وعقائده، فقد اختلف المؤرخون فيما يتصل بذلك، فهناك رأي يمجد فلسفته، وعبقريته التى أخرجت عقيدة جديدة للتوحيد، كما أخرجت روائع فنية، ومبادىء أخلاقية كانت نتيجة مباشرة لوحيه الشخصى، أما الرأى الثانى فيعتبره حاكماً أهمل واجباته المقدسة مما أدى إلى انهيار البلاد، وتدهور أحوالها، ويقال إن المصريين القدماء فى عهده رفضوا رسالته فى أيامه وبعد موته، ولم يعترفوا عند تأريخهم للأحداث بحكمه كملك على البلاد، وأسقطوا اسمه من قوائم الملوك الرسمية، ولكن إخناتون كان بلا شك عبقرية، تم نضوجها فى وقت سابق لأوانه ومتقدم عن عصره.

وبينما كان إخناتون، وأتباع الدين الجديد منهمكين فى الابتهال إلى الإله آتون، كانت حالة البلاد بوجه عام تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، مما اضطر الملكة الوالدة «تى» إلى التدخل فى الأمر بعد أن أحست بالخطر الداهم الذى يهدد البلاد، فسارعت بالسفر إلى العاصمة الجديدة فى العام الثانى عشر من حكم ابنها إخناتون، ولقد سجلت أخبار هذه الزيارة على جدران مقبرة «حوى» أحد الرجال الكبار فى ذلك العصر.

احتلت الملكة «نفرنفرو آتون نفرتيتى» زوجة إخناتون مكانة تاريخية خاصة، فلقد وصفها زوجها إخناتون على إحدى لوحات حدود تل العمارنة بأنها مليحة المحيا، سيدة الرشاقة، ذات الحب العظيم، تلك التى إذا ما أصغى إليها الإنسان طرب، حلوة الحب،

(١) يذكرنا زوال مدينة «آخت آتون» التى أقامها إخناتون فى منطقة تل العمارنة الحالية بزوال مدينة (العسكر) ثانى عواصم مصر الإسلامية بعد الفسطاط، والتى شيدها صالح بن على، ولم يبق منها الآن أى أثر يذكر.



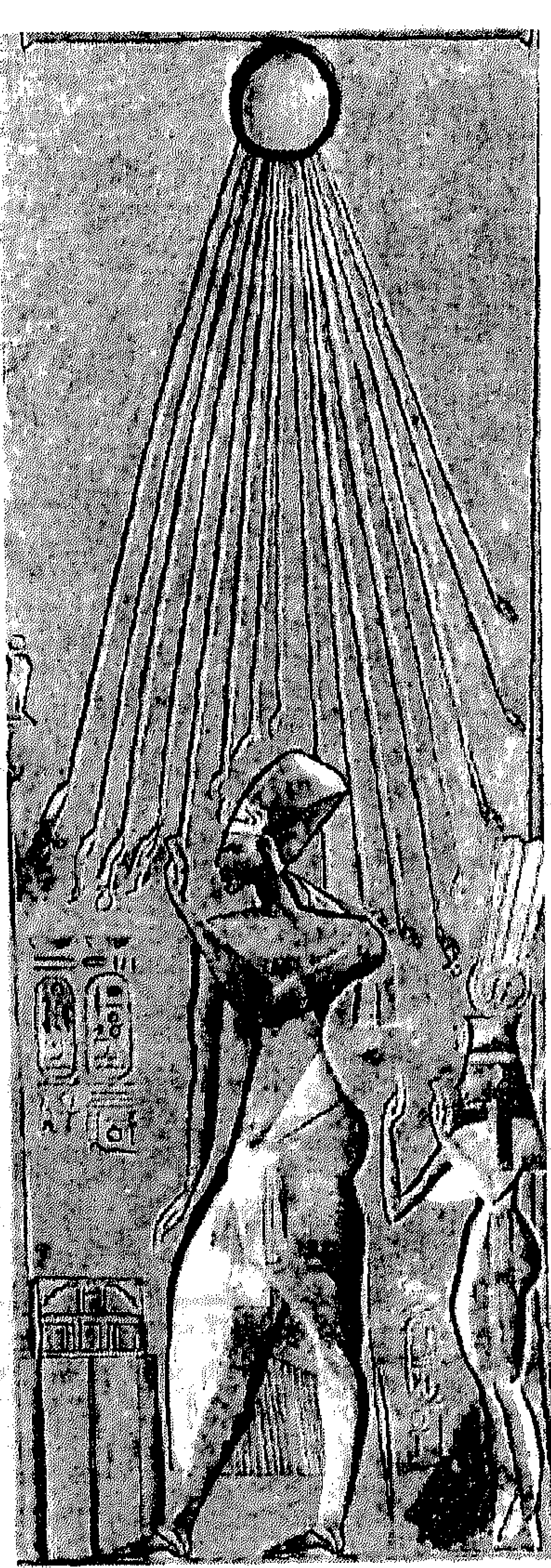
جميلة الوجه، زائدة الجمال، التى يحبها الملك، سيدة السعادة، سيدة جميع النساء، ولقد لعبت نفرتيتى دوراً هاما فى الحياة الدينية، والسياسية لمصر، ولا يزال أصل نفرتيتى موضع نقاش بين المتخصصين، إذ لم يذكر أى نص اسم والدتها، ويعتقد البعض أنها تنتسب إلى إحدى الأسر الأجنبية، التى كان يعج بها البلاط الملكى فى عهد أمنحتب الثالث، وأنها قد اتخذت اسما مصريا، ويعتقد بعض آخر أنها ميتانية الأصل أى من شمال سوريا، مع أن هناك شبه إجماع على أنها مصرية أصيلة، وإن كانت لا تنتسب للأسرة المالكة، وأن أختاً لها هى «موت نجمت» قد تزوجت من «حور محب» الذى أصبح فرعونا لمصر فى عصر لاحق، ويحتمل أن زواج إخناتون من نفرتيتى قد تم فى نهاية العام الأول لاعتلائه عرش مصر، أو فى بداية العام الثانى، ولقد استمرت الحياة الزوجية لإخناتون ونفرتيتى سعيدة هانئة تتميز بالألفة، والتفاهم المتبادل، والتوافق العقائدى المشترك، فلازمته فى كل المناسبات الرسمية، والدينية، ولكن شاء القدر أن يحرمها من إنجاب من يرث العرش فرزقت بست بنات ثلاث منهن ولدن بطيبة أى خلال السنوات الست الأولى من حكم إخناتون، والابنة الأولى هى «مريت آتون»[1] أما الابنة الثانية الأميرة «ماكت آتون» فقد توفيت قبل اختفاء أبيها، ودفنت بالمقبرة الملكية بتل العمارنة، وهناك نقش تظهر فيه نفرتيتى، وإخناتون، وهما يبكيان هذه الابنة، ويودعانها الوداع الأخير، أما الابنة الثالثة الأميرة «عنخ إس أن آتون» فقد تزوجت فيما بعد من الملك «توت عنخ آمون» الذى غير اسمها إلى «عنخ إس أن آمون» هذا وقد وجد اسم هذه الأميرة، واسم «آى» الذى خلف «توت عنخ آمون» فى حكم مصر جنباً إلى جنب على خاتم من الزجاج الأزرق مما أدى إلى الاعتقاد بأن «آى» قد تزوج من الوريثة الملكية «عنخ إس أن آمون» بعد وفاة زوجها توت عنخ آمون؛ ليجعل جلوسه على العرش شرعياً.

وبينما كان إخناتون، وأتباع الدين الجديد منهمكين فى الابتهال إلى الإله آتون كانت حالة البلاد بوجه عام تزداد سوءاً يوماً بعد يوم مما اضطر الملكة (تى) إلى التدخل فى الأمر بعد أن أحست بالخطر الداهم الذى يهدد البلاد، فسارعت بالسفر إلى العاصمة الجديدة فى العام الثانى عشر من حكم ابنها إخناتون، وفيما يتعلق بنهاية إخناتون،

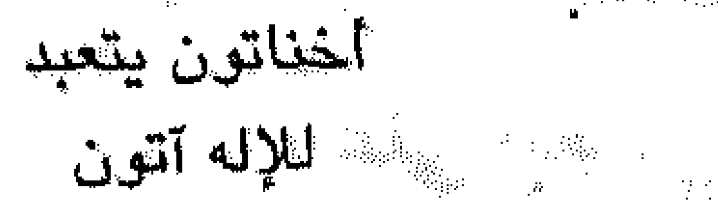
(١) مريت آتون: محبوبة آتون.



أخناتون ونفرتيتى
وأولادهما وقرص
الشمس آتون

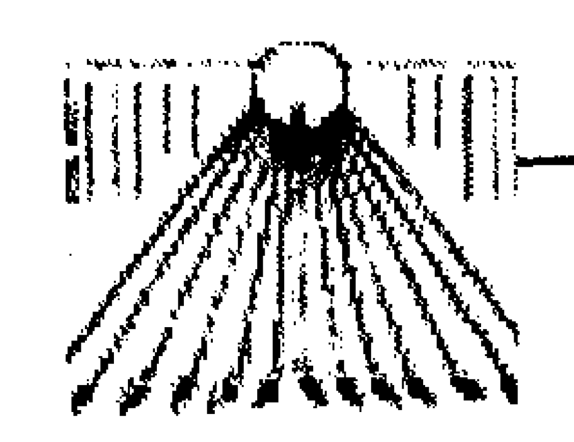


يخرج أخناتون
ونفرتيتى من
المعبد بعد أن قاما
بالتعبد للإله آتون



أخناتون يتعبد
للإله آتون



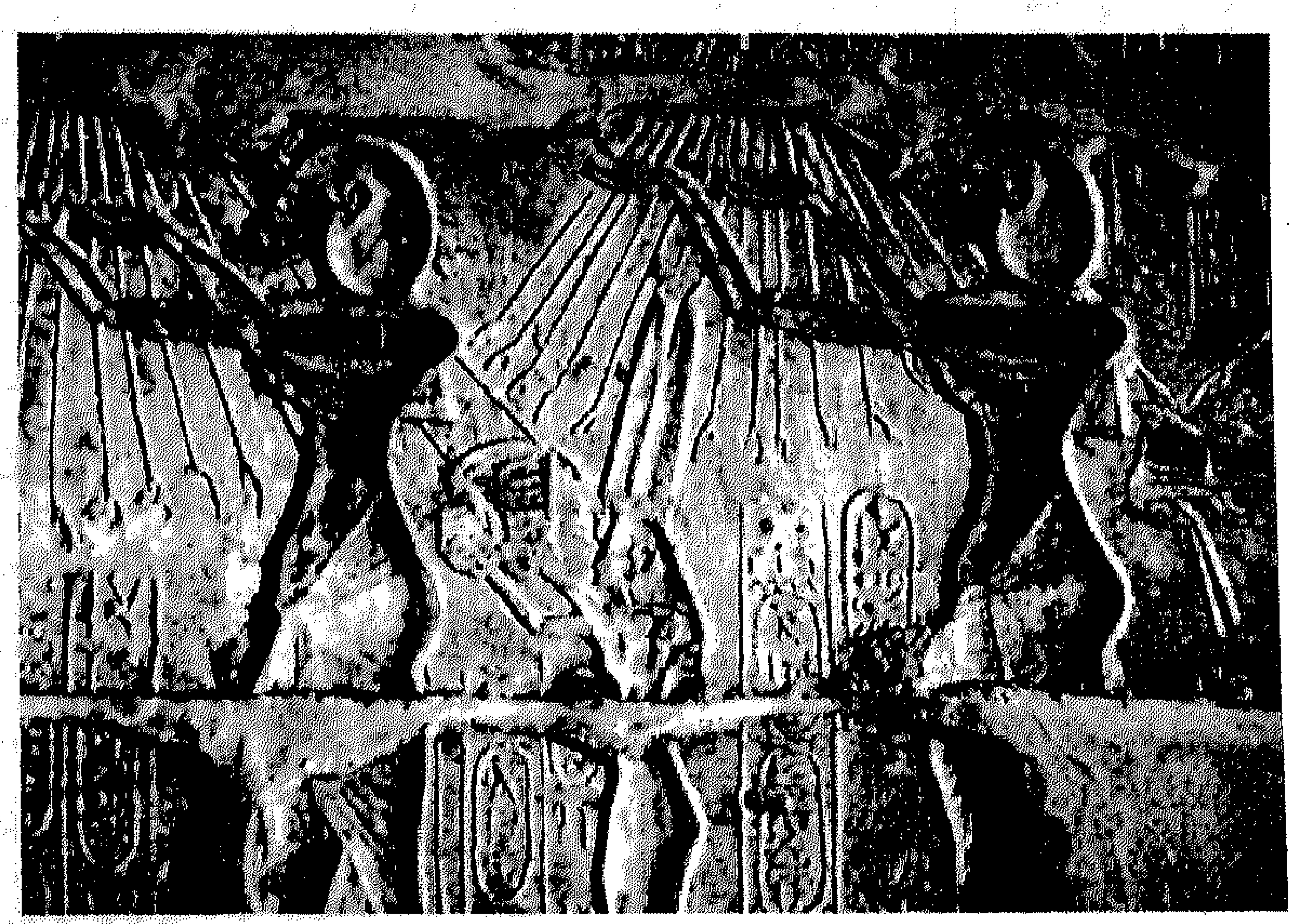


فليس هناك من شك أن الفترة الأخيرة من حكمه كانت من أشق الفترات عليه فزوجته نفرتيتي تصمم على الانفصال عنه، وتعتنق رأياً مخالفاً لرأيه، وأمه الملكة «تي» التي ساعدته وساندته في دعوته، قد أصبح لها رأي آخر، وتطالبه بالردة عن دينه، وتستحثه لمهادنة أعدائه، وشعب طيبة يتهمه بالزندقة، والكفر، ويلعنونه سراً، وعلناً، ولابد أن هذه الأحاسيس، والمشاعر قد طحنت جسمه الضعيف، وأدت إلى موته، هذا إذا لم يكن موته قد تم نتيجة لمؤامرة دبرت لقتله، ومن المؤسف حقاً أن هذا العبقري قد ترك بعد وفاته جواً مشحوناً بعوامل الكراهية، والحقد.

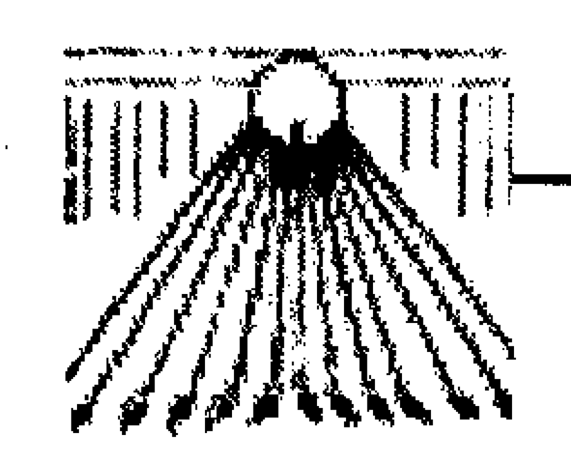
ولكى نتفهم جيداً مدى عمق الدوافع الدينية لإخناتون، فعلينا أن نتأمل تلك الأشعار التي كان يتعبد بها إخناتون تمجيدا وحمدا للإله الواحد خالق كل شيء.

ما أبهى جمالك حين تطلع من أفق السماء
أي آتون الحي.. يا خالق الحياة
عندما تتلألأ في أفق الشرق
تملأ الأرض كلها بجمالك
أنت جميل.. أنت عظيم
وبريقك يعلو فوق كل أرض
وأشعتك تحتضن الأرض وكل مخلوقاتك
ومهما كنت بعيدا، فإن أشعتك تغمر الأرض
ويراك الناس جميعا
ولكن أحداً لا يعرف طريقك
يا خالق النطفة في ظهر الرجل
يا واهب الحياة للجنين في رحم أمه
يا من تغذيه وترعاه حتى يولد
يا واهب أنفاس الحياة لكل مخلوقاتك
منذ يوم يولدون
أيها الإله الواحد الذي لا مثيل له أبداً

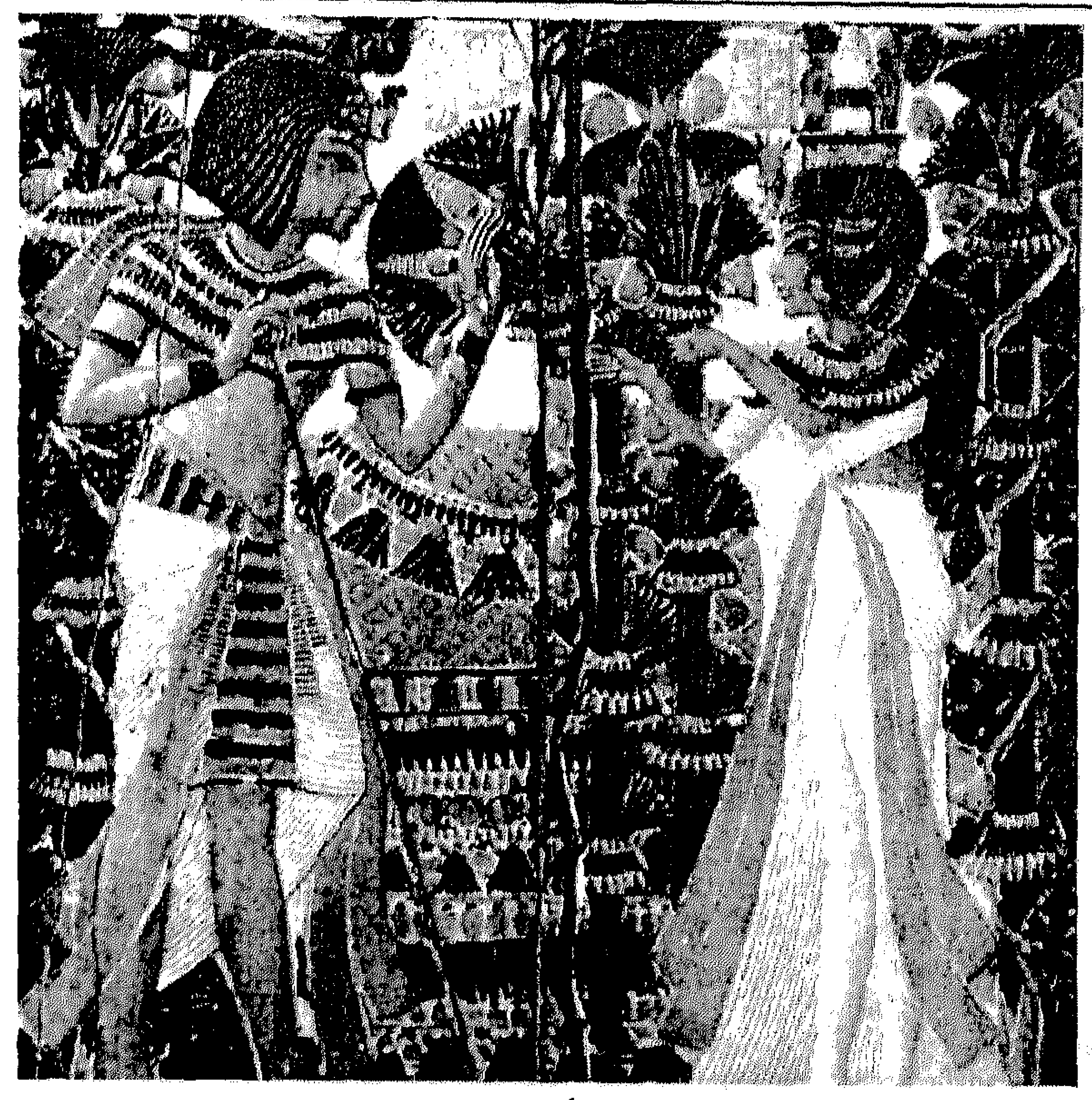
يا من خلقت الأرض كما يهوى فؤادك
حين كنت وحدك.. ولا أحد غيرك
أنت الذى جعلت البشر يتكلمون بمختلف اللغات
وجعلت أشكالهم مختلفة
وميزت بين الأمم وبعضها
وجعلت الفصول تختلف
خلقت الشتاء والبرد
وخلقت حرارة الصيف، التى تأتى من عندك
وخلقت السماوات العلا
أنت فى قلبى
وما من أحد آخر يعرفك
سوى ابنك (إخناتون)
الذى منحته الحكمة
والقدرة على فهم تدابيرك وقدرتك



اخناتون ونفرتيتى
فى المعبد



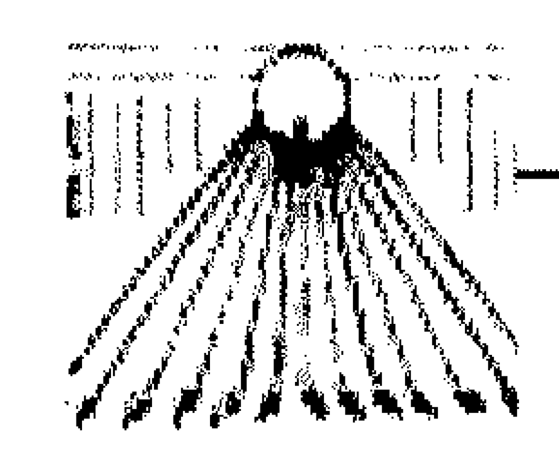
وفى السنة الرابعة من حكمه غادر إخناتون طيبة، ومعه بعض رجال حاشيته المخلصين، ليختاروا موقعاً لبناء العاصمة الجديدة بعيداً عن طيبة، واختار إخناتون موقعا فى سهل صحراوى متسع الأرجاء تحيط به شبه دائرة من الصخور العالية، ولم يكن هذا المكان مسكوناً، ولا آهلاً، ولم يكن مكرساً لعبادة أى إله، أو آلهة من آلهة المصريين، ويقع هذا المكان فى منتصف المسافة بين العاصمة ـ طيبة ـ فى الجنوب، والعاصمة المصرية القديمة ـ منف ـ فى الشمال، وعلى مقربة من واحة الفيوم حيث تقيم أمه الملكة «تى»، وكان هذا المكان يتمتع بالهدوء، والسكون، والعزلة، وجمال الطبيعة، وشعر إخناتون كما لو كان الإله الواحد ـ آتون ـ قد احتجز هذا السهل لنفسه وزائر مقابر النبلاء، وكبار الموظفين، ورجال البلاط فى تلال منطقة «تل العمارنة» الصخرية العالية التى تعرف الآن بمنطقة ـ بنى حسن الأثرية ـ يستطيع أن يرى بانوراما كاملة لتلك المنطقة الساحرة، ويستطيع أن يرى السهل المستوى الممتد فى المساحة التى تقع بين تلك الصخور العالية،وشاطىء النيل وهى مساحة كافية تماماً لبناء منشآت مدينة إخناتون الجديدة، وفى المنطقة المقابلة تقع الأراضى الخضراء الواسعة على ضفة النيل الغربية، ودخلت هذه الأراضى فى زمام المدينة الجديدة، وخصصت لإنتاج المحاصيل، وتربية القطعان، والمنتجات الزراعية الكافية لتغطية احتياجات المدينة الجديدة وسكانها، وإذا نظرنا إلى بقايا جدران البيوت، والقصور، والمنشآت العامة التى لا يزيد ارتفاع أى منها على قدمين، أو ثلاثة سوف يشعر بالحزن العميق، ويستطيع أن يتخيل سماع أصوات معاول الهدم التى دمرت هذه المدينة تدميراً شاملاً، وخربت كل مبانيها، وفى الجانب الخلفى للتلال الصخرية العالية التى تطوق المدينة نحتت المقبرة الملكية، وفى الأطراف العليا من تلك الصخور من ناحيتى الشمال والجنوب حفرت مقابر النبلاء، وكبار موظفى الدولة، وهى مقابر محمولة على أعمدة، وتتكون كل مقبرة منها من عدة حجرات محفورة فى عمق الصخر، وجدرانها مزينة بصور، ومناظر منقوشة، ومحفورة بالنحت الغائر والبارز، تصور مختلف صور ومناظر الحياة التى كانت فى العمارنة بعضها وجد كاملاً، وبعضها لم يكن العمل قد انتهى فيه، ولقد عانت تلك المقابر كثيراً من فعل الزمن، ومن لصوص المقابر، ومن جشع المنقبين الذين كانوا ينهبون الآثار المصرية، ولم تستخدم معظم المدافن التى أعدت لدفن النبلاء وكبار رجال الدولة للغرض الذى أقيمت من أجله، فقد انتقل

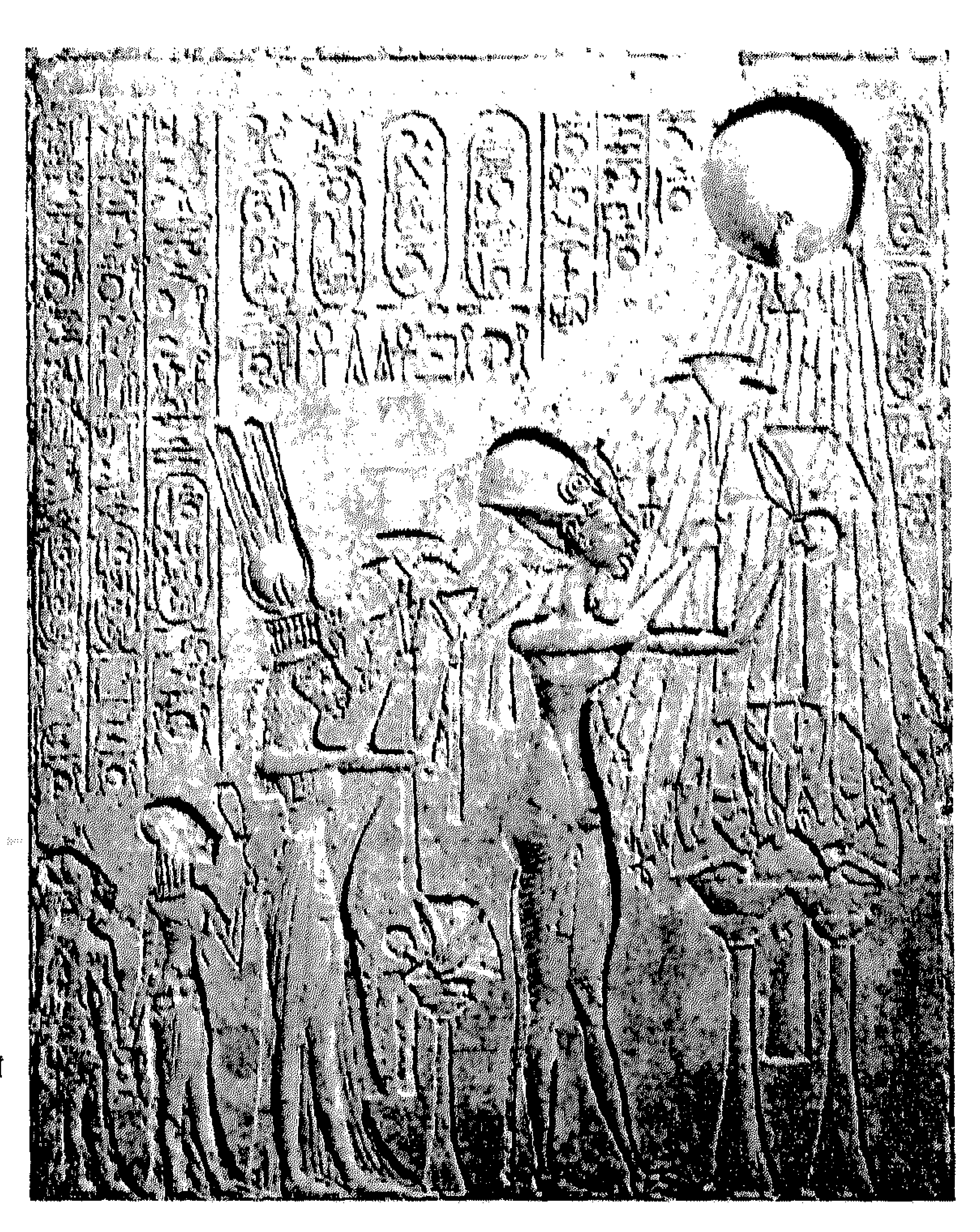


توت عنخ امون
بعد أن تولى
العرش

كل هؤلاء مع الملك «توت عنخ آمون» حين عاد مرة أخرى إلى العاصمة المصرية السابقة ـ طيبة ـ بعد وفاة إخناتون وزوجته نفرتيتى.

ولقد أمر ـ إخناتون ـ بإعداد مجموعة من علامات الحدود الضخمة نحتت على واجهة التلال الصخرية الشرقية وعلى واجهة التلال التى تحيط بأقصى الأراضى الزراعية على الضفة الغربية للنيل المواجهة لتل العمارنة، وتتضمن هذه اللوحات حفرا، ونقوشا لمناظر بالحجم الكبير تصور العائلة المالكة وهى تتعبد إلى الإله «آتون» كما حفرت كتابات هيروغليفية بحروف كبيرة تنص على قرارات إخناتون بتكريس المدينة للإله «آتون»، ولقد أطلق إخناتون على هذه المدينة الجديدة اسم ـ آخت آتون ـ أما اسم ـ العمارنة ـ أو تل العمارنة الذى يطلق على هذه المنطقة الآن فهو اسم عربى حديث، ولحسن الحظ فقد تم تسجيل المناظر والكتابات المنقوشة على جدران مقابر تل العمارنة تسجيلاً دقيقا منذ نحو مائة عام، حيث قام «نومان دى جاريس دافيز» بنسخها بدقة فى ستة مجلدات بعنوان «المقابر الصخرية فى العمارنة»، ولقد تسببت عوامل التعرية، وتيارات الهواء المحملة بالحصى، والرمال فى محو معظم النقوش، والكتابات فى هذه المنطقة التاريخية





اخناتون ونفرتيتى
يقدمان الزهور
إلى اتون

الهامة، وتدل لوحات الحدود هذه على أن إخناتون قد قرر اعتبار هذه المنطقة مملوكة «لآتون» بجبالها وصحاريها، وجزرها، وأراضيها، ومياهها، وقراها، ومن عليها من الناس، والحيوانات، وجميع المخلوقات الأخرى الموجودة فى عهد أو التى سيخلقها - آتون فى المستقبل وإلى الأبد.

ولقد أوضح - إخناتون - أنه لن يعبد فى هذه المنطقة إله آخر سوى الإله «آتون»، ولن تقام صلوات، أو شعائر يقيمها، أو يؤديها كهنة العقائد، والأديان الأخرى، ولقد حرص إخناتون أن يقيم المعابد المكرسة لعبادة آتون، وأن يقيم القصور لنفسه، ولزوجته الملكية الكبرى «نفر نفرو آتون نفرتيتى»، وأن يقيم فوق التلال قبرا ملكيا؛ ليدفن فيه هو وزوجته.

في مدينة ـ آخت آتون ـ كان «المقر الملكى» منفصلاً عن «آلقصر الملكى» الرسمى المخصص للحكم، والشئون الرسمية للدولة، وكان هناك طريق علوى يربط القصر بالمقر الملكى، وكان الجزء الشمالى من القصر الملكى مخصصاً للملكة نفرتيتى[١]، وبناتها الأميرات، والوصيفات، والخادمات، وفى الجهة الشمالية خارج القصر الملكى، كان هناك أكبر معابد آتون ببواباته ذات الأبراج العالية التى تواجه نهر النيل، وكان هناك معبد «آتونى» آخر بالقرب من المقر الملكى، وكانت جميع الساحات الداخلية فى معابد آتون غير مسقوفة، ويتخللها نور الشمس من كل زاوية، وكانت مدينة «آخت آتون» تضم المبانى الخاصة بالمدرسة العليا التى عرفت تاريخياً باسم «بيت الحياة» والتى خصصت لتعليم الكتاب الصغار فنون الكتابة والعلوم، والمعارف الأخرى، وكانت هناك أيضاً معسكرات جنود الحراسة الذين كانوا يتولون حراسة المدينة، أما البيوت المبنية بقوالب الطوب اللبن، والمخصصة لرجال البلاط، وموظفى الدولة، والكتبة، والعمال، فقد كانت تتداخل مع بعضها فى الشوارع المختلفة المتفرعة من الشارع الملكى ـ شارع المدينة الرئيسى ـ وكانت جدران حجرات هذه البيوت مطلية باللون الأبيض، ومزخرفة بالنقوش، والرسوم التى تمثل مختلف أنواع الزهور، وثمار الفاكهة إلى جانب الوحدات الزخرفية المصرية التقليدية.

(١) أطلق عالم الآثار بترى اسم جناح نفرتيتى على ذلك المكان المخصص لها بالقرب من مدخل الطريق العلوى، ووصفه بأنه كان من أكثر أجنحة القصر الملكى زخرفة، وبهاء، وروعة.

إذا نظرنا إلى منطقة أقصى شرق الدلتا ، وغرب قناة السويس، التى تمتد من بورسعيد شمالا إلى السويس جنوبا ، ومن صان الحجر إلى بلبيس جنوبا ، وتشمل مدن وقرى فاقوس، والصالحية، والإسماعيلية، والقنطرة، والسويس من وجهة النظر التعميرية، وبرؤية سياحية مدققة، لوجدناها من أغنى مناطق العالم بالمغريات السياحية الجاذبة.

فتضم هذه المنطقة عددا من الطرق التاريخية الهامة، لا تمكن مقارنتها بأى حال من الأحوال بأى طرق تاريخية أخرى فى أى مكان فى العالم .

* **رحلة قدوم إبراهيم عليه السلام إلى مصر .**
* **رحلة قدوم يوسف عليه السلام إلى مصر .**
* **رحلة خروج موسى عليه السلام من مصر .**
* **رحلة قدوم العائلة المقدسة إلى مصر .**
* **رحلة الفتح الإسلامى لمصر .**
* **رحلة قدوم أسرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى مصر .**



رحلات مصر التاريخية المقدسة

وبالرغم من عراقة طرق مصر التاريخية الدينية، وأصالتها، وقدسيتها ، فما زالت معظم المواقع التى ترتبط بذكرى هذه الرحلات فى طى النسيان .

لم تمتد يد التعمير إليها حتى الآن، ولم تدخل بعد فى إطار خطط تعمير المناطق الأثرية، بالرغم من نجاح هيئة الآثار المصرية فى تعمير أكثر من موقع أثرى فرعونى/قبطى/إسلامى .

ويمكن أن تحقق مصر الكثير، لو امتدت يد التعمير إلى مواقع السياحة الدينية التى ترتبط بذكريات طرقها التاريخية المقدسة .

ولا يمكن لأجهزة السياحة، والآثار، والتعمير فى مصر أن تقف موقف المتفرج من فكرة إحياء طرق مصر التاريخية المقدسة بحجة نقص الاعتمادات، فى الوقت الذى تشتهر فيه طرق تاريخية فى

دول أجنبية أخرى، لا يمكن مقارنتها تاريخياً، وسياحياً بطرق مصر التاريخية المقدسة[1].

* الطريق التاريخي الذى سلكه الإسكندر الأكبر لغزو باكستان وأفغانستان.

* الطريق التاريخي الذى يمتد من (باجامايو) على المحيط الهندى فى مواجهة «زانزبار» إلى (أوجيجى) على بحيرة (تنجانيقا) وهو الطريق الذى سلكه مكتشفو منابع النيل: سبيك - جرانت - ستانلى - لفنجستون.

وإذا أردنا أن نوضح مدى أهمية إحياء طرق مصر التاريخية المقدسة فى ضوء حركة السياحة العالمية، فلابد أن نشير هنا إلى هذه الحقائق:

*أثبتت الدراسات السياحية العالمية أن المناطق التاريخية ما زالت تحتل مكان الصدارة بين أقوى المغناطيسات السياحية الجاذبة .

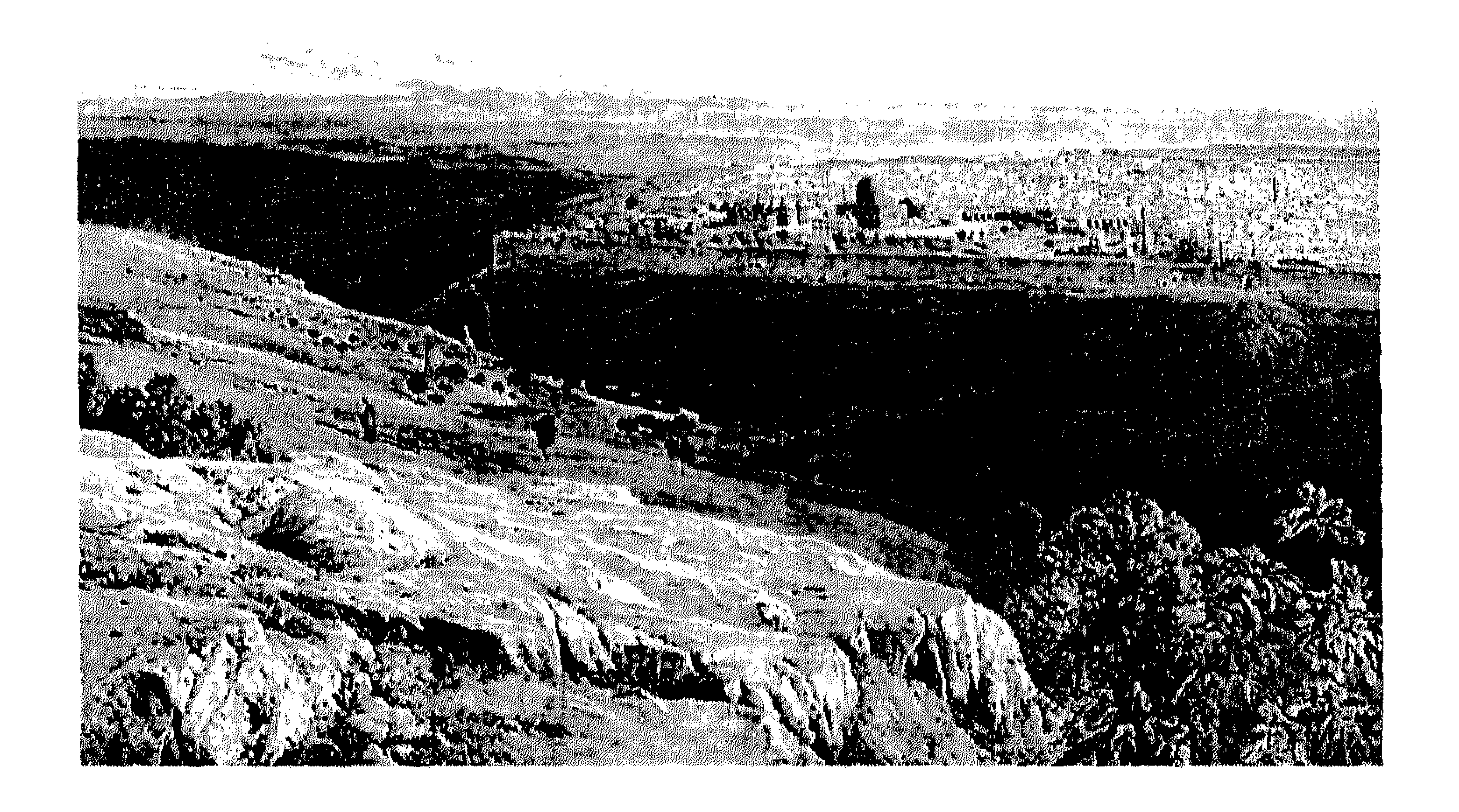
* أن (٣٠٪) من السائحين وضعوا زيارة الأماكن التاريخية فى مقدمة الأسباب التى دفعتهم للسفر والسياحة إلى مناطق معينة فى العالم.

* أن ثمانية من كل عشرة سائحين فى الولايات المتحدة الأمريكية، قرروا أن الأماكن الأثرية ذات الدلالة التاريخية هى السبب الرئيسى لزيارتهم لمناطق معينة فى العالم.

* أن زيارة الكنديين للمعالم الأثرية فى العالم زادت بنسبة (٣٤٪) خلال عشرة أعوام.

---

(١) فى الوقت الذى تشير فيه كتب السياحة ونشرات الإرشاد السياحى الأوروبية إلى هذه الطرق التي يطلق عليها تجاوزا - طرق تاريخية - تخلو هذه الكتب والنشرات تماماً من ذكر أى شىء عن رحلات مصر الدينية وطرقها المقدسة .



رحلة قدوم سيدنا إبراهيم
عليه السلام
إلى مصر

لقد كانت مصر فصلا فى تاريخ كل دين،أقبل عليها أبو الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ،فأقام بين أهلها يقول لهم ،ويستمع منهم ،ثم يخرج منها بمصرية تكون أماً لابنه البكر إسماعيل عليه السلام .وعلى أرض مصر الطاهرة كلم الله موسى،وبعثه لهداية العالمين،وأقبل عليها يسوع فى المهد وكانت به أسبق المؤمنين .

ثم صارت من بعد حصن الإسلام ومعقله الحصين، ولأمر ما شاء رب العرش أن يقبل أنبياؤه على مصر ويردوها، فيقيموا فيها ما شاء لهم أن يقيموا، ولقد شاء الله أن يشرف الأصل بالفرع، فتشرف هاجر بمولودها إسماعيل عليه السلام، بل يشاء تخليداً لتلك الفتاة المصرية فيفرض على عباده السعى ـ كما سعت ـ بين الصفا، والمروة حاجين أو معتمرين.

من بعد إبراهيم عليه السلام جاء يوسف عليه السلام، إذ حمل إليها صبياً فعاش فيها حياته حتى توفاه الله فى أرضها، وعلى أرض مصر ولد موسى عليه السلام وربى وليداً ولبث فيها من عمره سنين، أما يسوع عليه السلام فقد أتت به مريم تحمله حيث أقامت، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لجده إبراهيم عليه السلام زوجة مصرية هى (مارية القبطية) التى أنجبت له ولده إبراهيم، ويكفى مصر فخراً وشرفاً أن رب العرش قد أثنى عليها فى الذكر المبين، وأنها قبلة الأنبياء والمرسلين.

لقد أقبل إبراهيم عليه السلام إلى مصر، حيث يقيم فى فلسطين يطلب فيها الشبع من بلاد ضربها القحط، والجفاف، ولقد تحدثت التوراة فى ذلك فقالت:

وحدث جوع فى الأرض، فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع فى الأرض كان شديداً [1]..

وكان مجيئه إلى مصر على الأرجح أيام الأسرة الثانية عشرة [2] من ملوك الدولة الوسطى فى القرن العشرين قبل مولد المسيح عليه السلام، فسار إليها عن طريق ممهد من علائق قديمة بآسيا منذ أقدم العصور، إذ كانت قوافل التجارة تقدم على مصر وتخرج منها بما تحمله من الأغراض التى تحتاج إليها مصر، أو تطلبها سوريا، وفلسطين.

(١) تكوين ١٢: ١٠

(٢) من أشهر ملوك الأسرة الثانية عشرة الملك أمنمحات الأول والملك سنوسرت الأول والملك سنوسرت الثالث.



ولقد كانت حاجة مصر من أخشاب فينيقيا [١] منذ طلائع تاريخهم، حتى لقد تسمت بعض السفن المصرية باسم (جبيل) أو (الجبيلية) نسبة إلى ميناء (جبيل) فى لبنان، ويحكى التاريخ أن الملك سنفرو [٢] أرسل قافلة من أربعين سفينة لجلب خشب الأرز من لبنان، وكانت الحلى المصرية واللازورد الكريم يباع فى لبنان، وكل ذلك يؤكد عمق اتصال مصر بهذه المناطق منذ ذلك الأمد البعيد.

ولقد حرص المصريون القدماء على تأمين مصادر ما يطلبون من البضائع والاحتياجات الأخرى والطرق المؤدية إليها، وسلكوا لذلك طريق الحرب وسبيل السلام، ولقد عبرت الرسوم المصرية القديمة على الطريق الصاعد بين هرم ونيس [٣] ومعبده فى سقارة عن البدو الآسيويين الذين نزلت بهم المجاعات التى أذابت شحومهم، وأكلت لحومهم، ودقت عظامهم، ولقد كانوا بحكم ما تنزل بهم من نوازل القحط يندفعون كلما سنحت لهم الفرصة إلى الروابى الخضراء فيما وراء الآفاق من بواديهم، يتلمسون فى مصر الرزق متسللين، ومتلصصين فى أغلب الأحيان، وكثير منهم قد لقى حتفه من نبال حرس الحدود المصريين، ولقد فرض ذلك على ملوك مصر التحفز الدائم لحمايتها من غارات المغيرين والمتسللين، وعدوان المعتدين، وكانت طوائف من هؤلاء المتسللين يتعرضون لبعثات التعدين التى ترسلها مصر إلى طور سيناء، حتى أصبحت غارات البدو وحملات تأديبهم من الأعمال الدورية على مر العصور، منذ مطلع التاريخ المصرى.

وكلما تراخت القبضة المصرية فى عصور التفرق والضعف السياسى فى مصر، تنشط القبائل من حولها بالضغط، والتسلل، والإغارة ثم إلى الزحف على الدلتا فى سبيل عيش لين ومقام كريم.

حدث ذلك على مدى عصور التاريخ مرات ومرات، وفى أواخر الأسرة السادسة فى عهد (مرى آن رع) (وبيبى الثانى) تسربت عناصر من الآسيويين إلى دلتا مصر حتى

---

(١) فينيقيا: لبنان.

(٢) الملك سنفرو.. رأس الأسرة الرابعة لقد أشار (ك كيس H.Kees) فى كتابه عن وصف مصر Ancient Egypt "Acultural Topog raphy"

(٣) ونيس ـ عاهل الأسرة الخامسة.

غمروها وتغلغلوا فيها ، ثم حدث نفس الشيء فى نهاية حكم ملوك الأسرة الرابعة عشرة (عنخ ونحسى) فى صورة غارة هائلة حملت اسم ـ الهكسوس ـ الذين دخلوا مصر بالحرب والقتل والتدمير، ثم شهدت مصر(١) بعد ذلك مثل هذه الأحداث من قبل الليبيين فى الغرب،والنوبيين فى الجنوب ،وشعوب البحر المتوسط فى الشمال ،لكل ذلك كان حرص ملوك مصر عظيماً على حماية تخومها وسلامة حدودها .

وكان ملوك الأسرة الثانية عشرة التى عاصرها إبراهيم عليه السلام من أحرص ملوك مصر وأنشطهم فى حماية حدود مصر، وحراسة تخومها ،فأقاموا فى الجنوب ما بين(سمنة)عند الشلال الثانى وبين (الفنتين)عند أسوان ثلاث عشرة قلعة .

ويبدو من أسماء هذه القلاع ماأريد لها من وظيفة الأمن والدفاع،فسميت إحدى هذه القلاع باسم (رادة القبائل) ،وسميت قلعة أخرى باسم (مخضعة الصحارى) وكان الملك سنوسرت الثالث (٢) من أنشط فراعين مصر فى إقامة استحكامات حراسة الحدود المصرية، ولم تكن كل تلك الاستحكامات مانعاً أبداً، ولا حائلاً فى سبيل التجارة، فلقد

---

(١) لقد راحت مصر حرصاً منها على تأمين حدودها على بسط نفوذها على الأراضى التى تقع على حدود سيناء فى غرب آسيا، ولقد خرجت السرايا المصرية الصغيرة والكبيرة من أجل حماية حدود مصر ومن بين هذه الحملات.. حملات (الملك بيبى الأول) الخمسة التى خرجت بقيادة وزيره أونى لتأديب الآسيويين، فتعقبهم حتى فلسطين فدمر حصونهم، ودك قلاعهم، وحرق دورهم ثم عاد بالألوف منهم أسارى، ومن أشهر هذه الحملات.. الحملة البحرية التى قاد الوزير أونى الأسطول المصرى إلى البحر الأبيض المتوسط، فنزل بفلسطين حيث قضى على الخوارج فى موقعة عرفت باسم ـ شرت تبا جحس ـ أى موقعة (أنف رأس الغزال) وأن الملك سنوسرت الثالث ـ الأسرة الثانية عشرة ـ قاد جيشاً عظيماً إلى فلسطين، وضرب العصاة وأخضعهم فى منطقة عرفت باسم (سكمم) ـ ويعتقد أنها (شكيم الفلسطينية) التى ذكرت فى التوراة

(٢) لقد أوصى الملك سنوسرت الثالث أسلافه بالحرص على حماية حدود مصر فذكر (أيما ولد لى يرعى تلك الحدود التي أقامها جلالتى فإنه بحق ولدى الذى ولد لجلالتى، أما من سوف يتخلى عنها ويتقاعس عن القتال فى سبيلها فليس لى ولد ولا هو ولد لى).

(*) لعل قصة (سانوهى) الذى فر هارباً من مصر من فتنة ظن أنها واقعة به لا محالة، فولى وجهه فى طريقه إلى سوريا ولما تجاوز فى سيره البحيرات المرة واقترب من حائط الأمير الذى شيد لرد البدو المتلصصين والمتسللين، كان عليه أن ينحنى بين الشجيرات ويختفى حول قلاع حائط الأمير الضخمة، خوفاً من اكتشاف أمر هروبه والقبض عليه من قبل حراس قلاع هذا الحائط المنيع، وعند عودته لمصر بعد أن عفا عنه الملك، وكان قد أصبح شيخاً طاعناً فى السن، ظل منتظرا حتى أذن له بالدخول.



حرص الملوك على حماية حدود مصر، وتأكيد سيادة مصر على أراضيها، كما حرصوا على رفاهية شعوبهم، وتوفير احتياجاتهم، وتنشيط تجارتهم، ولقد صدرت المراسيم التى تنظم حركة الدخول إلى مصر من أجل التجارة، فأشير إلى (الحد الجنوبى) الذى أقيم فى عهد الملك سنوسرت الثالث الذى يمنع أى زنجى أن يعبر بحراً أو براً إلا للتجارة وبشروط يؤدى له بعدها كل شىء طيب، وعرفت حدود مصر الشرقية فى الدولة الوسطى ما عرف باسم (حائط الأمير) حيث أقيمت القلاع والحصون، ومواقع الحراسة التى يحميها الجنود المنوبون الذين لا يمكنون لدخيل من تجاوزها، أو عبورها إلا إذا منح جوازاً بذلك.

ويمكن اعتبار ذلك أقدم ما عرف من جوازات السفر فى التاريخ.

بلغت مصر فى الأسرة الثانية عشرة من القوة واليقظة، ومن الثقة والنظام إلى الحد الذى سمحت فيه لمن يشاء من جيرانها أن يدخل مصر، ويتوغل فى أقاليمها حتى أصبح أمر دخول وخروج القبائل من مصر شيئاً مألوفاً فى هذا الزمان.

ولقد سجلت نقوش ورسوم قبر (خنوم حتب) فى منطقة بنى حسن بالمنيا منظرا لقافلة مكونة من سبعة وثلاثين رجلاً وامرأة، يتقدمهم زعيمهم أو كبيرهم أبشا، أو (أبشاى) كما ذكر فى التوراة، وهم يبيعون الكحل ويحملون الأقواس والسهام، ويعلنون عن بضائعهم بما يعزفون من أنغام الطنبور، ولقد أظهرت رسوم هذه المقبرة مآزرهم المبرقشة، ولحاهم الكثيفة، وشعورهم الطويلة، ولم يكن لأبشاى زعيم هذه القافلة ومن معه أن يدخلوا مصر إلا بعد إذن السلطات المصرية، ولم يكن لغريب أن يدخل إلا بعد توقفه عند قلعة (ثارو) [١].

ومن المرجح أن قدوم إبراهيم عليه السلام [٢] قد تم خلال القرن العشرين (ق.م)، وأغلب الظن أنه هبط مصر مع إحدى قوافل البدو، تلك التى كانت تأتى إلى مصر لتبيع وتشترى كما رأينا فى قبيلة أبشاى، ولقد دخل إبراهيم عليه السلام مصر من خلال

---

(١) ثارو.. القنطرة شرق الآن.

(٢) لقد كان قدوم إبراهيم عليه السلام إلى مصر كما روى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين فرارا من قحط وجوع «وحدث جوع فى الأرض فانحدر إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً»

الإجراءات المرعية ولم يدخلها متسللا، ولقد أشارت إلى ذلك التوراة والمشنا،[1] ولم يدخل إبراهيم عليه السلام مصر فى عهود الفوضى والاضطراب التى لحقت بمصر أيام الهكسوس، ودفعه ما كان يحدث فى بلده من اغتصاب النساء والاحتيال على اقتناصهن من أزواجهن أن خاف من فرعون وقومه الفتنة من جمال زوجته (سارة)، وسأله عمال المكوس عما فى التابوت فأنبأهم أنه شعير، فقالوا فلنأخذ المكوس على قمح، فقال خذوا ما تشاءون فعادوا يطلبون الضريبة على (بهار) فأجابهم إلى ما طلبوه، فارتابوا فيما يخفيه، وأمروه أن يدفع مكوس[2] التابوت ذهبا فقبل، فحيرهم قبوله، وخامرهم شك عظيم، ففتحوا التابوت عنوة، فإذا بالنور يفيض من وجه زوجته سارة، ولما انكشف أمر حيلة إبراهيم عليه السلام فى إخفاء زوجته قال لها هامسا: قولى إنك أختى ليكون لى خير فيك وتحيا نفسى من أجلك، وعندئذ أسرع قائد الحراس إلى فرعون وقال له:

لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها وأتى بها.. على أن ملك مصر ما إن عرف مكان سارة من إبراهيم عليه السلام حتى تزمم بحكم ما كان يسود مصر من مكارم الأخلاق، واستنكر ما نقل إليه من خبر مكذوب، ولم يكن إبراهيم عليه السلام مضطراً لإخفاء حقيقة زوجته، فلقد كان المصريون يقدرون الحرمات ويقدسونها ويرعونها أشد الرعاية، والدليل أن فرعون لم يكد يتبين مكان سارة من إبراهيم حتى ردها إليه معتذراً متفضلاً بإهدائهما (هاجر)[3] المصرية، وحينما كانت سارة فى ضيافة القصر الملكى اختيرت (هاجر) وصيفة لها، وأحست هاجر بأنها تنجذب إليها، فلما قصت عليها سارة ديانة إبراهيم عليه السلام، شرح الله قلبها لهذا الدين

(١) المشنا: من أهم المراجع الإسرائيلية بعد التوراة، فالمقر هو ما يحفظ بالقراءة فى الكتب، وهو نصوص التوراة المعتمدة، والمشنا هو ما يحفظ بالذكر.

(٢) المكوس: الضرائب.

(٣) هاجر: تحريف لاسمها المصرى الحقيقى «هاقر» ولم تكن هاجر المصرية إلا سيدة القطرين، وأميرة منف وزوجة مليكها وحدث أن خرج زوجها الملك لمحاربة الهكسوس، حينما هجموا على مصر فقتلوه وهجموا على قصرها ودخلوا غرفتها، وعرفوا من التاج الذى فوق رأسها أنها أميرة القصر، فحملوها إلى قائد الجيش الذى حملها إلى الملك الذى أهانها وأذلها وسب زوجها، ثم أمر بنزع التاج عنها وضمها إلى جوارى القصر.



الحنيف، فآمنت به ودخلت فيه، وتعلمت من (سارة) كيف تصلى وكيف تسبح، وتعلقت كل منهما بالأخرى، وعندما جاء خبر قرب سفر (سارة) ابتهلت إلى الله ألا يفرق بينهما، فاستجاب الله سبحانه وتعالى إلى دعائها، فأمر ملك مصر بأن تكون فى صحبة (سارة) عند سفرها، واستقر إبراهيم عليه السلام مع سارة وهاجر بأرض كنعان[1] وعاشوا فيها حياة راضية، لا يعكر صفوها إلا حنين إبراهيم عليه السلام إلى الولد، وكانت سارة تتألم لألم إبراهيم عليه السلام، ففكرت سارة فى تزويج زوجها بامرأة أخرى تنجب له الولد، وفكرت سارة فى (هاجر) المؤمنة الصابرة، لتكون الزوجة التى تمنح إبراهيم عليه السلام الولد، فراحت (سارة)[2] تتأمل (هاجر) فى صلاتها حتى وضحت لها الحكمة الإلهية التى جعلت (هاجر) تؤسر وتصبح إحدى جوارى القصر الملكى الذى نزلت فيه، وتتعرف بها وتتعلق بها، ثم تحضر معها من مصر إلى أرض كنعان حيث تعيش معها ومع زوجها إبراهيم عليه السلام، فأعلنت برأيها إلى زوجها إبراهيم عليه السلام فاستجاب ودخل بهاجر وحملت هاجر، ففرح إبراهيم عليه السلام.. وأخذت هاجر تصلى لله شكراً وتقول: «رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على.. رب اجعله من الصالحين»..

ورأت هاجر فى نومها من يقول لها: «يا هاجر قد سمع الله ضراعتك وسوف يهب لك ولداً ذكراً فسميه إسماعيل[3] لأن الله سمع صلاتك وابتهالك، وسوف يباركه ويكثر نسله كثيراً»..

وحينما وضعت هاجر إسماعيل، استقبل إبراهيم عليه السلام البشرى بمولوده الأول سعيدا وراح يصلى لله شكراً وحمداً:

« رب إنى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم»

وأشعل مولد إسماعيل نار الغيرة فى نفس سارة فهدى الله إبراهيم أن يركب دابته

---

(١) أرض كنعان.. فلسطين.

(٢) سارة: ذكر اسمها فى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين (ساراى).

(٣) إسماعيل: اسم معناه المسموع من الله، ولقد باركه الله فكان صديقاً نبياً، ومن إسماعيل تخرج أمة عظيمة، هى أمة العرب المستعربين، ومنها كانت قبيلة قريش زعيمة العاربين والمستعربين أجمعين.

ويصطحب الطفل (إسماعيل) وأمه (هاجر) ويسير حيثما وجهته العناية الإلهية، ونفذ إبراهيم عليه السلام ما أمر به وسار فى الفيافى والقفار، وهناك عند (مكة) ترك هاجر وإسماعيل واتجه يريد العودة من حيث جاء، فذهلت هاجر وأمسكت بلجام الدابة وصاحت «لمن تتركنا فى هذا المكان البلقع الذى لا حياة فيه ولا ماء ولا يقصده إنسان» فلم يجبها إبراهيم عليه السلام بكلمة واحدة، فنظرت إليه تسترحمه ولكنه انطلق صامتاً دامع العينين.

وصرخت؛ الله أمرك بهذا ؟

فأجاب: نعم..

فتمتمت هاجر فى استسلام المؤمنة الصادقة: (إذن فالله لا يضيعنا)

ثم مضى إبراهيم عليه السلام فى طريق عودته ثم رفع وجهه إلى السماء وقال:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[(١)]

وجلست هاجر تداعب طفلها إسماعيل بيدها، فى حين كان عقلها فى حيرة، وتعاقبت عليها الأيام والليالى، ونفد الزاد ومن بعده الماء، فصبرت هى واحتملت، ولكن الطفل إسماعيل لم يحتمل العطش والجوع، وحاولت هاجر أن تجد لابنها ونفسها مخرجاً، فسعت نحو أقرب الجبال وأدناها من الأرض، لعلها ترى أحداً يعثر على أثر لماء أو حياة، وخيل إليها أن لجة[(٢)] ماء عند المروة، فأسرعت إليها فلم تجد شيئاً.

وعادت إلى الصفا، وخيل إليها أنها ترى الماء عند المروة للمرة الثانية،وهكذا سعت هاجر سبعة أشواط باكية القلب دامعة العين،حتى أعياها السعى، ونال منها التعب فسقطت إلى جوار طفلها إسماعيل، ولقد أيقنت الهلاك لها ولابنها، ولكن رحمة الله كانت منها ومن طفلها قريبة، فانفجرت المياه فجأة من جوف الأرض الصخرية، ورأت هاجر المياه، ولكنها لم تصدق أذنيها ولا عينيها وقالت:

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٧)

(٢) لجة ماء: ينبوع ماء.



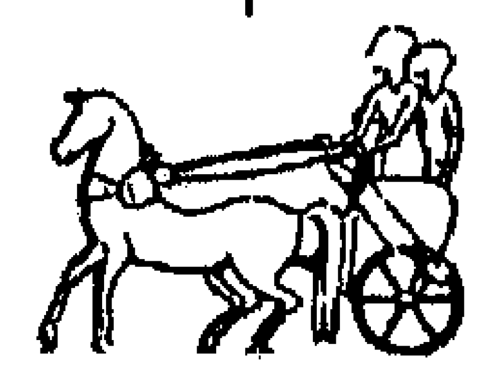


مزار إسماعيل

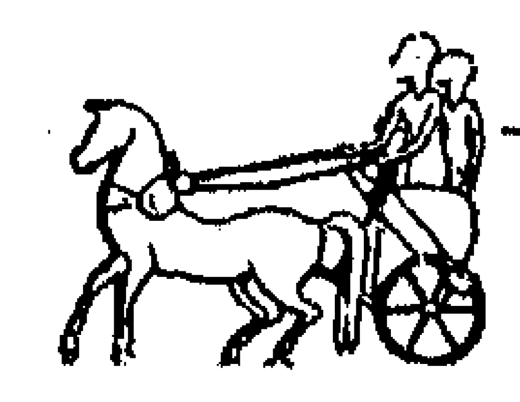
«رباه.. ماذا أرى.. مياهاً أم سراباً؟ فمدت يدها إلى الماء، وأخذت فى فرح تبلل شفتى الطفل ثم سقته حتى ارتوى وشربت هى الأخرى بعد أن هدأت نفس طفلها إسماعيل، وبعد أن شكرت هاجر ربها، اتجهت إلى المياه التى لا تزال تتفجر وقال: «زمى..زمى» ولم تتسرب المياه فى الرمال بل تفجرت بقوة أكثر واندفاع أشد، ولا تزال تتفجر حتى يومنا هذا من عين زمزم التى بجوار الكعبة الشريفة على مقربة من جبل الصفا، وعاشت هاجر مع ولدها إسماعيل بجوار بئر زمزم هانئة قريرة العين، وزارهما إبراهيم عليه السلام ورأى الصحراء المجدبة قد تحولت إلى جنة وارفة الظلال فسجد لله شكراً، وامتلأ المكان بالناس والبيوت[1] وظلت هاجر إلى جوار ولدها إسماعيل عوناً له وسنداً حتى توفيت، فدفنت فى حجر إسماعيل عليه السلام.

---

(١) كانت قبيلة ـ جرهم ـ أول من أقاموا مع هاجر.



رحلة قدوم يوسف عليه السلام إلى مصر



بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾[1] صدق الله العظيم

كان دخول يوسف عليه السلام إلى مصر كما هو معتقد أيام احتلال الهكسوس[2] لمصر، ولقد كانوا قوماً آسيويين، دخلوا مصر فى أواخر الأسرة الرابعة عشر غزاة فاتحين، بعد أن أغراهم ضعف مصر السياسى وثروتها وخصب أرضها.

ولقد دفعهم إلى ذلك ظروف بلادهم الطبيعية الصعبة التى ساد فيها الجفاف، وحل بها القحط الذى بلغ ذروته بعد ذلك حتى لحق مصر فى أعقاب قدوم يوسف عليه السلام إلى مصر، ولقد ترك فتح الهكسوس لمصر أثراً لا يمحى فى نفوس المصريين، وأشار إليه المؤرخ المصرى «مانيتون» ومؤرخ اليهود «يوسيفوس»، ولقد أشارت الملكة حتشبسوت إلى الخراب والدمار الذى ألحقه الهكسوس بمصر بعد زوال دولة الهكسوس بزمن طويل.

دخل يوسف عليه السلام مصر فى وقت أدخل فيه ملوك الهكسوس بعض المصريين من أهل الدلتا المحتلة فى خدمتهم[3]، وانتحلوا بعض عادات المصريين وبعض أسمائهم، وربما دل على ذلك اسم العزيز الذى اشترى يوسف عليه السلام وأدخله فى خدمته، فكان اسم هذا العزيز (فوطيفارع) وهو اسم مصرى محرف من اسم (بادى بارع) أى (عطية رع).

(١) سورة يوسف: الآية٧.

(٢) الهكسوس: قوم جاءوا من آسيا ويرى «ماريبيت» أنهم قبائل سامية جاءوا من فلسطين وسوريا، وأنهم كانوا خليطاً من العرب وأهل الشام وأكثرهم من الكنعانيين، وكانت أكبر قبائلهم كما ذكر«مانيتون» تعرف باسم«حيتا» التى ذكرت فى التوراة باسم ـ الحيثيين ـ وذكرت فى المراجع العربية باسم «العمالقة» والهكسوس تعبير يونانى معناه الملوك الرعاة ولقد أشار إلى ذلك عالم الآثار المصرى «أحمد كمال» فى كتابه «العقد الثمين فى آثار الأقدمين» ويرى مانيتون أن حكم الهكسوس لمصر استمر ٢٤٩ سنة و١٠ شهور، بينما يجمع غالبية المؤرخين أن حكمهم لم يستمر إلا نحو ١٨٨ سنة، ولقد أطلق على المصريين القدماء اسم «شاسو» أى عرب البوادى الرحل، ولقد دخل الهكسوس مصر فى عهد الملك توتيمايوس واختلف العلماء فى اسم توتيمايوس، فذكر البعض أن اسمه الحقيقى سنحم سواز تاوى الشهير باسم «سيبك حتب الثالث» ولقد تم طرد الهكسوس من مصر فى السنة الخامسة من حكم فرعون مصر «أحمس الأول» سنة ١٥٦٨ قبل الميلاد.

(٣) إن ما يربو على أربعين آسيوياً كانوا يعملون خدماً فى بيت واحد فى عصر الأسرة الثالثة عشر قبل دخول الهكسوس لمصر.

بدأت قصة يوسف عليه السلام بالحقد الذى ثار فى نفوس إخوته، لما رأوا من حب أبيه له وإيثاره عليهم، فاجتمعوا على النيل منه، وتآمروا على التفريق بينه وبين أبيه، وفكروا فى قتله حلاً لحب يفتقدونه فى أبيهم، ولكن كان فى القتل بشاعة ترهق نفوس الإخوة، وتردها عن اقترافه والتورط فيه واحتماله، فاتفقوا على المباعدة بين يوسف عليه السلام وبين أبيه، بإلقائه فى البئر حيث لقى ما قدر عليه من مصير.

قال الله تعالى:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1]

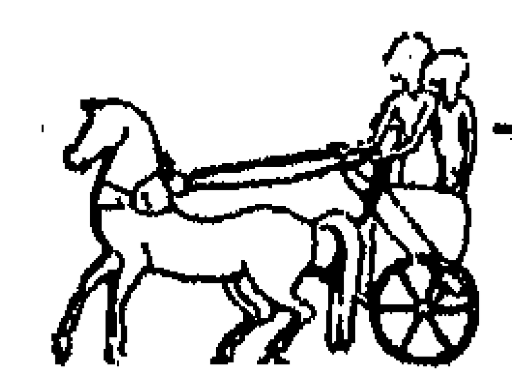
ولقد قدر ليوسف أن يدخل مصر عن هذا الطريق، إذ استأذن إخوته أباهم يعقوب عليه السلام ـ فى اصطحابه إلى حيث يرتعون ويلعبون.

قال الله تعالى:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (15) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (18) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)﴾[2]

(١) سورة يوسف: الآية (١٠).

(٢) سورة يوسف الآيات (١١ـ ٢٠).



ولقد حُمل يوسف عليه السلام إلى مصر حيث كانت تجارة الرقيق من البنين والبنات الآسيويين تَلقى يومئذ من الرواج، وبيع يوسف عليه السلام لعزيز مصر - فوطيفارع - حيث أنزل منزلاً طيباً في بيته وأوصى به امرأته. قال تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾[1]

وكان يوسف - عليه السلام - بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، أول من دخل مصر من بني إسرائيل، وهو السبط الحادى عشر ليعقوب الذى هو إسرائيل، وولد يوسف عليه السلام سنة (١٧١٦) قبل الميلاد فى شيخوخة أبيه، وكان يعقوب يحب يوسف عليه السلام، ويميزه عن سائر إخوته لأنه ابن شيخوخته، فلما رأى إخوته أن أباهم يحبه أكثر منهم أبغضوه، وشب يوسف عليه السلام غلاماً يرعى الغنم مع إخوته حتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة، وذكرت التوراة أن يوسف عليه السلام قص على إخوته رؤيا منامية قال فيها:

«رأيت فى منامى أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً لى ساجدين».

فلما سمعه أبوه انتهره وقال:

هل نأتى لك أنا وأمك وإخوتك الأحد عشر، لنسجد لك إلى الأرض، فحسده إخوته وأضمروا له شراً، فقرروا قتله وطرحه فى إحدى الآبار، فأمسكوا به وخلعوا عنه قميصه فاعترض أخوهم الأكبر - راؤبين - على ذلك وقال:

«لا تسفكوا دماً.. اطرحوه فى هذا البئر»..

وكان يريد بذلك أن يعود فيأخذه ويرده لأبيه، وجلسوا ليأكلوا طعاماً، فنظروا فإذا بقافلة من الإسماعيليين والتجار مقبلة من - جلعاد(٢)- يحملون بضاعة على الجمال إلى مصر، فقال يهوذا - أحد إخوة يوسف عليه السلام: ما الفائدة من أن نقتله ونخفى دمه، نبيعه إلى هؤلاء فباعوه، ونقل يوسف عليه السلام مع البضاعة إلى مصر، فأخذوا قميص يوسف عليه السلام وذبحوا تيساً وغمسوا القميص فى الدم وأحضروه إلى أبيهم، وقالوا له:

---

(١) سورة يوسف الآيتان (٢١-٢٢)

(٢) جلعاد: بلدة قديمة شرقى نهر الأردن بجوار أربد فى الطريق إلى الجزيرة العربية - بلاد العرب

وجدنا هذا . فقال بعد أن تحقق منه : « قميص ابنى .. وحش افترسه .. ثم مزق ثيابه وناح عليه أياماً كثيرة ». باعت القافلة يوسف عليه السلام فى مصر إلى « فوطيفارع » رئيس الشرطة عند الملك ، وكان الرب مع يوسف عليه السلام ، فوجد نعمة فى عينى سيده فوكله على بيته ، ودفع إلى يده كل ما كان له .

على أن الأيام لم تشأ أن تصفو ليوسف عليه السلام على طول المدى ، فقد أقام فى بيت العزيز مكرّماً متمتعاً بثقة سيده الذى عهد إليه بشئون بيته وماله ، ولكنه كان فى أثناء ذلك ينمو ويتفجر جسده بالقوة الناضجة والشباب الزاخر ، وحسن الصورة والمنظر ، فشغفت به امرأة العزيز وراودته عن نفسها فأبى ، حاولت إغراءه مرة ومرات فلم يُلبِّ لها ما أرادت ، وحدث أن أمسكته يوماً من ثوبه فتركه فى يدها وهرب إلى الخارج فاغتاظت منه ونادت أهل بيتها وقالت: «انظروا !! جاء إلينا برجل عبراني يداعبنا، ولما سمع صوتى وصرخت ترك ثوبه فى يدى وهرب ».

قال الله تعالى :

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾(١)

وادعت امرأة العزيز عليه السوء، ورمته بالعدوان واتهمته عند زوجها بالخيانة والغدر ، واستعدته عليه وطالبت بتعذيبه وسجنه .

قال تعالى :

﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢)

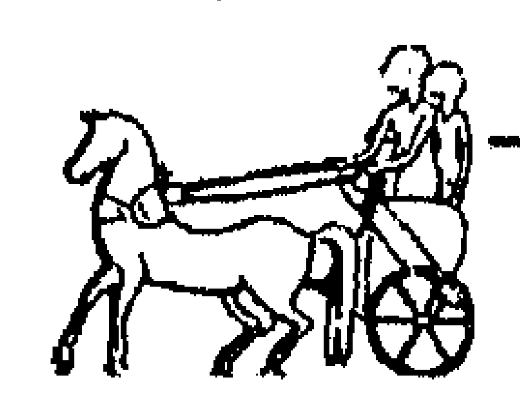
فما كان من الزوج حين دفع يوسف عليه السلام عن نفسه التهمة عليها حين قال :

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾(٣).. إلا أن يحقق قولهما .

(١) سورة يوسف: الآيتان ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢٥

(٣) سورة يوسف: الآية ٢٦



قال الله تعالى :

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾(١)

وتحقق من كذب امرأته وخيانتها ولاح نصب عينيه شبح الفضيحة والذل.

قال تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾(٢)

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾(٣)

غير أن أنباء الفضيحة سرعان ما ترامت إلى الناس، وراحت النساء يتحدثن بسقطة امرأة العزيز ويتناقلنها بينهن.

قال تعالى :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٤)

وأى ضلال أشد ومصيبة أكبر، من أن تراود سيدة من نساء الحكام عبداً لها، وفتى من خدمها يصغرها سناً ومنزلة ومكانة، ولكنها مع ذلك كانت تتلمس لنفسها العذر فيه، وترى ألا قِبلَ لها ولا لامرأة تراه بغير ما فعلت .

قال عز وجل :

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٥)

(١ ، ٢) سورة يوسف: الآية ٢٦ ـ ٢٧
(٣) سورة يوسف: الآية ٢٨
(٤) سورة يوسف : الآية ٣٠
(٥) سورة يوسف: الآية ٣١ ـ ٣٤

وتحول الأمر إذن إلى صراع بين المرأة والفتى، ودخلت كما يقال فى دور من العناد والمغالبة هى بتهالكها الذى كشف عن تبجح سافر وكبر خائر، وهو بإصراره الذى لا سبيل له إلا إلى المضى فيما بدا وأعلن للناس، ولكنه مع ذلك لم ينج منهن ومن كيدهن، وتحالفت عليه قوى البغى، فكان لهن من السلطان على أزواجهن ما حجب الحق الأبلج، وأساء إلى الخلق المتين [1].

قال عز وجل :

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[2]

استطاعت امرأة العزيز أن تدبر ليوسف عليه السلام عند زوجها، وتتآمر عليه، حتى أرسله إلى السجن قال الله تعالى :

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾[3]

وحدث أن حكى أحد الفتيان ليوسف عليه السلام بحلم رأى نفسه يَعْصُر خمراً، ففسر يوسف عليه السلام الحلم وقال له «ستسقى ربك خمراً»، وحكى الفتى الآخر حلماً رأى نفسه فيه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، فقال له: «ستصلب وتأكل الطير من رأسك»، وخرج الفتيان كل لمصيره .. ويشاء الله لكى يحق الحق بكلماته ويحكم بأمره أن تطارد الملك الأطياف والأحلام ..

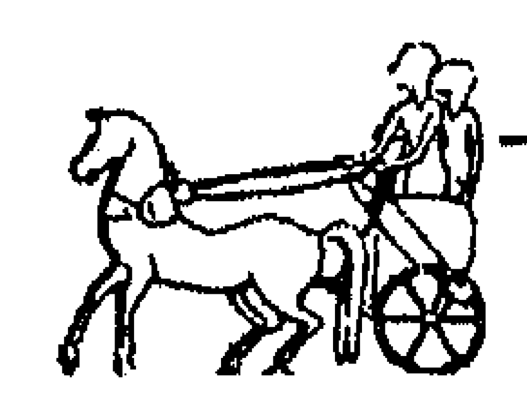
قال الله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ ﴾[4]

---

(١) صورة دقيقة لمجتمع فاسد آثم تصور ماكان عليه مجتمع الدخلاء من حكام الهكسوس فى مصر من فساد وانحلال، وإذا لم يكن لدينا عن مصر فى ذلك الزمان سوى تلك القصة لاتخذناها وحدها دليلا على مجتمع الغزاة الغرباء الذى يتناقض تماماً مع طبيعة الأشياء فى مصر من الأنفة والحمية والكرامة والكبرياء، ولو نظرنا إلى بعض قصص التوراة، لوجدنا أن قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز أشبه بقصصها.. فما كان لمصرى أن يحتمل أو يسكت كما أراد يعقوب وقد تعرضت ابنته «دينة» لاغتصاب شكيم بن حمور «تكوين ٣٤: ١-٣٠» أو يصبر عن مثل ما روى عن راؤبين وبين بكر بنى إسرائيل، إذ ذهب واضطجع مع «بلهة» سرية أبيه إسرائيل أو يطبق ما فعل داود مع أوريا وزوجها ولا ما اقترف ابنه «امنون» الذى احتال حتى اغتصب أخته بنت أبيه داود اغتصاباً، ولقد أوردت «بردية» وستكار المثل العليا التى كان المصريون القدماء يتمسكون بها، وكلها مرآة تعكس خلقهم القويم.

(٢) سورة يوسف الآية ٣٥ (٣) سورة يوسف الآية ٣٦ (٤) سورة يوسف الآية ٤٣-٤٤



فذهب رفيق يوسف عليه السلام إلى السجن، ليعرض عليه حلم الملك ويستفتيه فيه. قال الله تعالى :

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾(١)

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾(٢)

وقد كان إذ انقضت أعوام المجاعة وهى دائماً من أثر انخفاض نهر النيل ثم جاء النيل بعد ذلك بمياه عظيمة تحمل القمح والشعير وكل شىء، ولقد تحدث القرآن الكريم بما بشر به يوسف عليه السلام عن رخاء يضم مصر من بعد السبع السنوات الشداد.

ولقد كان تفسير الحلم قد أعجب الملك إعجاباً شديداً فأرسل فى طلبه وأمر بالإفراج عنه، ويصر يوسف عليه السلام ألاَّ يخرج من السجن لمقابلة الملك حتى يتم التحقيق فيما نسب إليه ظلما حتى تظهر براءته، ويرد اعتباره بشهادة النسوة اللائى شهدن هذه الواقعة، وقطعن أيديهن لما رأينه، ثم سمعن اعتراف امرأة العزيز، وتم له ذلك، وأدرك الملك ذكاء يوسف عليه السلام، ورجاحة عقله، وأمانته، وبُعد نظره، فقال له:

﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾(٣)

فقال يوسف عليه السلام للملك كما حكاه القرآن الكريم:

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾(٤)

وكان ليوسف عليه السلام ما أراد، وخلع الملك خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف عليه السلام وقال له :

«أنا الملك فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر» وأطلق الملك على

(١) سورة يوسف: الآية ٤٦.

(٢) سورة يوسف: الآيتان ٤٧-٤٨

(٣-٤) سورة يوسف: الآية ٥٤ . ٥٥

يوسف عليه السلام اسم «صفنات فعنيج»[1] ومعناها «الصديق» وزوّجه من «أسنات بنت فوطيفارع» ورزق يوسف عليه السلام من زوجته أسنات ابنين «مَنْسى» الابن الأكبر» «وأفرايم» الابن الأصغر .

أثمرت الأرض فى السبع سنين الأولى فخزن يوسف عليه السلام قمحاً كثيراً، ثم ابتدأت سنوات الجوع السبع، ففتح يوسف عليه السلام مخازن الغلال، وجاء كل الناس لتشترى القمح من مصر، فلما سمع يعقوب عليه السلام أنه يوجد فى مصر قمح، أمر بنيه بأن ينزلوا إلى مصر ليشتروا قمحاً، فنزل عشرة من إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر، فأتى أخوه يوسف عليه السلام وسجدوا له، فقال يوسف عليه السلام لإخوته .. أنا يوسف أخوكم الذى ألقيتموه فى البئر وبعتموه إلى مصر .. أَحَىٌّ أبِى بَعْد .؟

وقال الملك ليوسف عليه السلام بعد أن علم بأمر إخوته :

«احملوا دوابكم وانطلقوا لأرض كنعان، وعودوا ومعكم أبوكم وبيوتكم وتعالوا إِلىَّ فأعطيكم من خيرات مصر وتأكلون دسم الأرض»

ودخل أبناء يعقوب [2] إلى مصر وهم الأسباط الاثنا عشر، وكان أصغرهم يوسف عليه السلام، وأخوه (بنيامين) وكان عددهم جميعاً سبعين نفساً، وهم يعقوب ونساؤه، وبنو بنيه الذين كانوا معه فى كنعان، فأسكن يوسف عليه السلام أباه وإخوته، وأعطاهم ملكا فى أفضل أرض مصر وهى أرض «جاسان»(٣) كما أشارت إليها التوراة .

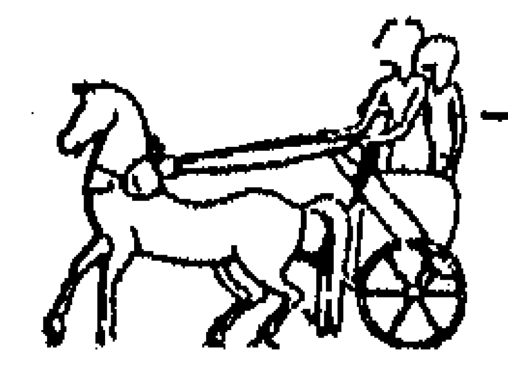
وتوفى يعقوب فى حوالى سنة (١٦٦٢) قبل الميلاد بعد أن عاش (١٤٧) سنة، وأمر يوسف عليه السلام أن يحنط ليدفن فى قبر جده إبراهيم وأبيه إسحق فى أرض كنعان، ورافق يوسف عليه السلام جثته إلى أرض كنعان .

وتوفى يوسف عليه السلام سنة (١٦٠٦) قبل الميلاد..قبل طرد الهكسوس من

(١) صفنات فعنيج: لفظ مصرى قديم معناه «المخلص والصديق» أى الذى نبه مصر إلى قدوم سنوات القحط حتى تتجاوزها بتخزين الغلال.

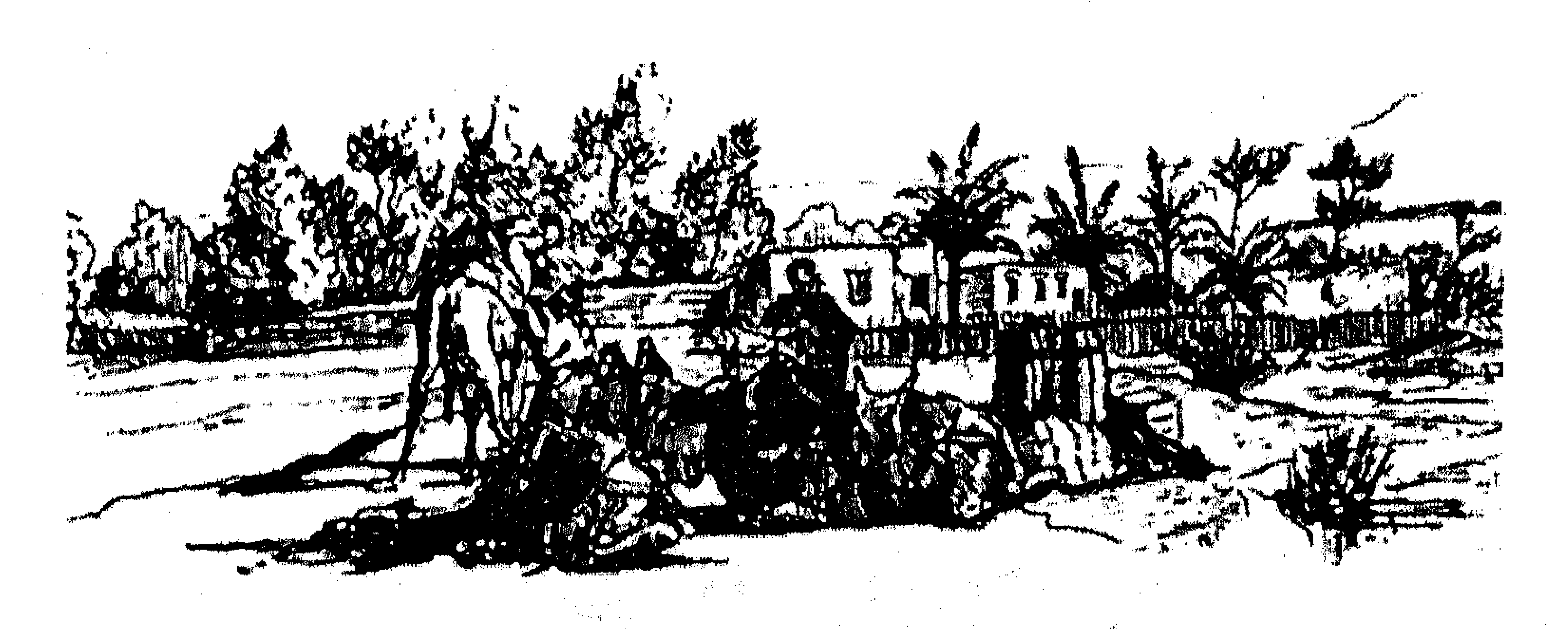
(٢) يعقوب: إسرائيل.

(٣) أرض جاسان: تقع ضمن زمام أرض محافظة الشرقية ولقد ورد اسم (جاسان) فى النصوص المصرية القديمة ـ جاسام وكانت إذ ذاك أصلح أراضى مصر لرعى الأغنام والمواشى وتقع الآن فى منطقة «صان الحجر» بالشرقية.



سيدنا يوسف
وهروبه من زليخه

حصن «أواريس» بحوالى أربعين سنة فى أواخر حكم الملك «خيان» «khayan»، الذى يسميه العرب (الريان بن الوليد) خامس ملوك الهكسوس ١٦٤٦-١٦٠٦، وعاش يوسف عليه السلام فى مصر حتى رأى الجيل الثالث لولديه، ومات وله من العمر (١١٠) سنة فحنطوه ووضعوه فى تابوت ودفن فى أرض كنعان .



رحلة خروج موسى
عليه السلام
من مصر



بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

ولد موسى عليه السلام على الأرجح فى عهد الملك رمسيس الثانى فى ظل الخوف والرعب الذى فرضه رمسيس على بنى إسرائيل، وكان رمسيس الثانى حين تولى عرش مصر فى سنة (١٣٠٠) ق.م قد سخر العبرانيين فيما اختط لنفسه واختط له وزراؤه ومهندسوه من العمائر والمنشآت، وكانت كثيرة هائلة لا حصر لها.

«فجعلوا عليهم رؤساء تسخير، لكى يذلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينتى فيوم ورعمسيس» سفر الخروج(١:١١)

ولم يكن الملك رمسيس الثانى فى اضطهاده لبنى إسرائيل يتصرف بوحى رأيه الشخصى، إنما بناء على نصح مستشاريه.

وموقف الملك رمسيس الثانى له ما يبرره فلقد توجس منهم لما اتصفوا به من خيانة، ولعل فيما روت التوراة عن تعذيبهم اعترافاً بخوف فرعون منهم وشكه فى ولائهم.

«هل نحتال لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا، ويحاربوننا ويصعدون من الأرض» خروج (١:١٠)

ولد موسى عليه السلام بالقرب من مدينة - برر عمسيس[٢] وكانت ولادته فى الغالب بعد العام العشرين من حكمه، ولقد شاع اسم موسى فى مصر فى هذا الزمان، ولد موسى عليه السلام بمصر فى وقت ضاق فيه المصريون بالعبرانيين، فقرر فرعون مصر قتل كل ولد يولد لهم حتى لا يزداد نسلهم ويهددوا الدولة وأمنها، واستطاعت أمه (يوكابد) أن تخفيه عن العيون ثلاثة أشهر كاملة، ومن الثابت تاريخياً أن موسى عليه

(١)سورة القصص الآيات (١.٣)

(٢) عثر علماء الآثار على أطلال هاتين المدينتين، وكشفوا عن آثارهما وحققوا اسم كل منها فى التوراة، فردوا الاسم الأول إلى اسمها الأصلى.. برتوم ومعناها «دار آتوم إله الشمس الأكبر» الذى عبد فى عين شمس فى صورة الشمس المكتملة، وردوا الاسم الثانى إلى اسم رمسيس وعثروا على آثار تحمل اسمه هناك وكان قد اتخذها عاصمة له باسم برر عميسس

السلام ولد بأرض الشرقية، وألقى فى اليم [1] وربما كان هذا اليم ترعة - السماعنة - أو بحر البقر، أو بحر موسى، ورغم الخلاف حول هذه النقطة بالذات إلا أن هناك شبه اتفاق على أنه التقط من الماء عند صان الحجر التى نشأ فيها، ولقد روت التوراة من أمر موسى والتقاطه ما يدل على مكانة بنى إسرائيل عامة من المصريين، وتسامح المصريين معهم، قبل أن يكتشف فرعون خيانتهم وعدم وفائهم لمصر التى استقبلتهم وآوتهم.

نزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل، وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت الصندوق بين الحلفاء، فأرسلت أمتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد، وإذا هو صبى يبكى فرقت له، وقالت هذا من أولاد العبرانيين، فقالت أخته لابنة فرعون:«أذهب وأدعو لك مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد»، فقالت لها اذهبى، فذهبت ودعت أم الولد.

ودخلت أم موسى[2] الإسرائيلية خروج (٥:١) قصر فرعون مرضعة لولدها، مما يدل على أن حال بنى إسرائيل في مصر لم يكن شرًا كله، ولا نكرا كله، فلم يكونوا بالطائفة المنبوذة التى يتعامل معها النّاس أو ينفر منها الملوك، وأعجبت امرأة فرعون بالطفل موسى عليه السلام وأقنعت زوجها الفرعون بالإبقاء عليه، لعله يكون قرة عين لها، وشاءت الإرادة الإلهية أن تختار أم موسى عليه السلام مرضعة لابنها، وعاشت معه دون أن يدرى أحد بسر العلاقة بينهما.

لما انتهت أشْهر الرضاع، وانتهى الصبى موسى عليه السلام إلى طور التعليم والتثقيف، لاشك أنه قد تلقى من العلم ما كان يتلقى المصريون من أبناء الملوك والأشراف فى ذلك الحين، فتعلم بلا شك القراءة والكتابة والحساب ونسخ الصحائف على البردى بالهيروغليفية، وتعلم شيئا من الفلك والجغرافيا والتاريخ، ثم قرأ من قصص المصريين وآدابهم وحكمتهم، وقرأ تعاليم (بتاح وكاجمنى) ونَصَائح (خيتى) إلى ابنه (مرنكارع)، ومما لا شك فيه أن موسى عليه السلام كان مصريا بفكره [3].

---

(١) اليم: فى اللغة العربية البحر أو النهر وهو نفس المعنى فى اللغة المصرية القديمة، فاليم لفظ سامى عرف فى المصرية منذ الأسرة (١٨) ومنه جاء اسم منخفض الفيوم بعد إضافة (فاء التعريف) فى المصرية إليه.

(٢) كان اسم موسى يطلق على المصريين مجردا أحيانا أو مقرونا بأسماء آلهتهم فى أسماء مركبة مثل (رع موسى) أو (بتاح موسى) أو (نحوت موسى) أو (آمون موسى) أو (رع موسي) بمعنى وليد رع - وليد بتاح - ووليد تحوت - (وليد آمون) ولم يكن اسم موسى الاسم الوحيد الذى أخذه العبريون ودخل حياتهم من أعلام الأسماء، بل حملوا من الأسماء المصرية التى أصبحت على مر مسيرة تهويدهم أسماء اقترنت بهم دون سواهم، فشاع بينهم اسم (فنحاس) أو (بنحاس) و(بوتى ايل) (فوطيئيل)، وشاعت بينهم أيضا أسماء (مريم) و(سوزان).



ومما لا شك فيه أيضاً أن أمه علمته العبرية، فنطق بها وتكلم بعبارتها، واختلط ببنى عقيدته العبريين، فصار لهم عوناً بحكم صلته ومكانته الكبيرة فى القصر الملكى، واتصاله بعلية المصريين لما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكماً وعلماً.

وحدث أن تورط موسى عليه السلام فى واقعة انتهت به إلى الخروج من مصر وفراره منها ..

قال تعالى:

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[١]

ولقد تأكد موسى عليه السلام أنه مطلوب بدم القتيل.

قال تعالى:

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[٢]

جاء الوزير هامان يوماً إلى القصر ساخطاً، وأبلغ فرعون أن موسى قتل أحد أعوانه انتصاراً لرجل من بنى إسرائيل، ولم يكد فرعون يسمع هذا حتى انتابه خوفه القديم مرة أخرى وقرر التخلص من موسى عليه السلام، وحاولت آسيا امرأة فرعون أن تتدخل لجانب موسى عليه السلام إلا أن فرعون لم يستمع لتوسلاتها هذه المرة، وأمر بقتل موسى عليه السلام، وقبل أن ينفذ هامان ما أمر به استطاعت آسيا امرأة فرعون أن ترتب هروبه من مصر إلى أرض مدين، فهرب موسى عليه السلام إلى أرض مدين[٣].

قال تعالى:

---

(١) سورة القصص: الآيتان: (١٥-١٦)

(٢) سورة القصص : الآية (٢٠)

(٣) أرض مدين.. موقع بالقرب من خليج العقبة.

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١)

خرج موسى عليه السلام هارباً إلى أرض مدين عن طريق سيناء، وقد أقبل على بئر حيث ازدحمت الناس بأغنامهم يسقون يقول جل شأنه :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢)

وتروق الفتاتان موسى وتأخذه الرحمة بهما ، بل لعله أعجب بإحديهما ، فتقدم إليهما متحدثا مستفسرا ، فإذا هما فتاتان لشيخ كبير لا ولد له يقول تعالى :

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (٣)

فتعود الفتاتان فتحدثان أباهما بما وقع لهما من قبل وقد عادتا هذه المرة مسرعتين فأفاضتا فى وصف ذلك الغريب الذى دفعته النخوة دون سائر الناس لمساعدتهما ، وألحت الفتاتان على أبيهما لدعوته للطعام ..

قال تعالى :

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)

وأدركت الفتاة أن الضيف قد أوشك أن يختتم زيارته وينصرف لشأنه فتقدمت إلى أبيها يقول الله تعالى حكاية عنها :

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (٥)

---

(١) سورة القصص الآية ٢١، ٢٢ .

(٢) سورة القصص الآية ٢٣

(٣) سورة القصص الآية ٢٤.

(٤-٥) سورة القصص الآية ٢٥، ٢٦ .



تزوج موسى عليه السلام من ابنة - شعيب - الذى عاش فى كنفه وخدمته سنوات، ثم استأذن شعيبا فى العودة إلى أمه فخرج بأهله عبر سيناء[١]، وتكثر الروايات حول المشهد العجيب الذى صادف موسى عليه السلام وهو فى طريق عودته إلى أمه.

وبعد أن علم الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام قواعد الدين والتوحيد، وإقامة الصلاة، وحسن السيرة والإيمان الوثيق بالله، زوده بالمعجزات[٢] التى آزرت رسالته ودعمتها، وأمره أن يذهب إلى فرعون ليبلغه رسالة ربه، فرجا موسى عليه السلام ربه أن يشرح صدره لهذه المهمة الكبرى، وأن يحل عقدة لسانه ويهبه حسن البيان، فاستجاب الله لهذا الرجاء .

ذهب موسى عليه السلام إلى فرعون ودعاه إلى الإيمان برسالته وبالرغم من المعجزات المؤيدة لها، أبى فرعون أن يؤمن واتهمه بالسحر، وجمع مشاهير السحرة فى مصر، وواجه موسى عليه السلام سحرة فرعون وغلب سحرهم، فاعترفوا بأن ما عنده ليس سحرا، وإنما معجزة من عند الله .. فصدقوا رسالته وخروا لله ساجدين قائلين ما حكاه الله تعالى عنهم :

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[٣]

تعاقبت الأحداث بين موسى عليه السلام وفرعون فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يخرج ومن معه من مصر إلى فلسطين عبر سيناء. فخرج موسى عليه السلام وقومه من مصر سرا بعد أن استولوا على حلى ومواشى وملابس المصريين .

وجُنَّ جنون فرعون حين وجد امرأته آسيا تهلل لانتصار موسى عليه السلام، فراح يسبها ويلعنها ويصب عليها جام غضبه، وأمر أن تعذب أشد العذاب .

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٤]

---

(١) راجع كتاب طرق مصر المقدسة للمؤلف الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ المكتبة الثقافية (٤٨٤)

(٢) يحكى ابن العباس أن موسى عليه السلام رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد، ويسمع تسبيح الملائكة، ورأى نورا عظيما فخاف وبهت، ثم ألقيت عليه السكينة، ثم ناداه الله سبحانه وتعالى (ياموسى أنا ربك) فقال (من المتكلم) فقال الله عز وجل إنى أنا ربك فوسوس إليه ابليس (لعلك تسمع كلامى) فقال موسى عليه السلام (لا.. هذا كلام الله أسمعه من جميع جهاتى الست) ومهما يكن من أمر الروايات فى موقف يعجز عن وصفه الخيال، فقد روى سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين كلامه لموسى عليه السلام حيث يقول سبحانه: (إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى، إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى)

(٣) سورة طه الآية (٧٠)

(٤) سورة التحريم الآية (١١)

وبالرغم من أن هناك شبه إجماع على أن رحلة خروج موسى عليه السلام من مصر حدثت فى عهد الملك رمسيس الثانى (١٣٩٢-١٣٢٥) قبل الميلاد، لأن هذا التاريخ من وجهة نظرهم يتمشى وسير الأحداث بمصر فى هذا الزمان، ودليلهم فى ذلك أوراق البردى التى سجلت فى عهد الملك رمسيس الثانى أخبار تسخير اليهود فى الأعمال الإنشائية.

ونرى أنه من الواجب هنا مادمنا نبحث فى قصة خروج موسى عليه السلام وقومه من مصر أن نشير إلى رأى الباحثين والمؤرخين الذين اختلفوا مع هذا الرأى، فيعلن (دى بوا إيميه) فى دراسته التى قدمها فى المجلد الثانى - الدراسة التاسعة- فى كتاب وصف مصر رفضه لجميع المعجزات التى ذكرتها التوراة في خروج بنى إسرائيل من مصر تحت قيادة موسى عليه السلام، ويؤكد - دى بوا إيميه - أن اعتقادات بنى إسرائيل وتعلقهم لانحرافات دينية قد سهلت على موسى عليه السلام قيادتهم والخروج بهم ثم تركهم فى البرارى والهضاب أربعين عاما، كى يضمن نفاذ هذا الجيل المتمرد الضعيف وينشأ جيل يمكن أن يصلح للحرب فى كنعان، فَتَعمدَ أن يضلهم عن الطريق المعروف لفلسطين، وجنح بهم إلى هضبة التيه فى سيناء، ثم أخذ يكتب لهم الوصايا والشرائع والأحكام التى أفادتهم كثيرا بعد أن وصلوا أرض كنعان، لم يذكر-دى بوا إيميه - تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر على وجه التحديد، ولا كيف دخلوا إليها ولو أنه يرى أن العبرانيين كانوا لا يزالون يقطنون مصر إلى عهد سيزوستريس فرعون مصر.

ويرى بعض آخر أن موسى عليه السلام قد ولد فى عهد الملك (أمينوفيس الأول) ثانى ملوك الأسرة (١٨) فى سنة (١٥٤٨)ق.م.

وإذا أخذنا بالرأى الذى يرى أن موسى عليه السلام خرج من مصر بقومه وهو فى سن الثمانين، يكون خروجه قد حدث فى سنة ١٤٦٨ قبل الميلاد فى آخر سنوات حكم الملكة حتشبسوت.

ولا يختلف عالم الآثار المصرى أحمد كمال فى كتابه (العقد الثمين فى محاسن المصريين الأقدمين) مع وجهة نظر المستشرق الألمانى (هنرى بروكشن) فى زمان الخروج فكلاهما جعل الخروج فى عهد الملك - منفتاح الأول - واتفقوا أن الخروج تم من مكان واحد هو (مخاضة بحيرة المنزلة)، اختلفوا بذلك مع المؤرخ الفرنسى (دى بوا إيميه) الذى ذكر أن الخروج تم من جهة مخاضة خليج السويس.



ويرى عالم المصريات (دكتور هانز جيديك) أن خروج موسى عليه السلام وقومه من مصر قد تم فى ليلة النصف الثانى من شهر إبيغى[1] سنة ١٤٧٧ ق.م فى عهد الملكة حتشبسوت، التى حكمت مصر فى الأسرة (١٨)، وأشار دكتور هانز إلى الانفجار البركانى الذى حدث فى (جزيرة تيرا) التى تعرف الآن باسم (سانتودين)، والتى تقع إلى الشمال من (جزيرة كريت) بحوالى (٧٠) كم وكيف تزامن وصول بنى إسرائيل فى أعقاب هذا الانفجار إلى (بحيرة المنزلة) لكى يسلكوا الطريق الساحلى إلى أرض كنعان، فلما أشرفوا على ربوة تطل على الصحراء جنوب شرق البحيرة بحوالى (٦,٥) ميل نظروا فإذا بجيش فرعون وخيله ومركباته قد وصل فى نفس اللحظة التى وصل فيها المد شاطئ البحر المتوسط عند البحيرة، فأغرقت جنود فرعون ومركباته ولم ينجُ منهم أحد .

سار الإسرائيليون بالطريق الكبير الفرعونى (طريق حورس) من (سوكوت) فى إقليم (بيذوم) إلى (إيزام)[2] التى فى طرف الصحراء سيناء كما ذكرت التوراة، ومما يؤكد هروب الإسرائيليين على الطريق الكبير من مدينة (رمسيس-تانيس) إلى (ميجدول) الذى كان يخترق أرض سوكوت ولقد أشارت الرسالة التى اكتشفها (انسطاسى) والمحفوظة بالمتحف البريطانى، والتى تشير فى الصفحة (١٩) ابتداء من السطر السادس أمر هروب إسرائيليين من خدم أحد الأمراء المصريين فى (مدينة رمسيس) إلى (ميجدول)، ولقد ذكر الحرس المكلف بمراقبتهما أنه ذهب إثر الخادمين بعد خروجهما من السراى الملكية فى مدينة رمسيس فى اليوم التاسع من (شهر إبيغى) فى وقت العصر، فوصلت إلى (سوكوت)[3] فى اليوم العاشر، ثم وصلت إلى حصن (خاطوم)[4] فقيل لهما هناك أن رجلاً رآهما وقت خروجهما من السور الشمالى (الميجدول) التابعة للملك (سيتى منفتاح)، ولقد أكد ذلك سفر الخروج فى التوراة حينما قال :

---

(١) شهر إبيغى: شهر إبريل.
(٢) إيزام :إيثام التى عرفت أيضاً باسم (بيتوم)
(٣) سوكوت: وتقع بالقرب من برك مدينة ـ بيثوم ـ بيذوم.
(٤) حصن خاطوم: حصن أواريس.

«قُلْ لبنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا قُدّام (بيما حيروت)[1] فيما بين (ميجدول) والبحر أمام (باآل زيفون)[2] فأما أنت فتحط قدامهم بالقرب من البحر»

ولقد سجلت النقوش الهيروغليفية نفس الأسماء التى ذكرت فى التوراة.

لم يستكمل موسى عليه السلام سيره إلى أرض كنعان بالمرور على الطريق المعهود إلى فلسطين القريب جدا التزاماً بأمر ربه.

لما أخلى فرعون السبيل للشعب فإن الرب لم يسمح لهم بالمرور من الطريق المعهود إلى فلسطين، ولو أنه قريب جدا ، ولأنه قال: إن الشعب إذا رأى حربا فإنه قد يعود ثانية إلى مصر.

وعندما رجع موسى عليه السلام عاد إلى (ميجدول)[3]، ولما جاء الإسرائيليون إلى آخر محطة بين (ميجدول) والبحر، إذا بجيش فرعون بخيله ومركباته وراءهم، وذكرت التوراة أن مد الماء فى تلك الآونة قد زاد فجأة حتى غطى الجيش، بينما استمر بنو اسرائيل فى سيرهم فى طريقهم إلى اليابسة، ثم انطلقوا نحو الصحراء المسماة (شور) وطافوا بها ثلاثة أيام فلم يجدوا ماء، فجاءوا إلى (مارا) فلم يستطيعوا شرب مائها، لمرارته فانتقلوا إلى اليم الذى كان فيها اثنى عشر عينا وسبعون فحطوا رحالهم هناك وأقاموا فيها.

ولقد قسمت التوراة طريق خروج موسى عليه السلام من مصر إلى اثنى عشرة مرحلة.

- **المرحلة الأولى:**

وتذكر التوراة هنا أن الله لم يهد بنى إسرائيل إلى طريق فلسطين مع أنها قريبة، لأنه خاف منهم إن رأوا حربا فروا عائدين إلى مصر فأمر موسى عليه السلام أن يسلك مع قومه طريق (برية بحر سوف)[4]

---

(١) بيما حيروت المقصود بها هنا (فم الحيروت) المحرفة عن المصرية «حان وارت» وهى قلعة (أواريس).

(٢) بال زيفون: المراد بها هنا «بعل صوعن» أى «صان الحجر»

(٣) ويمكن إضافة سبب آخر منع موسى عليه السلام من المسير فى الطريق المعهود إلى فلسطين، وهو العهد المبرم بين الملك رمسيس الثانى، وملك الحيثيين الذى ينص على إعادة الرعايا من أى البلدين الذين يخرجون من أيهما بالهروب، ولابد أن موسى عليه السلام قد رعى ذلك، لذلك رأى ان يسلك طريق الصحراء.

(٤) برية بحر سوف: الأرض اللينة المغمورة بالماء جنوب بحيرة المنزلة.



وفى هذه المرحلة خرج موسى عليه السلام وقومه من أرض (رعمسيس) إلى (سكوت) ثم نزلوا (إيتام)، وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب، ليهديهم فى الطريق، وفى عمود من نور ليضىء لهم، لكى يمشوا طول اليوم نهارا وليلا، وفى هذه المرحلة أوحى (الرب) إلى موسى عليه السلام قائلا:

(كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام (فم الحيروث) فى اتجاه (مجدل) أمام (بعل صفون)- المقصود هنا مدينة صان الحجر- فلما أُخْبرَ ملك مصر بأن بنى إسرائيل هربوا بكل ما يملكون، تغير قلبه وركب مركبته وأخذ ستمائة مركبة منتخبة وجنودا وسعى وراء بنى إسرائيل فأدركهم وهم نازلون عند البحر، ففزعوا وصرخوا إلى الرب وقالوا لموسى عليه السلام:

«لماذا أخذتنا لنموت فى البرية؟ كف عنا، فإنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت» فقال موسى عليه السلام : لا تخافوا ستنتظرون اليوم خلاص الرب الذى يصنعه لكم، وصرخ موسى عليه السلام إلى الرب فقال له الرب: قل لبنى إسرائيل أن يرحلوا، وارفع عصاك، ومد يدك بها إلى البحر، فينحسر الماء من الجانبين وتبين اليابسة، فمد موسى عليه السلام عصاه إلى البحر فأجرى الله ريحا شرقية شديدة، وظهرت اليابسة فدخل بنو إسرائيل والماء على الجانبين حاجزا لهم، ودخل وراءهم خيل فرعون ومركباته، وأدركوا آخر الطريق مع إشراقة صباح يوم جديد، ثم قال الرب لموسى عليه السلام: مد يدك بعصاك إلى الماء فيرجع على المصريين ومركباتهم، ففعل، فرجع الماء إلى حالته الأولى، وغطى مركبات وفرسان جيش فرعون، وهرب المصريون فى ذلك اليوم بمن بقى منهم.

- **المرحلة الثانية :**

بدأت هذه المرحلة كما ذكرت التوراة من (بحر سوف) وانتهت عند (إيليم) .

- **المرحلة الثالثة :**

تم فيها العودة من (إيليم) إلى (بحر سوف) .

- **المرحلة الرابعة :**

بدأت من (بحر سوف) إلى (برية سين)[1] .

---

(١) برية سين.. هى الأرض الرملية المحصورة بين طريق شور إلى فلسطين وبين برية سيناء التى فى سطح هضبة التيه وهى تسمية عبرية.

• المرحلتان الخامسة والسادسة :

بدأت من (برية سين) إلى (الوش)[١] ثم إلى (رفيديم)[٢] حيث فاجأهم (العماليق)[٣] بالحرب .

• المرحلة السابعة :

وحددتها التوراة من - رفيديم - إلى (هضبة التيه) .

• المرحلتان الثامنة والتاسعة :

بدأت من (هضبة التيه) في برية سيناء إلى (قبروت)[٤] وانتهت إلى (حضيروت)[٥].

• المرحلتان العاشرة والحادية عشر :

بدأت من (حضيروت) مروراً (ببرية فاران)[٦] وانتهت (بقادش)[٧].

وماتت فى هذه المرحلة مريم أخت هارون وموسى، ودفنت فى قادش، وأقام بنو إسرائيل فى قادش وفى هذه المرحلة أرسل موسى عليه السلام اثنى عشر من رؤساء بنى إسرائيل، واحد من كل سبط وقال لهم : (اصعدوا لتجسوا الأرض والشعب والمدن والقلاع وكل ما ترونه فى كنعان) فصعدوا من برية (سين) حتى (رحوب) فى مدخل (حماه)، وظلوا أربعين يوما، ثم رجعوا إلى موسى عليه السلام وقالوا له: لقد ذهبنا إلى الأرض وهذا ثمرها، وأظهروا له (زرجونة)[٨] بها عنقود من العنب، ثم بعضاً من ثمار التين والرمان، غير أن الساكنين فى الأرض معتزون، ومدنهم عظيمة محصنة، ورأينا هناك (بنى عناق) (العماليق) الساكنين فى أرض الجنوب، فكنا فى أعينهم كالجراد، ورأينا هناك الحيثيين، واليبوسيين، والأموريين، والكنعانيين، الذين يسكنون على شاطئ البحر، وهنا تذمر قوم موسى عليه السلام وقالوا له :

---

(١) الوش: وادى العريش بالقرب من (الجفجافة).

(٢) رفيديم: سهل رفح عند الحدود مع مصر.

(٣) العماليق: بدو عرب فلسطين ويعتقد أنهم فلول الرعاة الذين هاجموا مصر فى حرب الهكسوس.

(٤) قبروت: تعبير عبرى معناه أهل الشهوة بجوار البئر المسمى بئر المقيرة عند ساحل البحر المتوسط.

(٥) حضيروت: بئر يقع فى الجنوب من (جبل الحلال) فى (وادى العريش) كان يعرف باسم (الحضرة).

(٦) برية فاران: وتقع فى جنوب فلسطين إلى الغرب من وادى عربة الذى يربط البحر الميت بمدينة العقبة فى اتجاه وادى حور على الجانب الآخر للبحر وتعرف أيضاً باسم (برية باران) نسبة إلى وادى اباران.

(٧) قادش: المقصود بها عين قديس، ويسميها التوراة (بعين مشفاط) و(قادش برنيح).

(٨) زرجونه: وعاء



«لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لكى نسقط بالسيف، وتبقى نساؤنا وأولادنا غنيمة، أليس من الخير لنا أن نعود إلى مصر؟ وهنا صاح يوشع بن نون : الأرض جيدة وسوف نجد نعمة فى عين الرب ليعطينا إياها، أرض تفيض لبناً وعسلاً .

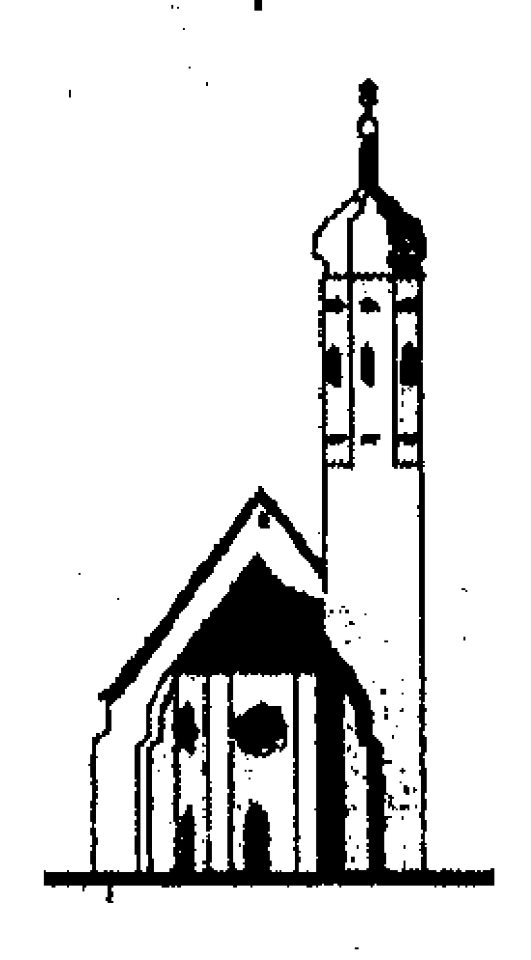
فارق موسى عليه السلام هؤلاء الفاسقين، وانفصل عنهم، ولم يحزن لفراقهم، وانطلق مع (يوشع بن نون) فى سيناء ينشد وجه ربه، وينقطع لعبادته، ويتلقى الحكمة والعلم من لدنه، وأمضى موسى عليه السلام شيخوخته يعبد ربه قريباً من نهر الأردن دون أن يعبره إلى الأرض المقدسة (فلسطين) ، وظل فى هذا المكان حتى مات ، ودفن فى (مؤاب) .

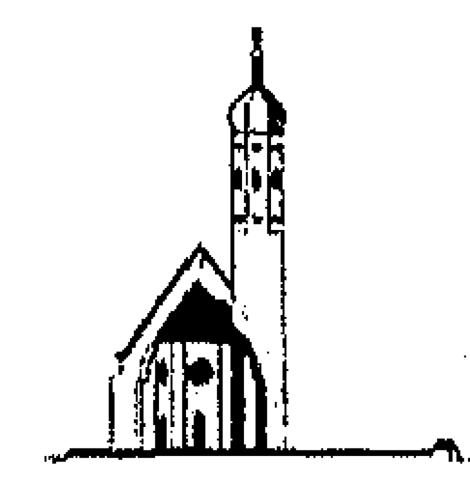
ذكر تقى الدين المقريزى أنه كان لليهود فى مصر أحد عشر معبدا ،(٣) فى الفسطاط، وواحد فى الجيزة، و(٥) فى القاهرة، و(٢) لليهود (الربانيين) و(٢) لليهود (القرائين) ومعبد واحد ليهود السامرة، بخلاف معبد (حارة الجدرية) الذى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى بحرقه، لأنه بنى على أملاك الدولة .

كما ذكر الرحالة اليهودى (عويدا) الذى زار مصر سنة (١٤٨٨) أن القاهرة كانت تضم (٧٠٠) أسرة يهودية (٥٠) من السامرة و(١٥٠) من اليهود القرائين، والباقى من اليهود الربانيين .

وذكر المورخ اليهودى (أشتور) أن عدد يهود مصر فى نهاية القرن (١٢) لم يكن يتجاوز (١٠,٠٠٠) يهودى، ومن المعروف أن عددا كبيرا من يهود فلسطين والشام قد هاجروا إلى مصر فى أعقاب الحملة الصليبية الأولى، وأن أعداداً أخرى منهم هاجرت من (العراق) و(الشام) والبلاد الإسلامية بسبب غزوات المغول، وأن غالبية اليهود الذين هاجروا إلى مصر فى القرن (١١) من يهود (العراق) و (إيران)، ويهود (نيسابور) و(سمرقند) فى آسيا الوسطى ، ومن المعروف أيضا أن (٥٠) أسرة يهودية فرت من اسبانيا إلى مصر بعد أن أجبرتهم السلطات الأسبانية الكاثوليكية على نبذ دينهم ليعودوا إلى ديانتهم اليهودية، وكذلك فرت (٣٠٠) أسرة يهودية من (فلسطين) إلى مصر بسبب التبرعات الباهظة التى فرضها رجال الدين اليهودى عليهم.

ذكر الرحالة اليهودى (بنيامين التطيلى) الأماكن التى تواجد فيها اليهود فى المدن المصرية فى القرن (١٢) فأشار إلى (القاهرة- الفسطاط- الإسكندرية- حلوان- قوص- دمياط- بلبيس- سمنّود- بنها- المحلة الكبرى- زفتى- الفيوم- أبوتيج) وأضافت



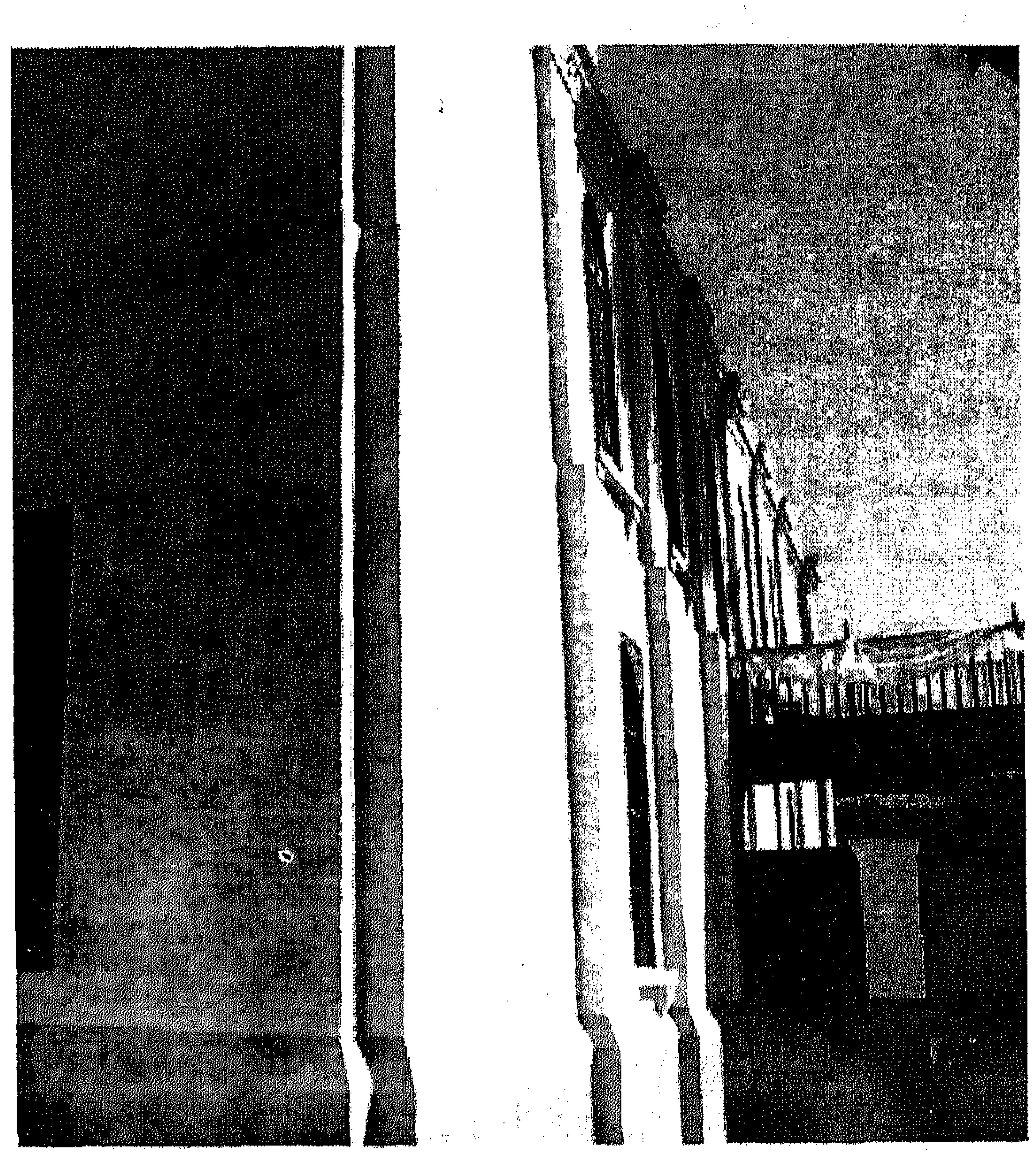


أوراق ووثائق (الجينزا) اليهودية التى اكتشفت فى معبد (النبى إلياس) بالإسكندرية عن أماكن أخرى عاش فيها اليهود فى مصر .

أسوان- قفط-المطرية- قليوب- شطانوف- فارسكور-مابج-شبرا-صهرجت-ميت غمر-رشيد-أشموم طناح- دمنهور .

معنى ذلك أن يهود مصر عاشوا فى طول البلاد وعرضها تماماً كالمسلمين والأقباط، ولم يكن توزيع اليهود السكانى والجغرافى فى مصر بسبب وضعهم الطائفى، بل عاشوا فى كل مكان على أرض مصر باعتبارهم مصريين.

فى النصف الثانى من القرن (١٢)أسس (مصلباها كوهين) أول مدرسة (لاهوتية يهودية) فى مصر تولى إدارتها (١١) سنة، ثم تولاها من بعده (موسى هاليفى) ومن المدن المصرية التى شهدت نشاطا يهوديا ملحوظا (مدينة المحلة الكبرى)، فكانت منذ



معبد يهودى
موسى بن ميمون
مصر القديمة



معبد ابن عزرا أمام
كنيسة الست بربارة
مصر القديمة

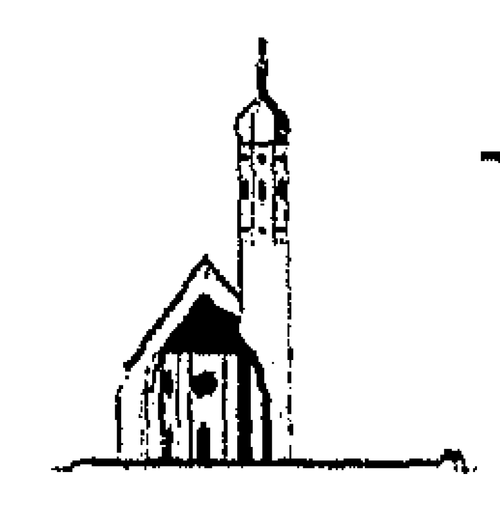
القرن العاشر الميلادى أحد المراكز التجارية المصرية الهامة ، فاستقبلت عددا كبيرا من يهود (تونس) و (المغرب) وأصبحت بؤرة هامة لتجمع يهود الوجه البحرى فى مصر، وعمل يهود المحلة الكبرى في حرف وصناعات مختلفة، وكان بعضهم من ملاك العقارات والمنازل .

مدينة صهرجت :

عاشت جماعة يهودية ثرية فى هذه المدينة التى تنقسم إلى (صهرجت الكبرى) التى تقع على الضفة الشرقية لفرع دمياط، و(صهرجت الصغرى) على الضفة الغربية للنيل، ووصل نشاط هذه الجماعة اليهودية إلى درجة وجود محكمة يهودية، ومعبد يهودى للجماعات اليهودية العراقية .

مدينة دمياط :

استقر فيها عدد من مهاجرى جنوب أوربا ، وتشير أوراق الجينزا اليهودية أن يهود دمياط بلغوا شأنا كبيرا خلال العصر الفاطمى .



مدينة قوص :

كانت تضم جماعة يهودية كبيرة، كان من بينها أطباء وأصحاب حِرَف أخرى.. وكانت قوص فى ذلك الوقت عاصمة لمصر العليا وأهم مدن الصعيد .

مدينة ميت غمر :

اتخذتها جماعة يهودية محلا لإقامتهم ومركزا لنشاطها التجارى .. وكان بها معبدان يهوديان .. وكانت مدينة (زفتى) المواجهة لميت غمر أيضا محلا لإقامة جماعة يهودية أخرى كبيرة .

وكانت (زفتى) تضم حوالى (٦٠) عائلة يهودية يبلغ عددها حوالى (٣٠٠) يهودى.

مدينة بلبيس :

كانت مسكناً لعدد من أثرياء اليهود، وكانت بلبيس فى ذلك الوقت موقعاً هاماً على طريق التجارة بين مصر والشام .

ومن أشهر الآثار الدينية اليهودية القديمة والحديثة فى مصر .

معبد دموة (الجيزة) :

وصفه المقريزى بأنه أعظم معابد اليهود فى مصر، ويعتقد اليهود أن هذا المعبد أقيم فى نفس المكان الذى كان يأوى إليه موسى عليه السلام حين كان يبلّغ رسالات ربه إلى فرعون مصر، ويزعم اليهود أن هذا المعبد أقيم بعد خراب هيكل سليمان فى بيت المقدس على يد الامبراطور الرومانى تيتوس وكان هذا المعبد يقع على ضفة النيل الغربية .

كنيسة اليهود (بزقاق اليهود)

كنيسة اليهود الفلسطينيين (مصر القديمة)

كنيسة (حى الخرنفش)

وقد ذكره المقريزى والقلقشندى، وكان مخصصاً لطائفة اليهود القرائين .

كنيسة الخضراء (بحى زويلة)

وقد ذكره المقريزى .

كنيسة الشاميين (الفسطاط)

بناه يهود فلسطين ومكتوب على بابه بالخط العبرى (بنى قبل خراب بيت المقدس بنحو ٤٥ سنة) .

وكان بهذا المعبد نسخة من التوراة أجمعت آراء اليهود أنها كتبت بخط النبى عزرا.

معبد المصاصة (الفسطاط):

بنى قبل الفتح الإسلامى بأكثر من (٦٠٠) سنة كما يعتقد اليهود، رمم فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ويزعم اليهود أن النبى (إلياس) كان يتخذه معبداً يتعبد فيه .

معبد جوجر (بفوه):

ذكره المقريزى بأجل معابد اليهود، وأنه ينتسب كما يعتقد يهود إلى نبى الله إلياس (إيليشيا)، ويزعمون أنه ولد به، وظل يتعهده برعايته طوال حياته .

معبد النبى إلياس (الإسكندرية):

اكتشف فيه أوراق ووثائق (الجنيزا اليهودية) سنة (١٨٩٢) ميلادية، قبل إعادة بنائه .

معبد ليفى شاهوم (القاهرة) :

شيد سنة (١٨٩٠) بحى العباسية .

معبد حاييم (القاهرة):

شيد سنة (١٩٠٠) .

معبد باهاو إسحق (القاهرة):

أقيم فى حى السكاكينى بالقاهرة سنة (١٩٢٥) .

معبد شعار هشمايمر (القاهرة):

المعروف بكنيسة الإسماعيلية بشارع عدلى بالقاهرة، وقد شيده (فيت بك موصيرى) سنة (١٩٠٥) بأموال التبرعات .

معبد مدراش إيليا (القاهرة):

شيده إيلى كوربيل سنة (١٩٣٦) بحى قصر الدوبارة بالقاهرة .

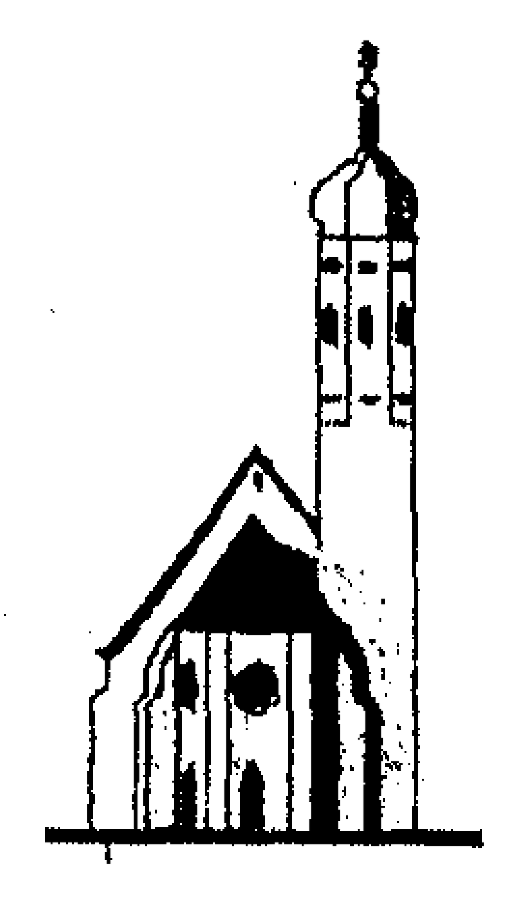
صان الحجر :

قرية تقع شمال شرقى (مدينة فاقوس) بالشرقية على أنقاض مدينة قديمة سماها الإغريق (تانيس) وظلت طوال العصر اليونانى الرومانى عاصمة لإحدى مديريات شرق الدلتا ، وكانت تقع على الطريق البرى الرئيسى الذى يخترق الدلتا من الشرق إلى الغرب.

وعندما استبدل نظام المديريات بنظام البلديات فى العصر البيزنطى، كانت (تانيس) إحدى بلديات شرق الدلتا وكانت مركزا دينيا كبيرا فى عهدى الوثنية والمسيحية، ولعل الزلزال الذى وقع فى شرق الدلتا فى ٢١ يوليو سنة (٣٦٥) ميلادية هو الذى دمر تانيس بمعابدها الضخمة ومسلاتها العظيمة.

وتانيس القديمة (صان الحجر الآن) مدينة عمرها أكثر من (٣٠٠٠) سنة، نصفها يختفى الآن تحت الأتربة والطين، ونصفها الآخر يتمثل فى مجموعة هائلة من التماثيل والتوابيت الرخامية، ومسلات الجرانيت الوردى، ومعابد الإله آمون، وبحيرة مقدسة، ومنازل للكهنة والعمال والحرس، وتقع صان الحجر على مشارف الحدود بين الدلتا وسيناء وتضم مقتنيات أثرية فريدة لا تنافسها فيها إلا (الأقصر) عاشت صان الحجر سنين طويلة فى طى النسيان والإهمال .

ولقد قام عالم الآثار الفرنسى (جان بوبوت) ومعه بعثة شباب الأثريين الفرنسيين بمعهد آثار جامعة باريس باستكمال الحفائر التى بدأها العالم الفرنسى الشهير (بيير مونتيه) وإذا كانت مدينة الأقصر فى جنوب الوادى هى أهم مناطق مصر الأثرية وأكثرها ثراء، فإن صان الحجر هى الكنز الشمالى لأعرق آثار مصر الفرعونية، وأصاب المدينة خراب لا يمكن تصوره فتحطمت معابد الآلهة ذات القوائم الشامخة من الجرانيت الوردى، وتبعثرت أجزاؤها فوق مساحة من الأرض تزيد على (٤٨٠) فداناً تماثيل ملك مصر

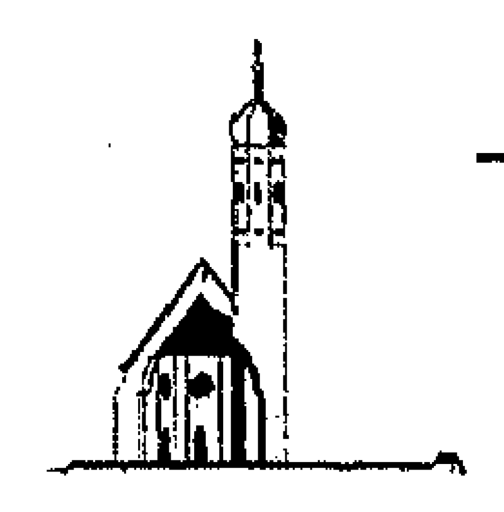


العظيم رمسيس الثانى المحطمة الأطراف والأذرع تبحث الآن عن منقذ لها فلا تجده، مقابر الملوك زحف على جدرانها نشع المياه الجوفية وركام من الطين والأتربة، سيدات القرى العاقرات يجتزن أبواب المدينة التاريخية المفتوحة ويستحممن تحت أقدام تمثال الملك رمسيس الثانى بمياه إبريق من الفخار الأسود ثم يحطمه على صدر الملك العظيم اعتقاداً منهن بأنه قادر على أن يجلب لهن الخصب والحمل والولادة.

عاش موسى عليه السلام فى صان الحجر بعد أن التقط من ماء ترعة السماعنة أو بحر موسى، وعرفت صان الحجر قديما باسم (جعن) وكانت عاصمة المقاطعة (١٤) من مقاطعات الوجه البحرى ووردت صان الحجر فى التوراة باسم (صوعن) وأصبحت صان الحجر عاصمة لمصر كلها فى عهد الأسرة (٢١) ولقد تمكن عالم المصريات الفرنسى (مونتيه) أن يكتشف فى صان الحجر مجموعة من المقابر المشيدة بالحجر الجرانيتى كانت مدفونة تحت الأرض، منها مقابر (الملك بسونس الأول) (١٠٤٠ - ٩٩٣ ق.م) ومقبرة (الملك شبشنق)، ولقد وجد فوق جثة (الملك بسونس) عدد كبير من القلائد الذهبية، والأساور، والصدريات، والخواتم، وقناع ذهبى، وغطاء فضى لتغطية الجثة ونعال من الذهب الخالص، وبعض العصى المكسوة بالذهب، بالإضافة إلى عدد من الدروع والأقواس والسهام.

وترتبط صان الحجر تاريخيا باسم مدينتين مازالتا موضع نقاش بين علماء الدراسات المصرية، هما مدينتا (أواريس) التى كانت عاصمة ومقر الملوك الهكسوس والأخرى مدينة (بى - رسو) المقر الملكى لفرعون مصر (رمسيس الثانى) فى الدلتا، ويكاد يجمع علماء الآثار أن (بى - رعمسو) كانت فى نفس المكان المعروف الآن باسم (قنتير) بمركز فاقوس، ويجمع هؤلاء العلماء أيضا على أن (قنتير) تقع فى نفس مكان عاصمة الهكسوس القديمة.

وقد عثر فى صان الحجر (تانيس القديمة) على آثار هامة معروضة الآن بالمتحف المصرى أهمها (لوحة الأربعمائة عام) وهى الأثر الفرعونى الوحيد الذى ذكر تاريخا افادنا فى تحديد وقت غزو الهكسوس لمصر،وعثر فيها على مرسوم مكتوب بثلاثة خطوط (الهيروغليفية) (والديموطيقية) و (اليونانية).



أرض مدين :

جزء من صحراء سيناء التى تقع جغرافياً فى قارة آسيا ، ولكنها كانت جزءا من مصر فى جميع عصور التاريخ ، وكانت سيناء المصدر الذى حصل منه القدماء على النحاس والفيروز، ولهذا عرفت أيضا بأرض الفيروز ، وكانت سيناء الجسر الذى عبرت عليه حضارات عصر ما قبل التاريخ ، عندما كان الإنسان القديم يتجول بين أفريقيا وآسيا ، وتقع سيناء بين خليج السويس ، وخليج العقبة يحدها البحر الأبيض المتوسط فى الشمال ، وأهم مدن سيناء :

العريش ونخل والشيخ ذويد ورفح فى الشمال ، والقنطرة شرق والطور وشرم الشيخ ودهب ونويبع وطابا فى الجنوب ، وأقدم مناطق تعدين النحاس والفيروز نجده فى (المغارة) وفى (سرابيط الخادم) حيث ترك قدماء المصريين نقوشا كثيرة أقدمها من أيام (الملك زوسر) (الأسرة ٣) و(الملك سنفرو) (الأسرة ٤) وغيرهما من ملوك الدولة القديمة، واستمر استغلال (المغارة) وبعدها (سرابيط الخادم) حتى الدولة الحديثة ، ولاتقتصر شهرة سيناء أو أهميتها فى التاريخ القديم على مناجمها ، أو على ما عثر عليه من نقوش ، خصوصا النقوش المعروفة باسم (النقوش السينائية) فى (سرابيط الخادم) ، بل اشتهرت بأنها تضم أقدم طريق حربى فى تاريخ العصر القديم ، وهو الطريق الذى سارت عليه جيوش مصر عند ذهابها إلى آسيا ، وسارت عليه كل الغزوات والحملات التى استهدفت غزو مصر ، ولقد شهد هذا الطريق المعروف تاريخياً باسم (طريق حورس) جيوش آشور ، وفارس ،والإسكندر الأكبر ، كما شهد جيوش العرب عند فتحهم لمصر، وغيرهم من الجيوش حتى العصور الحديثة ، لأن حدّ مصر الشرقى هو أضعف حدودها وأكثرها خطرا عليها، وترتبط سيناء بذكريات رحلة خروج موسى عليه السلام من مصر، وقدوم العائلة المقدسة إلى مصر .

ويعتبر دير سانت كاترين الشهير من أهم مواقع السياحة الدينية المسيحية فى العالم، ويوجد بالدير مكتبة فريدة تضم عدة آلاف من المخطوطات ، ومجموعة من الأيقونات لا يوجد لها نظير فى العالم .

القلزم - السويس -

تقع السويس على بعد (١٤٠) ك م من مدينة القاهرة وتمتاز بموقعها المتميز على المدخل الجنوبى لقناة السويس على البحر الأحمر ، ويعتبر ميناء السويس من أهم موانى مصر وأكثرها حركة ونشاطاً .

والعين السخنة التى تقع على بعد (٥٤) ك م من مدينة السويس، موقع هام من مواقع السياحة الداخلية فى مصر ، فيأتى المواطنون وأعضاء الجاليات الأجنبية وأفراد السلك الدبلوماسى الأجنبى إلى هذا المكان ، للاستمتاع بمياه ينبوع ماء طبيعى درجة حرارته ٣٥ درجة مئوية .

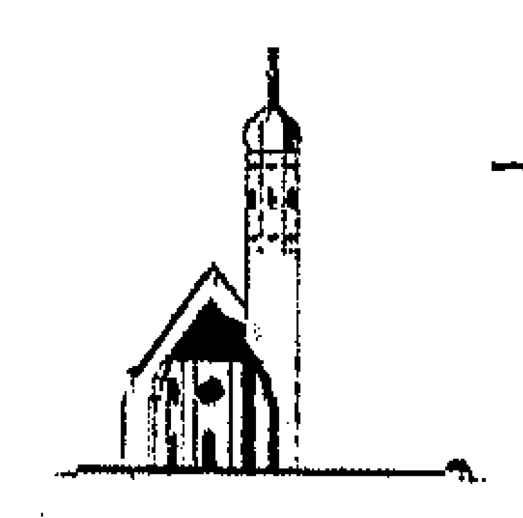
ومنطقة عيون موسى التى تقع جنوب شرق السويس على بعد (١٥) ك م من سيناء. موقع آخر من مواقع الزيارة الهامة، وتنتسب هذه العيون إلى سيدنا موسى عليه السلام.

قنطير :

تقع قنطير على بعد (٧) كيلو مترات من مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية ، وتعرف قنطير الآن (بقنتير الضبعة) التى تقع على تل أثرى تآكل مع مرور الزمن وأصبح على مستوى الأرض الزراعية .

اكتشفت البعثات الأثرية فى قنطير والمناطق المحيطة بها (الختاعة) ،و (الضبعة) آثاراً من عصر الأسرات (١٢) و(٢٩) ، وفى قنطير نفسها تم اكتشاف أطلال قصر الملك (سيتى الأول) ،وبوابة قديمة من الحجر الوردى المصقول من عصر الدولة الوسطى .

عرفت قنطير فى العصر الفرعونى باسم (بي - رمسيس) وكانت المقر الشمالى للفراعنة منذ عهد رمسيس الثانى إلى آخر عهد أسرة رمسيس،ويضم (متحف اللوفر الفرنسى) قطعاً رائعة من الفخار اللأمع ،كانت تزين مدخل أحد قصور (قنطير) الفخمة فى عهد الملك سيتى الأول .





حمام موسى

سقط:

أشارت بردية أنستاسى إلى موقع (سقط) والبحيرات والمستنقعات المجاورة لها والتى استخدمها الفراعنة فى صيد الطيور مستخدمين قوارب مصنوعة من غاب خفيف الوزن يُمكّنهم من الاقتراب من الطيور وصيدها بالأقواس والسهام ،وتقع (بحيرة أكياد) بالشرقية فى نفس المنطقة التى أشارت إليها بردية أنستاسى .

إيثام :

تقع على بعد (٢٦) كيلو مترا من الأراضى الصحراوية التى تقع الآن شرق (الصالحية) فى دائرة محافظة الشرقية، وتمتد حتى شمال غرب سيناء ، وكانت إيثام فى

ذلك الوقت موقعاً لإقامة بدو من العرب ، لذلك وصفها هيرودوت فى كتاباته وسماها (بالعربية) ،وأطلق المصريون القدماء على سكانها اسم (شاسو) ومعناها بالعربية (أسياد الرمال).

ثيل :

تقع فى نفس المكان الذى تقع فيه الآن مدينة القنطرة .

يم صوف :

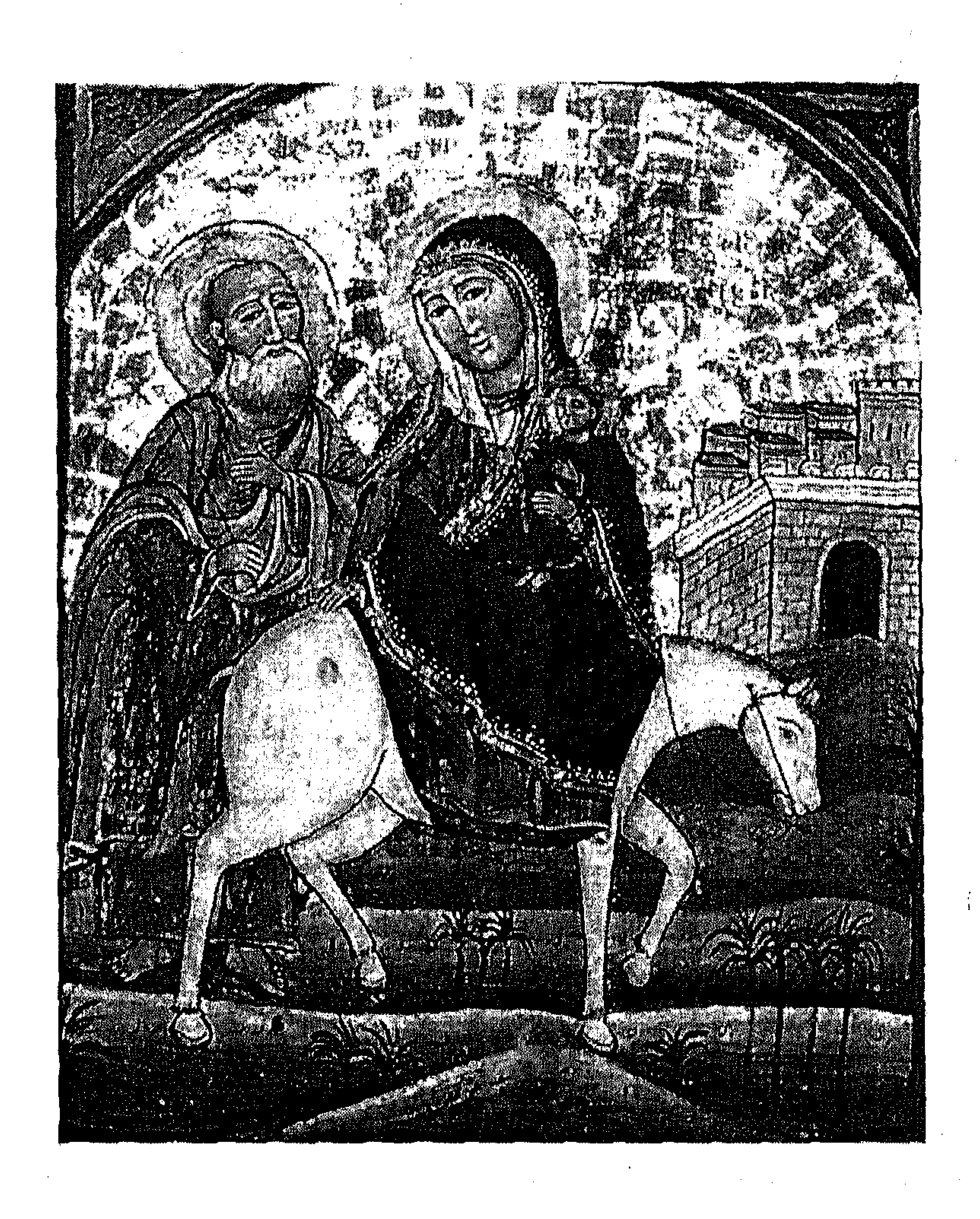
تقع الآن بين البلاّح وبحيرة المنزلة شمال القنطرة ، غرب قلعة المجدل التاريخية فى سيناء وأراضى هذه المنطقة منخفضة ضحلة تملؤها المستنقعات، ويمكن عبورها بسهولة .

تل أبى ضبعة :

منطقة صحراوية تقع شرق (القنطرة شرق)التابعة الآن لمحافظة شمال سيناء ، وتصل إليها المياه العذبة من ترعة الإسماعيلية من الضفة الغربية فى أنابيب تمر تحت قناة السويس .

معبد دموه :

من المعابد اليهودية التى أقيمت بالجيزة على ضفة النيل الغربية قبل الفتح الإسلامى لمصر ، فى مواجهة مدينة الفسطاط أول عواصم مصر الإسلامية ، ويقال إن موسى عليه السلام كان يتعبد فى هذا المعبد الذى ذكره المقريزى فى كتاباته .



رحلة قدوم
العائلة
المقدسة
إلى مصر

ظهر ملاك الرب ليوسف فى حُلْم قائلاً: «قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه » إنجيل متى (٢:١ ,٢)

ولد السيد المسيح عيسى عليه السلام فى منطقة فلسطين العربية ، ولم يغادرها إلى أى مكان آخر إلا إلى مصر،حيث أتى إليها فى طفولته مع أمه السيدة مريم العذراء ومعهما يوسف النجار هربا من شر (الملك هيرودس) الذى أمر بقتل جميع أطفال (بيت لحم) مسقط رأس السيد المسيح عليه السلام .

والسبب جماعة من المجوس أتوا إلى القدس بعد مولد السيد المسيح عليه السلام بقليل وقالوا :

«أين المولود الذى رأينا نجمه فى المشرق ، وأتينا لنسجد له »

فخاف هيرودس الملك أن ينافسه هذا المولود .

كان المجوس قد علموا بمولد السيد المسيح عليه السلام بعد أن ظهر لهم نجم خاص، كان قد أنبأهم بظهوره زعيم الطائفة المجوسية (زرادشت) التى تأسست حوالى (٦٦٠-٥٨٣) قبل الميلاد ،فلما ظهر هذا النجم قاموا فى موكب ضخم ، وحملوا معهم هداياهم ليقدموها للمولود الملك ، فلما سمع الملك (هيرودس) بذلك اضطرب وفزع وخاف على ملكه من هذا الوليد الجديد، فجمع رؤساء الكهنة وفقهاء الدين وسألهم ..أين ينبغى أن يولد المسيح ؟

فأجابوه على الفور : فى (بيت لحم) التى بإقليم اليهودية ،ولقد ذكر ذلك على لسان النبى «ميخا » فأمر حرَّاسه وأتباعه أن يرافقوا كهّان المجوس فى البحث عن المسيح ..ويبادرهم متهكما وقد كست قسماته علامات الغضب والحقد والرغبة فى الانتقام واتسمت تصرفاته بالعصبية والقسوة : اذهبوا وابحثوا عن الصبى بتدقيق فإذا وجدتموه فأخبرونى فورا.. فربما آتى أنا أيضا لأسجد له مع كهنة المجوس .

وانصرف كُهّان المجوس فى حراسة جنود هيرودس الملك للبحث عن المسيح .

ولاحظ المجوس أن النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى وقف فوق المكان الذى كانت فيه العائلة المقدسة مختبئة..وحين أتى كُهّان المجوس إلى هذا البيت رأوا الصبى





مع أمه السيدة مريم عليها السلام فخروا لهم ساجدين ..ثم فتحوا كنوزهم وقدموا للصبى وأمه هدايا من ذهب ولبان ومُرّ، ولم يرجعوا إلى هيرودس الملك لأن ملاكاً تراءى لهم فى حلم وأمرهم بعدم العودة إليه فانصرفوا عن طريق آخر إلى بلادهم دون أن يدركهم حرّاسه وجنوده.

ولما علم هيرودس الملك بالأمر استشاط غضباً وهَمّاً، وتأكد أن المجوس خدعوه واحتقروا نواياه الخبيثة نحو الصبى وأسرته.

فأصدر على الفور أمره بقتل جميع أطفال (بيت لحم) وما يحيط بها ،حتى يضمن أن يكون الوليد الجديد من بينهم،وخاب ظن هيرودس وخطته فى البحث عن الصبى وأسرته،فبينما كان جنوده يدخلون كل بيت ويقتلون كل طفل، كان المسيح (الطفل) قد نجا من تلك المجزرة البشرية ،ذلك أن ملاكاً من السماء تراءى فى حلم ليوسف النجار وأمره قائلا:

«قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وامكث هناك حتى أقول لك»[1]

---

(١) أشار إنجيل متى ٢(١٣-١٤) إلى قصة هروب العائلة المقدسة إلى مصر .



فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانطلق إلى مصر .

بدأت رحلة العائلة المقدسة إلى مصر من الشرق فدخلوا (رفح)[1] المصرية، وتقدموا

(١) رفح : موقع هام على طريق حورس الحربى القديم الذى عبرته كل الغزوات المتجهة من وإلى وادى النيل . تقع مدينة رفح على بعد (٢٨) ميلا من مدينة العريش،وخمسة أميال فقط من مدينة (خان يونس) الفلسطينية فى قطاع غزة، ورفح مدينة قديمة أقيمت على أنقاض مدينة (رافيا)التاريخية،ومن اسم هذه المدينة القديمة اتخذت اسمها الحالى،ذكرها المؤرخ (يوسيفوس) باعتبارها أول موقع يستريح فيه الامبراطور الرومانى (تيتوس)وهو فى طريقه لفتح القدس العربية (٧٠)ميلادية،وكانت رفح على مر العصور الحد الجغرافى والسياسى بين مصر والشام،وفى رفح انتصر الملك(بطليموس الرابع) ملك مصر على (إنطيوخوس الكبير) ملك سوريا سنة (٢١٧) قبل الميلاد ،وفيها أيضا انتصر (سرجون) ملك أشور على (سياقون) ملك مصر فى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد ،ولقد وصف رفح الرحالة العربى (المهيلى)عندما زارها سنة (٥٧٥) هجرية (١١٧٩) ميلادية فقال :

إنها مدينة عامرة بالأسواق والفنادق، وأن أغلبية أهلها من قبائل (لخم) و (جزام) وعلى طول طريق (رفح - غزة)يصطف شجر الجميز على جانبى الطريق يمينا وشمالا فى منظر رائع،وعلى بعد (٣٦٠) مترا إلى الجنوب الغربى من (بئر رفح) شجرة (سدر) كبيرة على جانبيها عمودان من الجرانيت الأسمر عُرفا بعمودى الحدود ،وطول كل منهما سبعة أقدام ومحيطه نحو ثلاثة أقدام،ولما زار خديوى مصر رفح سنة (١٨٩٨) أمر ببناء كوخ تلغراف فيها بنته مصلحة التلغراف المصرية لمفتشى خط الحدود.



حتى دخلوا (العريش)[1] ،ومنها اتجهوا إلى (الفرما)[2] ولم تسلك العائلة المقدسة (المسيح عليه السلام ،وأمه السيدة مريم العذراء عليها السلام،ويوسف النجار) طريقاً واحداً يمكن تتبعه،ولم يستقروا فى مدينة واحدة،وكانت المدن الكبيرة التى مروا بها حوالى عشرين مدينة خلاف القرى العديدة التى صادفت طريقهم،وكانوا يعبرون نهر النيل شرقا أحيانا وغربا أحيانا أخرى ،وكانت السيدة مريم العذراء عليها السلام،تمتطى

---

(١) العريش : تمتاز بموقعها الفريد على ساحل البحر الأبيض المتوسط،وشواطئها الجميلة،التى تظللها أشجار النخيل الباسقة،وتوجد بالعريش قلعة قديمة تعرف بقلعة (سليمان القانونى)أو قلعة العريش،ولقد أقيمت هذه القلعة على أنقاض حصن عربى قديم سنة (١٥٦٠) ميلادية لتأمين حركة التجارة بين مصر والشام،وكانت العريش منذ أقدم التاريخ ميناء هاما على البحر،ومركزا استراتيجيا على الطريق الحربى القديم الذى يعرف بطريق حورس والذى سارت عليه كل الغزوات والحملات والرحلات المقدسة المتجهة من وإلى وادى النيل،وكانت العريش أحد المراكز الرئيسية للجيش فى أيام الدولة الحديثة، ولم يبقى من حصونها ومعابدها القديمة شيء يذكر الآن،وكل ما بقى من هذه الآثار كنيسة قديمة،وأطلال قلعة العريش،أطلق عليها الرومان اسم (وينوكلورا) ومعناها بالرومانية (ذوو الأنوف المقطوعة) وأرجع (إسترابون) سبب هذه التسمية إلى الذين كانوا يرتكبون جرائم كبيرة وكان يحكم عليهم بقطع أنوفهم ونفيهم إلى العريش، وعلى مشارف العريش يوجد حى (المساعيد) الذى أقيم على مساحة (١٨٥) فدانا،ويرتبط هذا الحى بأطيب ذكريات الفتح الإسلامى لمصر،وعلى شاطئ هذا الحى بشَّر عمرو بن العاص قواته المعسكرة بقوله : (المسا ـ عيد) وإلى هذه التسمية ينتسب حى المساعيد الحالى .

(٢) الفرما : عرفت مدينة (الفرما) قديما باسم (بيلوز) وفى العصر القبطى باسم (برمون) وأطلق العرب عليها اسمها الحالى (الفرما) أو (الفرماء) أقيمت الفرما القديمة على ارتفاع من الأرض على بعد ميل ونصف من البحر الأبيض المتوسط، وكان لها مرفأ متصل بالمدينة بخليج يجرى من البحر، وكان فرع النيل (البيلوزى) يهوى إلى البحر بقربها ، وكانت الفرما مدينة قوية الحصون، بها كثير من آثار المصريين القدماء كما كان بها عدد من الكنائس والأديرة،وكانت بحق مفتاح مصر من الشرق، فكانت تشرف على الطريق القادم من الصحراء،وتمتلك ناصية البحر،ويجرى إليها فرع من النيل يؤدى إلى مصر السفلى،ويوجد فى الفرما تلال حمراء يمكن مشاهدتها عن بعد من قناة السويس،وتوجد بالفرما أطلال أبنية قديمة من العصر الرومانى،وكانت الفرما أول موقع يقاتل فيه عمرو وجنوده قتالاً شديدا استمر نحو شهر عندما هم لفتح مصر، ودخل رفح والعريش، استولى عليها من غزاة مصر فى العصر اليونانى (انطيوخوس الرابع) سنة (١٧٠) قبل الميلاد (وجانيبوس) سنة (٥٥) قبل الميلاد ،و(إكتافيوس) سنة (٣٠) قبل الميلاد اشتهرت الفرما بمكانتها فكانت مركزا تجاريا هاما فى العصر اليونانى الرومانى،إذ إنها لم تكن أكبر ثغر فى شرق الدلتا فحسب بل كانت أيضا تقع على الطريق البرى الساحلى بين مصر وسوريا .

تسمى الفرما أحيانا (بتل الفرما) وهو الاسم العربى لبلدة (بلوزيوم)والفرما الآن خالية من السكان تماماً ولا يوجد فيها إلا أطلال المعابد والحصون القديمة،وكانت الفرما التى تقع شرق بور سعيد عامرة فى العصور القديمة بالبنايات والقصور والمتاجر،بسبب فرع النيل البيلوزى الذى كان يمر بالقرب منها وما زالت آثار ضواحى الفرما باقية حتى الآن فى(تل الفضة) و(اللولى) ويذكر تاريخ مصر فى آخر أيام البطالمة أنه عندما دب الخلاف بين (كليوباترا) وأخيها الصغير (بطليموس) فرت كليوباترا إلى سوريا حيث جمعت جيشا وسارت إلى مصر،ووقف أخوها عند (الفرما) استعداداً للحرب معها فى سنة (٤٨) قبل الميلاد

حمارا ،وتحمل على ذراعيها طفلها السيد المسيح عليه السلام،ويوسف النجار بجانبها يمسك بمقود الحمار،ولقد شملت رحلة العائلة المقدسة مناطق فى الوجه البحرى،وأخرى فى الوجه القبلى،وأقصى ما وطأته تلك الأقدام المقدسة فى شمال مصر مدينة (العريش) شرقا ومدينة (سخا)[1] غربا ،وأقصى ما وصلوا إليه جنوبا كان (جبل قسقام) فى أسيوط،وهكذا تشرفت مواقع مصرية كثيرة بزيارة السيد المسيح عليه السلام وأمه والسيدة مريم العذراء عليها السلام .

استمرت رحلة العائلة المقدسة إلى مصر نحو أربع سنوات،بدأت فى العام الثانى الميلادى،وانتهت فى العام السادس الميلادى،إلى أن مات (هيرودس)الملك وحكم بدلاً منه (أرخيلاوس).

قضت العائلة المقدسة فى بعض المدن المصرية[2] أسبوعاً أو بضعة أيام، وفى مدن أخرى شهراً أو أكثر،وكانت أطول مدة أقامت فيها فى جبل (قسقام) فى أسيوط،وهو آخر مكان وصلت إليه العائلة المقدسة فى رحلتها إلى مصر، وبالقرب من هذا المكان بنى (الدير المحرَّق) .

ولقد تعمدت العائلة المقدسة وهى فى طريقها إلى مصر أن تنتقل من مكان إلى آخر هرباً من (هيرودوس الملك) الذى أرسل من يطاردهم فى مصر،وبسبب المعجزات التى كانت تحدث فى الأماكن التى زارتها العائلة المقدسة قام كهنة الأوثان فى تلك الأماكن

(١) سخا : تقع بلدة سخا الحالية بمحافظة كفر الشيخ شمال الدلتا..وذكر (مانيتون) أنها كانت عاصمة لملوك الأسرة الرابعة عشرة، وهى التى حكمت مصر قبل احتلالها من الهكسوس،ازدهرت سخا فى العصر اليونانى الرومانى،وأطلق عليها الإغريق اسم (إكسوس) ولم يعثر فى المدينة على آثار تذكر من العصر الفرعونى بسبب الاضطراب والفوضى الذى حل بالمدينة فى عصر الأسرة الرابعة عشرة،ولكن عثر على مقتنيات تعود إلى العصر (اليونانى ـ الرومانى) ويحتفظ المتحف المصرى بالقاهرة بنماذج من الحلى والعملات البطلمية وتماثيل معدنية اجملها تمثال الإله (أبوللو الطفل) الذى يرجع تاريخه إلى القرن الأول والثانى قبل الميلاد .

(٢) ذكرت المصادر الكنسية التاريخية أن أصنام مدينة (بوبستيس) (تل بسطه) الآن،والتى تقع بالقرب من الزقازيق قد سقطت كلها حينما زارت العائلة المقدسة المدينة فى أثناء رحلة هروبها إلى مصر .
وبعد أن تفجرت عين ماء تحت أقدام السيد المسيح، لم يقبل كهنة المدينة ولا أهلها إقامة العائلة المقدسة فى مدينتهم،وأساءوا معاملتها ،فهاجروا إلى مكان آخر مكثوا به أياما، فغسلت العذراء مريم ملابس طفلها المسيح عليه السلام وأحمته فسمى المكان لذلك (المحمة) ويعرف هذا الموقع الآن (بمسطرد). ولقد بنيت كنيسة فى هذا المكان باسم العذراء مريم لاتزال قائمة فى نفس مكانها إلى الآن، وهى أحد المزارات المسيحية التى يحرص المصريون (الأقباط) والأجانب على زيارتها، ولقد كانت (المحمة) أحد الأماكن التى استراحت فيها العائلة المقدسة وهى فى طريق خروجها من مصر إلى فلسطين.



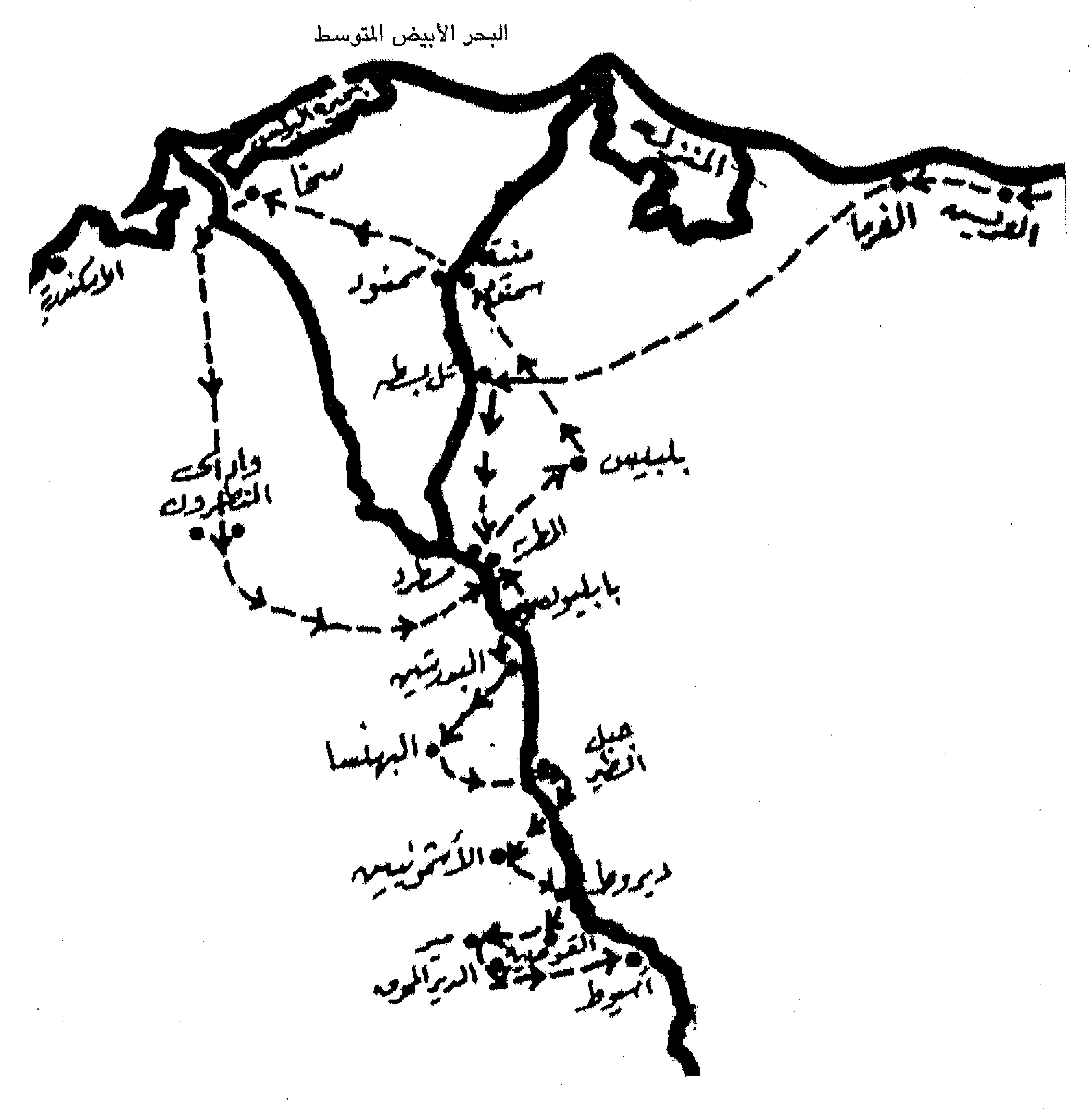
بطردهم،مما كان يضطرهم إلى الالتجاء إلى أماكن أخرى،ومن (المحمه) (مسطرد)[1] الآن واصلت العائلة المقدسة رحلتها إلى (بلبيس)، ويقال إن فى بلبيس شجرة استظلت تحتها العائلة المقدسة عرفت بشجرة السيدة العذراء مريم.. يجلها المسيحيون والمسلمون على حد سواء، ويدفن المسلمون حولها أمواتهم الأعزاء تبركا بهذه الشجرة، ويقال أيضا أن عسكر نابليون بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١) عندما مروا ببلبيس أرادوا أن يقطعوا من هذه الشجرة خشبا يطبخون به طعامهم فلما ضربوها بالفأس أول ضربة بدأت تدمى، فارتعب عسكر نابليون وابتعدوا عن الشجرة ولم يجرءوا على أن يمسوها، ويقوم فى هذا المكان الآن جامع عثمان بن الحارث الأنصارى عند ملتقى شارع الأنصارى بشارع البغدادى فى وسط مدينة بلبيس.

ومن (بلبيس)[2] واصلت العائلة المقدسة سيرها إلى (منية جناح) ومنها إلى (منية سمنود) والتى عرفت قديما باسم (ذئب نثر) أى (هيكل الله) ولقد أقيمت كنيسة (أبنوب) الموجودة الآن على أنقاض كنيسة قديمة كانت تحمل اسم العذراء مريم لأنها أقيمت على نفس البقعة المباركة التى أقامت فيها العائلة المقدسة ومن (سمنود) واصلت العائلة المقدسة سيرها إلى (البرلس) ثم عبروا النيل إلى الجهة الغربية حيث توجد مدينة

---

(١) مسطرد.. قرية قديمة عرفت باسم (منية صرد) ثم حُرِّفَ اسمها فى العصر العثمانى إلى اسمها الحالى وكانت (مسطرد) تضم قصراً فاخراً لزوجة خديوى مصر عباس حلمى الثانى آل فيما بعد للحكومة ثم أصبح مقرا لسلاح المهندسين، ومسطرد من مناطق مصر الصناعية الشهيرة الآن.

(٢) تقع مدينة (بلبيس) جنوب شرقى مدينة (الزقازيق) عثر فيها على أجزاء من أحجار منقوشة يرجع تاريخها إلى عهد الملك (رمسيس الثانى) (الأسرة ١٩) وبها أطلال معبد من أيام الملك (نختنبو الثانى) (الأسرة ٢٠) كان مكرسا لعبادة (باستت) ويعتقد بعض علماء الدراسات المصرية أن اسمها الحالى مشتق من اسم مدينة (بيربست) التى ورد ذكرها فى بردية (هاريس) واتخذ عمرو بن العاص (بلبيس) مقراً حربياً له فى طريق فتحه لمصر ويذكر الواقدى أن (أرمنوسه) ابنة (المقوقس) حاكم مصر كانت فى طريقها إلى قيصرية لتزف إلى (قسطنطين) ابن الامبراطور (هرقل) فلما جاءها نبأ الفتح العربى عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم والحشم والمال، ولما وصلت إلى (بلبيس) وكانت قوات المسلمين قد دخلتها، أمر عمرو بإكرامها وإعادتها إلى أبيها، ولقد أثارت حكاية (أرمنوسة) خيال كتاب الغرب فتناول (القس بوتشر) سيرتها فى روايته التاريخية التى اتخذ لها عنوان (أرمنوسة المصرية) ويقال إن المقوقس قد تأثر لموقف عمرو بن العاص من ابنته (أرمنوسة) التى أعادها إليه مكرمة معززة، فأرسل إليهم القس (أبو مريام) لمفاوضته فذكره عمرو بالسيدة هاجر المصرية التى تزوجها إبراهيم الخليل عليه السلام، والسيدة ماريا القبطية التى تشرفت بالزواج من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وقرأ عليه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما».



(سخا) الآن فى كفر الشيخ، والتى كانت تعرف قديما باسم (سخا أيوس) أو باسم (خاست) ويقال إن بها أثرا قديما عبارة عن حجر من قاعدة عمود وقف عليه السيد المسيح عليه السلام فانطبع أثر قدميه على الحجر فسمى المكان لذلك (بكعب يسوع) ولقد أقيمت فى نفس المكان كنيسة باسم العذراء مريم، وكانت هذه الكنيسة تضم ديراً ظل عامرا بالرهبان حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى عرف بدير (المغطس) ولقد أشار إليه الشيخ «المؤتمن أبو المكارم» فذكر أنه يقع جهة (منية طانة) بالغربية، ثم



واصلت العائلة المقدسة سيرها إلى الغرب فى المنطقة المعـــروفة الآن (بوادى النطرون) التى تضم حتى الآن عدداً كبيراً من الأديرة ، ومن وادى النطرون اتجهت العائلة المقدسة إلى (أون) فى المكان المعروف الآن (بالمطرية) .

وفى هذا المكان استظلت العائلة المقدسة تحت شجرة تعرف حتى اليوم (بشجرة مريم) ويقال إن عين ماء قد تفجرت فى هذا المكان تكريماً للسيد المسيح ، وأن أمه السيدة مريم العذراء قد غسلت به ملابس السيد المسيح ، وبسبب مياه تلك العين المباركة نبتت في هذا المكان نباتات عطرية ذات رائحة جميلة تعرف بالبلسم أو البلسان، وما زال هذا النوع من النباتات العطرية يستخدم فى إنتاج عطور تعرف (بالميرون)، ويستخدم هذا العطر حتى الآن فى الطقوس الدينية فى الكنائس .

ومن المطرية[١] واصلت العائلة المقدسة سيرها إلى المنطقة المعروفة (ببابليون)[٢] والتى تقع فى حى مصر القديمة فى مدينة ـ الفسطاط ـ أولى عواصم مصر الإسلامية، وفى

(١) المطرية .. تقع فى نفس مكان (عين شمس) وتعتبر موقعاً من مواقع السياحة الهامة في مصر ، فيحرص كثير من السياح الأجانب على زيارة شجرة العذراء مريم وعين الماء التي تفجرت تحت أقدام السيد المسيح عليه السلام ، والتي استراحت العائلة المقدسة بجوارها في رحلة قدومها إلى مصر . ومن المعروف أن جماعة من الكاثوليك زرعوا تلك الشجرة سنة (١٦٧٢) مكان شجرة أخرى كانت موجودة حتى سنة (١٤٥٣) ويعتقد بعض الناس أن هذه الشجرة تجلب الحمل، وحين فتح العرب مصر لم يكن باقيا من مجدها القديم إلا الأطلال .. والأسوار المهدمة .. ومسلة تعود إلى عصر الملك «سنوسرت الأول » ومازالت هذه المسلة موجودة في مكانها حتى الآن ، ولقد تم إعادة تخطيط منطقة مسلة المطرية تحت إشراف هيئة الآثار المصرية فى عهد رئاسة الدكتور أحمد قدرى لها وأصبحت الآن أحد المزارات السياحية الشهيرة .

(٢) حصن بابليون .. يقع على بعد خطوات قليلة من جامع عمرو بن العاص في مدينة الفسطاط بمصر القديمة، ولقد أهمل الحصن لسنوات طويلة فتهدمت بناياته وتساقطت أسواره، ولقد بقيت جوانب ثلاثة من الحصن لا يمسها أذى حتى وقت قريب ولم يبق منها إلا أجزاء من جانبين ، أما الجانب الثالث فقد شوّه ومسخ مَسْخًا ، وكانت كل جوانب الحصن مدعمة بالأبراج القوية إلا الجانب الغربى ، فكانت السفن ترسو تحت أسواره ، وظلت مياه نهر النيل تجرى تحت أسوار الحصن حتى الفتح الإسلامى ، وكان أكبر أبواب الحصن بابه المطل على النيل ، وأظهرت الحفريات الحديثة أن أسوار الحصن كانت تعلو بارتفاع ستين قدما ، أما صروح الحصن فكانت أعلى من أسواره ، وكان الصاعد إلى أعلاه يمكنه أن يشاهد بالعين المجردة جبل المقطم في الشرق ، والأهرامات وأطراف الصحراء الغربية من الغرب ، وعلت الأرض حول الحصن بسبب انحسار مياه النيل حتى اختفت نصف أسواره ، وكانت جزيرة الروضة في وقت الفتح الإسلامي جزيرة محصنة منيعة تزيد من قوة حصن بابليون الذى يقع على بعد خطوات منها ، وكان الحصن وقت الفتح الإسلامي يقع وسط مزارع كبيرة عامرة بالحدائق وبساتين الكروم وعدد كبير من الكنائس والأديرة أقيمت على مساحة كبيرة وصلت إلى المكان الذى يقع فيه اليوم جامع أحمد بن طولون بحى السيدة زينب وقلعة الكبش بالمقطم، ومازالت بعض هذه الكنائس والأديرة باقية فى نفس موقعها القديم حتى الآن.. وينتسب حصن بابليون تاريخيا إلى الامبراطور الرومانى تراجان الذى بناه فى العام المتمم للمائة قبل الميلاد، وربما أقيمت بنايات حصون تراجان على أنقاض الحصن القديم الذى بناه الامبراطور الفارسى بختنصر وسماه باسم عاصمة ملكة (بابليون) وذكر (إسترابون) الذى زار مصر قبل عهد (تراجان) بنحو مائة وثلاثين عاما أن اسم حصن بابليون المنيع ينتسب إلى الأسرى البابليين الذين سكنوه ويذكر (تيودور الصقلى) أن فرعون مصر (سيزوستريس) قد سحب جماعة من الأسرى البابليين فى قصر قديم أطلق عليه اسم (مدينة بابل) التى جاءوا منها وربما كان هذا القصر (حصن بابليون).=

بابليون التجأت العائلة المقدسة فى مغارة توجد الآن داخل كنيسة القديس (سرجيوس) التى تعرف باسم كنيسة (أبى سرجه) . التى أعيد بناؤها فى القرن الحادى عشر ، ومازالت الكنيسة محتفظة بشكلها الأصلى تقريباً وبأسفلها كنيسة أنشئت فى نفس المكان الذى لجأت إليه العائلة في زيارتها التاريخية إلى مصر هربا من بطش (هيرودس) وتزخر جدران هذه الكنيسة القديمة بالزخارف البديعة واللوحات والأيقونات النفيسة .

وتعد هذه الكنيسة من أقدم الكنائس التى أقيمت في مصر ، ولقد تهدمت هذه الكنيسة ، فقام بترميمها (ابن السرور يوحنا بن يوسف)[١] فى سنة (١٠٧٣) ميلادية، ولم تمض العائلة المقدسة أكثر من أسبوع في هذه المنطقة بعد أن تسرب خبر عزم حاكم هذه المنطقة الرومانى على قتل الصبي يسوع، ومن (بابليون) سارت العائلة المقدسة إلى مدينة (منف)[٢] ومنها أقلعت إلى الصعيد فى مركب شراعى بالنيل.

= واختلف المؤرخون حول الحصن ، وتاريخه ، وإلى من ينتسب ، فذكر (يوسيفوس) أن الحصن لم يبن إلا فى عهد الملك الفارسي (قمبيز) ، وذكر (ابن البطريق) أن (آخوس) هو الذى بنى الحصن ، ولقد عرف الحصن في زمن الفتح الإسلامي (ببابليون أن خيمي) أى (بابليون مصر) وظل كتاب أوروبا لفترة طويلة يطلقون اسم (بابليون) على مصر ويسمون حاكمها (سلطان بابليون) وظل مقياس النيل بحصن بابليون قائماً حتى أيام (المقريزى) ، وذكر (أميلنو) أنه كان له أسقف حتى زمن الفتح الإسلامى، ولقد تمَّ إعادة ترميم الحصن الآن، وأصبح من أشهر المعالم التاريخية فى مصر.

(١) ابن السرور يوحنا بن يوسف: تولى وظيفة كاتم سر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى الذي حكم مصر في الفترة من (٤٢٧) هجرية (١٠٣٥) ميلادية إلى (٤٨٧) هجرية (١٠٩٤) ميلادية ، ولقد عرف ابن السرور هذا بابن الأبح .

(٢) منف : يرجع المؤرخ الإغريقى (هيرودوت) إنشاء مدينة منف إلى (الملك مينا) مؤسس الأسرة الأولى ، وكانت (منف) تسمى فى باديء الأمر (بمدينة الجدار الأبيض) ثم عرفت في عهد (الملك بيبى الأول) (الأسرة السادسة) باسم (من نفر) التى حرفها الإغريق إلى (ممفيس) وحرفها العرب بعد ذلك إلى (منف) وعرفت (منف) في العصور القديمة بأسماء مختلفة فعرفت باسم (بنيوت) أى المدينة وعرفت باسم (بنيوت تحح) أى (المدينة الأبدية) ، كما عرفت باسم (عنخ تاوى) أي (حياة الأرضين) وكان الغرض من بناء منف فى أول الأمر أن تكون قلعة لمراقبة أهل الدلتا الذين أخضعهم ملك الصعيد ، وظلت (منف) عاصمة لمصر بدءاً من (الأسرة الثالثة) وحتى (الأسرة الثامنة) كما ظلت تتمتع بأهميتها السياسية والإدارية والحربية والدينية لفترة طويلة بالرغم من العواصم الأخرى التى اتخذها الفراعنة عواصم لمصر بدلا من منف ، ولم تفقد أهميتها إلا فى العصرين القبطي والإسلامي . تقع أطلال مدينة منف الآن عند قرية (ميت رهينة) بمركز البدرشين التي تقع على بعد (٢٥) كيلو مترا من مدينة (الجيزة) ولم يبق من آثار منف القديمة سوى تمثال ضخم للملك (رمسيس الثانى) مستقر على ظهره ، وتمثال مرمري لنفس الملك على شكل أبي الهول ، ومقصورة صغيرة للملك (سيتي الأول) أمّا (جبانة منف) المعروفة باسم (سقارة) فهى زاخرة بالمقابر وأشهر آثارها الباقية هرم (زوسر المدرج) أول بناء حجرى فى العالم.



وكان إقلاعهم فى نفس المكان الذى تقع فيه الآن (كنيسة العذراء بالمعادي)[1] ثم استقروا فى مكان يقع شرق (البهنسا) ببنى مزار عرف باسم (أباى إيسوس)[2] ولقد أقيم فى هذه المنطقة التى قضت فيها العائلة المقدسة أربعة أيام كنيسة تخليدا لزيارة العائلة المقدسة لها ، ولقد ذكر القديس (قرياقوس) أن عدد الكنائس التى أقيمت فى هذه المنطقة قد زاد فى القرن الخامس الميلادى إلى أكثر من اثنتى عشرة كنيسة ضمت عدداً من الأديرة بلغ عدد رهبانها عشرة آلاف راهب ، ومن (أباى إيسوس) عبرت العائلة المقدسة إلى شاطيء النيل الشرقي ، وأقاموا فى المنطقة المعروفة (بجبل الطير) التى تقع بالقرب من سمالوط.

ولقد أقامت (الملكة هيلانة) كنيسة فى نفس المكان الذي تشرف بزيارة العائلة المقدسة .

ومن هذه المنطقة واصلت العائلة المقدسة سيرها إلى منطقة (الأشمونيين) بمركز ملوي ، وكانت تعرف قديماً باسم (خمنوا) أى (ثمانية) نسبة إلى الآلهة الثمانية التي كانت تعبد فى هذه المنطقة ، وكان الإله (تحوت) أكبر هذه الآلهة ، وكان يرمز له بطائر (اللقلق) .

من الأشمونين[3] واصلت العائلة المقدسة سيرها إلى مكان كان يعرف باسم (فيليس) ويعرف الآن باسم (ديروط) وتقع على بعد عشرين كيلو مترا جنوب (الأشمونيين)

(١) المعادى: تقع ضاحية المعادي إلى الجنوب من القاهرة على الضفة الشرقية للنيل ، وهي أشبه بلسان ممتد من الصحراء الشرقية نحو وادي النيل يشرف على وادى (دجلة) في الشمال ، ووادي (حوف) فى الجنوب ، وقد عثر في المعادى على بقايا قرية كبيرة ترجع إلى العصر الحجري الحديث ، وفي المعادي تم اكتشاف عدد كبير من الآلات والأدوات البحرية المتقنة الصنع ، وبعض الأدوات النحاسية وأواني فخارية مزخرفة برسوم هندسية جميلة . عاش سكان المعادى قديماً على الزراعة وتربية الحيوانات كالبقر والخنازير والحمير ، واتصلوا بجنوب فلسطين .. وقد استفادوا بموقعهم الجغرافي الممتاز في الحصول على النحاس وجلب الأحجار من الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء .

(٢) إباي ايسوس : ومعناها (بيت يسوع) ولقد أشار إليها القديس (قرياقوس) أسقف (البهنسا) فى كتاباته باللغة القبطية .

(٣) عرفت حكاية نسبت إلى الشيخ المؤتمن أبى المكارم مؤداها أن صخرة كبيرة سقطت فى هذا المكان على العائلة المقدسة فذعرت السيدة مريم العذراء عليها السلام فمدّ السيد المسيح عليه السلام يده ومنع الصخرة من السقوط ، وانطبعت كفه على الصخرة، لذلك عرف (جبل الطير) أيضاً (بجبل الكف).

ذكر المؤرخ (سنوزومينوس) الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس في كتابه (تاريخ الكنيسة) أنه كان فى (الأشمونيين) شجرة لبخ مباركة تسمى (بيرسا) أقامت العائلة المقدسة تحت ظلها ، وظهرت معجزات السيد المسيح عليه السلام في هذه المنطقة فأقام الموتى ، وأخرج الشياطين من كثيرين ، وجعل العرجى يمشون ،والصم يسمعون ، والخرس يتكلمون ، والمرضى يشفون .

على الضفة اليسرى للنيل ، وبعد أن قضت العائلة المقدسة أياماً فى هذا المكان، انتقلت إلى (القوصية) التى كانت تعرف قديماً باسم (قوست) ولم يرحب أهلها بهم وطردوهم فهربت إلى قرية (ميرة) ومن هذا المكان واصلت العائلة المقدسة رحلتها إلى جبل (قسقام) حيث يوجد الآن (دير السيدة العذراء) الشهير (بالدير المحرق) الذى يقع على بعد اثنى عشر كيلو مترا غرب بلدة (القوصية) الحالية بمحافظة (أسيوط) التى تقع علي بعد (٤٨) كيلو مترا شمال مدينة أسيوط ، وفى الجهة الغربية من (دير المحرق) توجد الكنيسة الأثرية التى تعتبر من أقدم كنائس مصر، وهيكل هذه الكنيسة هو نفس المغارة التي سكنتها العائلة المقدسة وأقامت فيها ستة أشهر وعشرة أيام ، وهى أطول مدة أقامتها العائلة المقدسة في رحلة قدومها إلى مصر . وتُجْمع كل المصادر التاريخية والكنسية على أن منطقة (دير المحرق)[1] فى جبل (قسقام) هي آخر مكان في صعيد مصر وصلت إليه العائلة المقدسة فى رحلتها التاريخية إلى مصر ، وفي جبل «قسقام» أوحى للعائلة المقدسة بالعودة إلى فلسطين لأن (هيرودس الملك) قد مات .

« فلما مات هيرودس إذا بملاك الرب يظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا : قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض فلسطين فقد مات الذين كانوا يبتغون قتل الصبى » .

إنجيل متى (٢ : ١٩ - ٢١)

استمرت رحلة العائلة المقدسة فى مصر حوالي أربع سنوات ، بدأت بالسنة الثانية الميلادية وانتهت بالسنة السادسة الميلادية ، وهى السنة التى مات فيها (هيرودس الملك) وتولى بدلاً منه (أرخيلاوس) .

ولم يكن هناك داع في عودة العائلة المقدسة أن تسلك نفس الأماكن والطرق التي سارت فيها في رحلة قدومها إلى مصر ، وقيل إنها مرت في طريق خروجها من مصر بجبل أسيوط ، وفي المنطقة المعروفة بجبل (درنكة) بالتحديد أقيم دير باسم السيدة العذراء تكريماً لزيارة العائلة المقدسة لهذا المكان ومرت رحلة العودة على بابليون ومسطرد وبلبيس ولم يستدع الأمر أن تدخل الدلتا إلى (سمنود) أو أن تتجه غرباً إلى

(١) أشار المؤرخ (المقريزى) إلى (الدير المحرق) في كتاباته فقال : تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام في موضعه ستة أشهر وأياماً .





ايقون توضح السيدة
العذراء وطفلها
ومواقف من الحياتهم

(سخا) أو تنزل جنوباً إلى (وادى النطرون) ومن المحتمل أن رحلة العودة قد سلكت طريق (بلبيس) مباشرة إلى (الفرما) و(العريش) و (رفح) .

ولقد رأت العناية الإلهية أن ينجو (يسوع المسيح) من بطش (هيرودس الملك) ليؤدي رسالته التي خصه الله بها ، ويحذّر عباد الله من تحريف اليهود لوصاياه ، وليبلغهم أن المقصود بتعبير (شعب الله المختار) المؤمنون برسالته في كل مكان وليس اليهود فقط كما يدعي المتعصبون فى إسرائيل ، وانتظاراً للأمر الإلهى بتبليغ رسالته ، ولحكمة إلهية زار السيد المسيح عليه السلام مصر ، فبارك أرضها التي كرمتها السماء[١]، وشرفتها خطوات الأنبياء .

وتذكر المصادر التاريخية والكنسية أن رحلة عودة العائلة المقدسة من مصر إلى فلسطين العربية ، بدأت من (جبل قسقام) في أسيوط (يوم ٦ بابه) وكل الأماكن التى مرت فيها العائلة المقدسة في رحلة قدومها وخروجها من مصر مسجلة في وثائق تاريخية ثابتة التاريخ ، ومترجمة إلى معظم اللغات الحية ، وأشهرها ترجمة (كراميروفيت) الفرنسية .

(١) على ضفاف النيل وبجوار كنيسة العذراء مريم بالمعادي ، وجد الكتاب المقدس مفتوحاً على الآية التي تقول : «مبارك شعبى مصر » .

رفح :

تقع على طريق حورس الحربى القديم الذى عبرته كل الغزوات المتجهة من وإلى وادي النيل ، ومدينة رفح التى تقع على بعد (٢٨) ميلا من مدينة العريش ، وخمسة أميال فقط من مدينة (خان يونس) في قطاع غزة .

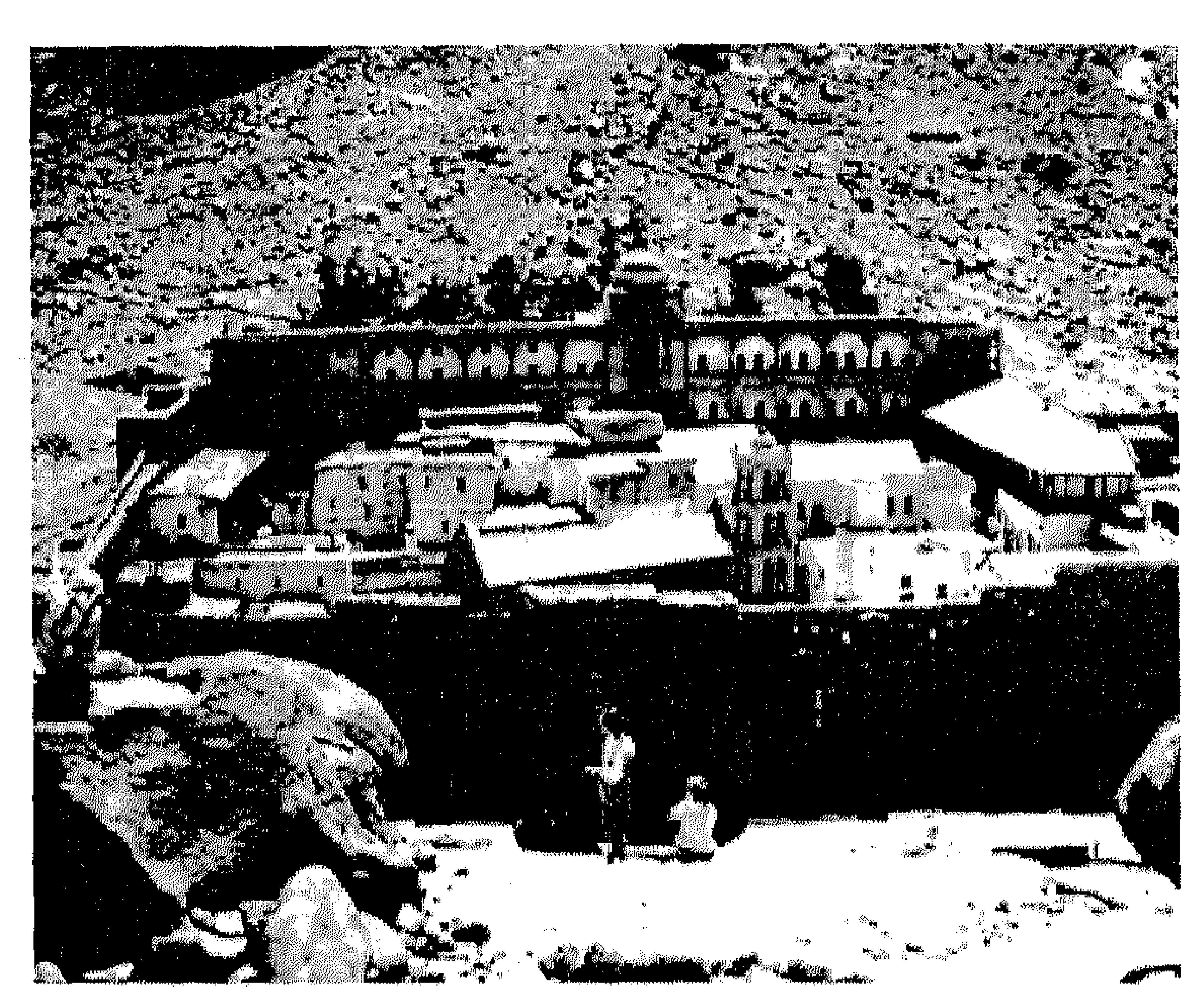
مدينة قديمة أقيمت على أنقاض مدينة (رافيا) التاريخية ومن اسم هذه المدينة القديمة اتخذت اسمها الحالي ، ذكرها المؤرخ (يوسيفوس) باعتبارها أول موقع يستريح فيه الامبراطور الروماني (تيتوس) وهو في طريقه لفتح القدس سنة (٧٠م) وكانت (رفح) على مر العصور الحد الجغرافي والسياسي بين (مصر) و (الشام) ، وفى (رفح) انتصر ملك مصر (بطليموس الرابع) على (أنطيوخوس الكبير) ملك سوريا سنة (٢١٧) ق.م، وفيها أيضاً انتصر (سرجون) (ملك آشور) على (سياقون) ملك مصر في أوائل القرن (٨) ق. م ، ولقد وصفها الرحالة (المهلبى) عندما زارها سنة (٥٧٥) هـ (١١٧٩) م فقال :

إنها مدينة عامرة بالأسواق والجوامع والفنادق ، وإن أغلبية أهلها من قبائل (لخم) و (جذام) وعلى طول طريق (رفح - غزة) يصطف شجر الجميز على جانبى الطريق يمينا وشمالاً فى منظر رائع ، وعلى بعد نحو (٣٦٠) متراً إلى الجنوب الغربى من (بئر رفح) شجرة سدر كبيرة على جانبيها عمودان من الجرانيت الأسمر عرفا بعمودى الحدود ، وطول كل منهما سبعة أقدام، ومحيطه نحو ثلاثة أقدام، ولما زار خديوى مصر رفح سنة (١٨٩٨) نقش تاريخ زيارته على العمود ، وأمر ببناء كوخ تلغراف فى رفح بنته مصلحة التلغراف المصرية لمفتشي الحدود .

العريش :

عاصمة محافظة شمال سيناء ، وتمتاز بموقعها الفريد على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وشواطئها الجميلة التى تظللها أشجار النخيل الباسقة ، وزائر العريش أمامه أكثر من فرصة سياحية فبالإضافة إلى شواطىء العريش الساحرة توجد قلعة العريش القديمة





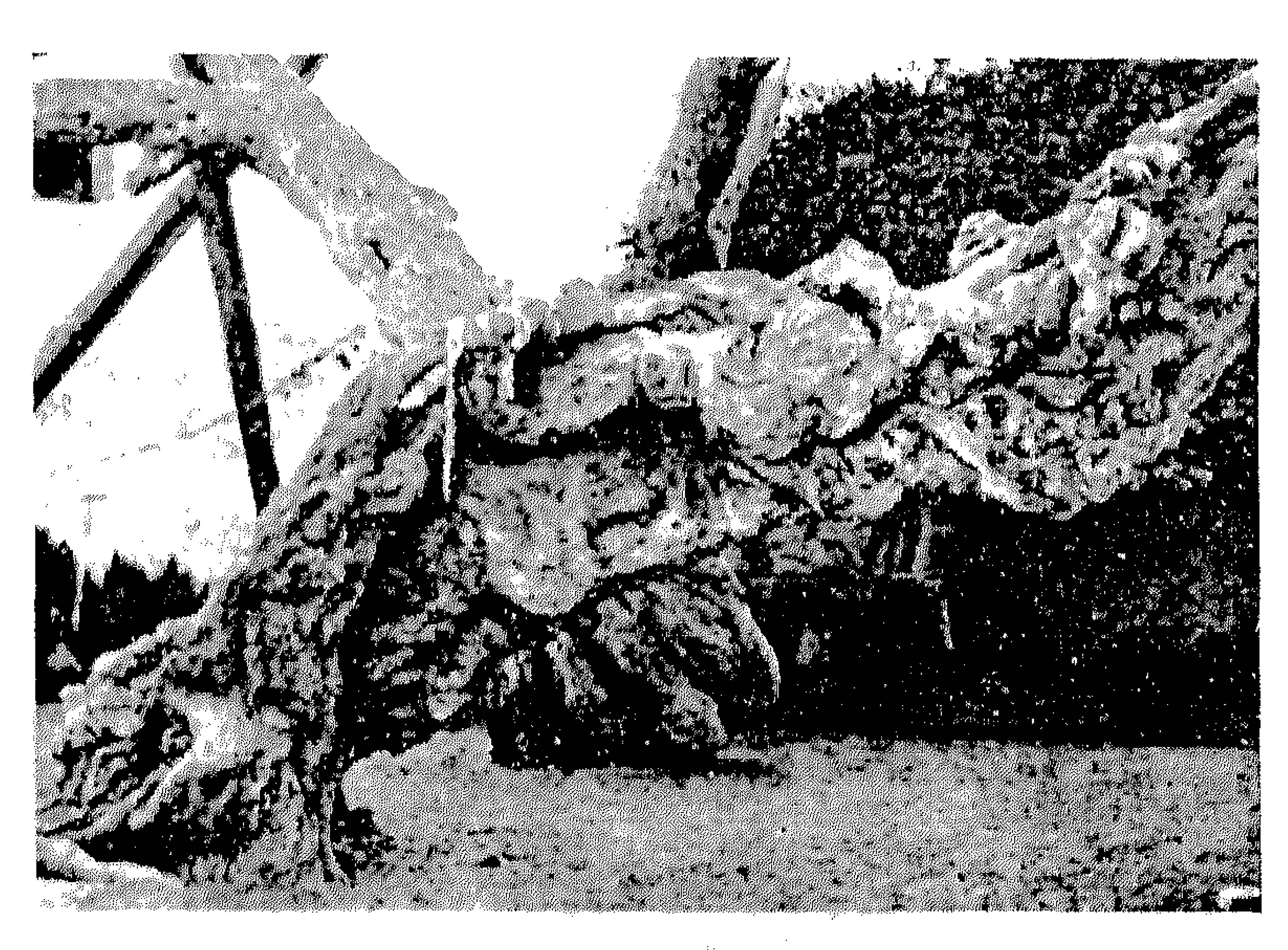
دير سانت كاترين

المعروفة بقلعة (سليمان القانوني) التي أقيمت على أنقاض حصن حربي قديم سنة (١٥٦٠) ميلادية لتأمين حركة التجارة بين مصر والشام ، وعلى مشارف العريش يوجد حي (المساعيد) الذى أقيم على مساحة (١٨٥) فداناً ، ويرتبط هذا الحى بأطيب ذكريات الفتح الإسلامى لمصر ، وعلى شاطىء هذا الحي بَشَّر عمرو بن العاص قواته المعسكرة بقوله (المسا - عيد) وإلى هذه التسمية ينتسب اسم المساعيد الحالي .

الفرما :

الاسم العربي لمدينة قديمة سمّاها الإغريق (بلوزيوم) وكانت هذه المدينة كما ذكر (إسترابون) تقع على فرع النيل البيلوزي على مسافة (٤) ك . م من البحر ، حيث توجد الآن قرية (تل الفرما) التي لم يعد النيل يصل إليها ، وكانت هذه المدينة أهم قلعة للدفاع عن الدلتا من الناحية الشرقية ، ولقد استولى عليها من غزاة مصر في العصر اليوناني الروماني الإسكندر الأكبر المقدوني سنة (٣٣٢) ق. م و(أنطيوخوس الرابع) سنة (١٧٠) ق . م ، (وجابينبوس) سنة (٥٥) ق، م و(إكتافيموس) سنة (٣٠) ق . م.

واشتهرت الفرما بمكانتها ، فكانت مركزاً تجارياً هاماً فى العصر اليونانى الرومانى ، إذ أنها لم تكن أكبر ثغر فى شرق الدلتا فحسب ، بل كانت أيضاً تقع على الطريق



شجرة السيدة
العذراء

البرى الساحلى بين مصر وسوريا ، وعلى قمة حد الطرق البرية التي تربط البحرين المتوسط والأحمر ، وتشير الوثائق البردية إلى عمرانها ، ونشاط جماركها في القرن (٣) ق. م ، وإلى أسواقها التي تبيع منتجات (سوريا) ويبدو أن الفرما قد بلغت في العصر الرومانى درجة كبيرة من الأهمية إلى حد أنها كانت تعتبر إمّا مديرية ، وإمّا مدينة كبيرة كالإسكندرية .

عرفت مدينة الفرما قديما باسم (بيلوز) وفى العصر القبطى باسم (برمون) وأطلق العرب عليها اسمها الحالي (الفرما) .

أقيمت الفرما القديمة على ارتفاع من الأرض على نحو ميل ونصف من البحر الأبيض المتوسط ، وكان لها مرفأ متصل بالمدينة بخليج يجرى من البحر وكان فرع النيل (البيلوزى) يهوى إلى البحر بقربها ، وكانت الفرما مدينة قوية الحصون فيها كثير من آثار المصريين القدماء ، كما كان بها عدد من الكنائس والأديرة ، وكانت بحق مفتاح مصر من الشرق تشرف على الطريق القادم من الصحراء ، وتملك ناصية البحر ، ويجري إليها فرع من النيل يؤدى إلى مصر السفلى ، ويوجد الآن فى الفرما تلال حمراء يمكن مشاهدتها عن بعد من قناة السويس وتوجد بالفرما الآن أطلال أبنية قديمة يقال إنها من العصر الرومانى ، وكانت الفرما أول مرقع يقاتل فيه عمرو وجنوده قتالاً شديداً استمر لنحو شهر .



تل بسطة - الشرقية :

تقع بجوار مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية ، عرفت قديما باسم (بُوباستس) واسمها الحالي مشتق من اسمها القديم (برباستت) المُنتسب إلى معبودة المدينة (باستت) وما زالت أطلالها تغطى مساحة كبيرة ، ولو أن أجزاء كبيرة منها ضمت الآن إلى مدينة الزقازيق ، وأقيمت عليها المرافق والمنازل والشوارع ، وذكر (مانيتون) أن اسم هذه المدينة ذكر في الوثائق القديمة منذ أيام الأسرة (٢) وعثر في خزائنها على أحجار من معابد ملوك الأسرة (٤) وعلى آثار أخرى من الدولة الوسطى ، وعصر الهكسوس ، والدولة الحديثة الأسرة (١٩) وبلغت تل بسطة أوج عظمتها فى الأسرة (٢٢) سنة (٩٥٠ ق. م) وما زلنا نرى فى أطلالها بقايا البهو الجرانيتي الكبير الذي أقامه الملك (أوسركون الثانى) زار هيرودوت (تل بسطة) في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ووصف معبدها وما كان يقام فيه من احتفالات وعثر في خرائب (تل بسطة) أيضا على تماثيل من النحاس والبرونز (لباستت) التي كانوا يرمزون لها بالقطة .

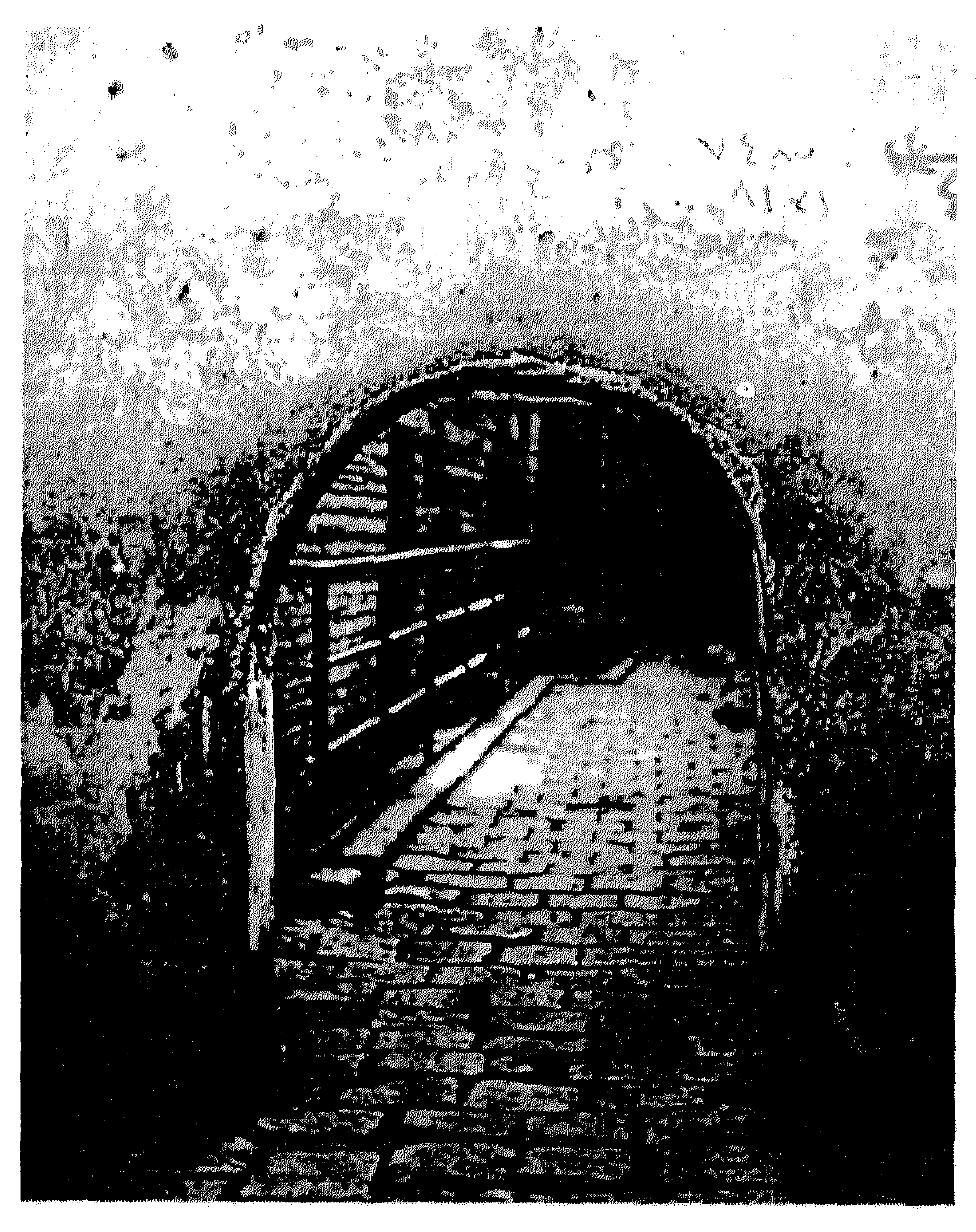
مُسطرُدْ - القاهرة

قرية قديمة عُرفت باسم (منية صرد) ثم حُرِّف اسمها في العصر العثماني إلى اسمها الحالي ، وكانت مسطرد تضم قصراً فاخراً لزوجة خديوي مصر عباس الثاني . آل فيما بعد للحكومة ، ثم أصبح مقراً لمدرسة سلاح المهندسين ، ومسطرد الآن منطقة صناعية من الدرجة الأولى .

المطرية :

تقع في نفس مكان (عين شمس) وتعتبر موقعاً من مواقع السياحة الهامة فى مصر، فيحرص كثير من السائحين الأجانب على زيارة شجرة العذراء مريم ، والعين التي استراحت العائلة المقدسة بجوارها فى رحلة قدومها إلى مصر .

ومن المعروف أن جماعة من الكاثوليك زرعوا تلك الشجرة سنة (١٦٧٢) مكان شجرة أخرى كانت موجودة حتى سنة (١٤٥٣) ،ويعتقد العوام أن هذه الشجرة تجلب الحمل ، ويعتقد أنها إحدى الأماكن التي استراحت تحت ظلها العائلة المقدسة ، وحين دخلها العرب لم يكن باقيا من مجدها القديم إلا أطلال أسوار مهدمة ، ومسلة تعود إلى



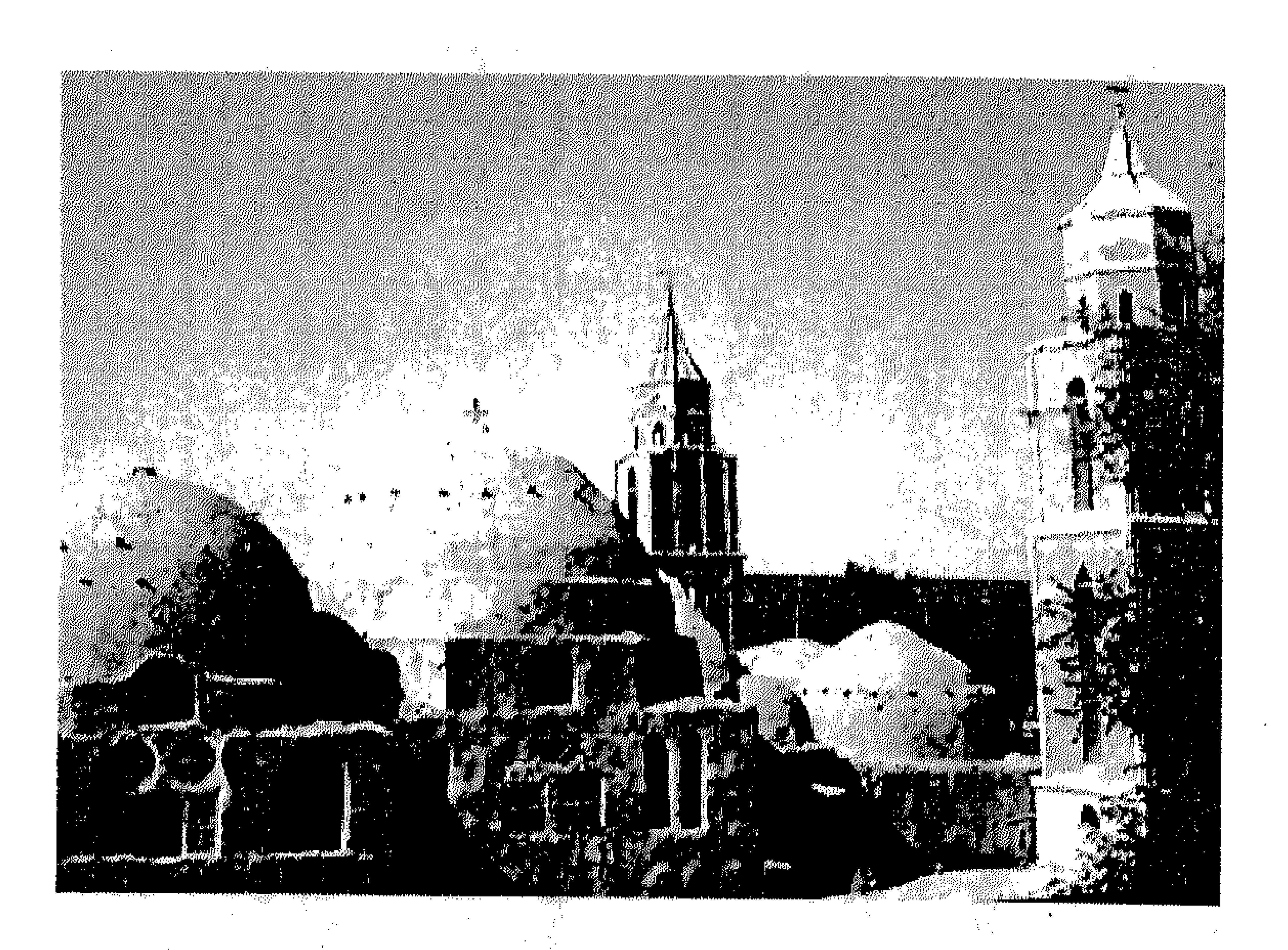
حصن بابليون

عصر الملك سنوسرت الأول ، وما زالت موجودة فى نفس مكانها القديم حتى الآن ، وأعيد تخطيط منطقة مسلة المطرية الآن وإعدادها للزيارة .

حصن بابليون - بمصر القديمة - :

بناه الامبراطور الروماني (تراجان) فى العام المتمم للمائة من الميلاد ، وقيل إن أصل ذلك الحصن كان بناء أقامه الملك (بختنصر) الفارسي وسماه باسم عاصمة ملكه (بابليون) ، وأقام تراجان الحصن على أساسه وزاد في بنائه ، وكان به مقياس للنيل بقيت آثاره حتى أيام المقريزى، أسقط العرب الحصن بعد معارك مريرة في (٩) أبريل سنة (٦٤١) ميلادية .





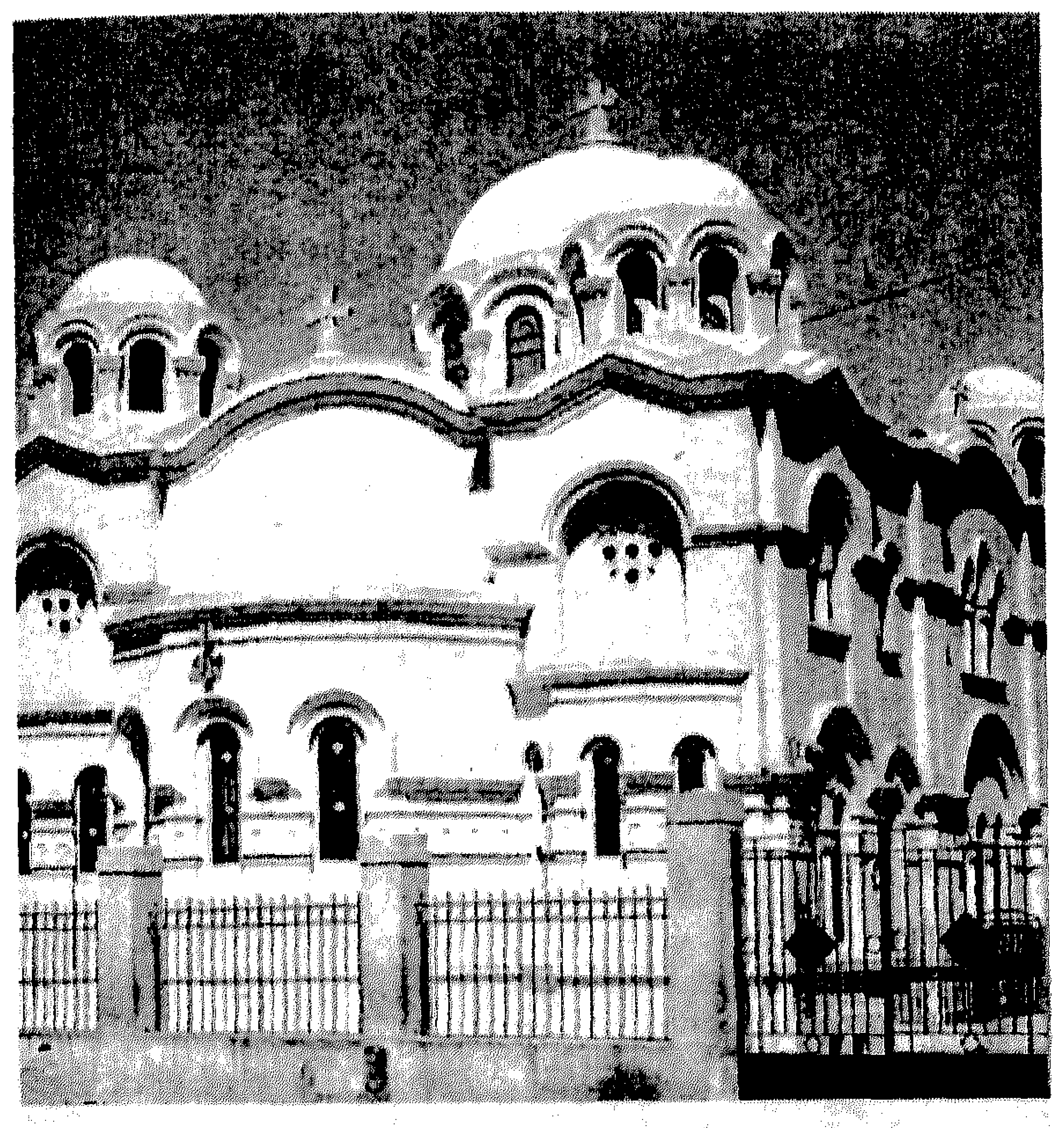
كنيسة وادى النطرون

سخا - كفر الشيخ - :

تقع بلدة سخا الحالية بمحافظة كفر الشيخ بشمال الدلتا ، وذكر (مانيتون) أنها كانت عاصمة لملوك الأسرة (١٤) ، وهي الأسرة السابقة لاحتلال الهكسوس لمصر ، وقد ازدهرت هذه المدينة في العصر (اليونانى - الرومانى) وأطلق عليها الإغريق اسم (اكسويس) ولم يعثر في المدينة على آثار تذكر من العصر الفرعونى، بسبب الاضطراب والفوضى الذى حَلَّ بالمدينة فى عصر الأسرة (١٤) ولكن عثر بها على مقتنيات تعود إلى العصر اليونانى الرومانى، ويحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بحُليٍّ وعُقُود وعُملات بطلمية ، وتماثيل معدنية أجملها تمثال الإله (أبولّلو الطفل) الذى يرجع تاريخه إلى القرن الأول والثاني قبل الميلاد .

وادى النطرون :

يقع فى منتصف المسافة بين القاهرة والإسكندرية على الطريق الصحراوي ، وكان هذا الوادي ملاذا لرجال الدين المسيحي في مصر وخصوصا فى فترة حكم البطريق الرومى (قيرس) المعروف فى التاريخ (بالمقوقس) الذى نَكَّل بأقباط مصر وسامهم سوء العذاب ، فهرب عدد كبير من قساوسة ورُهبان مصر إلى وادى النطرون ، تلبية لدعوة الأنبا (بنيامين) كبير بطارقة مصر فى هذا الوقت ، ويضم وادي النطرون عدداً كبيراً من الأديرة الهامة أشهرها (دير أبو مقار) الذى أقيم في عهد القديس (مكاريوس)



كنيسة العذراء
مريم بالزيتون

(الشـهير بأبى مـقّار) الذى ولد سنة (٣٠٠) ميلادية وعاش في القرن (٤) الميلادى ، ويعد مؤسس الرهبنة في وادي النطرون ، ويعتبر دير (أبو مقار) من أهم أديرة مصر ، ولقد تَمَّ إعادة بنائه فى أزمنة مختلفة ، وجرت العادة على أن المنتخب للبطريركية يتوجه فوراً بعد تكريسه إلى هذا الدير لإتمام الرسالة ، وظلت هذه العادة متبعة زمناً طويلاً ، ويقع هذا الدير جنوب غرب دير أنبا بيشوي ، ويضم دير أبى مقّار سبع كنائس ومكتبة بها عدد كبير من المخطوطات النادرة ، ومن أديرة وادي النطرون الهامة أيضاً (دير السيدة العذراء) الشهير (بدير السُّرْيان) ودير (الأنبا شنودة) .

هليوبوليس - عين شمس - :

كانت هليوبوليس (أون) القديمة إحدى مدن مصر الكبرى ، وتردد اسم (أون) كثيراً فى قصص موسى عليه السلام ، وظل هذا الاسم باقياً يُطلقُه القبط عليها حتى القرن (٧) وترجمة هذا الاسم الإغريقى بالعربية (مدينة الشمس) واحتفظ العرب بعد



الفتح الإسلامى بهذا المعنى ، فأطلقوا على هليوبوليس اسم (عين شمس) وهو الاسم المعروف حتى الآن ، وكانت (عين شمس) معروفة بعظمة آثارها ، وبأنها قبلة لأهل العلم وكعبة للدين ، ويعتقد أن أفلاطون تلقى العلم والفلسفة فى (جامعة أون) أول جامعة فى التاريخ .

البهنسا :

ذكر الإدريسى البهنسا فقال : البهنساوية عامرة بالناس ، جامعة لأمم شتى ، وهى تقع على الضفة الغربية لبحر يوسف ، ويجمع أقباط مصر وبعض المفسرين على زيارة العائلة المقدسة لها في رحلة قدومها إلى مصر ، وأن البهنسا هي الربوة التى ذُكرت في القرآن الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1] صدق الله العظيم

ويكفى البهنسا شرفاً أن سبعين ممن حضروا (بدرا) مع رسول الله ﷺ قاتلوا فيها ، وأن رمال صحرائها روتها دماء الشهداء ممن باعوا لله أنفسهم فى أشرف ميدان.ومن أشهر مزارات البهنسا الإسلامية (مسجد الحسن بن صالح بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين) وهو المسجد الوحيد فى مصر الذى له قبلتان ، فعندما أتى الشيعة فى العصر الفاطمى أقاموا لهم قبلة غير قبلة المسجد ، ومسجد وضريح سيدى فتح الباب، وأغلب الظن أن أهالى البهنسا قد منحوا شيخ هذا الضريح هذا الاسم بعد أن شاع عنه أنه أول من تسلق السور الضخم الذي كان يحيط بالمدينة وفتح فيه ثغرة تدفق منها الجيش الإسلامى فقضى على الروم.

احتلت البهنسا أهمية تاريخية كبرى، فقد وجد فيها نماذج فريدة من الأدب والشعر اليونانى والرومانى وأجزاء كاملة من أقدم مخطوط لإنجيل القديس يوحنا ، والنصوص الخاصة بالديانات اليونانية، ومؤلفات السحر ومراسم القوانين التى صدرت فى العصر اليونانى الرومانى، وكشفت أوراق البردى الظلم الذى لحق بأقباط مصر فى العصر الرومانى، وفى البهنسا تم اكتشاف عملات ترجع إلى العصر الفاطمى أيام الحاكم بأمر الله.

(١) سورة المؤمنون : الآية (٥٠) .

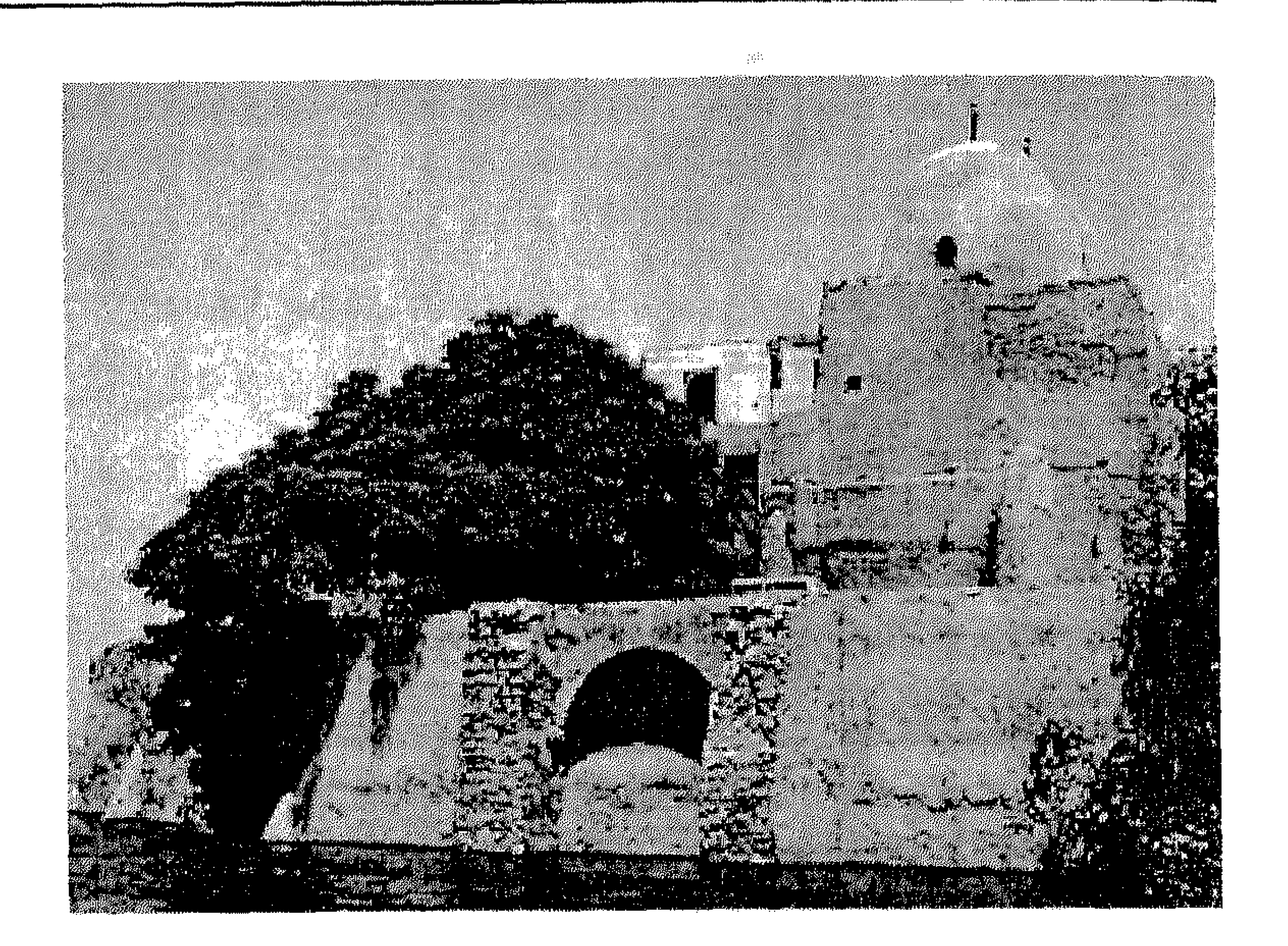
والبهنسا مزار إسلامى شهير فى المنيا يقع فى دائرة مركز بنى مزار، وكانت البهنسا مركزاً لإبراشية هامة بها العديد من الكنائس والأديرة وآلاف الرهبان والراهبات ويقال إن اسم البهنسا تحريف لاسم (بهاء النساء) بنت حاكم البلدة عند الفتح الإسلامى، وكانت البهنسا فى العصر الفرعونى عاصمة المقاطعة (١٧) التى يرمز لها بابن آوى وكانت المنيا فى العصر الإسلامى تتكون من ثلاث ولايات كبيرة ـ البهنسا وطحا والأشمونيين ـ وكانت ولاية البهنسا تضم (٢٠) قرية وفى سنة (٨٣٠) اختفى اسم (البهنساوية) وأصبحت (البهنسا) قرية تابعة (لصدْفَا الفَارْ).

منَف:

يرجع المؤرخ الإغريقى هيرودوت إنشاء مدينة (منف) إلى الملك (مينا) مؤسس الأسرة الأولى، وكانت (منف) تسمى فى بادئ الأمر بمدينة (الجدار الأبيض) ثم عرفت فى عهد الملك (بيبى الأول) (الأسرة ٦) (بمن ـ نفر) التى حَرَّفها الإغريق إلى (ممفيس) وحرّفها العرب إلى (منف) وعرفت (منف) فى العصور التاريخية بأسماء عديدة، فعرفت (بنيوت) أى (المدينة) وعرفت (بنيوت نحح) أى (المدينة الأبدية) كما عرفت (بعَنْخ تَاوى) أى (حياة الأرضين) كان الغرض من بناء (منف) فى أول الأمر أن تكون قلعة لمراقبة أهل الدلتا الذين أخضعهم ملك الصعيد، وقد استطاع ملوك العصر العتيق بفضل موقع منف الإشراف على الوجهين البحرى والقبلى، وظلت (منف) عاصمة لمصر بدءا من الأسرة (٣) وحتى الأسرة (٨) وظلت (منف) فترة تاريخية كبيرة بالرغم من العواصم الأخرى التى اتخذها الفراعنة لمصر تتمتع بأهميتها السياسية والإدارية والحربية والدينية، ولم تفقد أهميتها إلاَّ فى العصرين المسيحى والإسلامى.

وتقع أطلال (منف) عند قرية (ميت رهينة) بمركز البدرشين التى تقع على بعد ٢٥ كيلو متراً من مدينة الجيزة، ولم يبق من آثار (منف) القديمة سوى تمثال ضخم (الرمسيس الثانى) مستقر على ظهره، وتمثال مرمرى له على شكل أبى الهول، ومقصورة صغيرة للملك (سيتى الأول) أما جبانة (منف) المعروفة باسم (سقارة) فهى زاخرة بالمقابر وأشهر آثارها الباقية هرم زوسر المدرج أول بناء حجرى فى العالم.





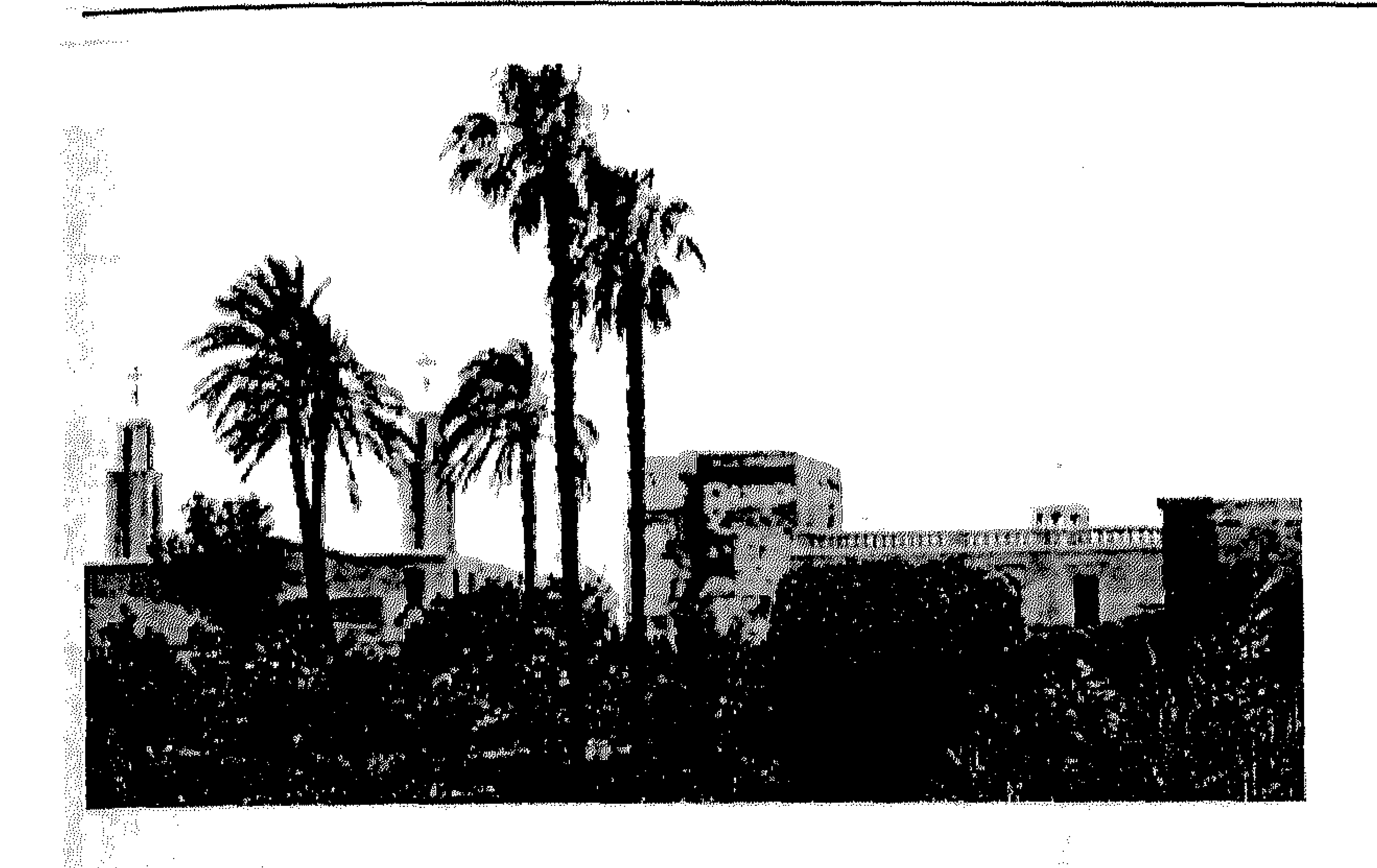
كنيسة المعادى

المعادى:

تقع ضاحية المعادى إلى الجنوب من القاهرة،على الضفة الشرقية للنيل، وهى أشبه بلسان يمتد من الصحراء الشرقية إلى وادى النيل يشرف على وادى دجلة فى الشمال، ووادى حوف فى الجنوب، وقد عثر فى المعادى على بقايا قرية كبيرة ترجع إلى العصر الحجرى الحديث، وفى المعادى تَمَّ اكتشاف عدد كبير من الآلات والأدوات الحجرية المُتْقنة الصُّنع وبعض الأدوات النحاسية، وأوان فخارية مزخرفة برسوم هندسية ورسوم بسيطة، عاش سكان المعادى قديماً على الزراعة، وتربية الحيوانات والبقر والخنازير والحمير واتصلوا بجنوب فلسطين، وقد استفادوا من موقعهم الجغرافى الممتاز فى الحصول على النحاس، وجلب الأحجار من الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء.

الأشمونين:

تقع (الأشمونين) على الضفة الغربية للنيل على بعد (٨) كيلو مترات من مدينة (ملوى) جنوبى مدينة (المنيا) ولقد أطلق الرومان عليها اسم (هرموبوليس العظيمة) وتضم الأشمونين عددا من الآثار الهامة منها بقايا معابد وتماثيل يرجع تاريخها إلى الأسرة (١٩) وتمتد حتى العصر المسيحى، ومن أشهر آثار الأشمونين الأعمدة الجرانيتية الوردية الرائعة التى يعتقد البعض أنها بقايا سوق لمدينة فى العصر اليونانى، ويعتقد بعض آخر أنها بقايا كنيسة كبيرة من أوائل العصر المسيحى.



كنيسة المحرق
بأسيوط

أسيوط:

كبرى مدن الوجه القبلي، عرفت أيام الفراعنة (بساووت) ومعناها بالعربية (الحارسة) وسماها اليونانيون (ليكونيوليس) أى (مدينة الذئب) لأنه كان الحيوان المقدس فيها، وكانت أسيوط منذ أقدم العصور عاصمة للإقليم (١٣) من أقاليم الوجه القبلي.

نشأت أسيوط على رأس درب القوافل الذى يربط النيل بواحة الخارجة ثم (دارفور) فى غربى السودان، وكان هذا الدرب الشريان التجارى الرئيسى لتجارة أفريقيا مع وادى النيل، ولعبت أسيوط دورا هاما فى الحرب التى قامت بين ملوك (أهناسيا) وأمراء (طيبة) وما زالت مقابر أمراء أسيوط موجودة حتى الآن فى صخر الجبل خلف المدينة، وأشهر هذه المقابر مقبرتا (خيتى) و (تف ـ اب) ومقبرة (زفا ـ حابى) ولقد اكتشف فى سفح الجبل بأسيوط عدد من التوابيت الخشبية المزينة برسوم وكتابات من فصول (نصوص التوابيت).

وكان معبود أسيوط الرئيسى هو الإله (ويواوت)أى (فاتح الطريق) وكان يرمز له (بابن آوى) كما كانت لعبادة (أوزيريس) فى أسيوط مكانة كبرى، وعثر فى أسيوط على أطلال عدة معابد أشهرها بقايا معبد من عهد الملك (اخناتون) واحتفظت أسيوط بأهميتها أيام البطالمة والرومان وفى القرون الوسطى، ومن أشهر المزارات الدينية المسيحية فى أسيوط الدير المحرق الذى يقع فى جبل (قسقام) فى سفح الجبل الغربى لبلدة (صنبو) وتبلغ مساحة الدير حوالى (٩) أفدنة ولقد أنشىء فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى، وبه قلاّيات كثيرة للرهبان وأربع كنائس.

كنيسة أبى سرجة ـ مصر القديمة

تنتسب إلى (سرجيون وواخس) اللذين استشهدا فى أوائل القرن الرابع الميلادى.

بنيت الكنيسة فى أوائل القرن الخامس الميلادى (أوائل العصر الإسلامى) فوق المغارة التى أقامت فيها العائلة المقدسة فى وسط حصن بابليون.

تزينت جدران الكنيسة بعدد من الأيقونات النادرة التى لا تقدر بمال.

مَذْبَح الكنيسة المصنوع من خشب الجوز، والذى يُعتبر من روائع فن النجارة معروض الآن بالمتحف القبطى بالقاهرة.

تعتبر مغارة الكنيسة وبئرها مقصد الكثير من الزوار.

الكنيسة المعلقة ـ مصر القديمة

بنيت فى القرن الخامس الميلادى على الطراز البازيليكى فوق الباب الجنوبى لحصن بابليون، ولهذا سميت بالكنيسة المعلقة.

من مقتنيات الكنيسة الهامة عدد من الأيقونات الرائعة، يرجع بعضها إلى العصور المسيحية الأولى.

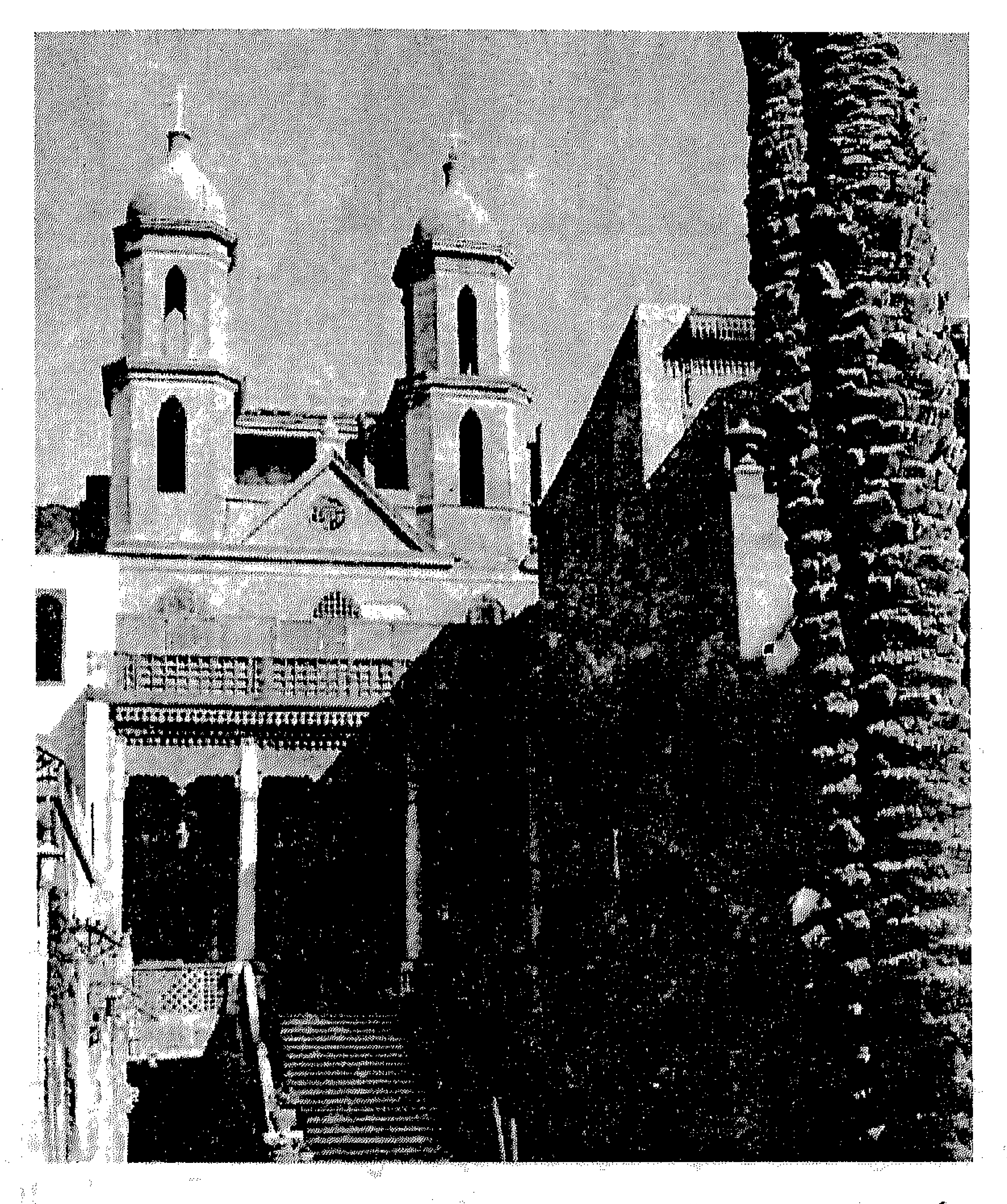
تضم الكنيسة فناءً خارجياً تتناثر فيه أشجار النخيل العتيقة التى كانت ثمارها غذاء للعائلة المقدسة عندما حضرت إلى هذا المكان.

من آثار الكنيسة الفنية الفريدة النقش الخشبى البارز الذى يصور دخول السيد المسيح مدينة القدس. (معروضة الآن فى المتحف القبطى)

كنيسة السيدة العذراء ـ مصر القديمة :

بنيت فى القرن الثامن الميلادى، وتشتهر باسم (قصرية





الكنيسة المعلقة

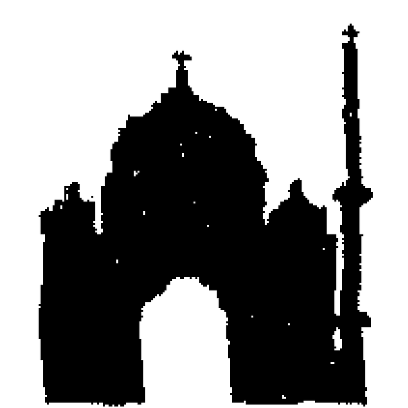
الريحان)، وتقع داخل أسوار حصن بابليون.

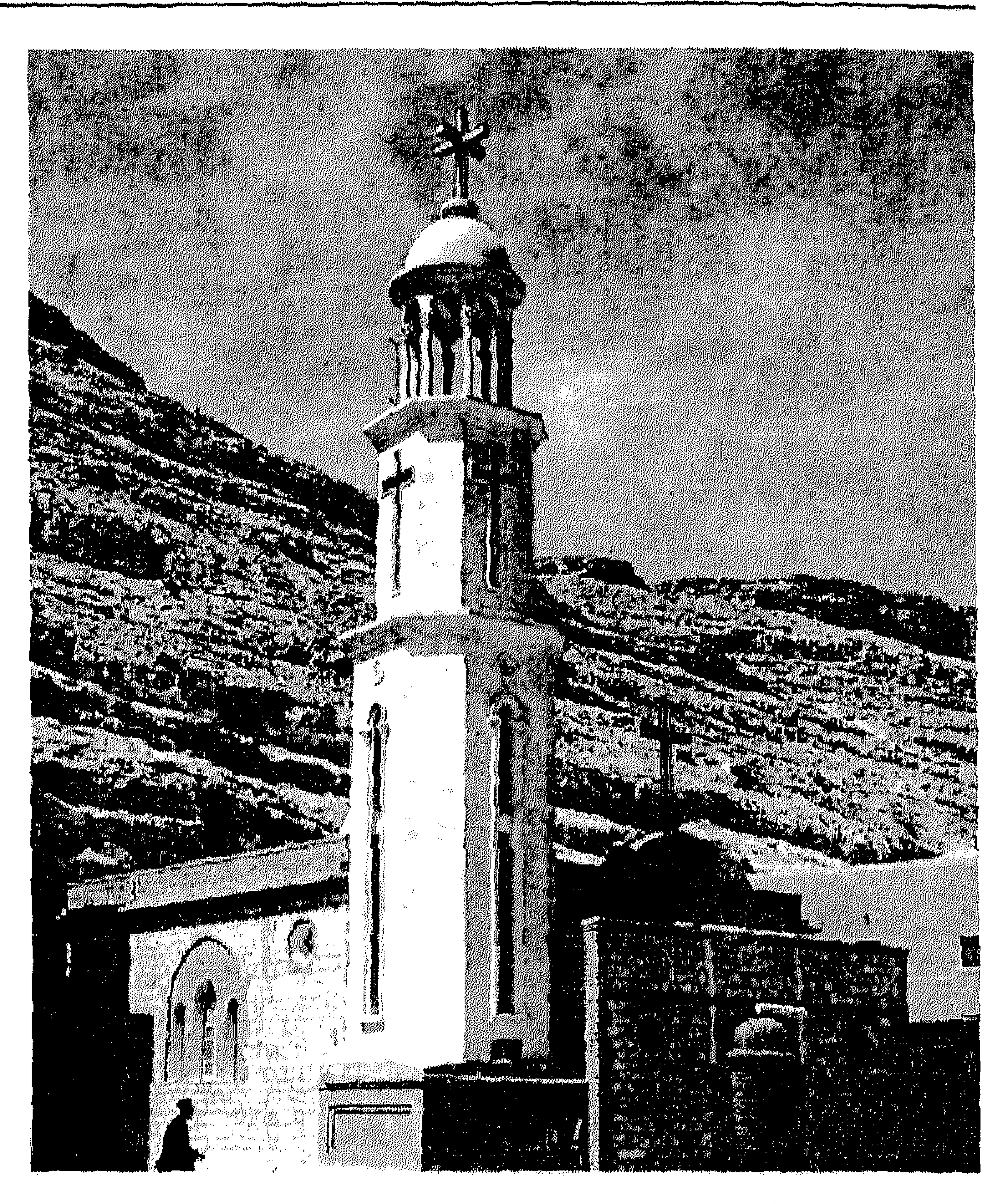
تضم الكنيسة بعض الأيقونات الثمينة.

يتميز البناء المعماري لهذه الكنيسة بطابع خاص، ولو أنها أقيمت على النمط البازيليكي نمط هذا العصر.

دير أبو حنس ـ أسيوط:

يقع على الضفة الشرقية للنيل بقرية أبو حنّس، وهو الدير الوحيد الذى يقع على الضفة الشرقية للنيل، فجميع أديرة الوجه القبلى تقع على الضفة الغربية للنيل، ولم يبق بالدير بحالة جيدة إلا الكنيسة التى أنشئت على النظام البازيليكى فى القرن الخامس الميلادى.





كنيسة العذراء
بأسيوط

دير السيدة العذراء

الشهير بالدير المحرق ـ أسيوط:

يقع عند بلدة ترالى بأسيوط أنشىء فى القرن الرابع الميلادى فى نفس المكان الذى أقامت فيه العائلة المقدسة.

لهذا الدير مكانة كبيرة عند المسيحيين فى العالم كله، وبصفة خاصة عند ـ الأثيوبيين ـ الذين يعتبرون زيارته واجباً دينياً مقدساً متمماً لزيارة بيت المقدس.

الدير الأحمر ـ سوهاج:

يقع هذا الدير بمدينة أخميم بسوهاج، وسمى هذا الدير بهذا الاسم، لأنه فى منطقة ينمو فيها نبات (السلجم) ذو العصارة الحمراء الداكنة التى تستخدم فى صباغة الحرير باللون القرمزى، الذى اقتصر ارتداؤه على الملوك والأباطرة فى العصر الرومانى.

دير الشهداء ـ إسنا:

يقع على بعد (٥) كيلو مترات من إسنا مبنى بالطوب الأحمر، وله عدد من القباب الضخمة.

دير الأنبا للمئان ـ أسوان:

من الآثار القبطية الهامة، ويطلق عليه أهل أسوان اسم (دير الأنباهورا) نسبة إلى رئيس الرهبان الذى عاش فى القرن الخامس الميلادى.

يقع الدير على تل مرتفع فى مواجهة ـ جزيرة الفتين

دير القديس أنطونيوس ـ البحر الأحمر.

أقامه القديس أنطونيوس فى أوائل القرن الرابع الميلادى.

يضم الدير سبع كنائس وعدة مبان، ومساحته لا تقل عن عشرين فداناً.

تحتوى مكتبة الدير على عدد من المخطوطات النادرة.

دير الأنبا بولا ـ البحر الأحمر.

يقع فى الجنوب الشرقى لدير الأنبا (أنطونيوس) بالقرب من فنار (الزعفران) على بُعد (١٥) كيلو متراً من شاطئ البحر.

يضم الدير أربع كنائس على الطراز القبطى فى غاية القِدَم.

(١) كنيسة الأنبا بولا.

(٢) كنيسة أبو السيفين.

(٣) كنيسة الملاك.

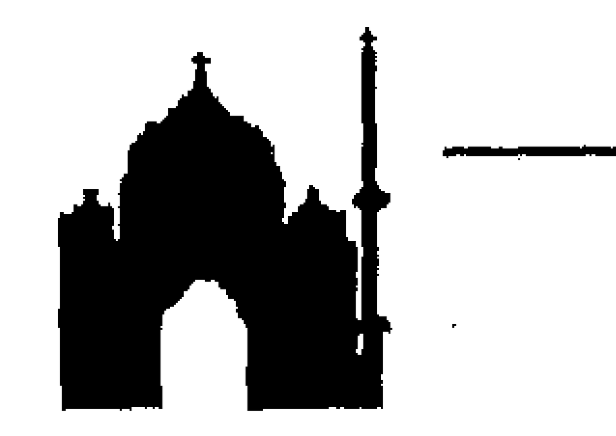
(٤) كنيسة السيدة العذراء.

دير سانت كاترين ـ سيناء:

أنشىء سنة (٣٦٠) ميلادية، وأعيد بناؤه سنة (٥٤٥) ميلادية يبلغ طوله (٨٢٠) متراً وعرضه (٤٢) متراً.

وفى داخل الدير عدد من الكنائس الأثرية الجميلة.

يضم الدير مكتبة ثمينة تضم مجموعة هائلة من الكتب والمخطوطات النادرة باللغات العربية، والقبطية، واليونانية، والعبرية.



المتحف القبطى ـ مصر القديمة:

أنشأه المرحوم مرقص سميكة باشا سنة (١٩٠٨)، ليجمع المادة الأثرية اللازمة لدراسة تاريخ مصر فى عصر المسيحية.

اختير المتحف فى مكانه الحالى لعدة أسباب أهمها، ارتباطه ببدء المسيحية فى مصر، وحصن بابليون أشهر ما خلفه الحكم الرومانى فى مصر، بالإضافة إلى وجود ست كنائس قديمة ذات أهمية كبرى.

(الكنيسة المعلقة ـ كنيسة أبو سرجة ـ كنيسة الست بربارة ـ كنيسة مارى جرجس ـ كنيسة قصرية الريحان ـ دير السيدة العذراء)

يتكون المتحف من جناحين:

الجناح القديم الذى أنشئ سنة (١٩١٠).

والجناح الجديد الذى أنشئ سنة (١٩٤٧).

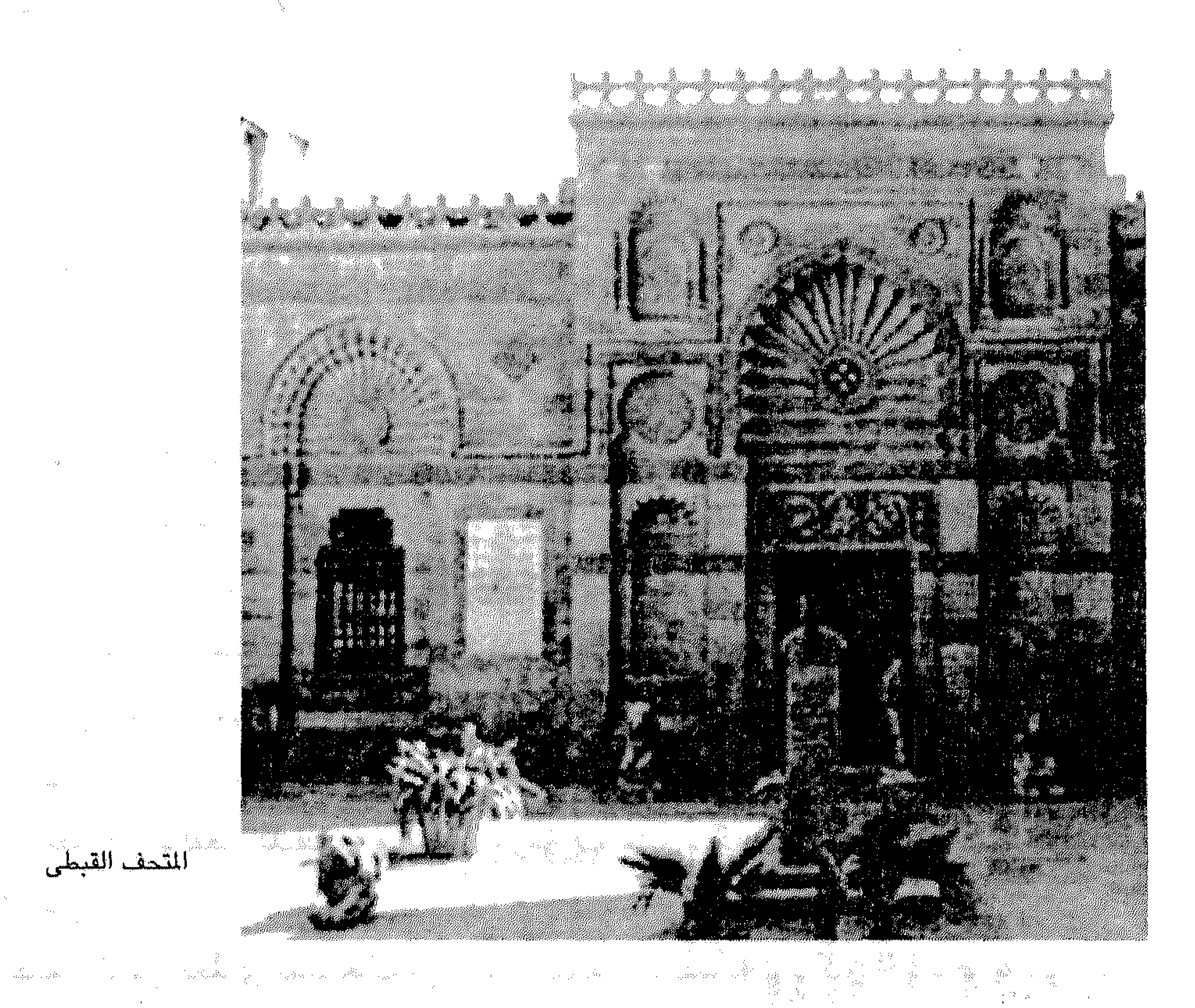
والمشربيات والأسقف والأعمدة الرخامية والنافورات التى استخدمت فى الجناح القديم أخذت من قصور قديمة للأقباط.

يضم الطابق السفلى للمتحف نماذج من شواهد القبور معظمها من الحجر الجيرى عليها نصوص باللغة القبطية، ونقوشا، وزخارف على شكل كروم، وأفرع زيتون، وأوراق الأكانتس.

يضم الطابق العلوى للمتحف لوحات جصية ـ فريسكات ـ كان الأقباط يغطون بها قباب وجدران الكنائس بعد أن يزينوها برسوم جميلة ملونة تمثل السيد المسيح، والسيدة العذراء، والحواريين، والقديسين، والشهداء وغير ذلك، وكانت الطريقة هى الرسم على الطين أو الجص قبل أن يجف مما يؤدى إلى تماسك الألوان تماسكا تاما.

وفى المتحف قسم للأخشاب يعكس قدرة الفنان القبطى فى حفر أخشاب الجميز، والأكاسيا، والنخيل، واستورد الفنان القبطى أخشاب الأرز من لبنان، والساج من الهند، والأبانوس من الصومال، والصنوبر والجوز من أوربا، وغرب آسيا.

يضم المتحف أيضاً نماذج من صناعة الفخار التى ازدهرت فى العصر القبطى. وكانت الأوانى الفخارية فى العصر القبطى مزخرفة بأشكال تمثل الحيوانات الأليفة والمتوحشة،



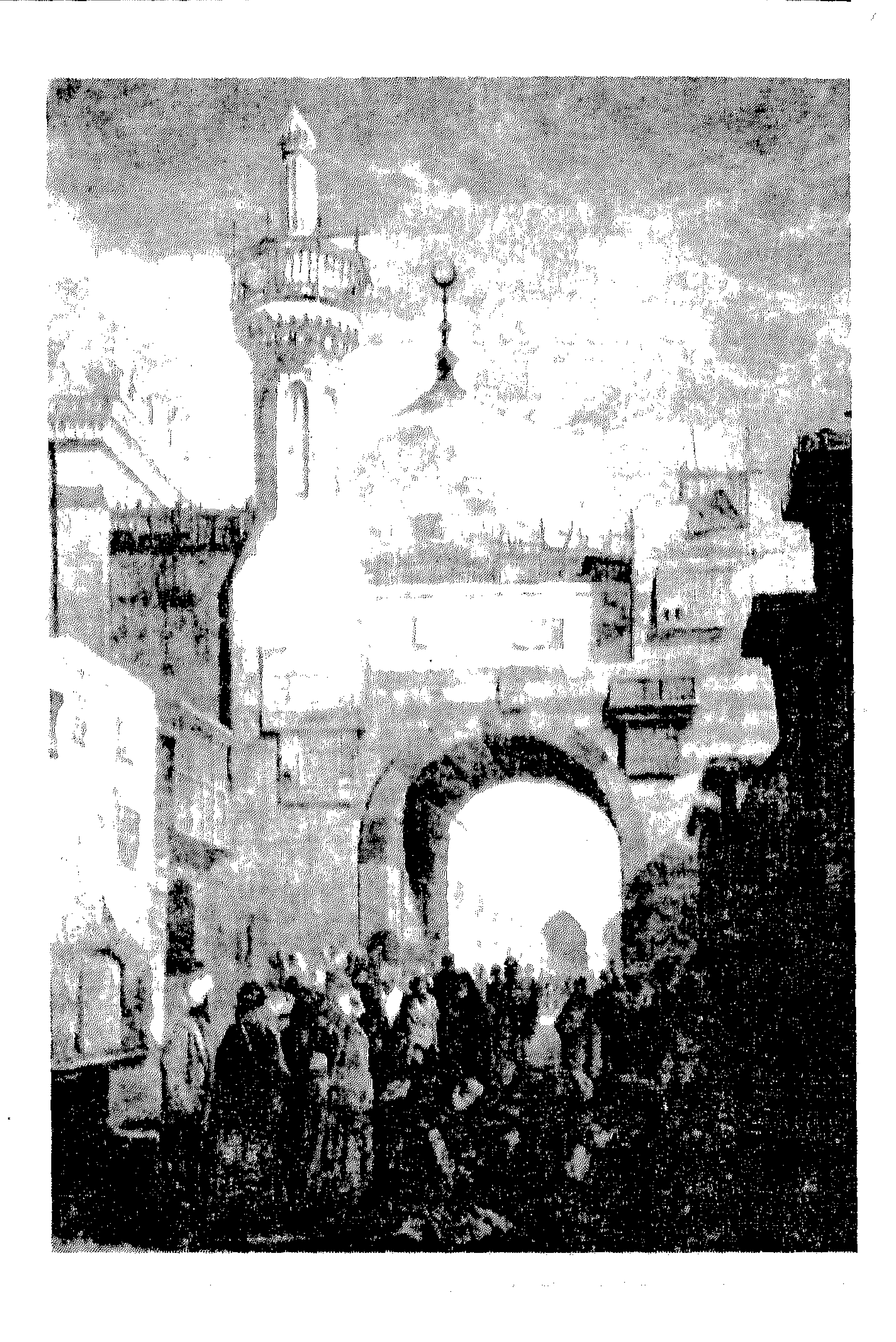
المتحف القبطى

وأنواعاً من الطيور والأسماك.

ومجموعة الزجاج المعروضة بالمتحف القبطى تحتوى على نماذج من الزجاج المعتم، وطرز مختلفة من الكئوس، وأوانى العطور، وشمعدانات، ومسارج، وأكواب شفافة.

وفى سنة (١٩٤٧) تم افتتاح أقسام الأحجار، والرسوم الحائطية والجصية، وأدوات الكتابة، والمنسوجات، والأيقونات، والعاج، والعظم، والمعادن.

يضم المتحف مكتبة كبيرة تضم سبعة آلاف كتاب أكثرها عن الفن القبطى، واللغة القبطية، وتاريخ مصر فى العصر القبطى، وعدداً كبيراً من المخطوطات القبطية والعربية.



رحلات الفتح الإسلامى لمصر

بعث النبى محمد ﷺ فى السنة السادسة الهجرية (٦٢٧ ميلادية) إلى أمراء العالم يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام، والشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

فرد نجاشي الحبشة رداً حسناً، ولكنه لم يُسْلِمْ، أما كسْرى فقد عَبر عن رفضه لدعوة الرسول ﷺ بتمزيق كتاب الرسول، فعلق الرسول على ما فعله كسرى[١] بقوله :

« مزق الله ملكه »

وتحققت نبوءة الرسول ﷺ ، فلم يمض زمن حتى قضى الله على ملكه، أما أمراء العرب فقد رد اثنان منهما رداً حسناً وأسلما وهما أمير (اليمامة)، وأمير (البحرين) أما أمير (اليمن) و(عمان) فقد ردا رداً فاحشاً فدعا عليهما الرسول ﷺ ، أما عظيم القبط[٢] فى مصر فقد وعد بأن يرى لنفسه رأياً فى الأمر وأكرم (حاطب بن أبى بلتعة اللّخمى) رسول النبى ﷺ ، وبعث معه بهدية عظيمة كان من بينها الجاريتان المصريتان مارية[٣] وشيرين.

أما (هرقل) قيصر الروم فلم يعر رسالة النبى ﷺ بأى اهتمام ولكنه لم ينتقم من (دحية بن خليفة الكلبى) حامل كتاب الرسول إليه.

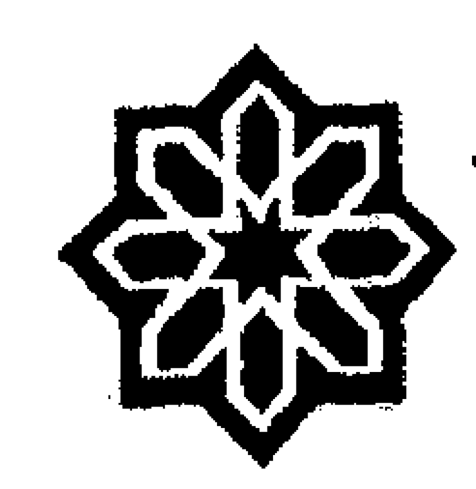
ولا شك أن (هرقل) قد سمع برد ملك الفرس، ونبأ مقتل رسول النبى فى (مؤتة).

كلف قيصر الروم (هرقل) أسقف بلاده (قيرس) بتولى رئاسة كنيسة الإسكندرية، وكان (قيرس) هذا رجلا ظالما يَسْعَى إلى المصائب سعياً حتى أصبح اسمه مفزعا لأقباط مصر، ولم يكن (قيرس) هذا الذى ذاع سوؤه، وقبح ذكره، إلا «المقوقس» الذى قدم إلى الإسكندرية فى خريف سنة (٦٣١ ميلادية) وتولى أمر مصر، وكان وصول « قيرس » إلى مصر إيذانا ببدء الاضطهاد الأعظم لأقباط مصر، وفى ظل حكم الروم والمقوقس حل بأقباط مصر عذاب، وعقاب وهوان لا يمكن وصفه ولا شرحه، فبعد أن عذبهم الفرس بلسع السياط، عذبهم الروم بلسع العقارب.

(١) يرى الطبرى أن الملك الذى بعث إليه النبى ﷺ بالجواب كان كسرى - أبرويز - ويقال إن كسرى شق كتاب النبى ﷺ، ومزقه، وأمر «بازان» حاكم إقليم «حمير» بأن يأتيه برأس هذا الرجل الذى بالحجاز.

(٢) عظيم القبط.. قيرس أسقف بلاد القوقاز الذى كلفه الامبراطور الرومانى هرقل بتولى رئاسة كنيسة الإسكندرية، وحكم مصر، ولم يكن قيرس هذا إلا المقوقس الذى قدم من الإسكندرية فى خريف سنة ٦٣١ ميلادية وتولى أمر مصر.

(٣) مارية.. أسلمت مارية القبطية وتزوجها النبى ﷺ ولكنها ماتت فى سنة ٦٣٦ ميلادية ولم تشهد فتح مصر، وهى من مواليد قرية فرعونية قديمة بالمنيا، تعرف الآن باسم قرية الشيخ عبادة بن الصامت.



بعد شهر واحد من تولى (قيرس) ولاية الكنيسة والدولة بدأ عهد الاضطهاد لقبط مصر الذى استمر عشر سنوات، وهى المدة التى حكم فيها «المقوقس» مصر، فمهدت مظالم المقوقس بذلك الطريق للعرب لفتح مصر [(١)].

بعد أن سلم «صفر نيوس» بطريق القدس بيت المقدس للعرب، عرض القائد عمرو بن العاص رأيه فى فتح مصر، وكان رأى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأن وقت ذلك الفتح لم يحن بعد، وانتظر عمرو بن العاص حتى تم له فتح الشام، فعاد إلى عرض رأيه فى فتح مصر فقال للخليفة عمر بن الخطاب :

(ليس فى البلاد ما هو أقل منها قوة ولا أعظم منها غنى)

ثم راح يدافع عن رأيه فى ضرورة الفتح، فذكر أن «أربطون» الرومانى حاكم بيت المقدس تمكن من الفرار إلى مصر قبل تسليم مدينة القدس، وأنه يجمع الآن جنوده ويدربهم ويحرضهم على مقاتلة المسلمين فلا يجب أن يضيع الوقت وإلا استفحل خطره، فاقتنع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه برأى عمرو بن العاص الذى يرى أن بدخول مصر سيكون للمسلمين قوة وسند، وسافر عمرو إلى قيصرية وهناك بعث إليه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكتاب مع « شريك بن عبده» يأمره فيه أن يسير بجنوده إلى مصر سيراً هيناً وأن يجعل هذا الأمر سراً، فخرج بجنوده ليلا فى جيش صغير.

أشرف الصباح على أربعة آلاف من جند المسلمين يجدون السير إلى مصر، وانطلقت قوات عمرو تطوى صحراء سيناء المباركة حتى بلغت «رفح» وواصلت سيرها حتى بلغت حصون العريش، فدخلتها مكبرة.. مهللة ..

(الله أكبر دخلنا مصر على بركة الله)

فرد عمرو :

(النصر لكم وعون الله معكم، وما النصر إلا من عند الله)

فى نفس اليوم الذى دخل فيه جنود الفتح الإسلامى إلى العريش، أقام عمرو بن العاص صلاة عيد الأضحى المبارك، وكان ذلك فى يوم العاشر من شهر ذى الحجة سنة (١٨ هجرية- ١٢ ديسمبر ٦٣٩ ميلادية).

---

(١) راجع طريق الفتح الإسلامى لمصر فى كتاب طرق مصر المقدسة.. حسن الرزاز.

عسكرت قوات عمرو على شاطئ البحر على مشارف العريش فى منطقة جميلة، تظللها أشجار النخيل الباسقة، ودعا عمرو جنوده أن ينالوا قسطاً من الراحة فى هذه المنطقة المصرية مبشرا إياهم بقوله:

(المساء...عيد)

فعرفت هذه المنطقة التي تشرفت باستقبال قوات الفاتحين المسلمين الأوائل منذ هذا التاريخ بالمساعيد.

دخل جنود الفتح الإسلامى أرض سيناء المباركة، فدخلوها مكبرين، وكان عمرو قد سمع بخبر كتاب الخليفة عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- إليه وهو فى رفح، فتوقع مضمون الرسالة وخاف أن يعود الخليفة إلى شكه فى أمر فتح مصر بعد أن أعلن عثمان ابن عفان -رضى الله عنه - أن أمر فتح مصر كان أمرا عظيم الخطر، وأنه متخوف من جرأة عمرو بن العاص، ويخشى أن يقتحم بجنوده المخاطر، فتعمد عمرو تأخير استلام كتاب الخليفة، حتى عبر (مهبط السيل) على حدود مصر وفلسطين، وواصل سيره إلى وادى العريش، عندئذ فقط استلم كتاب الخليفة عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- الذى جاء فيه:

(من عبد الله خليفة المسلمين عمر بن الخطاب إلى القائد عمرو بن العاص.. أرسل إليك كتابى هذا، وآمرك فيه بالرجوع إلا إذا كنت قد دخلت فى أرض مصر.. فإن كنت دخلتها فسر على بركة الله)

فقال عمرو لمن حوله:

(ياقوم أنحن فى مصر أم فى الشام؟).

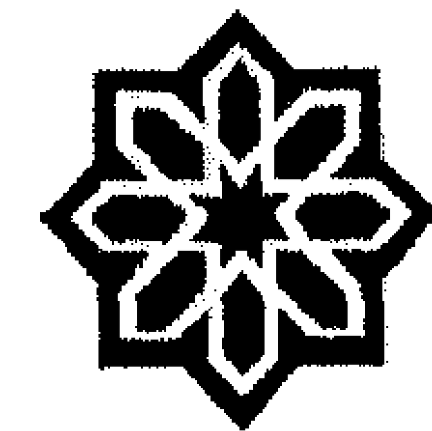
فقالوا له:

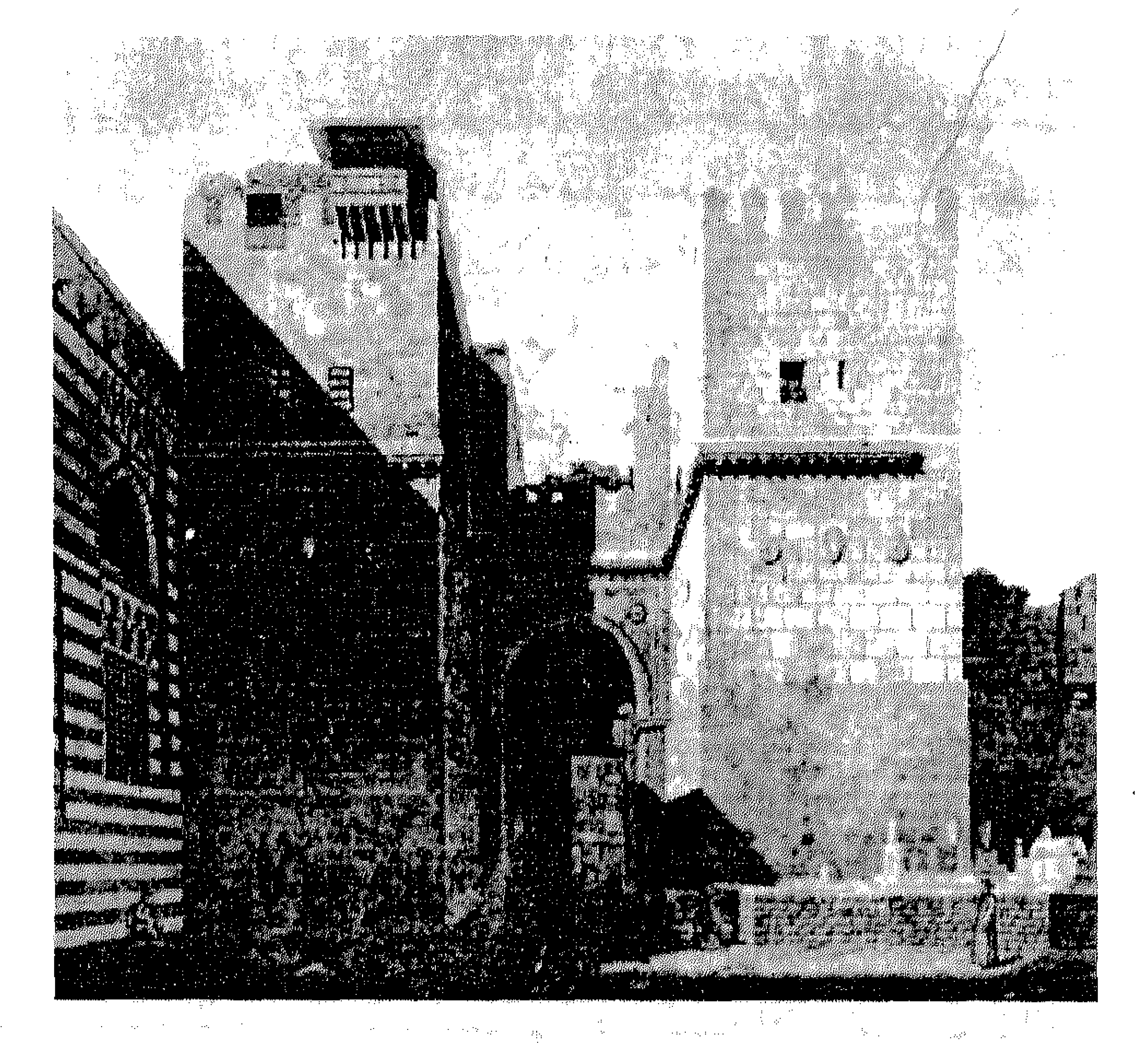
(نحن الآن فى عريش مصر)

فقرأ على جنوده كتاب الخليفة.. ثم قال:

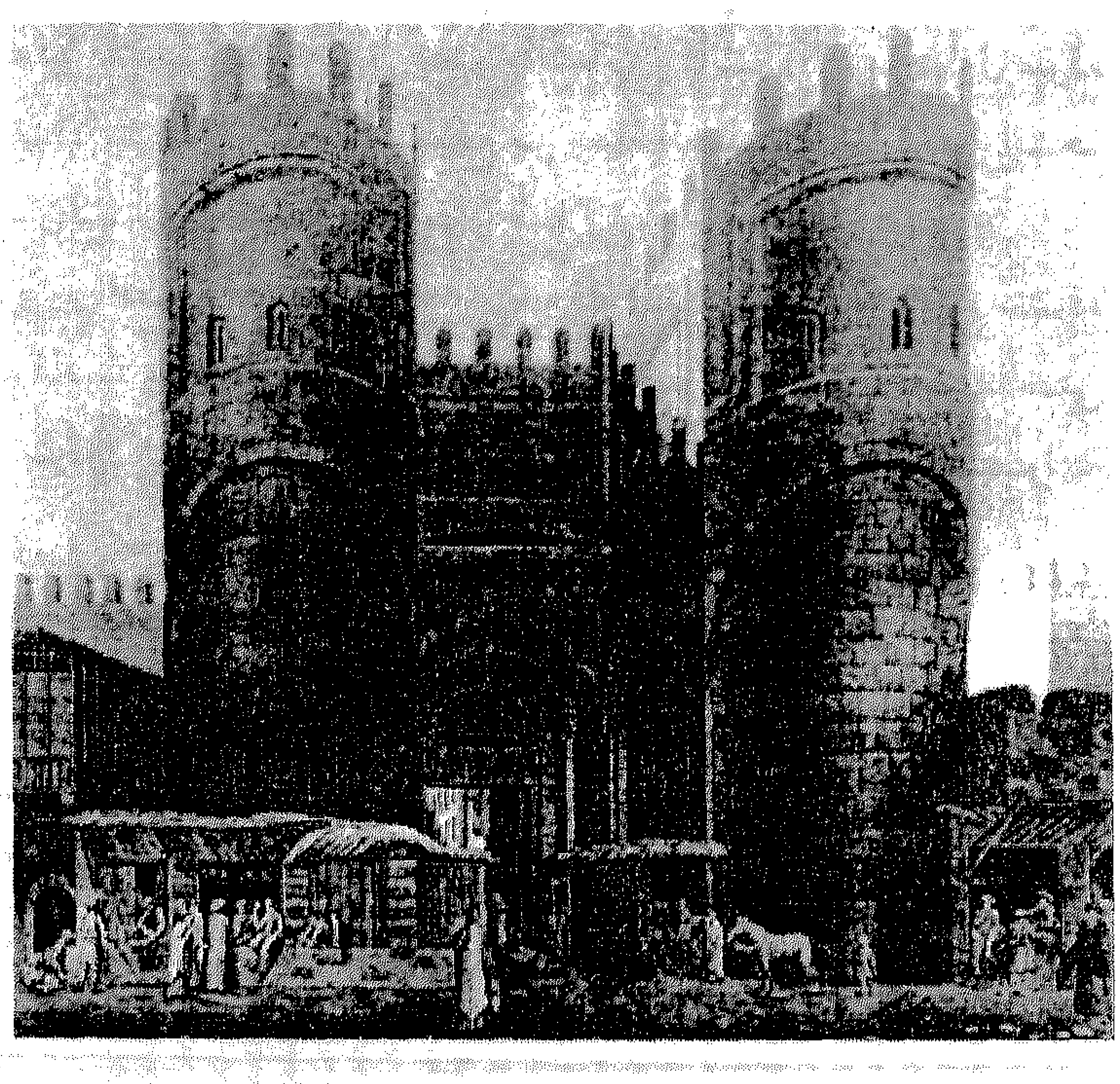
(إذن نسير فى سبيلنا كما أمرنا أمير المؤمنين. بشارة الرسول ستتحقق على أيديكم إن شاء الله.. وما النصر إلاّ من عند الله).

نجح العرب فى دخول مصر رغم قلة عددهم بسبب قوة إيمانهم، وروابط النسب والولاء





باب النصر



باب الفتوح

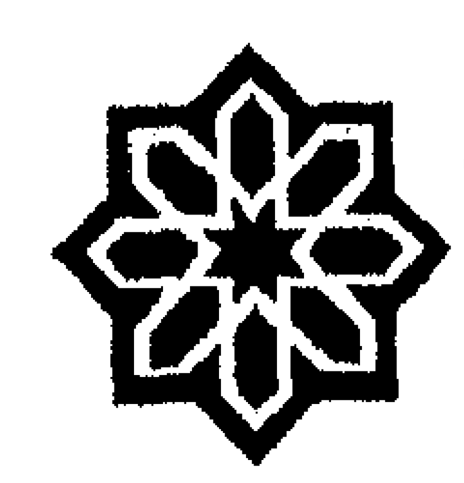
الذى يربطهم بزعيمهم عمرو بن العاص، وبسبب الحالة المتردية التى وصلت إليها مصر تحت سيطرة الرومان، وحكم المقوقس الذى أذلّ أقباط مصر، ونكل بهم، وعذبهم، وقتلهم وعاشوا تحت ولايته الاضطهاد الأعظم.

غادرت قوات الفتح الإسلامى العريش[1] وما حولها من بساتين النخيل، وعرائش التين،والزيتون فى وادى العريش، وسارت فى اتجاه الغرب فى نفس الطريق القديم الذى عرف فى العصر الفرعونى (بطريق حورس)، وهو الطريق الذى شهد قدوم إبراهيم الخليل؛ ويعقوب، ويوسف عليهم جميعاً السلام، كما شهد هذا الطريق حملات الملك الفارسى (قمبيز)، وفتوحات (الإسكندر الأكبر المقدونى)، ورحلة العائلة المقدسة إلى مصر، وواصلت قوات الفتح الإسلامى رحلتها المقدسة إلى مدينة (بيلوز)[2] التى عرفت فى العصر القبطى (بالبرامون)، وفى العصر الإسلامى (بالفرما)، أو (بالفرماء) وتقع هذه المدينة على بعد ميل ونصف من البحر، وكانت فى زمن الفتح الإسلامى مدينة قديمة تقع على هضبة ذات حصون قوية، وكان موقعها يسمح لها أن تشرف على الطريق القادم من الصحراء، وتملك ناصية البحر، كما عاشت فى وقت الفتح الإسلامى حياة العز والازدهار بسبب موقعها المتميز على طريق مصر والشام، وكانت «الفرما» أول موقع يقاتل فيه المسلمون قتالا شديدا، وكان (أسميقع بن وعلة العسباوى) أول من اقتحم الفرما من العرب، وما زالت أرض الفرما تضم بقايا أطلال رومانية قديمة.

لم يكن أمام عمرو بن العاص فى الفرما -بسبب قلة عدد جنوده، وتواضع عتاده الحربى - إلاّ مهاجمة المدينة وفتح أبوابها بالحيلة، أو محاصرتها والصبر عليها حتى يدفع الجوع أهلها أن ينزلوا إليه، وبعد حصار طويل خرجت قوات الروم من حصونها

(١) كانت العريش ذات حصون وأسوار عالية وظلت أطلال هذه البنايات التى تطل على البحر قائمة حتى القرن الثالث عشر الميلادى، وكان أجود أنواع المرمر فى هذا الوقت يأتى من العريش، ويذكر المؤرخون أن سور مصر العظيم كان يبدأ من العريش ويتجه إلى القلزم (السويس) ثم يتجه مع شاطىء النيل الشرقى إلى الجنوب حتى الجنادل الأولى، وعرف هذا السور الذى شيده «سيزو ستريس» عند البدو (بسور العجوز) ومازال لهذا السور بقية حتى اليوم حتى جبل الطير وفى أماكن أخرى بمصر، والعريش اليوم مدينة كبيرة تزخر بمنشآتها السياحية الفخمة وأنشطتها السياحية المتنوعة، وتم اختيارها بعد تقسيم شبه جزيرة سيناء إلى محافظتين.. عاصمة لمحافظة شمال سيناء.

(٢) ربما كان اسم (بالوظه) الحالية تحريفا لاسم «بيلوز» القديمة التى تقع بالقرب من (الفرما) التي ضربت فيها الفأس الأولى فى عمليات حفر قناة السويس الحالية فى سنة (١٨٥٩) ميلادية.



لمقاتلة العرب فى هجمات مفاجئة ومتكررة تعود بعدها إلى حصونها لتعاود هجماتها التى لم تنقطع طوال شهر، أو شهرين، واستمر القتال على هذا الحال حتى تمكن جنود عمرو بن العاص فى إحدى المرّات أن يستولوا على باب المدينة قبل أن يتمكن جنود الروم من اجتيازه، فاندفعت قوات عمرو تهاجم حصون الفرما مكبرة بحمد الله، فخارت قوة جنود الروم، وخرجوا من الحصون مذعورين مستسلمين، واستأنفت قوات عمرو المسير[1] تردد ألسنتهم آيات القرآن الكريم صائحين فى قوة :

إلى النيل والظل الظليل والماء النمير إلى مصر ذات الثمار والأغصان إلى الله ننقذ خلق الله من ظلم خلق الله[2]

من (الفرما) سارت قوات الفتح الإسلامى إلى (وادى الطميلات) بالقرب من التل الكبير، ثم إلى (بلبيس) التى عسكرت فيها قوات الفتح الإسلامى حوالى شهر، ثم واصلت سيرها إلى (هيليوبوليس) ثم دخلت إلى (أم دنين) التى تقع فى نفس المكان الذى يقع فيه الآن حى (الأزبكية) وكان نهر النيل فى زمن الفتح الإسلامى يجرى بجوار هذا المكان، وبعد سقوط (أم دنين) سارع (المقوقس) حاكم مصر بطريق الإسكندرية ومعه (تيودور) أمير الجيوش الرومانية إلى «حصن بابليون» وجمعا فيه جندا كثيرا، وعتادا كبيرا، واستعدوا لمحاربة العرب، وامتلأت قلوب الروم بالرعب، والهول وعبر أحدهم عن ذلك بقوله:

(ما لنا فى قوم غلبوا كسرى، وهزموا قيصر فى بلاد الشام)

عسكرت قوات عمرو شمال وشرق (حصن بابليون) فى نفس المكان الذى أقام فيه

---

(١)انضم بدو الصحراء إلى جيش عمرو بن العاص بعد فتح الفرما فعوضه ذلك عن الخسائر التى لحقت أفراده فى معارك الفرما، ويذكر المقريزى أن قبيلة «لخم» لحقت بعمرو عند جبل الجلال.

(٢) يذكر أن أرمنوسة ابنة المقوقس كانت فى طريقها إلى قيصرية لتزف إلى قسطنطين بن الامبراطور (هرقل)فلما جاءها نبأ الفتح العربى عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم، والحشم، والأموال، ولما وصلت إلى بلبيس وكانت قوات عمرو قد دخلتها، أمر عمرو بإكرامها واعادتها إلى أبيها معززة مكرمة، ولقد أثارت حكاية «أرمانوسة» خيال كتاب الغرب، فتناول الكاتب (بوتشر) قصة أرمنوسة فى روايته التاريخية التى اتخذ لها عنوان «أرمنوسة المصرية» ولقد تأثر المقوقس لموقف عمرو من ابنته، فأرسل إليه القس (أبو مريام)، والقس (أبو مريم) لمفاوضته، فذكرهما عمرو بالسيدة هاجر المصرية التى تزوجها إبراهيم الخليل عليه السلام، وبالسيدة مارية القبطية التى تشرفت بالزواج من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وقرأ عليهما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً».

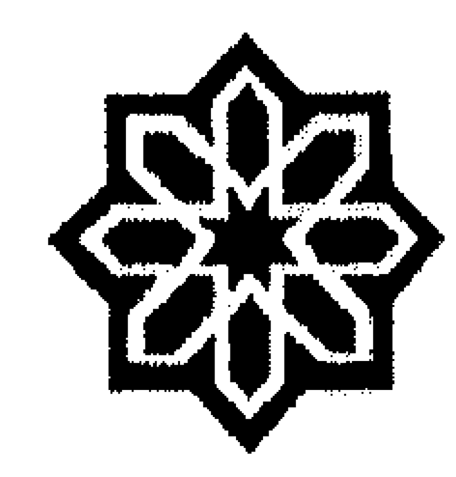
عمرو بعد ذلك مدينة الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية، وحاضرة الفاتحين المسلمين الأوائل، وكانت خطة عمرو أن يخرج الروم ليقاتلوه فى السهل بعيداً عن حصن بابليون المنيع، فأمر بتحرك كتيبة من قواته ليلا إلى (أم دنين)، وأن تتحرك كتيبة أخرى إلى نفس المكان الذى تقع فيه الآن قلعة الناصر صلاح الدين الأيوبى «قلعة الجبل» وأمر الكتيبتين بمهاجمة مؤخرة جيش الروم، وفى الصباح الباكر خرجت قوات الروم، من بين بساتين الأديرة التى تقع فى الشمال الشرقى من (حصن بابليون)، وانتشرت فى السهل، ولم يكن عندهم علم بمكيدة عمرو، وفى مكان يقع بين معسكرى الروم والعرب وفى نفس الموقع الذى يقع فيه الآن «حى العباسية» بدأت المعركة الشرسة، وفوجئ الروم بإحدى كتائب عمرو تهوى من مكامنها فى جبل المقطم كالعاصفة تجتاح مؤخرتهم، وشعر الروم من هول المفاجأة أنهم أخذوا على غرة بين جيشين، من المسلمين، فاتجهوا يسارا إلى(أم دنين) فعصف بهم الكمين الآخر فظنوه جيشا عربيا ثالثا، فاهتزت صفوفهم ،وملأ الخوف قلوبهم واشتد ذعرهم، فحلّت بهم أشنع هزيمة، وفر من بقى منهم حيا من سيوف العرب التى بدت وكأنهم وميض البرق، وهرب قليل منهم إلى حصن بابليون برا، وبعضهم ساقهم الفزع إلى النهر، فنزلوا فى المراكب إلى حصن بابليون، وهكذا كان النصر حليفا لجنود المسلمين، وارتفعت الأيدى بأعلام عمرو القرمزية وانطلقت الحناجر مهللة مكبرة:

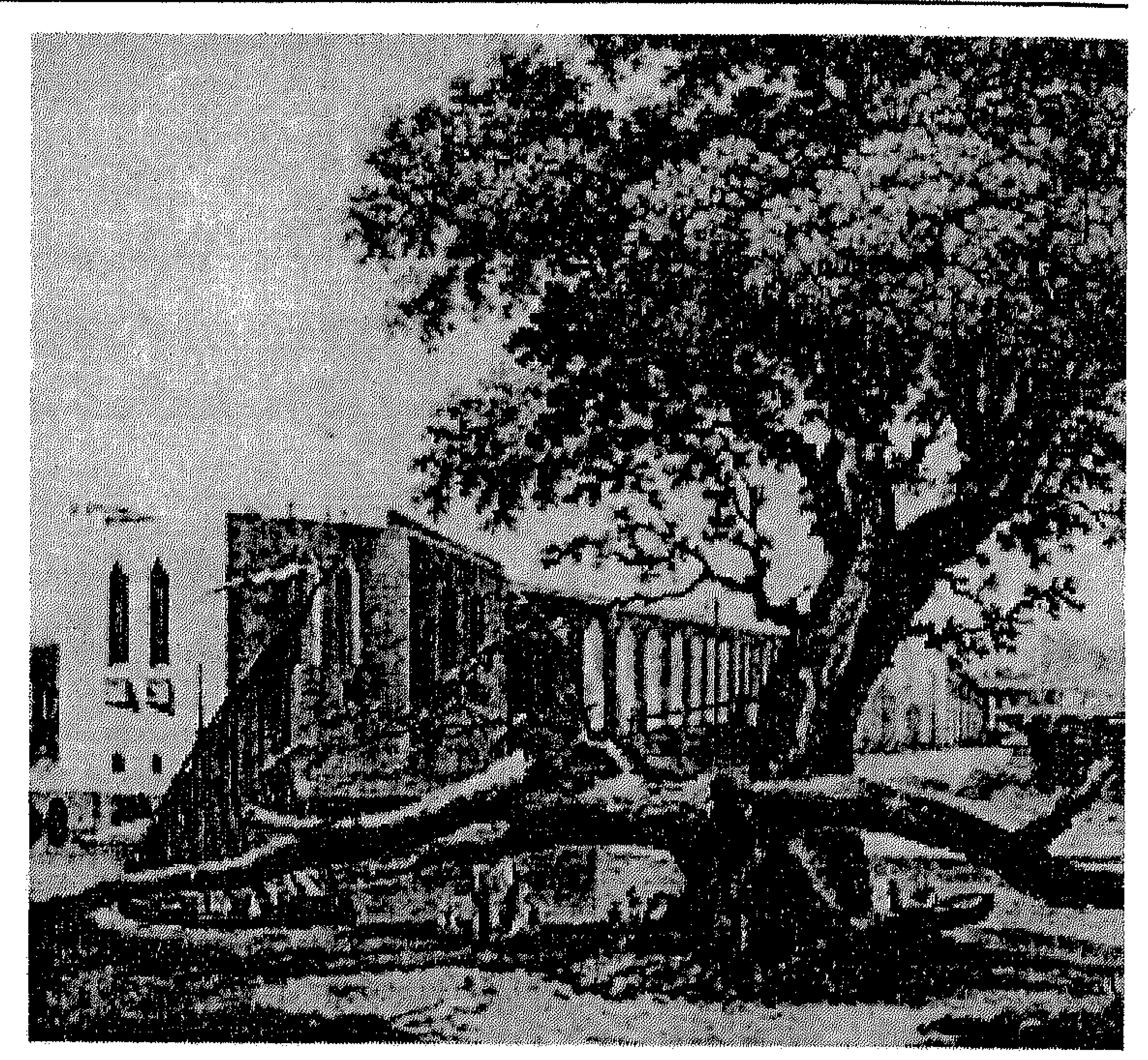
(يوم واحد من رأس الدلتا .. يوم واحد من النيل)

(النصر للحق .. والخذلان للباطل)

بعد أن تمكن عمرو بن العاص من الاستيلاء على (أم دنين) مرة أخرى ولاذ مَنْ نجا من الروم بحصن بابليون، وأغلقوا عليهم الأبواب.

وبعد التعزيزات التى أرسلت لعمرو من قبل الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه صار جيش المسلمين بعد هذا النصر الكبير كافياً لحصار حصن بابليون، ولما سَمعَ (دوستيانوس) حاكم الفيوم نبأ انتصار عمرو والمسلمين هرب دون أن يدبر أمر حمايتها، فبعث عمرو بكتيبة عبرت النهر، وفتحت مدينتى الفيوم، ودلاص، وأمر بإقامة قنطرة على ترعة قليوب تمّت بمساعدة قبط مصر ومعاونة (جورج) حاكم الإقليم الذى خضع لأمر عمرو.





مصر القديمة

بدأ حصار عمرو بن العاص لحصن بابليون فى شهر سبتمبر سنة(٦٤٠) ميلادية، ويجمع مؤرخو العرب على أن (المقوقس) بطريق مصر وحاكمها، و(تيودور) قائد جيوشها، كانا فى الحصن وقت الحصار ومعهم (أودقيانوس) شقيق حاكم الفيوم، والضابط (جورج) الذى سماه العرب (الأعيرج) ومعهم ستة آلاف جندى، وعدد قليل من أنصار المقوقس، وقساوسة الأديرة المجاورة، وكان الحصن مزوّدا بكميات كبيرة من الأطعمة، والذخائر، ونود أن نذكر هنا أن أقباط مصر لم يشاركوا فى القتال الذى نشب فى حصن بابليون بسبب عدائهم الشديد للرومان.

فى أكتوبر من نفس السنة جمع (المقوقس) أعوانه، وضباطه، وأسقف بابليون، وأبلغهم أن وقت حصار الحصن قد طال وأنه لا يتوقع أن يأتى إليهم الرومان بمدد يرفع عنهم الحصار واقترح أن يذهب مع بعض أصحابه تحت ستار الليل إلى جزيرة الروضة، ويبعثوا إلى قائد العرب عمرو بن العاص برأيهم ليفاوضهم فيه، وقام (المقوقس) بفتح الباب الحديدى المطل على النيل واستقل ومن معه المراكب إلى جزيرة الروضة، ثم أرسل إلى عمرو جماعة كان منها أسقف بابليون، فاستقبلهم عمرو، وأكرمهم، واستمع إلى رسالة «المقوقس» التى جاء فيها:

(إنكم قوم ولجتم فى بلادنا، وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم فى أرضنا، إنكم عصبة يسيرة، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم من العدة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم، فلعله يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه)

فأمر عمرو بحبس رسل المقوقس يومين، ثم أطلق سراحهم، ومعهم رده الذى جاء فيه (ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما أن تدخلوا الإسلام، فكنتم إخواناً وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم فالجزية تدفعونها صاغرين، وإما جاهدناكم بالصبر، والقتال، حتى يحكم الله بيننا، وهو أحكم الحاكمين)

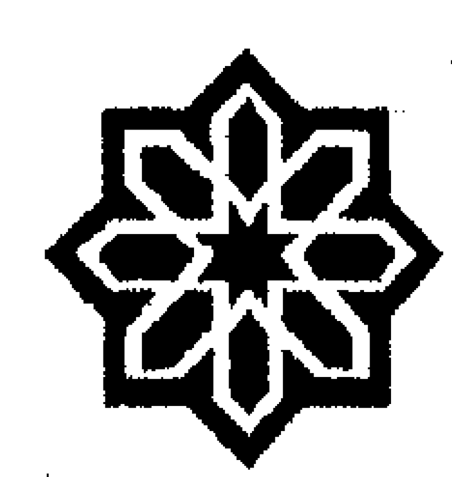
جاء رسل المقوقس، وقد هالهم ما عند العرب من بساطة، وتواضع، وإيمان، وقالوا للمقوقس:

(رأينا قوماً الموت عندهم أحب من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، فجلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، لم نعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة، لا يتخلف عنها أحد يغسلون أطرافهم بالماء، ويغشون الصلاة).

اجتمع المقوقس بأعوانه وبحثوا الأمر فاختلفوا، وألح المقوقس أن يوافقوه على رأيه فى صلح العرب، ولكنهم رفضوا شروط عمرو، فطلب المقوقس أن يهادنهم عمرو شهراً ليروا فيه رأيهم، فلم يمهلهم عمرو إلا ثلاثة أيام.. عندئذ سارع (المقوقس) إلى الإسكندرية، وبعث منها برسالة إلى الامبراطور (هرقل) يستسمحه فيها إقرار الصلح مع العرب حتى يكفى مصر شر الحرب ووبالها[1].

بعد أن استلم الامبراطور هرقل رسالة المقوقس بعث إليه بأن يأتيه على عجل، ولما بلغ المقوقس حضرة الامبراطور فى القسطنطينية، اتهمه الامبراطور بخيانة الدولة الرومانية وتسليم مصر للعرب، والتقصير فى الذود عنها، ووصفه بالجبن، والكفر، ثم أهانه، وأمر بنفيه خارج البلاد، وبلغ عمرو نبأ رفض الامبراطور للصلح. فى أوائل شهر

(١) راجع كتاب طرق مصر المقدسة.. حسن الرزاز



مارس سنة(٦٤١) ميلادية أعلن عن موت الامبراطور (هرقل) فخارت نفوس الروم، وزاد هذا النبأ من شدة وجرأة المسلمين، وضاعفت من همتهم فى فتح (حصن بابليون) فى نفس الوقت الذى فتك المرض بالمحاصرين فيه، واشتد بهم الخوف واليأس.

بدأت خطة الهجوم على (حصن بابليون)(١) بالحيلة الماكرة التى قام بها (الزبير بن العوام) بتسلقه سلماً وضعه على سور الحصن ولم يفطن إليه أحد، وما شعر الروم إلا والزبير على رأس الحصن يُكبّرُ وسيفه فى يده، فتعالت تكبيرات جنود الفتح الإسلامى وارتدت أصداؤها القوية داخل الحصن، فظن الروم أن العرب اقتحموه، ففروا منه هاربين، وقد ملأ قلوبهم الخوف والفزع، وتلقفتهم سهام وسيوف المسلمين.

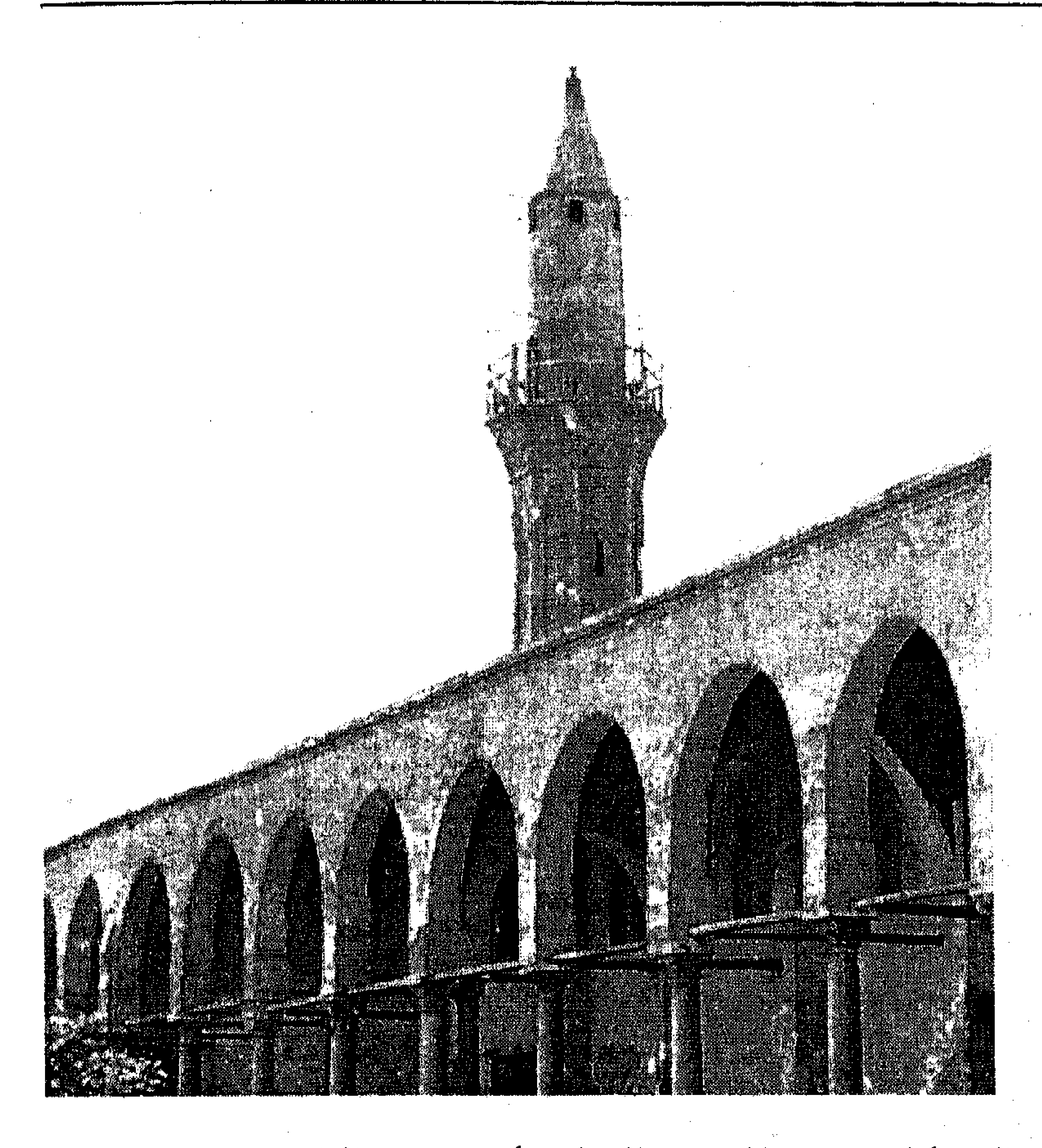
ولم تكن هزيمة الروم فى حصن بابليون على حد تعبير أسقف مصرى عاش أحداث فتح الحصن (إلاً عقابا من الله للروم على ما فعلوه فى قبط مصر).

أعاد عمرو ما تهدم من الحصن، وكلف فرقة من المسلمين بحمايته على رأسها الفارس العربى (خارجة بن حذافة السهمى)، وبعد أن تم لعمرو بن العاص فتح حصن بابليون، سار ومن معه إلى مدينة (نقيوس)، أولى المدن التى صادفت عمراً وهو فى طريقه إلى الإسكندرية فأقام فيها بضعة أيام، ثم عبر النيل إلى الغرب، وأمر صاحبه (شريك) أن يتابع حركة فرار الروم، فاشتبك ومن معه مع الروم فى موقع يعرف الآن (بكوم شريك) نسبة إلى القائد (شريك) وواصل عمرو سيره إلى (الدلنجات) ومنهاإلى دمنهور وفى (سلطيس) هزم عمرو الحامية الرومانية وسار بعد ذلك إلى (الكريون) وفيها التقى بجنود (تيودور) واستمر القتال عدة أيام وأصيب عبد الله بن عمرو بن العاص فى هذه المعركة بجرح خطير، وانتهت معركة (الكريون) بانتصار عمرو وجنود المسلمين، وتقهقر (تيودور). وبفتح (الكريون) خلا لعمرو الطريق إلى (الإسكندرية) فسار مع عشرين ألفاً من الجنود البواسل إليها.

عفا الملك قسطنطين عن (مقوقس) مصر بتوصية من الامبراطورة (مارتينا) التى رأت أن مصلحة الامبراطورية فى مصالحة العرب (٢) فأرسل قسطنطين أسطولا عظيما

(١) كان خروج الروم من حصن بابليون فى عيد الفصح الموافق يوم الاثنين (٩) إبريل سنة (٦٤١) ميلادية.

(٢) نص عقد الصلح الذى قدمه المقوقس وقبله عمرو بن العاص على بقاء الجيش الإسلامى خارج الإسكندرية لمدة أحد عشر شهراً يسمح فيها لمن أراد الخروج من الإسكندرية ويقال إن عدد السفن التى اشتركت فى عملية الإجلاء تجاوزت الثلاثين سفينة وعندما انتهت فترة السماح المتفق عليها دخل المسلمون المدينة.



جامع عمرو بن العاص

.ليعيده من منفاه، وكانت عودة المقوقس إلى الإسكندرية فى الرابع عشر من سبتمبر سنة (٦٤١) ميلادية

اتجه المقوقس من الإسكندرية فور عودته إلى حصن بابليون، فقابل عمرو بن العاص وقدم له عقد الإذعان والتسليم، فرحب به عمرو وأكرم وفادته، وبعد انقضاء المهلة التى نص عليها عقد الصلح الذى قدمه المقوقس وقبله عمرو، تم توزيع كل الدُّور فى الإسكندرية على القبائل العربية التى كان يتألف منها الجيش الإسلامى، واستمر وضع مدينة الإسكندرية على هذا النحو حتى نهاية القرن الأول الهجرى، بعد الفتح الإسلامى أقيم فى الإسكندرية عدد من المساجد أشهرها: (مسجد موسى) عليه السلام عند المنار، و(مسجد سليمان) عند القبارية و(مسجد ذى القرنين) بجوار قبر الإسكندر الأكبر، و(مسجد عمرو بن العاص) الذى عُرف فى التاريخ بمسجد الرحمة .

كان أهل مصر فى نكد وغم بعد أن وصلهم نبأ استشهاد الحسين ابن على «رضى الله عنه» فى مذبحة كربلاء التى استشهد فيها اثنان وسبعون من رجال بنى هاشم والصحابة والتابعين، وسرت هَمْهَمَاتٌ فى مدينة الفسطاط عاصمة مصر فى ذلك الوقت بأن السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ أخت الحسين رضى الله عنه ابنة على بن أبى طالب رضى الله عنه حفيدة رسول الله ﷺ من ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها قد قررت أن تأتى إلىّ مصر لتقيم فيها بقية عمرها، بعدما جرى لأهل البيت فى كربلاء العراقية، بعد أن أمر ـ يزيد بن معاوية ـ واليه فى المدينة المنورة عمرو بن سعيد أن تغادر السيدة زينب[1] ابنة على بن أبى طالب رضى الله عنه المدينة المنورة حيث تشاء من أرض الله إلاّ، الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة فتختار السيدة زينب رضى الله عنها مصر مَحَلا لإقامتها، لما سمعته عن أهلها من محبتهم لآل البيت وولائهم ومودتهم لذوى القربى، ولما تعرفه عن مصر كنانة الله فى أرضه التى أوصى بها الرسول الكريم بأهلها خيرا.

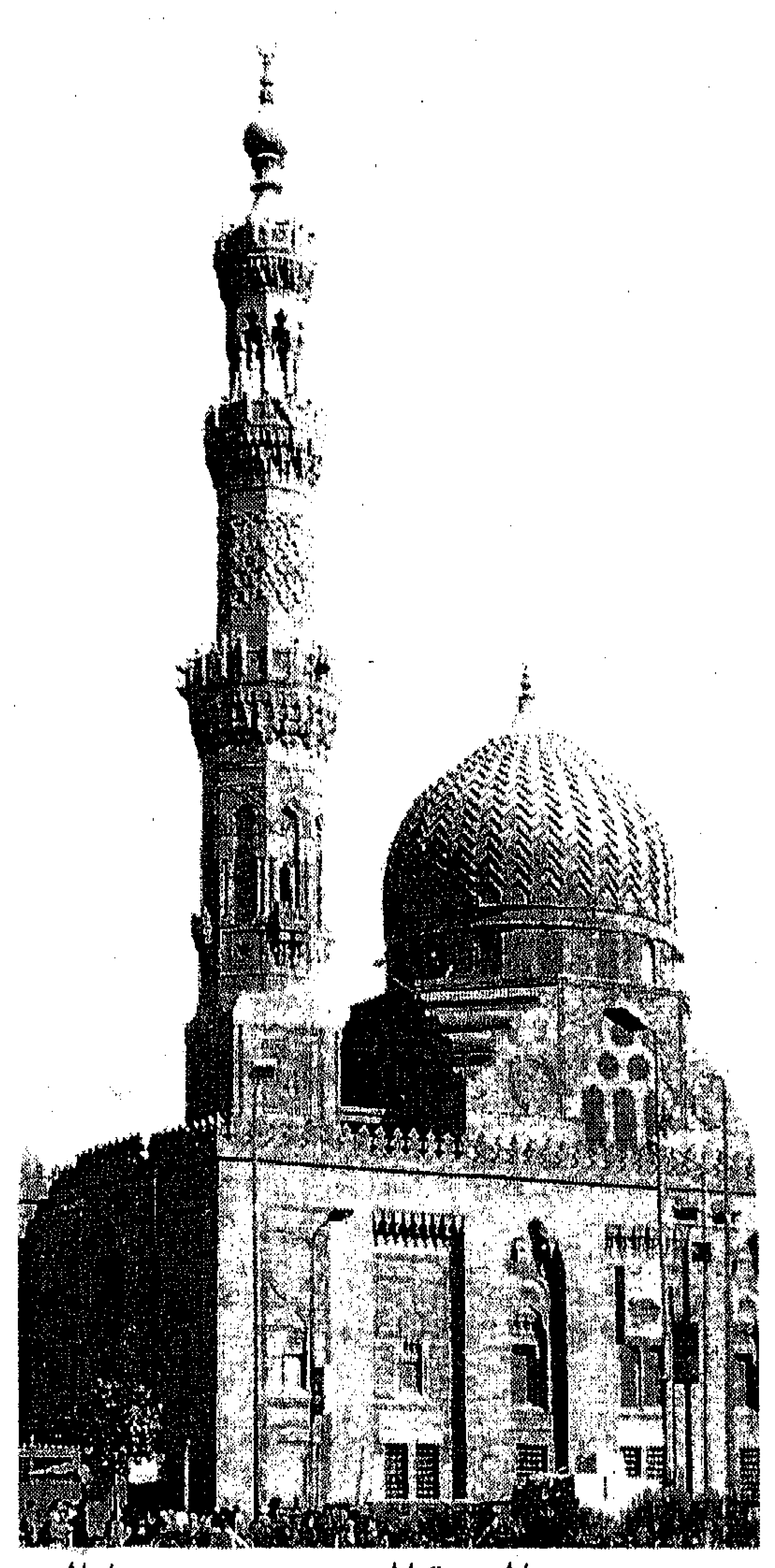
« إنكم ستفتحون مصر فإذا فتحتموها
فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما »
(صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وقدَ صحبت السيدة زينب رضى الله عنها عند مجيئها إلى مصر السيدة فاَطمة ابنة الإمام الحسين رَضى الله عنه، وأختها السيدة



قدوم السيدة زينب (رضى الله عنها) إلى مصر

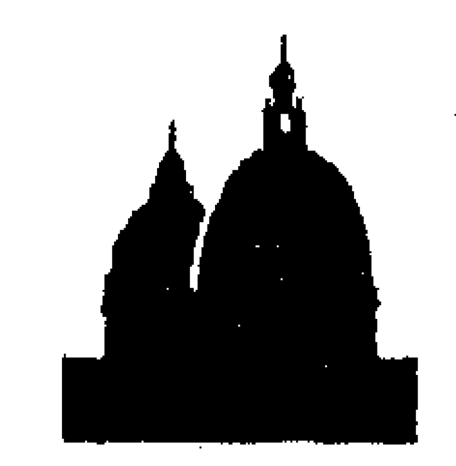
(١) اعتلت السيدة زينب رضى الله عنها المنابر فى المدينة المنورة لتكشف عدوان بنى أميّة وأعوانهم على أهل بيت النبى فألهبت المشاعر على بنى أمية مما جعل ـ عمرو بن سعيد ـ والى المدينة المنورة أن يستنجد بيزيد بن معاوية خوفاً من غضبة الناس، فبعث إليه بخوفه على مُلك الأمويين من السيدة زينب بنت على رضى الله عنها التى اجتمع الناس حولها لقوة بلاغتها وفصاحتها فى الحديث معهم.



مسجد
السيدة زينب

سكينة رضى اللّه عنها ، ولقد سارت السيدة زينب من المدينة المنورة ومن معها إلى مصر ، وحين وصل النبأ بقرب وصولها ذهب والى مصر (مسلمة بن مخلد الأنصارى) (٤٧ هجرية) (٦٦٧ ميلادية) ومعه جماعة من أصحابه وعدد كبير من أعيان مصر وتجارها ووجهائها ليكونوا فى شرف استقبالها عند قرية شرقى مدينة بلبيس عرفت فيما بعد باسم العَبَّاسَة[(١)] . وحين وصل رَكْبُهَا عند العباسة وشاهدت احتفاء أهل

(١) عرفت العَبَّاسَة بهذا الاسم نسبة إلى (العباسة بنت الأمير أحمد بن طولون) الذى تولي الحكم فى مصر سنة (٢٥٤ هجرية - ٨٦٨ ميلادية).



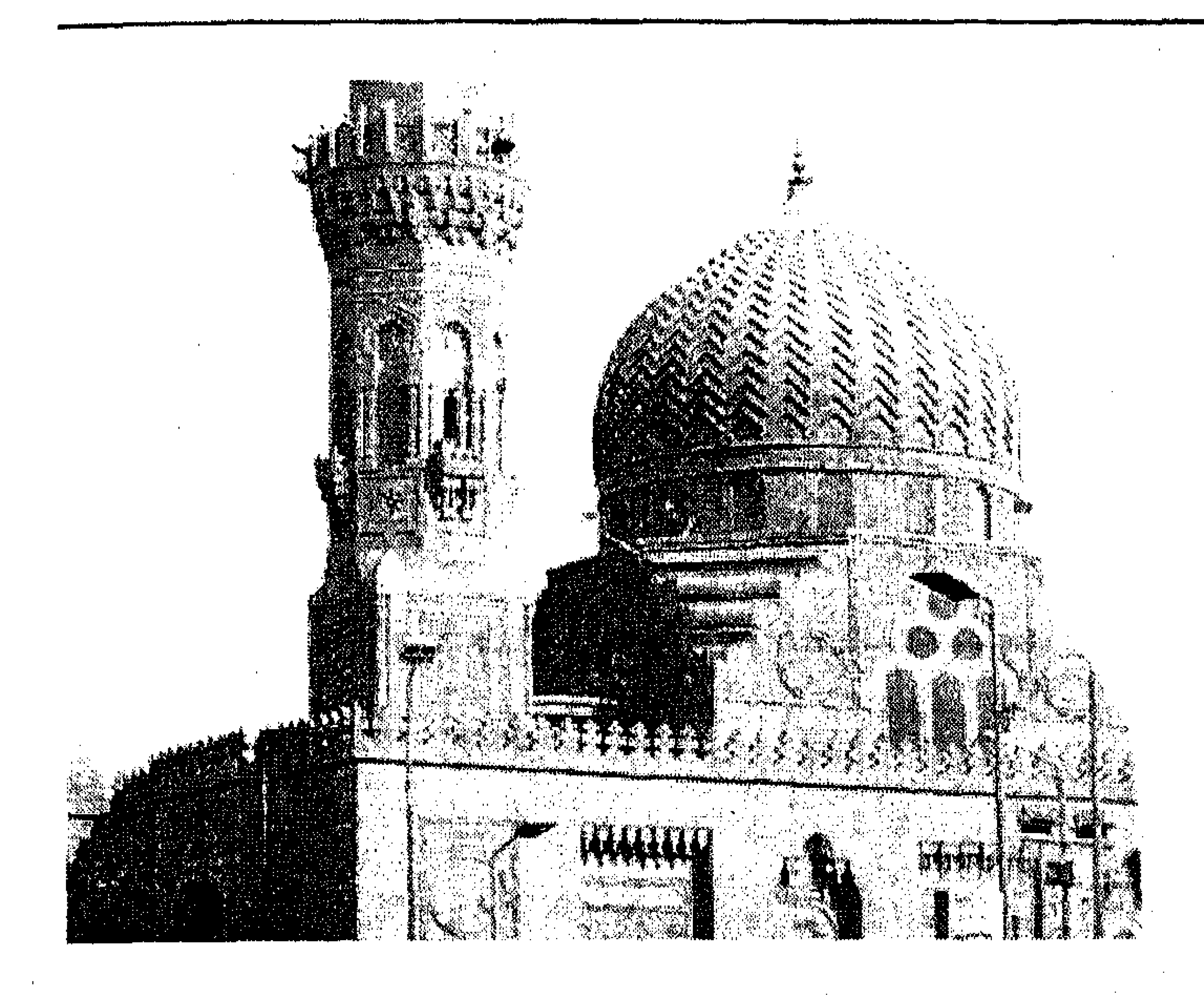
مصر بها وعلى رأسهم واليها ـ مسلمة ـ الذى عَزَّاهَا وبكى، فبكت، وبكى كل من كانوا فى شرف استقبالها ثم قالت:

{هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون} ولقد استضافها والى مصر مسلمة فى داره عند قنطرة السباع فى منطقة عرفت بعد الفتح الإسلامى لمصر بـ «الحمراء القصوى»، وهو نفس المكان الذى يقوم فيه ضريحها الآن، ولقد كان قدومها الطاهر إلى مصر فى أول شعبان سنة (٦١ هجرية ـ الموافق ٢٦ أبريل ٦٨١ ميلادية) ،وكان قد مضى على استشهاد شقيقها الحسين رضى اللّه عنه ستة أشهر وأيام، وأقامت السيدة زينب ومن معها رضى اللّه عنهم أجمعين فى دار ـ مسلمة ـ أحد عشر شهرا كانت فيه كعبة للزائرين والقاصدين والوافدين،حتى لاقت ربها عشية يوم الأحد الرابع عشر من شهر رجب سنة (٦٢ هجرية ـ الموافق ٢٧مارس ٦٨٢ ميلادية) ودُفِنَتْ حيث أقامت فى دار والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى، ومنذ ذلك التاريخ صار قبر السيدة زينب بنت على جوهرة تضىء أرض مصر وتشع بالخير والبركات.. وكان ضريحها الطاهر أوّل ضريح لزهرة من زهرات آل البيت فى مصر، وكانت السيدة زينب رضى اللّه عنها قد ولدت فى المدينة المنورة بعد أخويها الكريمين الحسن والحسين رضى اللّه عنهما فى شهر شعبان من السنة (الخامسة للهجرة ٦٢٦ ميلادية) وأمها هى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم، من السيدة خديجة، وقد شهدت من حياة جدها الأعظم خمس سنوات، ولقد تزوجت السيدة زينب رضى اللّه عنها من ابن عمها ـ عبد اللّه بن جعفر ـ وكان ذلك فى أواخر عهد عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الذى حضر هذا الزواج الميمون، وإذا كانت السيدة زينب رضى اللّه عنها هى أوّل نفحة من نفحات أهل البيت شَرُفَتْ بها أرض مصر، فإن ضريحها الطاهر يعتبر أقدم الأضرحة فى مصر، وكان ضريح السيدة زينب رضى اللّه عنها يطل على الخليج، فى زمن الأمير أحمد بن طولون أجرى على الضريح عمارة وترميماً داخل نطاق خطة شملت المشاهد الأخرى فى مصر، فلما جاء الفاطميون كان أول من بنى على الضريح عمارة جليلة هو الخليفة المعز لدين الله[1] ولما ولى الخليفة الحاكم بأمر اللّه[2] أوقف على الضريح عدة

---

(١) تولى الخليفة المعز لدين الله الفاطمى حكم مصر سنة (٣٦٢ هجرية ٩٧٣ ميلادية).

(٢) تولى الخليفة الحاكم بأمر الله حكم مصر سنة (٣٨٦ هجرية ٩٩٦ ميلادية).



مسجد
السيدة زينب

ضياع، وظل المشهد الزينبى موضع عناية العهود التى تعاقبت على مصر بعد الفاطميين، وقام الكثير من أهل العلم والولاية بتناوب الخدمة على مسجد السيدة زينب رضى اللّه عنها، وكان من أجلّهم قَدْراً العارف بالله محمد بن أبى المجد القرشى الحسينى المعروف بسيدى محمد العتريس الذى يقال إنه شقيق سيدى إبراهيم الدسوقى، وسيدى محمد العتريس له ضريح ومدفون بالجهة الشمالية الغربية من المشهد الزينبى، وعُمِّرَ المسجد أيام الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب[1]، وقد ظل المشهد الزينبى على حاله إلى أن اهتم بعمارته الأمير على باشا الوزير والى مصر من قبل العثمانيين (٩٥٦ هجرية ـ ١٥٤٩ ميلادية) فجعل له مسجدا يتصل به ثم قام الأمير عبد الرحمن كتخدا بتجديد المقصورة الشريفة ووضع على بابها لوحة نحاسية كتب عليها: «يا سيدة زينب يا بنت فاطمة الزهراء مددك» وما زالت هذه اللوحة موجودة على الضريح حتى الآن، وجدد المقام الطاهر بعد ذلك أكثر من مرة، وأضيف إلى مسجد السيدة زينب رضى اللّه عنها مساحة جديدة تبلغ حوالى (٢٥٠٠ متر مربع) واتصل نتيجة لذلك (المسجد الزينبى) بمسجد الزعفرانى الواقع فى الجهة الجنوبية من ناحية شارع السد الذى كان فى الماضى خليجاً ثم ردم، وينتسب الحى الذى يقع فيه مسجد السيدة زينب رضى اللّه عنها إلى اسمها الطاهر.

(١) تولى الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب حكم مصر سنة (٥٩٦ هجرية ـ ١٢٠٠ ميلادية).



قـــدوم السيـــدة نفيســـة (رضى الله عنها) إلى مصـــر

من الثابت تاريخياً أن السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ بنت سيدى حسن الأنور رضى الله عنه، وزوجة إسحق المؤتمن بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين قد قدمت إلى مصر فى يوم (٢٥ رمضان سنة ١٩٣ هجرية ـ ٨٠٨ ميلادية).

حيث نزلت فى مصر القديمة، وكان ذلك فى ولاية الحسن بن البحباح والى مصر من قِبَل الخليفة هارون الرشيد، فلما سمع أهل مصر بقدومها الطاهر وكان لها عندهم صيت كبير ومكانة عالية وسيرة حسنة استقبلتها النساء بالهوادج، والرجال بالخيول، ورفعت المصاحف والمشاعل احتفالا بقدومها عند مدينة العريش، وعلت التكبيرات والتهليلات ترحيباً بها وكان لوصولها وقع عظيم .

حين وصلت السيدة نفيسة رضى الله عنها إلى مصر نزلت فى بيت الوالى الحسن بن البحباح، وكان من أهل الصلاح والتقوى ومن محبى آل البيت، ثم نزلت فى دار كبير تجار مصر جمال الدين الجصّاص ومكثت بها شهرا، وظل الناس يفدون إليها من كل فج حتى ضاقت الدار بزوارها ومحبيها، فانتقلت إلى دار أخرى لسيدة مصرية اسمها ـ أم هانئ أجهدت نفسها لتقنع حفيدة رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ بالنزول عندها، ثم انتقلت السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ بعد ذلك إلى دار أخرى بالحسينية، وعندما امتلأت دارها بمريديها وأحبابها فكرت فى العودة إلى المدينة المنورة لتقضى بقية عمرها فى هدوء وانقطاع للعبادة، فتجمهر أهل مصر حول منزلها ومنزل الوالى السرى بن عبد الحكم بن يوسف، ليتشفع لهم عند السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ لكنها قالت:

«إنى كنت قد اعتزمت البقاء عندكم، غير أنى امرأة ضعيفة، وقد تكاثر الناس حولى، فشغلونى عن أورادى، وجمع زادى لمعادى والدار ضيقة»

ولكنها استمعت إلى رجاء والى مصر وأعيانها بالبقاء فى مصر[1] واختير لها دار فسيحة فى درب السباع، هى دار أبى جعفر بن هارون السلمى، واتفق لراحتها أن يحدد يومان فى الأسبوع؛ ليزورها المؤمنون ويأخذوا منها البركات، هما يوما السبت والأربعاء، ثم تنقطع بقية أيام الأسبوع للعبادة، ولقد استمرت على ذلك حتى لاقت وجه ربها، ويقال إنها حفرت قبرها بنفسها داخل هذه الدار، وكان وفاتها حين ازداد عليها المرض فى أول جمعة من شهر رمضان المبارك، وهى صائمة، وحين توفيت السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ وسرى النبأ فى مصر اجتمع خلق غفير حول دارها لا يغادرونها رغم الليل، وأوقدت الشموع فى تلك الليلة فى كل الأرجاء، وسمع البكاء والترحم فى كل دار، وحينما نما إلى علم الأهالى بأن زوجها ـ إسحق المؤتمن ـ قد حضر لينقل جثمانها الطاهر إلى المدينة المنورة تجمهروا وأصروا على بقائها فى مصر، ويتراجع إسحق عن قراره ويرحب بتشريف جسدها الطاهر أرض مصر[1] عندئذ يأمر والى مصر ـ عبد اللّه السرى ـ ببناء مقام على قبرها إعلاء لعلو شأنها، وحتى يتاح لأهالى مصر أن يزوروا قبرها، كما كانوا يتجمهرون حولها[2].

ويذكر الرحالة ـ عبد الغنى النابلسى ـ الذى زار المشهد النفيسى سنة (١١٠٥ هجرية ـ ١٦٩٢ ميلادية).

«أنه هاله ما رآه من اهتمام الناس بمقام السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ وكيف أن نساء مصر من القرن الثانى الهجرى (٦٢٩ ميلادية) خصص يوم الأربعاء لزيارة السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ ويوم الخميس لزيارة الحسين ـ رضى اللّه عنه [3] والثابت أن الخلفاء والأمراء فى مصر ظلوا لفترة طويلة يبدءون زيارة آل البيت بالمشهد النفيسى [4]

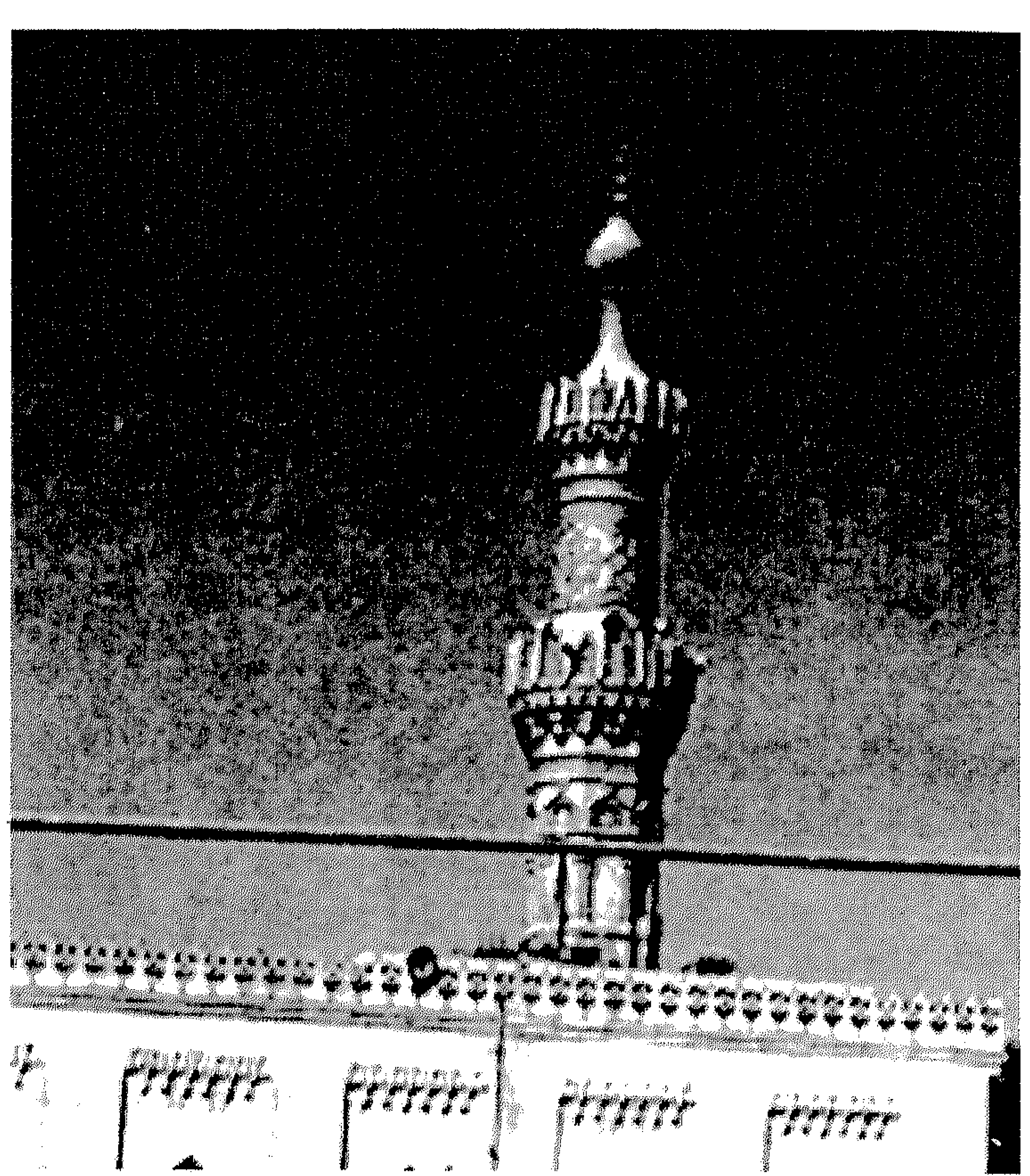
(١) حين سئل إسحق المؤتمن ـ زوج السيدة نفيسة رضى الله عنها: لماذا تراجعت عن قرارك بدفنها فى المدينة المنورة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول يا إسحق لا تعارض أهل مصر فى نفيسة فإن الرحمة تنزل عليهم ببركاتها.

(٢) يذكر المقريزى فى خططه أن قبر السيدة نفيسة رضى الله عنها أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء فى مصر.

(٣) جاء فى كتاب الجواهر النفيسة فى مناقب السيدة نفيسة للشيخ محمد عبد الخالق، وفى كتاب كريمة الدارين السيدة نفيسة للشيخ أحمد فهمى «أن الله تعالى وكل بقبرها ملكا يقضى حاجات الناس».

(٤) بلغ من تقديس مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها أن بعض اللصوص تسللوا إلى مشهدها الطاهر وسرقوا (١٦) قنديلاً من الفضة، وكان ذلك فى سنة (١٢٤ هجرية ـ ٦٣٨ ميلادية) ولما اعترفوا بذلك تم شنقهم أمام المسجد.





مئذنة
السيدة نفيسة

ويختمونها بالمشهد الحسينى» ـ ويذكر ـ ابن خلكان ـ فى وفيات الأعيان أن السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ كان لها صفحات مع الإمام مالك فى المدينة المنورة.

كما كان لها صفحات مع الإمام الشافعى، فلقد كان الإمام الشافعى يزورها كثيراً ويتحاور معها ويسمع منها ويلتمس بركاتها.. ويقال إنه كان يصلى التراويح فى شهر رمضان فى مسجدها، وكان إذا مرض يرسل لها أحد أتباعه بالسلام ليقول لها إن ابن عمك الشافعى يطلب دعاءك له بالشفاء فتدعو له، وقيل إن الإمام الشافعى حينما توفى سنة (٢٠٤ هجرية ـ ٨١٩ ميلادية) قبل وفاة السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ بأربع سنوات مروا بجنازته على بيت السيدة نفيسة رضى اللّه عنها بأمر من أمير مصر ابن الحكم، بناءا على طلبها لعجزها عن الحركة من كثرة التعبد فصلت عليه [١].

(١) أشار المستشار عبد الحليم الجندى فى كتابه عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أن السيدة نفيسة رضى الله عنها قد صلّتْ على جثمان الإمام الشافعى رضى الله عنه وكان إمام الصلاة الشيخ أبو يعقوب البويطى أحد تلاميذ الإمام الشافعى رضى الله عنه.

ومن أقوال السيدة نفيسة رضى الله عنها:

«حذار من المغرور».

«إن الجهاد فى طلب الرزق عبادة».

«لا يكمل حب المسلم لرسول الله إلا بمتابعته فى جميع أعماله».

ويذكر أنه فى سنة (٧٤٣ هجرية ١٣٤٢ ميلادية) مرض رابع سلاطين آل قلاوون واحتار فى علاجه الأطباء ولقد أشار البعض على والدته السلطانة أن تذهب به إليمشهد السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ بقلب مؤمن والدعوات المباركة والنذر للفقراء فتحققت المعجزة وزال المرض عن السلطان، فأمر بتزيين القاهرة كلها، وتوزيع الصدقات على الفقراء، أما والدة السلطان فلقد أهدت المشهد النفيسى قنديلاً من الذهب الخالص زنته رطلان وسبع أوقيات ونصف.

ويُذْكَرُ أيضا أن الخلفاء العباسيين الذين جاءوا إلى مصر فى عهد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى (٦٥٨\٦٧٦ هجرية) ـ (١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ميلادية)بعد أن أحرق هولاكو بغداد أوصوا أن يُدْفَنُوا بجوار قبر السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ لتفيض عليهم ببركاتها وكذلك طلب الكثير من الخلفاء الفاطميين، ولذلك يضم قبر السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ عشرات من قبور الخلفاء والسلاطين.

وقد روى أن ـ أبا المسك كافور الإخشيدى[1] ـ (٣٥٥ ـ ٣٥٧ هجرية)(٩٦٦ ـ٩٦٨ميلادية) كان يزور مشهد السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ كل يوم خميس، وكان حين يقترب من مشهدها يترجل من على دابته، ويدخل حاسر الرأس ويسأل الله تعالى عند مقامها أن تُقضى حوائجه، وكان ـ كافور ـ يأتى معه بالمسك والعطور والشمع والزيت والقناديل ويحسن على سدنة المقام كثيرا، واستمر مواظباً على ذلك طوال حياته.

(١) أبو المسك كافور كان عبداً أسود من عبيد الإخشيد، وكان مخلصا له إخلاصا شديدا، فرفعه وعهد إليه بتربية ابنيه (أنو جور، وعلى) ولما شعر الإخشيد بدنو أجله عهد إلى كافور بالوصاية على ولده أنوجور، وعندما مات الإخشيد كان سن ابنه أربع عشرة سنة فسيطر عليه، وظل كافور طوال مدة حكم أنوجور الحاكم الحقيقى للبلاد، كذلك فعل ـ كافور ـ مع أخيه ـ على بن الإخشيد، وعند وفاة على تولى كافور حكم مصر، ولقد سقطت مصر فى أيدى الفاطميين بعد وفاته بسنة واحدة تقريباً.



ويذكر المقريزى أن أول من بنى على قبرها هو ـ عبد الله ين السرى بن الحكم ـ والى مصر من قبل الأمويين، ثم أعيد بناء الضريح فى زمن المستنصر بالله خامس الخلفاء الفاطميين فقام فى سنة (٤٨٢ هجرية)(١٠٨٩ ميلادية) بتجديد المقام وإعلاء أركانه... وكان مكتوبا على اللوح الرخامى على باب الضريح والذى كان مصفحاً بالحديد «نصر من الله وفتح قريب أمر بإنشاء هذا المشهد الشريف النفيسى مولانا أمير المؤمنين فى ربيع آخر سنة (٣٨٢ هجرية)(٩٩٢ ميلادية)».

وقد جُدِّد مقام السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ فى عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله سنة (٥٣٢ هجرية ـ ١١٣٧ ميلادية)، ولقد بقى من عمارة الخليفة الحافظ لدين الله بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة محراب خشبى غاية فى الدقة مكتوب عليه:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(١)

ثم جدد مقام السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ بعد ذلك فى عهد الملك الناصر محمد ابن قلاوون والى مصر، على باشا حكيم، والأمير عبد الرحمن كتخدا، وخديوى مصر عباس حلمى الثانى.

وتؤكد الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها القيم ـ مساجد مصر وأولياء الله الصالحين ـ أن مسجد ومشهد السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ أقيما فى نفس المكان الذى دفنت فيه السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ منذ حوالى (١٢) قرناً من الزمان.

ولقد أجمع المؤرخون على صحة تشريفها أرض مصر، وأنها دفنت فى المشهد الذى يرقد فيه جسدها الطاهر الآن، وقيل إن السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ سميت باسم عمتها السيدة نفيسة بنت زيد ـ زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك، ولقد كانت السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ عالمة ومؤمنة، ولقبت بنفيسة الدارين ونفيسة الطاهرة..

(١) سورة الذاريات الآيات ١٥. ١٦. ١٧ .

ونفيسة العابدة.. ونفيسة المصريين.. ولقد شَرَّفَتْ السيدة نفيسة ـ رضى اللّه عنها ـ مصر بقولها:

«أدْعُو اللّه دائما أن يجعل مصر بعد الأماكن المقدسة محفوظة برعايته، يشع منها نور الإسلام والهداية على جميع الأرض، وأسأله تعالى أن يستجيب.. إنه سميع عليم».



قدوم السيدة عائشة (رضى الله عنها) لمصر

يُجمع المؤرخون على أن السيدة عائشة رضى اللّه عنها التى يتسمى باسمها حى قاهرى، ويحمل اسمها باب فى سور القاهرة الذى أقامه الأيوبيون قد زارت القاهرة فى سنة (١٦٩ هجرية - ٧٨٦ ميلادية) وأنها توفيت سنة (٢٤٥ هجرية - ٨٥٩ ميلادية).

ولقد أكد ذلك ابن محمود السخاوى الحنفى - فى كتابه - تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات - فكتب يقول:

«السيدة عائشة بنت جعفر الصادق دخولها مصر ثابت.. وأنها دخلت مصر فى صحبة إدريس بن عبد اللّه المحض بعد فَخْ كربلاء[1] التى استشهد فيها الحسين العابد وجماعة آل البيت».

وقد أشار شمس الدين بن محمد فى كتابه الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى - عندما تحدث عن المدفونين فى مصر من آل بيت النبى (ﷺ) إلى السيدة عائشة فذكر:

«أن لها نسباً متصلاً بالإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب» ولقد ذكر الإمام الشعرانى أن السيدة عائشة - رضى اللّه عنها - بنت جعفر الصادق مدفونة بباب قرافة مصر فى المنارة القصيرة على يسارك وأنت تريد الخروج من الرميلة[2] إلى باب القرافة.

وقد أكَّدَ عالم الآثار الأستاذ حسن عبد الوهاب فى كتابه تاريخ المساجد المصرية عندما تحدث عن السيدة عائشة - رضى اللّه عنها-:

---

(١) فتح كربلاء المقصود بها هنا مذبحة كربلاء.

(٢) الرميلة.. حى القلعة الآن.



بوابة مسجد
السيدة عائشة

هذه ترجمة موجزة لسيدة من آل البيت النبوى الكريم شرف جثمانها الطاهر أرض مصر، ووجدنا منذ ستمائة سنة شبه إجماع على أن جثمان السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى مشهدها القائم فى الرميلة بمصر».

ولقد أشار إلى وجود جثمان السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى مصر ـ أحمد زكى باشا ـ فى مقالته التى نشرتها له جريدة الأهرام بتاريخ ٣ أغسطس ١٩٣١.

فكتب يقول « إن المشهد القائم جنوب القاهرة باسم السيدة عائشة النبوية.. حقيقة.. يتشرف بضم جثمانها الطاهر، وفيه مشرق أنوارها، ومهبط البركات».

وكانت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ من العَابدَات.. القَانتَات.. المُجَاهدَات، عاشت حياة قصيرة فماتت وربما لم تتعد العشرين من عمرها، وولدَت السَيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعاشت الفترة الأولى من حياتها فى بيت أبيها فى المدينة المنورة فى فترة زالت فيها قسوة بنى أمية على آل البيت، وكان أبوها الإمام جعفر الصادق من أعمدة آل البيت فى عصره، وقد نهلت من نبع والدها الإيمانى، كما نهل منه إخوتها خاصة «إسحاق المؤتمن» زوج السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين، وأشبه الناس برسول الله ﷺ(١).

ولقد ذكرت الدكتورة سعاد ماهر أن مشهد السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ ظل مشهداً بسيطاً يتكون من حجرة واحدة مربعة، يعلوها قبة ترتكن على صفين من المقرنصات، وأن مشهدها الطاهر ظل على هذه الصورة حتى القرن السادس الهجرى،

(١) انظر كتاب (عواصم مصر الإسلامية ـ حسن الرزاز ـ دار الشعب).



ولقد اهتم الفاطميون بالطبع بمشهدها الطاهر، وكان اهتمام الأيوبيين بمشهدها واضحاً فأنشأوا بجواره مدرسة وذلك عندما أحاط الناصر صلاح الدين الأيوبى عواصم مصر الإسلامية الأربع (الفسطاط - العسكر - القطائع - القاهرة) بسور واحد طوله (١٥) كيلو مترا تقريبا، حتى يحصن البلاد ضد هجمات الصليبيين، وحينما فصل السور قبة السيدة عائشة رضى اللّه عنها - عن باقى القرافة، رأى صلاح الدين الأيوبى أن يقيم بجانب القبة مدرسة، كما أنه فتح فى السور باباً سماه باب عائشة[1].

ويذكر التاريخ بكل الإجلال والتقدير اهتمام الأمير عبد الرحمن كتخدا بمساجد وأضرحة ومشاهد آل البيت، فأمر بإعادة بناء مساجدها الطاهرة فى سنة (١١٧٦هجرية - ١٧٦٢ ميلادية) وقد كتب على عتبة الباب البحرى:

«مسجد أسه التُّقى فتراه كبدور تهدى بها الأنوار وعباد الرحمن قد أرخوه تتلألأ بحبه الأنوار».

ولقد قام الأمير عثمان أغا مستحفظان بتجديد هذا الباب فى سنة (١٣١٤ هجرية - ١٨٩٦ ميلادية) أما الباب الثانى فكانت توجد على يساره المنارة وقد كتب عليه:

«بمقام عائشة المقاصد أرخت
سل بنت جعفر الوجيه الصادق.

وكتب على باب قبة مسجد السيدة عائشة - رضى اللّه عنها ..

«لعائشة نور مضىء وبهجة
وقبتها فيها الدعاء يجاب»

وفى سنة ١٩٧٣ قامت الدولة بإنشاء مسجد يليق بمقام السيدة عائشة - رضى اللّه عنها - حفيدة الرسول الكريم (ﷺ)، فأقيم المسجد الجديد الذى استخدم فى بنائه حجارة ورخام ومقصورة وشبابيك ومئذنة مسجد أولاد عنان الأثرى المملوكى الطراز.. ولقد زادت مساحة مسجد السيدة عائشة - رضى اللّه عنها - بذلك إلى (١٥٠٠مترا مربعا) يتسع لاستقبال ما لا يقل عن ثلاثة آلاف مصل، ولو أن الدكتورة سعاد ماهر رأت أن المسجد الجديد أغفل شيئاً هاماً كان يميز عمارة مشاهد آل البيت فى مصر.

وتعتبر السيدة عائشة - رضى اللّه عنها - من الأجيال الأولى لكواكب ونجوم آل البيت الذين جاءوا إلى مصر .

---

(١) يعرف باب عائشة الآن بباب القرافة.



السيدة رقية، رضى اللّه عنها، بنت الإمام على بن أبى طالب، رضى اللّه عنه وكرم اللّه وجهه وكان لسيدنا علىّ من الأولاد ثلاثون ولدا كما ذكر على باشا مبارك - فى خططه - نقلا عن - الحافظ السلفى - الذى أشار إلى اسم السيدة رقية، رضى اللّه عنها، ضمن أولاد سيدنا على رضى اللّه عنه، وأن أمها هى السيدة - أم حبيب الهباء التغلبية..

ويذكر الشيخ الشيلنجى - فى كتابه - الفصول المهمة فى فضائل الأئمة.. أن السيدة رقية رضى اللّه عنها كان لهاأخ توأم اسمه «عمر» عاش خمساً وثمانين سنة، وحاز نصف ميراث والده الإمام على، رضى اللّه عنه، وذلك بسبب استشهاد أشقائه عبد الله، وجعفر، وعثمان، رضى اللّه عنهم أجمعين، فى مذبحة كربلاء الشهيرة.

ويقال: إن السيدة رقية، رضى اللّه عنها، جاءت إلى مصر مع أختها السيدة زينب بنت على بعد مذبحة كربلاء.

ومشهد السيدة رقية، رضى اللّه عنها، يقع داخل الربع الكبير يفصل بينه وبين شارع الخليفة وبينه وبين جامع شجرة الدر المقابل، وعلى باب المشهد الحجرى حفر بيت من الشعر يقول:

«بقعة شرفت بآل النبى وببنت الرضا على رقية»[1]

ولقد أشار على باشا مبارك فى خططه عن الأماكن والشوارع والحارات والأزقة فذكر يقول:

التكية المعروفة بتكية السيدة رقية هى فى غاية التحفة والنورانية، وبداخلها ضريح السيدة رقية يعلوه قبة لطيفة وبقربه عدة أضرحة، ويوجد قبلة مصنوعة من خشب منقوش جميلة فى غاية الإتقان، وحنفيات للوضوءوجنينة صغيرة، ويعمل للسيدة رقية مقر وحضرة كل أسبوع، ومولد كل عام.

(١) بقيع مصر الصغير.. ويراد به هنا شارع الخليفة بالقاهرة الذى يضم جبانات كثيرة فى رحاب قلعة الناصر صلاح الدين الأيوبى، منها أضرحة السيدات الشريفات من دار بيت آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهن السيدة نفيسة والسيدة رقية، وسيدى محمد الأنور عم السيدة نفيسة، والسيدة نفيسة بنت زيد أخت الأنور وعمة السيدة نفيسة بنت حسن الأنور، وأسماء أخرى شريفة تضمها أرض هذه المنطقة وبقيع مصر الصغير تسمية مرادفة لمنطقة البقيع فى المدينة المنورة.



ويذكر الشيخ الشعرانى:

«أخبرنى سيدى على الخواص أن بنت الإمام على، كرم اللّه وجهه، ترقد فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة ومعها جماعة من أهل البيت.. ويقع ضريح شجرة الدر على بعد خطوات من مشهد السيدة رقية رضى اللّه عنها[١].

وتذكر الدكتورة سعاد ماهر وهى من كبار المهتمين بتاريخ آل البيت:

«أن مشهد السيدة رقية يعتبر من المشاهد الفاطمية البارزة والباقية فى مصر حتى الآن[٢]، بجانب مشهد لأبناء فاطميين آخرين هما مشهد السبع بنات فى مصر القديمة والذى شُيِّدَ فى سنة (٤٠٠ هجرية ـ ١٠٠٩ ميلادية) والمشاهد الفاطمية [٣] فى جبانة أسوان والتى يرجع تاريخ معظمها إلى القرن (الخامس الهجرى -٦٢٦ ميلادية). ولقد تم تشييد مشهد السيدة رقية فى عهد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله ثامن الخلفاء الفاطميين (٥٢٤ ـ ٥٤٤هجرية) (١١٣٠ ـ ١١٤٩ ميلادية) ويضم مشهد السيدة رقية رضى الله عنها قبر السيد محمد الشهير بمرتضى[٤]، وقبر زوجته السيدة زبيدة، وقبر يحمل اسم السيدة (أسماء)[٥]، وقبر يحمل اسم السيدة (عاتكة)[٦] وقبر آخر يحمل اسم «السيد على الجعفرى»[٧].

(١) من الثابت تاريخيا أن سيدى على زين العابدين، رضى الله عنه، قد دفن فى البقيع بالمدينة المنورة ثم نقل جسده الطاهر بعد ذلك إلى القاهرة فى الحى الشهير الذى ينتسب إلى اسمه الكريم بمنطقة السيدة زينب، التى كانت تعرف فى أوائل سنوات الفتح الإسلامى لمصر باسم الحمراء القصرى ـ ولقد ذكر الشيخ محمد زكى أن السيدة رقية، رضى الله عنها، ليست ابنة سيدنا على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، انما هى ابنة الإمام على الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين.. وإذا أخذنا بهذا الرأى فإن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق الراقدة فى مشهدها القريب من السيدة رقية تكون عمة السيدة رقية، رضى الله عنها، لأن السيدة عائشة أخت الإمام موسى الكاظم، كما أن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور تعتبر زوجة إسحاق المؤتمن عم السيدة رقية، رضى الله عنها.

(٢) يشبه مشهد السيدة رقية، رضى الله عنها، فى شارع الخليفة بالقاهرة الجامع الأقمر فى شارع المعز لدين الله الفاطمى والذى شُيِّدَ فى عصر الخليفة الآمر بأحكام الله المنصور أبى على ـ الذى تولى حكم مصر بعد أن بويع بالخلافة وكان ولى عهد أبيه من (٤٩٥ ـ ٥٢٤) هجرية (١١٠١ ـ ١١٣٠) ميلادية.

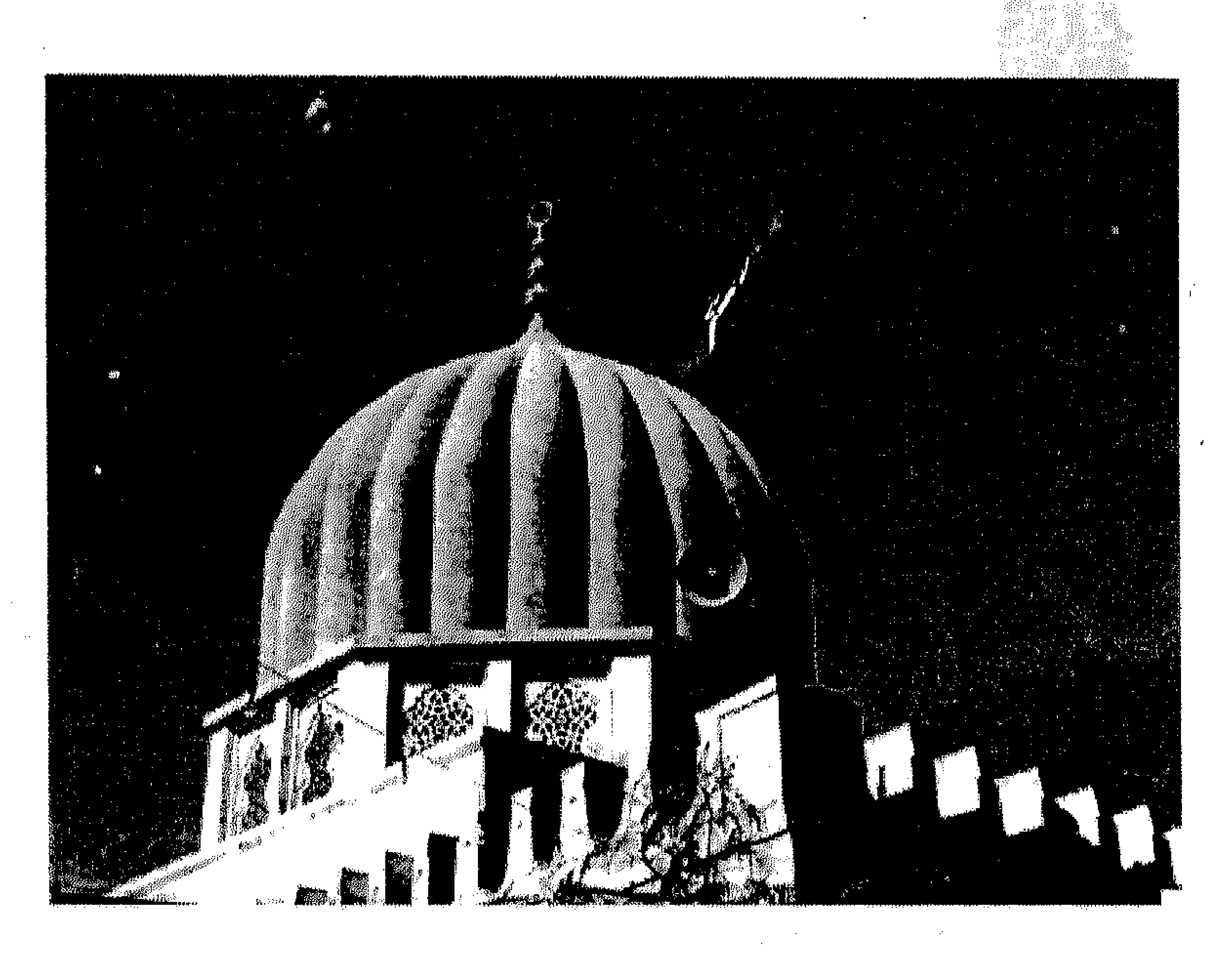
(٣) ليس هناك اختلاف بين المشهد والضريح. فالشيعة يطلقون على القبة اسم «المشهد» وأهل السنة يطلقون عليها اسم «الضريح» اذن فالمشهد والضريح اسمان لمسمى واحد.

(٤) مرتضى: هو السيد محمد الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى الفقيه.. المحدث اللغوى.. النحوى.. الأصولى.. ولقد أشار إليه المقريزى والشيخ عبدالرحمن الجبرتى.

(٥) أسماء: اسم يرى البعض أنه لأسماء بنت عميس الخثعمية زوجة الإمام على بن أبى طالب، رضى الله عنه.. ويرى بعض آخر أنه اسم خادمة السيدة رقية رضى الله عنها.

(٦) السيدة عاتكة: البعض يرى أنها السيدة عاتكة عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، والبعض الآخر يرى أنها عاتكة بنت شرحبيل زوجة محمد بن أبى بكر الصديق والى مصر من قبل على بن أبى طالب رضى الله عنه.

(٧) سيدى الجعفرى.. ينتسب إلى الإمام جعفر الصادق وربما كان واحدا من أبنائه.



مسجد
السيدة رقية

وكما أن هناك اختلافاً فى نسب السيدة رقية، رضى الله عنها، فإن هناك اختلافاًأيضا حول دفنها فى مصر، فبعض الباحثين يرى أنه حدث فى مصر فى العصور الوسطى وفى أيام حكم الفاطميين بالذات ما يعرف باسم (مشاهد الرؤيا) أو (أضرحة الرؤيا)

وهى أماكن كان يلجأ إليها فى أوقات المحن والحروب والكوارث وكان بعض الصالحين يرى رؤيا لقطب من أقطاب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لولى من أولياء الله الصالحين فيصحو من نومه ليبنى له ضريحا.. وربما كان ضريح السيدة رقية، رضى الله عنها، أحد أضرحة الرؤيا، ولو أن هناك شبه إجماع على زيارتها ودفنها بمصر ولقد أكد ذلك شمس الدين بن محمد الزيات فى كتابه ـ الكواكب السيّارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى ـ والإمام الشعرانى ـ والدكتورة سعاد ماهر والأستاذ حسنى عبد الوهاب فى كتابه « تاريخ المساجد الأثرية» الجزء الأول، وابن محمود السخاوى الحنفى فى كتابه «تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات»، والشبلنجى صاحب كتاب نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار ـ وعلى باشا مبارك فى خططه، وأحمد زكى باشا، والأستاذ أحمد أبو كف فى كتابه آل بيت النبى فى مصر.



قدوم السيدة سكينة (رضى الله عنها) إلى مصر

يؤكد الإمام الشعرانى أنه لما دخلت السيدة نفيسة مصر كانت عمتها السيدة سكينة، رضى اللّه عنها، مدفونة بالقرب من دار الخلافة وقد كانت مقيمة بمصر ولها شهرة عظيمة .

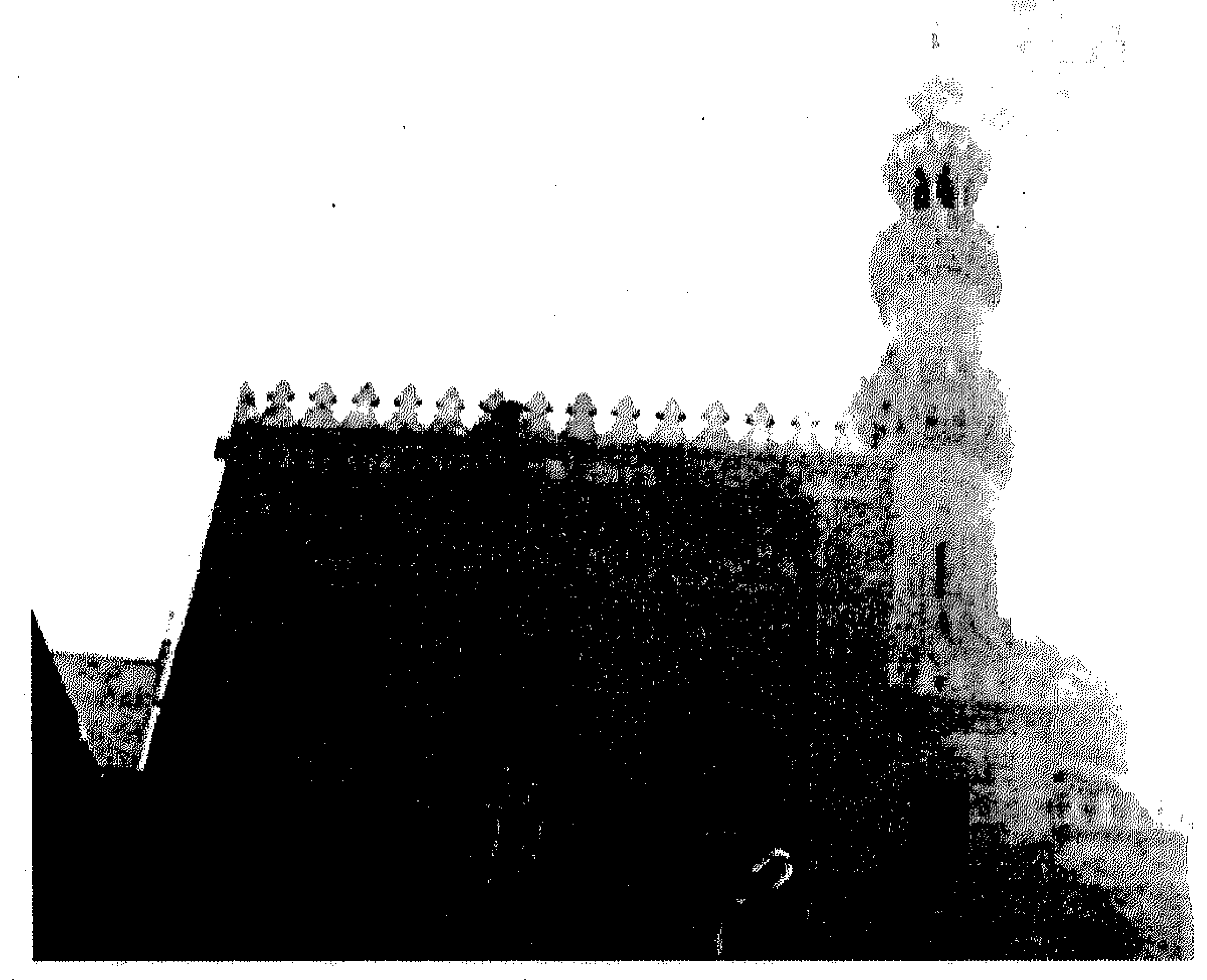
وقيل إن السيدة سكينة، رضى اللّه عنها، جاءت إلى مصر مرتين، مرة مع عمتها السيدة زينب، رضى اللّه عنها، ومرة أخرى حين خطبها الأصبع بن عبد العزيز من أخيها على زين العابدين[1].. ولما توفى زوجها الأصبع بمصر، أقامت فيها حتى توفاها اللّه فدفنت فيها، ويقع مدفنها الطاهر فى شارع الخليفة ويحمل اسمها المبارك الشارع المعروف باسمها..

ولقد وصف على باشا مبارك فى خططه، ضريح السيدة سكينة، رضى اللّه عنها، بأنه مجلل بالبهاء والنور، وعليه تابوت من الخشب.

وحينما قام الأمير عبد الرحمن كتخدا الذى عرف بأمير المحسنين بإعادة إنشاء مسجد السيدة سكينة، رضى اللّه عنها، فى سنة ١١٧٣ هجرية سجل هذه الأبيات تخليدا لسيرتها الطاهرة:

حرم يا بنت الحسين مؤرخ
لسكينة تصب المواهب كلها
ذا مسجد ياآل طه مؤرخ
شمس هدى بنت الحسين سكينة

(١) تؤكد الدكتورة بنت الشاطىء أن السيدة سكينة رضى الله عنها، قد تزوجت ثلاث مرات قبل زواجها من الأصبغ بن عبدالعزيز، فتزوجت بن مصعب بن الزبير، ومن عبدالله الخزامى ومن زيد الخزامى،ولقد قالت بعد مقتل زوجها مصعب فى الكوفة فى عهد عبدالله ابن مروان: الله يعلم كم أبغضكم، قتلتم جدى علياً، وقتلتم أبى الحسين.. وزوجى مصعبا، فبأى وجه تلقوننى.. يتمتمونى صغيرة.. وأرملتمونى كبيرة..



مسجد
السيدة سكينة

كان ضريح السيدة سكينة، رضى اللّه عنها، منخفضاً عن سطح أرض المسجد، فَرُفِعَ الضريح فى عهد خديوى مصر عباس حلمى باشا الأول إلى مستوى سطح المسجد،وأحيط بمقصورة من النحاس على نفس نمط مقصورة مشهد السيدة نفيسة، رضى اللّه عنها، وجددت القبة والمسجد فى عهد عباس حلمى باشا فى سنة ١٢٣٢ هجرية، ومازال مسجد السيدة سكينة، رضى اللّه عنها، مثلاً رائعاً للفن الإسلامى.

والسيدة سكينة، رضى اللّه عنها، بنت الحسين رضى الله عنه سيد شهداء أهل الجنة، وجدها النبى الكريم (ﷺ) وجدتها السيدة فاطمة الزهراء رضى اللّه عنها وشقيقة ـ على زين العابدين ـ رضى اللّه عنه، وسميت باسم جدتها ـ آمنة ـ أم النبى، ونادتها أمها ـ الرَّبَابُ ـ باسم ـ سكينة ـ لأنها كانت تَسْكُنُ اليها نفوس آل بيتها لجمالها، ومرحها ونشاطها، وعلمها.

وقد ذكرت الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها ـ مساجد مصر وأولياء اللّه الصالحون ـ «إذا كان للغرب أن يفخر بندواته النسائية العلمية وصالوناته فى القرن الثامن عشر، فإن للعرب أن يفخروا بندوات السيدة سكينة، رضى اللّه عنها، فى المدينة المنورة فى القرن الحادى عشر الميلادى فلقد امتازت ندواتها بالأدب والعلم الغزير، فكم اجتمع ببابها الفرزدق – وجرير – وجميل ليحتكموا إليها من يكون أشعرهم.

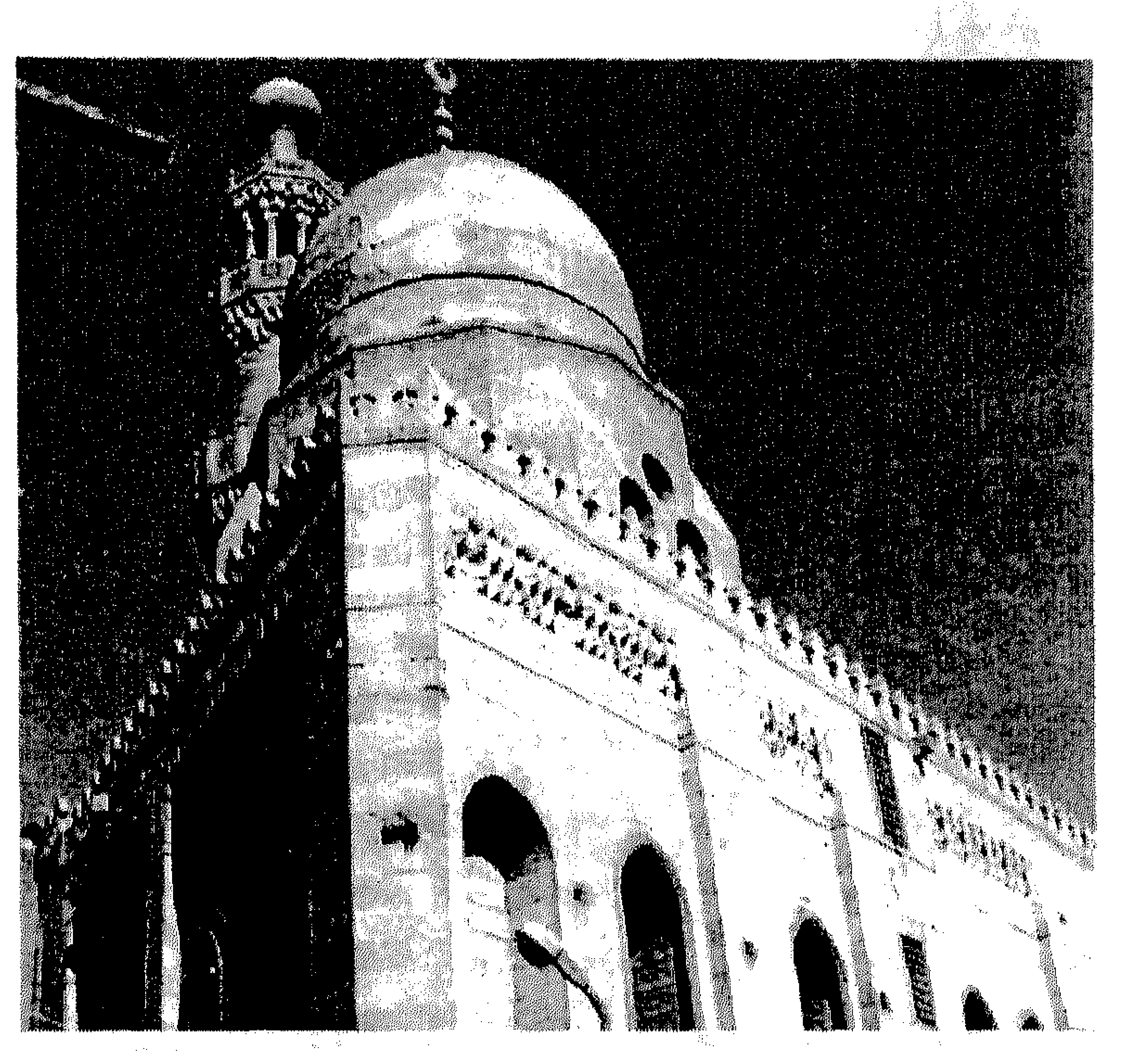


ويذكر الشيخ الأجهورى أن السيدة فاطمة النبوية، رضى الله عنها ، مدفونة خلف ـ الدرب الأحمرفى زقاق يعرف بزقاق فاطمة النبوية فى مسجد جليل ،ومقامها عظيم وعليه من المهابة والجلال والوقار ما يسر قلوب الناظرين ، وما اشتهر من أن مقام فاطمة النبوية ، رضى الله عنها ـ بدرب سعادة ـ غير صحيح ويحتمل أن تكون فاطمة أخرى من بيت النبوة.

ويؤكد على باشا مبارك أن مسجد السيدة فاطمة النبوية ، رضى الله عنها ، يقع بالدرب الأحمر شمال الذاهب إلى القلعة ، وأن الذى أنشأه هو المرحوم عباس باشا ، وجعل به ستة أعمدة من الرخام ، وفرشه بالحجر المنحوت ، وجعل فيه منبراً من خشب ودكة، وأقيمت فيه الجمعة والجماعة ، وعمل له ميضأة وحنفية من الرخام فى وسط مكان متسع مفروش بالحجر المنحوت يفصله عن طرقة المراحيض درابزين من خشب ، وله منارة وبابان ، وهو ضريح جليل ذو وضع جميل واقع على يسار القبلة عليه قبة مرتفعة ومقصورة من نحاس أصفر ، ويضيف على باشا مبارك أن الأمير سليمان أنشأ وعمّر زاوية وضريح السيدة فاطمة النبوية ، رضى الله عنها ، بقرب درب شعلان وزرع النوى داخل الدرب المعروف بالنبوية على يسار المتجه لدرب التبانة ودرب السباع ..

وأنه صرف على ذلك مبلغاً قدره ستون ألف دينار فضة ، وأن لهذا المسجد أوقافاً جارية عليه تحت نظر ديوان الأوقاف .

ويذكر الشيخ الصبان فى رسالته عن آل البيت (أن الحسن بن الحسن بن على) خطب من عمه الحسين إحدى ابنتيه ـ فاطمة ـ أو سكينة ـ وقال : اختر لى أحديهما ، فقال الحسين : لقد اخترت



مسجد
السيدة فاطمة
النبوية

لك ابنتى - فاطمة - فهى أكثرهما شبهاً بأمى فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم)، أما فى الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار ..

وأما فى الجمال فتشبه الحور العين ،ويضيف الشيخ الصبان - أنه كان يقام بمسجد السيدة فاطمة النبوية رضى اللّه عنها - حضرة - كل ليلة ثلاثاء، ومولدها كل سنة يعمر بالمريدين والمحبين لمدة عشرة أيام.

ويتضح من كل هذا الاهتمام بالسيدة فاطمة النبوية. ومسجدها، ومشهدها، صحة وجود جسدها الطاهر فى مصر، ويخالف ذلك بعض المؤرخين الذين يرون أنها ليست مدفونة بمصر، وأنها لم تقم بزيارتها فى يوم من الأيام، وأن المزار المقام باسمها فى قلب القاهرة فى حى الدرب الأحمر مجرد مزار أقيم تخليدا لذكراها ولم تدفن فيه أصلا.

تزوجت السيدة فاطمة النبوية، رضى اللّه عنها، من ابن عمها الحسن بن الحسين، وأنجبت منه - عبد اللّه - الملقب بالمحض - وإبراهيم الملقب بالقمر والحسين الملقب بالمثلث، ولقد قتل الثلاثة خنقاً فى سجن أبى جعفر المنصور سنة (١٤٥ هجرية) (٧٦٤ ميلادية)، حينما نشبت الحملة من جديد على آل البيت أيام العباسيين، ويذكر العلماء،

أن ـ عبد الله المحض ـ الابن البكر للسيدة فاطمة النبوية، رضى الله عنها، يوجد له ضريح فى جهة عابدين بجوار الشيخ ريحان، ولقد سمى عبد الله بالمحض لأنه أول من جمع بين مصاهرة الحسن والحسين. وكان ـ المحض ـ كما وصف يشبه جده رسول الله (ﷺ)، كما كان من شيوخ بنى هاشم فى زمانه.

والسيدة فاطمة الزهراء، رضى الله عنها، بنت الإمام الحسين، رضى الله عنه، وأخت السيدة سكينة، رضى الله عنها، وشقيقة سيدى على زين العابدين، رضى الله عنه، ولقد سماها أبوها الإمام الحسين بفاطمة تيمناً باسم أمه فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) وجدة السيدة فاطمة النبوية لأمها السيدة ـ أم كلثوم ـ بنت أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه، وخالتها السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها.

قدوم السيد على زين العابدين بن الحسين (رضى الله عنه) إلى مصر

يذكر الشعرانى أنه علم أن زين العابدين بن الحسين، رضى الله عنهما، قد وصل إلى القاهرة سنة (٢٥٩ هجرية)(٨٧٢ميلادية)(١) والذين رأوه رؤيا العين قالوا فيه زهرة آل البيت الوحيدة التى بقيت فى كربلاء، وهذا قول حق فلو لم يكن مريضا فى يوم كربلاء لانقطع نسل النبوة من صلب الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

ولكن كان الله رحيماً بآل البيت فكان على زين العابدين هو الوحيد من الذكور الذى لم تمسه سيوف بنى أمية فى كربلاء، وليصبح بمثابة الجد التاريخى لكل ولى من أولياء الله من بيت النبوة، ولكن من هو على زين العابدين رضى الله عنه الذى يحمل اسمه حى بأكمله في القاهرة، ويلتف الناس حول مشهده الذى يقع بقرافة زين العابدين؟ إن على زين العابدين بن الحسين، رضى الله عنهما، كان من الجيل الثالث لآل البيت، وأختاه السيدتان سكينة، وفاطمة النبوية، رضى الله عنهما، وهو عم سيدى حسن الأنور، رضى الله عنه، وجد السيدتين نفيسة وعائشة رضى الله عنهما، ومن أبنائه سيدى زيد المدفون معه فى قبره، وهو إمام الطائفة الزيدية فى اليمن.

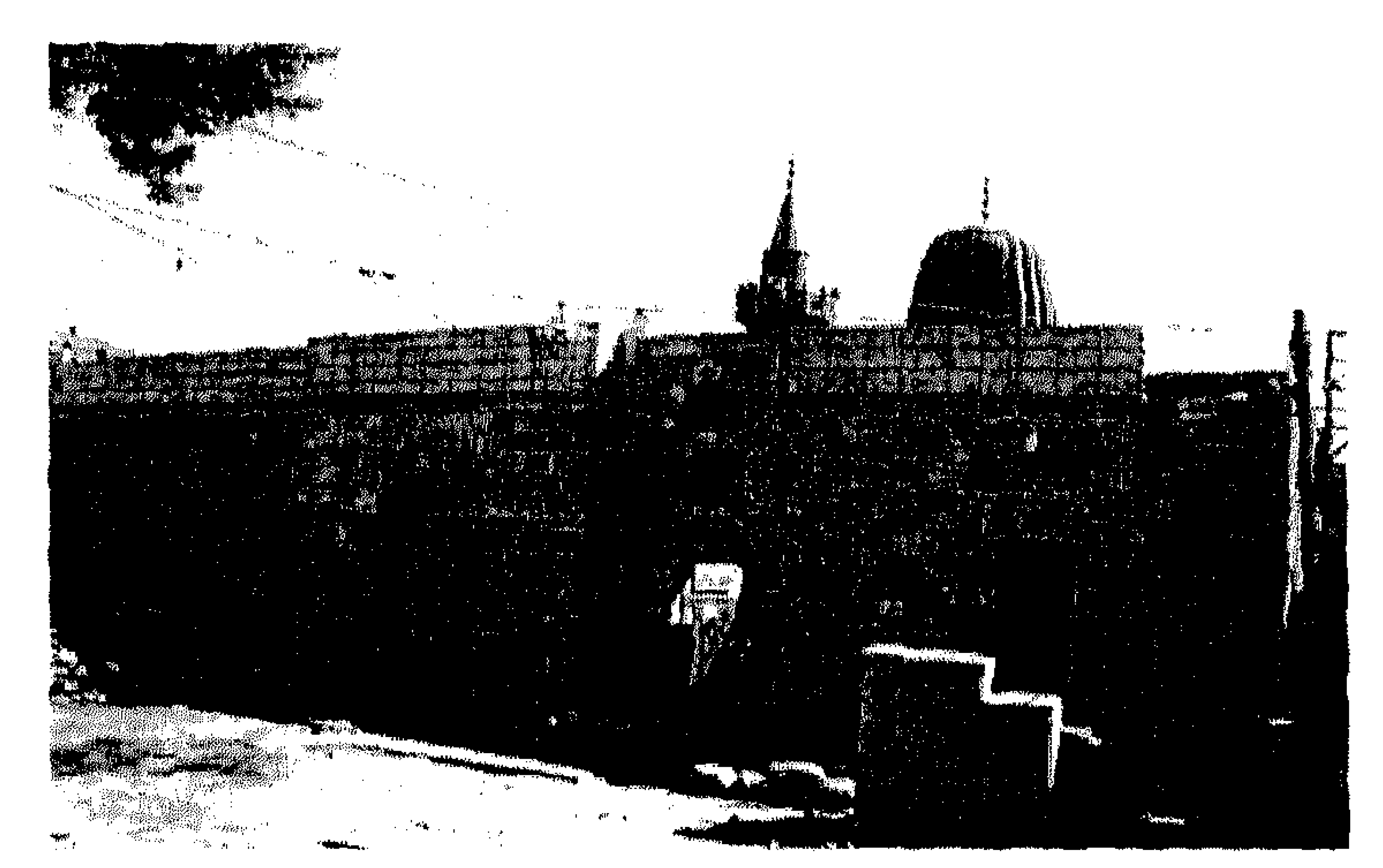
ولد على زين العابدين، رضى الله عنه، يوم الخميس السابع من شهر شعبان سنة (٢٧ هجرية - ٦٤٧ ميلادية) فى بيت السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم (ﷺ)، وتوفى فى اليوم الثانى عشر من شهر المحرم سنة (٩٤ هجرية - ٧١٣ ميلادية)(٢) ولقد

---

(١) لقد أشار الشعرانى فى كتاب الطبقات إلى قدوم زين العابدين بن الحسين. رضى الله عنهما، إلى مصر فى سنة (٥٢٩ هجرية و ١١٣٤ ميلادية).

(٢) لقد أشارت الدكتورة بنت الشاطىء إلى دور السيدة زينب رضى الله عنها فى الدفاع المستميت عن الغلام المريض على زين العابدين، رضى الله عنه، ولولاها لَذُبِحَ، فعندما جاء دوره فى ضرب عنقه اندفعت بقوة إيمانها وثبات يقينها فاحتضنته وقالت لابن زياد: حسبك يا ابن زياد، أما رويت من دمائنا وهل أبقيت أحدا غير هذا ؟!!والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلنى معه.. ويسرع على زين العابدين، رضى الله عنه، فيقول لابن زياد بشجاعة: أبا لقتل تهددني يا بن زياد ؟!!.
أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة، فما كان من ابن زياد إلا أن يصيح فى زبانيته «دعوا الغلام» وحين جاءت السبايا من آل بيت النبى إلى يزيد بن معاوية فى دمشق أدْخل على زين العابدين، رضى الله عنه، على يزيد وهو مغلول الأيدى فقال ليزيد: «لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مغلولين لفك عنا» فقال يزيد «صدقت» وأمر بفك وثاقه.





مسجد
على زين العابدين

اختار جده الإمام على بن أبى طالب، رضى اللّه عنه، أن يسميه باسمه، ويقال إنه حين ولد فرح به وتهلل وأذَّنَ فى أذنه كما أذَّنَ الرسولُ الكريم فى أُذن أبيه الحسين، رضى اللّه عنه، حين ولادته.

وأم على زين العابدين،رضى اللّه عنه، هى - سلافة بن يزدجر - آخر ملوك فارس، وكانت قد أسرَتْ مع أختيها فى جيش عمر بن الخطاب، رضى اللّه عنه، وعندما زَوَّجَها علىٌّ بن أبى طالب للحسين قال له: «خذها فستلد لك سيداً فى العرب.. وسيداً فى العجم.. سيداً فى الدنيا والآخرة».

ولما بلغ السابعة عشرة من عمره تزوج من السيدة فاطمة بنت عمه الحسن بن على ابن أبى طالب، رضى اللّه عنه، فأنجبت له زيدا، والحسن والحسين الأصغر، وعبد الرحمن، وسليمان، وعلى، ومحمد الباقر، وعبد اللّه الباهر، والسيدات: خديجة، وفاطمة، وعلية، وأم كلثوم، رضى اللّه عنهن أجمعين، ومن أقوال على زين العابدين رضى اللّه عنه المأثورة:

(من قنع بما قُسِمَ له فهو أغنى الناس)

«إياك ومصاحَبة الكذَّاب، فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد، ويبعد لك القريب»،

«وإياك ومصاحبة الفاسق، فإنه إذا بايعك فيضرك»

وإياك ومصاحبة البخيل، فإنه يخذلك فى ماله وأنت أحوج ما تكون إليه»

«وإياك ومصاحبة القاطع لِرَحِمِهِ، فإنى وجدته مَلْعُوناً فى كتاب اللّه تعالى»

والثابت أن على زين العابدين حين لقى ربه دفن فى البقيع فى المدينة المنورة فى

مقبرة آل البيت، ثم نقل جسده الطاهر بعد ذلك إلى القاهرة.

وكان حَىُّ زين العابدين أو حَىُّ السيدة زينب كله كما يقول المقريزى يُعْرفُ فى أوائل العصر الإسلامى باسم الحمراء القصوى، والمسجد الموجود الآن حول الضريح يرجع إلى اوائل القرن (الثانى عشر الهجرى - أوائل التاسع عشر الميلادى) ولقد جدده وأعاد بناءه عثمان أغا مستحفظان.

ويرقد جثمان زيد، رضى اللّه عنه، الآن داخل ضريح والده على زين العابدين، رضى اللّه عنه، وكان زيد بن على زين العابدين يحدث نفسه بالخلافة، ويرى أنه أهل لها، وزاد يقينه فى ذلك بعد أن وفد على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك فأنس منه جفوة كانت سبباً فى خروجه على بنى أمية ومطالبته بالخلافة، وسار أولا إلى الكوفة ولكنه هم بالرجوع إلى المدينة المنورة خوفاً من أن تخذله كما خذلت جده الحسين، رضى اللّه عنه، وجده الإمام على بن أبى طالب، رضى اللّه عنه، ولكن أهل الكوفة تبعوه وأقنعوه بالبقاء ومحاربة بنى أمية[1].

ويتفرق أهل الكوفة من حوله خينما جد الجد، وظل زيد يقاتل مع فئة قليلة من أهله - يوسف بن عمر - أمير الكوفة حتى سقط شهيدا فى كربلاء سنة (١٢٢ هجرية - ٧٤١ ميلادية) ولقد اختلف المؤرخون والرواة فى ذلك فمنهم من أكد أن جسده الشريف أحرق فى الكوفة وذُرَّ رَمَاده فى نهر الفرات، ومنهم من ذكر أن رأسه الشريف بعث به إلى الخليفة هشام بن عبد الملك الذى أمر بنصبه على باب دمشق، أما - الكندى - فيؤكد أن رأسه الطاهرة قد أرسل إلى مصر، ودفن فى ضريحه بقرافة زين العابدين[2] بالقاهرة ويذكر صاحب الجوهر المكنون: «أنه بعد قدوم رأس زيد بن على رضى اللّه عنه، إلى مصر، طيف بها، ونصبت على المنبر الجامع بمصر - جامع عمرو بن العاص، ثم دفن مع والده زين العابدين، رضى اللّه عنه، فى الحىِّ الذى ما زال يحمل اسمه الكريم .

(١) أقنع أهل الكوفة زيداً رضى الله عنه، بمحاربة بنى أمية قائلين له: «نعطيك من الأيمان والعهود والمواثيق ما تثق به، فإنا نرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذى يهلك فيه بنو أمية».

(٢) لقد أشار على باشا مبارك فى خططه إلى مسجد على زين العابدين، رضى الله عنه، وضريحه، والتجديدات التى لحقته فى عصور مختلفة، وإلى العمارة الفاطمية التى أقيمت فيه ولم يبق منها الآن سوى عقد واحد على يمين الداخل إلى رواق القبلة، واللوحة التذكارية المثبتة على مدخل المسجد القديم بالواجهة الغربية والتى كتب عليها:
بسم الله الرحمن الرحيم.
«هذا مشهد الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين».
وهذه اللوحة مؤرخة بتاريخ (٥٤٩ هجرية ١١٥٤ ميلادية) كما أشار على باشا مبارك إلى القبة التى تعلو الضريح والتى أقيمت فى العصر المملوكى فى القرن الثامن الهجرى.
وإلى المقصورة التى أقامها سعادة محمد قفطان باشا سنة (١٢٨٠ هجرية).



يؤكد الشيخ عبد الخالق سعد فى كتابه - الجواهر النفيسة - أن سيدى حسن الأنور قد جاء إلى مصر مع ابنته السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وأنه عاش فى مصر القديمة بدءا من يوم السبت (السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٩٣ هجرية)..ويقال إن هناك مخطوطاً نقل عن ابن النحوى ذكر أن سيدى حسن الأنور عاش فى ريف مصر وتوفى فيها ، ونقل جثمانه إلى مسجده الحالى ، ولقد ذكر الشيخ الصبان فى كتابه إسعاف الراغبين (أن الإمام حسن الأنور والد السيدة نفيسة دفن فى تربة تقع بين القلعة وجامع عمرو) ، ولقد ذكر على باشا مبارك فى خططه الجديدة (أن الأمير عبد الرحمن كتخدا ، أحسن اللّه إليه، وأسبل سرادقات لطفه عليه، أشهر تربة سيدى حسن الأنور فبنى عليها قبة).

ولقد اهتم ملوك دولة المماليك البحرية فى القرن الثامن الهجرى (٦٢٩ ميلادية) بمسجد سيدى حسن الأنور فَعُمِّرَ فى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون[١].. وقد كلف الملك الناصر ـ محمد القاضى فخر الدين محمد بن فضل اللّه، ناظر الجيش بإقامة هذه التجديدات التى انتهت سنة (٧١٢ هجرية ـ ١٣١٢ ميلادية) فى فترة ولاية الملك الناصر محمد الثالثة، وكان مسجد سيدى حسن الأنور فى ذلك الوقت له أربعة أبواب، ويحمل سقفه (١٣٧) عمودا، وكانت مساحة الجامع كبيرة، وكانت حوله بساتين من أجمل المتنزهات، ويذكر على باشا مبارك أن جامع سيدى حسن الأنور كان محل السبع سواقى ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج التى تنقل الماء من النيل إلى القلعة، وأهْمِلَتْ أعمال صيانة الجامع حتى تجدد

(١) تولى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حكم مصر ثلاث مرات الأولى من (٦٩٣ ـ ٦٩٤ هجرية) (١٢٩٣/١٢٩٤ ميلادية) والثانية من (٦٩٨ ـ ٧٠٨ هجرية) (١٢٩٨ ـ ١٣٠٩ ميلادية) والثالثة من (٧٠٩ ـ ٧٤١ هجرية) (١٣٠٩ ـ ١٣٤٠ ميلادية).

فى سنة (١٢٨٠هجرية) تحت إشراف ناظره الشيخ أبى زيد إسماعيل المسجل اسمه بأعلى بابه الغربى، وتحت الضريح حجر من الرخام مكتوب عليه اسم سيدى حسن الأنور، وبجوار هذا الضريح ضريحان أحدهما لسيدى زيد الأبلج، والآخر لسيدى جعفر، ومساحة الجامع الحالى أقل بكثير من مساحته القديمة، ووصل المسجد إلى حالة يرثى لها، مما دفع أهل الحى إلى الاشتراك فى تجديده وتوسيعه.

ووالد سيدى حسن الأنور هو زيد بن الحسن الأبلج، أما أمه فكانت إحدى جوارى أبيه[١]، وتوفى والده زيد بن الحسن فى سنة (١٢٠ هجرية)(٧٣٩ ميلادية)، وكان قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره، وعرف بكثرة العبادة، والقيام، والصيام، والزهد، والورع، وفتح الله عليه بالعلم، والتقوى، والثراء، حتى صار إماماً عالما، وله تلاميذ ومريدون، ولقد لُقِّبَ بشيخ الشيوخ، وشيخ بنى هاشم النابهة، العالم، العابد، ومن تلاميذه الإمام مالك بن أنس ومحمد بن إسحاق، وصار سيدى حسن الأنور إماما يقصده النَّاس من القرى والبلاد، وسيدى حسن الأنور لعب دورا هاما فى العصر العباسى الأول، فقد كان والياً على المدينة المنورة، من قِبَلِ ـ أبى جعفر المنصور ـ وظل فى منصبه من سنة (١٥٠إلى ١٥٥هجرية)(٧٦٩ ـ ٧٧٢ ميلادية)، وكان عمره حينما تولى الإمارة (٦٧) سنة ورغم ذلك فإنه لم ينج من اضطهاد العباسيين ـ رغم أنه كان أول من لبس السواد شعار العباسيين (٢) ـ تأييدا لهم، وتدعيماً لقيام دولتهم، فَعُزِلَ من ولاية المدينة المنورة فجأة، وألقى فى السجن سنة (١٥٦ هجرية ـ ٧٧٣ ميلادية)، وظل فى السجن إلى أن وُلِّىَ المهدى العباسى ـ فأخرجه منه، ولقد وصف سيدى حسن الأنور كما ذكر الشيخ ـ أحمد فهمى ـ فى كتابه:

كريمة الدارين الشريفة الطاهرة السيدة نفيسة بنت الحسن ـ رضى الله عنها.

«بشيخ بنى هاشم فى زمنه»

---

(١) ذكر المقريزى أن أم سيدى حسن الأنور (أم ولد) وأم الولد هى الجارية الى يعتقها سيدها ويتزوجها على عادة العرب.

(٢) السواد جاء سنّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتبره العرب رمزاً للقوة؛ لأن الرسول الكريم لبس عمامة سوداء وهو يفتح مكة.



ويكفى سيدى حسن الأنور تربيته، لابنته السيدة نفيسة رضى اللّه عنها، وابنه إسماعيل ـ العالم العابد الناسك، ورغم قرابة سيدى حسن الأنور والعباسيين وزواج ابنته ـ أم كلثوم ـ أخت السيدة نفيسة، رضى اللّه عنها، من أبى العباس السفّاح، لم يشفع له كل هذا عند المنصور العباسى الذى أقصاه عن الولاية وصادر ممتلكاته وألقاه فى غياهب سجن مظلم لم يخرج منه إلا فى عهد المهدى العباسى.



قدوم الإمام الشافعى (رضى الله عنه) لمصر

منذ الخامسة عشرة من عمره القصير والناس يلتفون حوله، كلما جلس يفتحون عقولهم ويركزون على كل ما يقول، التفوا حوله داخل المسجد الحرام فى مكة المكرمة.. والتفوا حوله داخل مسجد رسول اللّه (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة المنورة، ثم جاء إلى مصر فى ٢٨ شوال سنة (١٩٩ هجرية) (٨١٤ ميلادية).

واجتذب الناس فى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، وكان مسجدها الجامع، وقلب نبضها السياسى والدينى.

والإمام الشافعى هو القطب الشريف محمد بن إدريس الشافعى، رضى اللّه عنه، الفقيه، وصاحب المذهب المعروف، كان الإمام الشافعى - رضى اللّه عنه - كالشمعة المضيئة فى زمنه واستطاع أن يضيف إلى الفقه الإسلامى أبعادا وأبعاداً كان الإمام الشافعى رضى اللّه عنه، ينظر إلى مستقبل العقيدة والتشريع الإسلامى بعدما تخطى حدود أرض الرسالة بعلاقاته الجديدة، وناسه الجدد. رأى أن فكر الإمام مالك جاء فى وقت كان مجتمع الحجاز أقرب إلى حياة البداوة. ورأى أن فقه الإمام - أبى حنيفة - رغم تقدمه عن فكر الإمام مالك إلا أنه ينقصه بعض الحدود والضوابط، من هنا رأى بثاقب فكره، وواسع ثقافته، وتعدد رحلاته، واحتكاكه بالناس أن الأمر يحتاج إلى فقه متجدد شامل، لا ينكر فكر من سبقوه - مالك، وأبى حنيفة. ويلتزم بالأصول الأولى ممثلة فى الكتاب والسنة، وكان فكر الإمام الشافعى - رضى اللّه عنه - مطلباً ملحاً فى زمنه[١].

عاش الإمام الشافعى رضى اللّه عنه، (٥٤) سنة فقط كانت بمثابة القرون، وظل طوال سنوات عمره يرحل، ويجادل، ويتحاور، ويناظر، ويدرس، ويقرأ، ويكتب.

---

(١) يذكر الربيع المرادى أحد تلاميذ الإمام الشافعى، رضى الله عنه، أنه كان يجلس فى حلقته، إذا صلى الفجر فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا، وجاء أهل الحديث، فإذا ارتفعت الشمس قاموا، فاستوت الحلقة للمذاكرة والمناظرة، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر.



وأثناء السنوات الأربع التى قضاها فى مصر بلور كل ذلك فى مذهب يحمل اسمه هو - المذهب الشافعى - انتشر فى العالم الإسلامى حتى فى البلاد التى كانت تعتبر معاقل لمذهبى من سبقوه - المالكية والحنفية.

فى زاوية الخشابية فى جامع عمرو بن العاص كان الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، يجلس وحوله العلماء، وكان الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، أول من وضع علم - أصول الفقه - وكان عصر الشافعى على حد تعبير الشيخ - أبى زهرة - هو عصر الخصب العلمى..عصر العقل الإسلامى العربى، ونجح الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، بعد جهد جهيد، ومشقة شاقة، أن يجدد فكر الإسلام وفقهه، وما شاهده، وما درسه، وما حفظه، بما فى ذلك فكر المالكية والحنفية، وخرج من كل ذلك بالفقه المنسوب إليه، وأعد - الشافعى رضى اللّه عنه - كوادر من العلماء كانوا بمثابة الدعاة النابهين، وكان على رأسهم الإمام - ابن حنبل - صاحب المذهب الرابع فى تاريخ المذاهب الإسلامية، وتبلور فكر - الشافعى - رضى اللّه عنه، فى (١١٣) كتاباً فى الفقه والتفسير ومباحث الأصول والأدب.

وفى مصر ألّف الشافعى، رضى اللّه عنه، كتاب الشافعى الجديد وأعاد النظر فى أغلب ماألفه[1]، ولقد وضع الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، كتاب - خلاف مالك - بعد أن بلغه تعصب بعض مسلمى الأندلس للإمام - مالك - حتى وصل الأمر بهؤلاء الأندلسيين حين يقال لهم - قال رسول اللّه (ﷺ) - يقولون - قال مالك، ويذكر - الفخر الرازى - أن كتاب - خلاف مالك - قد جر على الشافعى، رضى اللّه عنه، المتاعب؛ لأن المالكيين فى مصر ثاروا عليه، وسألوه: كيف تضع كتاباً على مالك، وهو أستاذ ذلك؟!، فأجاب الشافعى رضى اللّه عنه،: «إن ارسطاليس تعلم الحكمة من أفلاطون ثم خالفه»[2].

(١) يقول السيوطى فى كتابه - حسن المحاضرة - إن الشافعى، رضى الله عنه، قد صنف فى مصر كتبه الجديدة كالأم، والأمالى الكبرى، والإملاء الصغير، الذى كان يدرس به مذهبه فى جامع عمرو بن العاص. وفى مصر أيضا أعاد الشافعى رضى الله عنه، تأليف أول كتاب صدر له تحت عنوان «الرسالة»، وكان عبارة عن رسالة كتبها إلى عبدالرحمن ابن مهدى - فى بغداد سنة (١٩٥ هجرية - ٨١٠ ميلادية) قبل حضوره لمصر، ثم قام بإعادة كتابته فى مصر، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التى ألفها الشافعى، رضى الله عنه، وفيه وضع منهجا عاما يُمكّنُ الفقيه من التعرف على الطرق التى يسلكها لاستنباط الأحكام، ويعتبر هذا الكتاب ثانى أقدم المخطوطات فى دار الكتب المصرية بعد مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه.

(٢) كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يؤمن دائما بأن الحق شىء والصداقة شىء آخر، وكان الموقف العلمى الصادق الذى اخذه من أستاذه الإمام مالك ينطلق من هذا الإيمان.. ويقال إن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يحب محمد بن الحكم أحد تلاميذه حبًا جمًا يفوق الوصف، ولكنه كان يرى فى تلميذه الآخر أبى يعقوب البويطى أنه أعلم وأفقه من ابن الحكم، فلما سأل المصريون الشافعى رضى الله عنه، عن خليفته تطلع إلى الشافعى، رضى الله عنه، لأنه كان يعتقد أنه الخليفة المختار، فإذا به يختار - البويطى - لأنه كما قال الشافعى رضى الله عنه، (الحق شىء، والصداقة شىء آخر).

والشافعى، رضى اللّه عنه قطب من أقطاب دوحة رسول اللّه (صلى الله عليه وسلم) المباركة، يلتقى نسبه مع النبى الكريم فى جده الثالث عبد مناف الذى هو أيضا جد الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، التاسع [1].

وهناك حقيقة لابد أن تقال وهى حقيقة لايقصد بها تعصب، أن رحلة الإمام الشافعى رضى اللّه عنه، إلى مصر هى التى أضفت الشهرة والذيوع لفقهه، فمصر كنانة اللّه فى أرضه، هى على طول الزمان صانعة الرجال الأفذاذ، وكان التقاء الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، بالسيدة نفيسة، رضى الله عنها، فى مصر، نبعاً فياضاً للإيمان القوى الصادق، ومرجعاً خصباً وثرياً للفتوى، فكان الإمام الشافعى رضى اللّه عنه يتردد على السيدة نفيسة، رضى اللّه عنها، ويستمع إليها ويصلى معها التراويح فى شهر رمضان، وكان إذا مرض يرسل لها ويطلب منها دعاءها له بالشفاء، وحين توفى الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه فى شهر رجب سنة (٢٠٤هجرية ٨١٩ ميلادية) مروا بجثمانه الطاهر على بيت السيدة نفيسة رضى اللّه عنها، بناءً على طلبها، وصلّت عليه، وبعد الصلاة سُمِعَ من يقول «إن اللّه غفر لمن صلى على الشافعى بالشافعى.. وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة رضى اللّه عنها».

وكانت رحلات الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، من أجل تحصيل العلم والمعرفة.. فسار من فلسطين إلى مكة المكرمة، ومنها إلى المدينة المنورة، ثم إلى بغداد، واليمن، وجنوب آسيا الصغرى، والشام، ومصر التى قضى فيها أكثر من أربع سنوات[2].

---

(١) الاسم الكامل للإمام الشافعى، رضى الله عنه.. محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف وأمه تنتمى إلى قبيلة الأزد المشهورة، التى كرمها الرسول الكريم، ويرى الشورى أن الرسول أثنى على هذه القبيلة فقال: (الأزد أسد الله فى الأرض.. وليأتين على الناس زمن يقول الرجل فيه.. ياليتنى كنت أزديا.. وياليت أمى أزدية)، ويقول يونس بن عبد الأعلى ـ لا أعلم هاشميا ولدته هاشمية إلا على بن أبى طالب، رضى الله عنه، ثم الإمام الشافعى، رضى الله عنه، فأم الإمام على بن أبى طالب هى فاطمة بنت أسد بن هاشم.. وجدة الشافعى هى الشفاء بنت أسد بن هاشم.

(٢) يعتقد البعض أن الإمام الشافعى، رضى الله عنه، أقام فى مصر خمس سنوات وتسعة أشهر من ٢٨ شوال سنة (١٩٩هجرية) إلى ٢٩ رجب سنة (٢٠٤ هجرية).. (٨١٤ ـ ٨١٩ ميلادية).



ازدهر المذهب الشافعى فى مصر منذ القرن الثالث الهجرى، وأبطل العمل به فى العصر الفاطمى الذى اتخذ حكامه من مذهب الشيعة الإمامية مذهبا لهم، ولم يدم هذا الأمر طويلاً، فرجع فقه الشافعى فى مصر فى العصر الأيوبى، واستمر الحال فى دولة المماليك البحرية فقد كان سلاطينها من الشافعيين[1]، وكان القضاء فى عهدهم كما كان فى عهد الأيوبيين على المذهب الشافعى، إلى أن استحدث ـ الظاهر بيبرس ـ فكرة أن يكون لمصر قضاة أربعة، ولو أن المذهب الشافعى ظلت مكانته مرفوعة، واستمر هذا الحال حتى دخول العثمانيين مصر فحصروا القضاء فى المذهب ـ الحنفى ـ لأنه مذهبهم، ولم يزل الأمر كذلك حتى الآن.

وحينما توفى الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه.. دفن فى تربة أولاد عبد الحكم بالقرافة الصغرى، وقد ظل قبر الشافعى، رضى اللّه عنه، موضع تكريم العلماء والزوار يقصدونه لقراءة الفاتحة على روحه والتبرك به، وبعد حوالى أكثر من ثلاثة قرون ونصف من تاريخ وفاة الشافعى، رضى اللّه عنه، أمر النّاصر صلاح الدين الأيوبى ببناء ضريح جديد له، فأقام عليه تابوتاً خشبياً انتهى العمل منه فى سنة (٥٧٤ هجرية ـ ١١٧٨ ميلادية)[2] وتولى ضريح الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، بالرعاية كثير من السلاطين والأمراء، فجُدِّد فى عهد السلطان قايتباى، والأمير عبد الرحمن كتخدا الذى أنشأ سبيلاً على يسار باب قبة الضريح، كما نقش على أعتاب باب المسجد الذى جدده محل المدرسة الصلاحية هذه العبارات:

(مسجد الشافعى بحر علوم أشرقت شمسه بنور محمد).

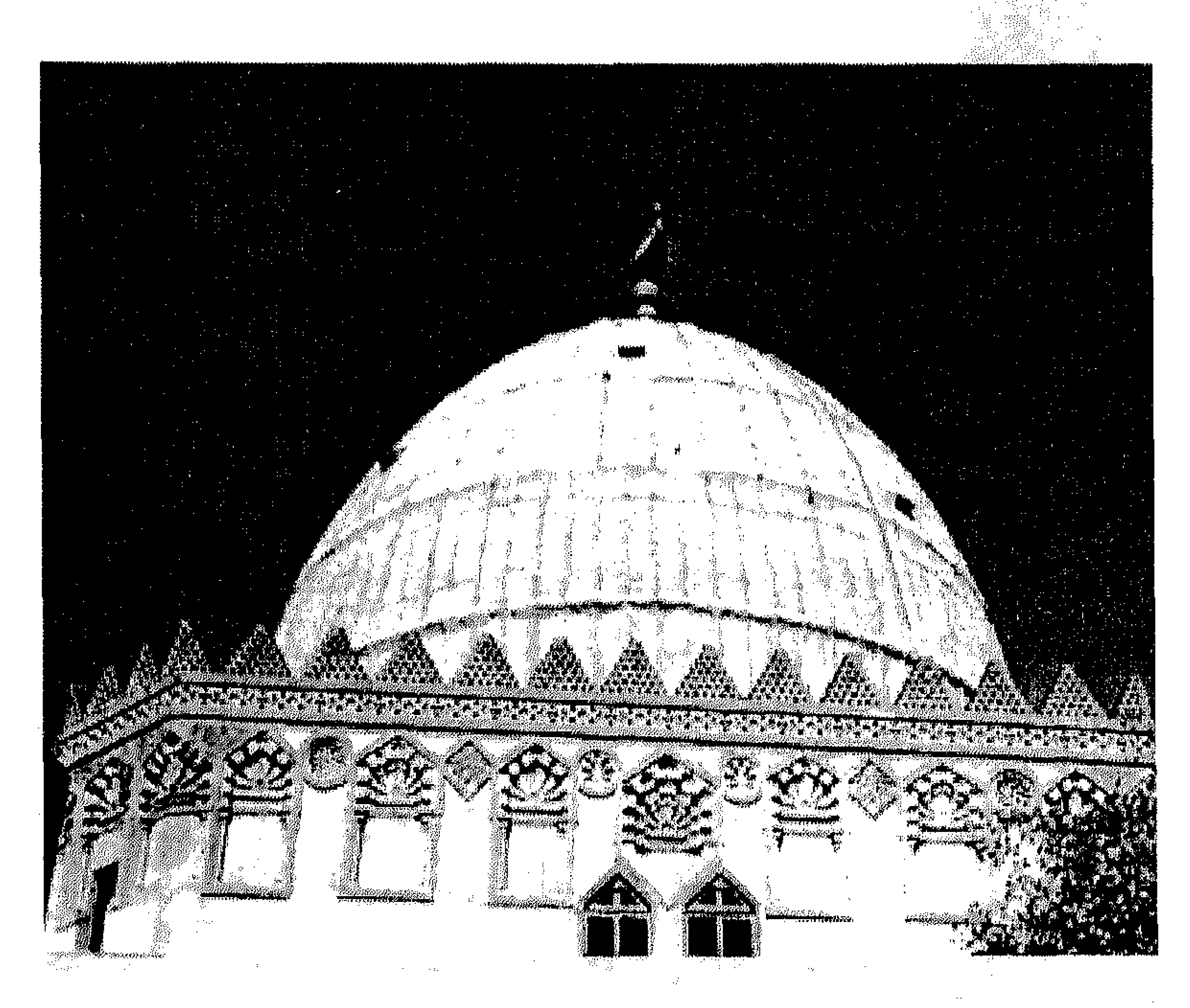
ولقد جُدِّدت قبة الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، كذلك فى عهد السلطان الغورى وسجل عليها ما نصه:

(أمر بتجديد هذه القبة المباركة السلطان قانصوه الغورى).

---

(١) كانت سلاطين دولة المماليك البحرية من الشافعيين إلا السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز الذى كان حنفياً.

(٢) فى نفس السنة التى أقام فيها الناصر صلاح الدين الأيوبى قبة الإمام الشافعى، رضى الله عنه، أمر ببناء المدرسة الصلاحية بجوار قبر الشافعى، رضى الله عنه، التى عرفت فى التاريخ (بتاج المدارس) وصارت معقلا لنشر المذهب الشافعى وتدريس فقهه، ثم تحولت بعد ذلك إلى المسجد.



مسجد
الإمام الشافعى

ثم جددت فى عهد على بك الكبير، ومحمد على باشا الكبير، وخديوى مصر إسماعيل باشا، وخديوى مصر توفيق باشا الذى أمر بتوسيع المسجد، ثم قامت وزارة الأوقاف بتجديد المسجد فى سنة (١٣٠٩ هجرية - ١٨٩١ ميلادية)؛ ليأخذ شكله الموجود عليه الآن، ومنارة مسجد الإمام الشافعى، رضى الله عنه، أقيمت على النمط المملوكى، ومنبره مطعم بالأبنوس، ولم يبق من عمارة صلاح الدين الأيوبى فى المسجد الآن إلا تابوت قبر الشافعى، رضى اللّه عنه، وهو تابوت خشبى مستطيل الشكل.. غطاؤه هرمى، حافل بالنقوش والكتابات الكوفية والنسخية، ولقد دُفن بجوار قبر الشافعى، رضى اللّه عنه، من أسرة صلاح الدين الأيوبى، زوجته، وابنه العزيز عثمان. وأمّ الملك الكامل ابن الخليفة العادل، وتعتبر قبة الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، من أقدم القباب الخشبية فى مصر وأجملها كسيت جدرانها الداخلية بالرخام، وجدرانها الخارجية بالرصاص[1].

(١) تتميز قبة مسجد الإمام الشافعي بالمنطقة التى تعرف حتى الآن باسمه الكريم بمركب كبير فى قمتها من الخارج كان يسمى - العشارى - تتدلى منه سلسلة حديدية فى طرفها الآخر الهلال، وكان العشارى يستخدم فى تقديم الحبوب للطيور.



وفى سنة (٤٧٤ هجرية - ١٠٨١ ميلادية) أراد الوزير نظامُ المُلْك فى بغداد نقل رفات الإمام الشافعى، رضى اللّه عنه، إلى بغداد لدفنها والتبرك منها، فأرسل نظامُ الملك هدية إلى بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر، فاستصدر بدر الجمالى مرسوماً بموافقة الخليفة على ذلك، ولما علم أهل مصر بذلك، هاجوا وماجوا، واحتجوا، وتظاهروا، وصمموا على رجم بدر الجمالى بالحجارة، فتحدى بدر الجمالى الأهالى، فجمع الجند، وضرب نطاقاً حول قبر الشافعى، رضى اللّه عنه، فلازم أهل مصر قبر الإمام الشافعى أربعين يوماً بلياليها؛ ليمنعوا ما أقدم عليه بدر الجمالى، فيأمر الخليفة بوقف ما أقدم عليه بدر الجمالى.

ومن الأسماء الأخرى التى شرفت أرض مصر باختيارها محلاً لإقامتها من آل بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) سيدى أحمد البدوى رضى اللّه عنه، الذى دارت الحياة فى مدينة - طنطا - حوله منذ أن نزل فيها، والسيد البدوى حفيد فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب، رضى اللّه عنهم أجمعين[١].

والسلطان أبو العلاء فى بولاق[٢] الذى ينتهى نسبه إلى السيد على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على والسيدة فاطمة الزهراء، رضى اللّه عنهم أجمعين، وسيدى إبراهيم الدسوقى رضى اللّه عنه.. وهو من مواليد مصر ومدينة دسوق بالذات، وهو من جواهر آل بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) الذين عاشوا فى مصر ودفنوا فى ثراها الطاهر.

ولقد ظَلَّتْ أرض مصر دوحة النبوة المباركة بكثير من أوراقها وأغصانها، فصارت أنواراً مضيئة تهدى إلى الإيمان العميق برب العالمين.

---

(١) الاسم الكامل لسيدى أحمد البدوى.. أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن عمر بن عثمان بن على بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن على الهادى بن محمد الجواد، بن على الرضا بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين.

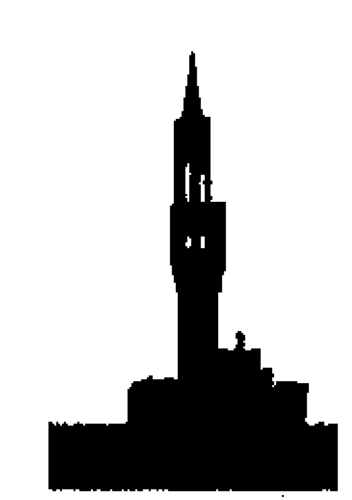
(٢) الاسم الحقيقى للسلطان أبى العلاء .. حسين أبو على.

رفح:

مدينة مصرية تقع على الحدود بين مصر وفلسطين، وَرَدَ ذكرها في نصوص الدولة الحديثة ولم يبق من آثارها شيء هام إلا بعض بقايا أحجار كنيسة من القرن السابع الميلادى ويمر خط حدود مصر وفلسطين فى وسط منازل البلدة، وقد عثر فيها سنة (١٩٥٢) على حمّامات من العصر الرومانى، وينتسب اسمها الحالى إلى اسمها الفرعونى (رَبَحْ)، وتقع رفح على شاطئ البحر الأبيض المتوسط على بعد (٥) كيلو مترات من الشيخ ذويد، و(٥) كيلو مترات من العريش، و(١٥٠) كيلو مترا من القنطرة شرق.

العريش:

عاصمة محافظة شمال سيناء، وأهم مدن شاطئ سيناء، وكانت العريش منذ أقدم العصور ميناء هاما على البحر، ومركزا استراتيجياً على الطريق الحربى القديم الذى كان يعرف - بطريق حورس - الذى سارت عليه كل الغزوات، والحملات، والرحلات المقدسة المتجهة من وإلى وادى النيل، وكانت العريش أحد المراكز الرئيسية للجيش فى أيام الدولة الحديثة، ولم يبق من حصونها ومعابدها القديمة شيء يذكر الآن، وكل ما بقى من هذه الآثار أعمدة كنيسة قديمة، وأطلال القلعة التى بناها السلطان التركى سليمان القانونى، التى تعرف الآن بقلعة العريش،أطلق عليها الرومان اسم - رينوك ورا - ومعناها بالرومانية (ذوو الأنوف المقطوعة)، وفسّر (إسترابون) سبب هذه التسمية، فذكر أن الذين كانوا يرتكبون جرائم كبيرة كان يحكم عليهم بقطع أنوفهم ونفيهم إلى العريش ، وتعتبر العريش الآن موقعا هاما من مواقع السياحة الداخلية فى مصر ، وتضم العريش فنادق ، وقرى سياحية من الدرجة الأولى وشاطئ تظلله أشجار النخيل الباسقة يعتبر بكل المقاييس السياحية من أجمل شواطئ العالم .



الفرما:

تسمى أحياناً بتل الفرما، وهو الاسم العربى لبلدة (بلوزيوم)، وكانت أهم الحصون للدفاع عن الدلتا من ناحية الشرق، وشهدت الفرما المعارك الكبرى التى دارت بين جنود الفتح الإسلامى بقيادة عمرو بن العاص، وجيش الرومان فى شهر يناير سنة (٦٤٠) ميلادية، والفرما خالية من السكان الآن تماماً، ولايوجد فيها إلاّ بقايا حصون ومعابد قديمة، وكانت (الفرما) التى تقع على الشاطئ شرق (بور سعيد) عامرة فى العصور القديمة بالبنايات، والقصور، والمتاجر بسبب فرع النيل (البلوزى) الذى كان يمر على مقربة منها، وكانت (الفرما) قديماً محاطة بالحدائق والحقول، وما زالت آثار ضواحيها باقية حتى اليوم، ومن بينها: (تل الفضة) و (اللولى)، ويذكر تاريخ مصر فى آخر أيام البطالمة أنه عندما دَبّ الخلاف بين (كيلوباترا) وأخيها الصغير (بطليموس)، فَرّتْ إلى سوريا حيث جمعت جيشاً وسارت إلى مصر، ووقف أخوها عند (الفرما) استعدادا للحرب معها سنة (٤٨) ق.م.

القنطرة:

الاسم الحديث لمدينة قديمة كانت تعرف باسم (ثارو) أيام العصر الفرعونى(وسيلا) فى كتابات اليونان والرومان، وكانت أهم حصون الدفاع عن مصر من جهة الشرق، ومقرا دائماً لبعض فرق الجيش وفيها مخازن الأسلحة والمعدات ومركز انطلاق جميع الجيوش الزاحفة إلى غربى آسيا فى الدولة الحديثة..

وكانت مدينة (ثارو) وحصونها على شاطئ إحدى القنوات القديمة، وكان فوقها قنطرة يتحتم على كل قادم من سيناء أن يمر عليها بعد حصوله على إذن بذلك، وبعد تسجيل اسمه وتاريخ قدومه، وكانت الحدائق والحقول تحيط بالبلدة، وكان لنبيذها شهرة كبيرة، فكان لا يقَدّم إلا على موائد ملوك الأسرة (١٨) ومن بينهم الملك (إخناتون) وقد عرفت القنطرة حتى أوائل القرن (١٩) باسم (القناطر) وذلك بسبب الجسور والقناطر التى كانت فوق القناة القديمة أيام الفراعنة .

بلبيس:

تقع مدينة بلبيس جنوب شرقى مدينة الزقازيق، عُثرَ فيها على أجزاء من أحجار

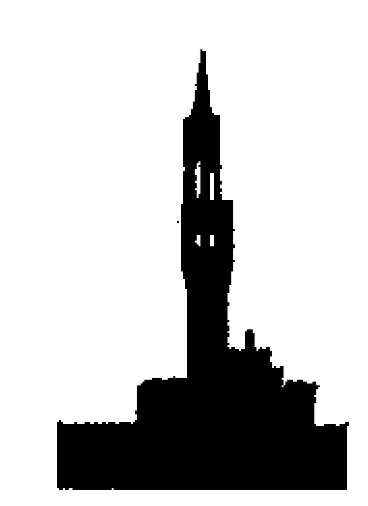
منقوشة يرجع تاريخها إلى عهد (الملك رمسيس الثانى) (الأسرة ١٩) وبها أطلال معبد من أيام الملك (نختبوالثانى) (الأسرة ٣٠) وكان مقاما باسم المعبودة (باستت) ويعتقد بعض علماء الدراسات المصرية أن اسمها الحالى مشتق من اسم مدينة (برست) التى ورد ذكرها فى بردية (هاريس)، وكانت مركزاً من مراكز المعبودة(باستت).

هليوبوليس:

اسم أطلقه الإغريق على أول عواصم مصر المتحدة، ويرجع المؤرخون نشأتها إلى ما قبل سنة (٤٢٤٠) قبل الميلاد، ونجد ما بقى من آثارها حتى اليوم فى المكان المعروف الآن باسم (عين شمس) فى منطقة المطرية بالقاهرة، ولا يستبعد وجود صلة بين هذا الاسم الحديث وبين اسمها الفرعونى القديم (أون) إذا تصورنا أن (عين) تحريف للفظ (أون) ثم أضيف لفظ الشمس لصلة المدينة بعبادة ذلك النجم، وتعنى كلمة أون فى الهيروغليفية (البرج) الذى كان الكُهّانْ يرصدون منه الشمس، والنجوم والكواكب، وكانت هليوبوليس عاصمة للإقليم (١٣) من أقاليم الوجه البحري،ولم يبق من آثار تلك المدينة العريقة سوى مسلة من الجرانيت الأحمر وهى إحدى اثنتين أقامهما فرعون مصر (سنوسرت الأول) ثانى ملوك الأسرة (١٢) وقد عرف عن كهان (هليوبوليس)أنهم كانوا من أغزر المصريين علماً، وأنهم أثروا حياة مصر الثقافية، والعقلية، والروحية، وأقاموا فى معبدهم بالمدينة أول جامعة في العالم، وتتلمذ على يدهم الكثير من أساطين الإغريق فى العلم والفلسفة، أشهرهم (أفلاطون)، وتزخر المناطق المحيطة (بعين شمس) فى أحياء المَطريّة والحلْميّة، والزيتُون، والمرج والخصوص، وعرب الحصن، بالعديد من المقابر، كما أن المسلتين القائمتين الآن فى لندن ونيويورك كان قد أقامهما الملك تحوتمس الثالث، وعلى مقربة من مسلة هليوبوليس توجد (شجرة العذراء مريم)، وهى شجرة جميز عتيقة ساقطة على الأرض ربط الناس بينها وبين زيارة العائلة المقدسة لمصر.

أم دنين :

كانت قرية فى الأصل ، واسمها الرومانى (تلدونياس)، وسميت فيما بعد (بالمقسى) وعرفت أيضاً (بالمقسم)، لأن قسمة الغنائم عند فتح مصر كانت بها ، وأم دنين، والمكس والمقسى، والمقسم، كلها أسماء مترادفة لقرية أم دنين التى تقع الآن شمال حديقة



الأزبكية فى القاهرة، وكانت أم دنين فى عهد الفاطميين قرية مزدهرة ترسو فيها السفن، وتحيطها المزارع، والحدائق، والبساتين، وحى الأزبكية الذى يتوسط القاهرة الآن، كان عبارة عن أرض زراعية تقع إلى الجنوب من خط المقسى (ميدان رمسيس الآن)، وكانت مياه نهر النيل تغمر تلك الأرض سنوياً، وكان يتخلف بها بعد الفيضان بركة، وفى أيام الإخشيديين حفر (كافور) فى تلك المنطقة ترعة لتروى البستان المقسى الذى بقى حتى أيام الخليفة الظاهر الفاطمى، وكان ماء الترعة يصب فى البركة التى عرفت باسم (خليج الذكر) نسبة إلى الأمير (شمس الدين الذكر) الذى كلفه السلطان (بيبرس) بتطهيرها وتوسيعها، وقد شُيِّدَ فوق هذه الترعة قنطرة وفوقها (دكة)؛ لكى يجلس عليها الناس أثناء تنزههم فى بستان المقسى، ويُعْرف هذا المكان لذلك (بقنطرة الدكة) حتى الآن، وبأمر من السلطان قايتباى (ق ١٥) قام قائد الجيش (أزبك) بتعمير المنطقة، فانتسبت البركة والمنطقة كلها إلى اسم معمرها (أزبك) وفى سنة (١٨٦٧) ردمت الأزبكية بطمى النيل بارتفاع مترين، وأنشئت فيها حديقة الأزبكية، وكانت مساحتها حوالى عشرين فداناً.

وصرف السلطان قايتباى مبالغ طائلة فى تجميل الحديقة بلغت مائتى ألف دينار، وفى قصر (محمد بك الألفى) بالأزبكية أقام (نابليون بونابرت) قائد الحملة الفرنسية، على مصر، ثم كليبر ومينو من بعده، وبعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر سكنه (محمد على باشا الكبير).

الفيوم:

تقع الفيوم جنوب غرب القاهرة قريباً من الحافة الغربية لوادى النيل، وهى تضم منخفضاً فى الصحراء الغربية يرويه (بحر يوسف)، ويعده الجغرافيون إقليما جغرافيا متميزا له شخصيته الخاصة وطابعه الفريد، ففيه تلتقى الحياة النيلية المستقرة بالحياة الصحراوية البدوية، وكان اسم الفيوم فى النصوص المتأخرة من العهد الفرعونى (بايوم) ومعناها (البحيرة) أو(الماء) ثم حرِّف هذا الاسم فى اللغة القبطية إلى (فيوم) وأضاف إليها العرب عند فتحها أداة التعريف فعرفت باسمها الحالى (الفيوم).

وقد عثر على آثار من العصر الحجرى فى الفيوم حول بحيرة (قارون) وفى المرتفعات



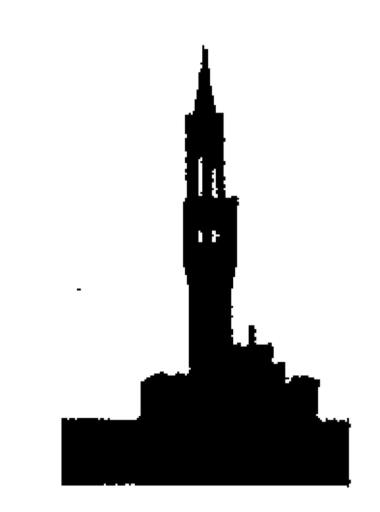
ميدان الأزبكية

القريبة من (دمية)و (كوم أوشيم) و(قصر الصاغة) وتشتهر الفيوم بآثارها وخاصة آثار الدولة الوسطى التى ارتبطت ارتباطاً شديداً بهذا الإقليم ونفذت به عدة مشروعات أشهرها (مشروع السد) الذى أنقذ به الملك (أمنمحات الثالث) (الأسرة١٢) الفيوم من الغرق بمياه فيضان النيل، وتضم الفيوم أيضاً آثاراً من العصر اليونانى والرومانى.

وتقع مدينة الفيوم فى وسط الإقليم، وإلى الشمال الغربى منها أطلال عاصمة الإقليم القديمة المعروفة الآن باسم (كيهان فارس) ومن أشهر مناطق الفيوم التاريخية: (هوارة)و(اللاهون)و(مدينة ماضى)، و(قصر هارون) و(أم البريجات) و (أهريت) و(قصر النبات)، و(كوم الأثل)، و(كوم أوشيم)، و (قصر الصاغة)، و(دمية)، (وبباهمو).

البهنسا:

بلدة بمصر الوسطى فى محافظة المنيا، كانت عاصمة للإقليم (١٩) من أقاليم الوجه القبلى، عرفت قديماً باسم (بير ـ مزد) ثم باسم (بمجى)، وأطلق عليها اليونان اسم (أو كسيرينوكوس) الذى ينتسب إلى اسم سمك القنومة الذى كان يقدسه أهل البلدة، وقد ذكر المؤرخ الرومانى (بلوتارك) أحداث المعارك الدامية التى وقعت بين أهل المدينة



وجيرانهم أهل مدينة (كينوبوليس) الذين كانوا يأكلون سمكهم المقدس، تتميز البهنسا بموقعها الهام على رأس درب الواحات البحرية، أقامت فيها جالية آرامية فى العصر الصاوى والعصر الفارسى (٦٦٣ ـ ٤٠٤ ق.م) وعثر على بعض وثائقها محررة على البردى فى أطلال المدينة، وازدهرت مدينة البهنسا فى العصر القبطى، فشيدت فيها البنايات الجميلة والكنائس الفخمة، وحظيت باهتمام ولاة الفتح الإسلامى لفترة طويلة.

ترتبط البهنسا بذكريات الفتح الإسلامى لمصر على ترابها الطيب، استشهد خمسة آلاف شهيد من الصحابة الأجلاء منهم (على بن عقيل بن أبى طالب) و (الفضل أبو العباس)عم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وحضر معارك الفتح الإسلامى فى البهنسا (عبد اللّه بن عمرو بن العاص)،وأخوه (محمد)، و(عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق)، و(عبد اللّه بن عمر بن الخطاب)، و(أبان بن عثمان بن عفان).

قليوب:

اشتهرت قليوب التى تقع الآن فى دائرة محافظة القليوبية قديماً بصناعة أدوات الزينة والحلى الذهبية والفضية، وكان صنَّاع قليوب يحتفظون فى حوانيتهم بنماذج من البرونز، أو الجص، وقد عثر فى قليوب على مجموعة كبيرة من النماذج البرونزية الإغريقية لأدوات الزينة ترجع إلى (القرن الثانى) ق.م.

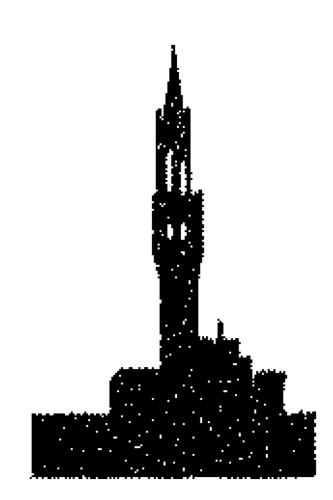
حصن بابليون:

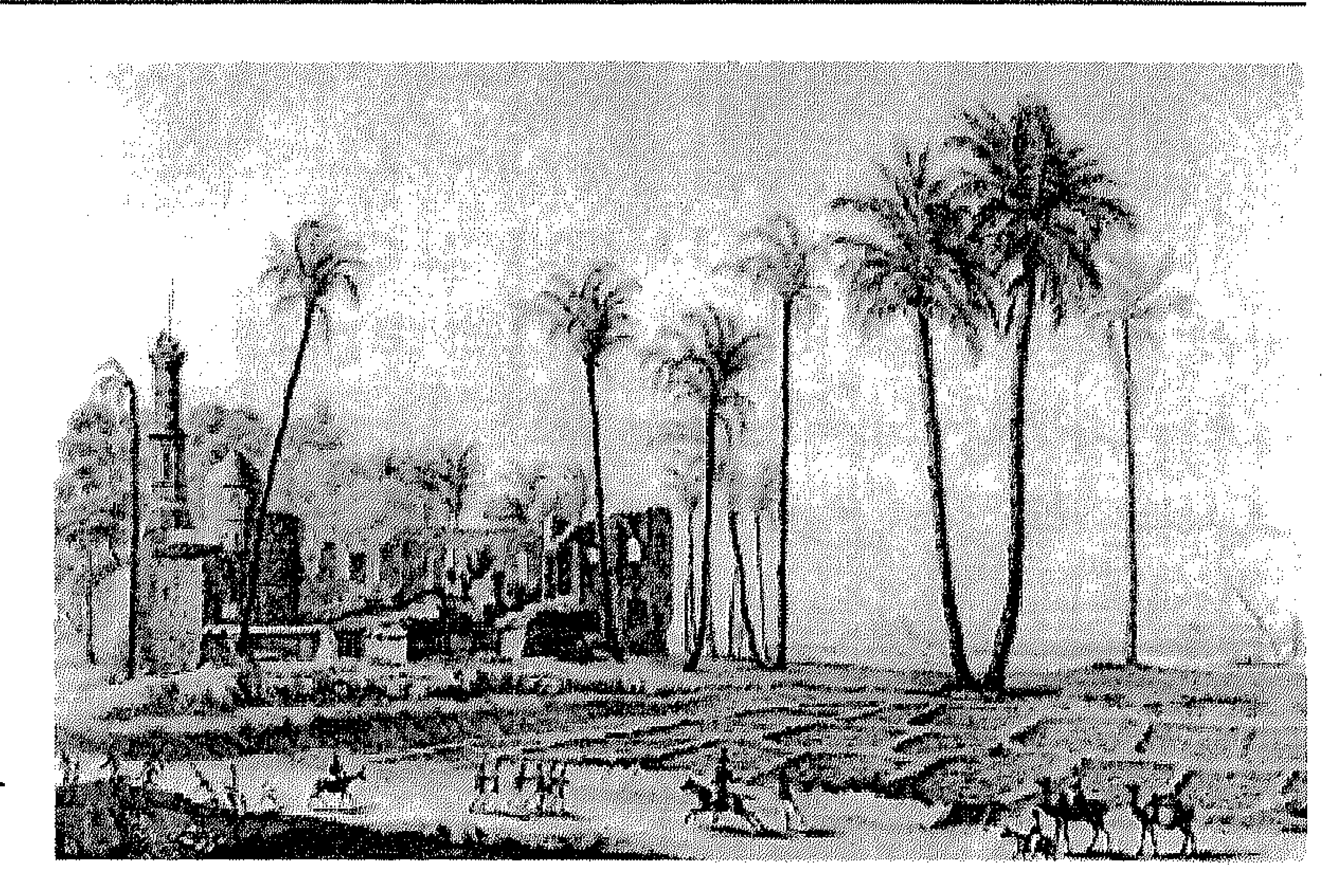
يقع على بعد خطوات قليلة من جامع عمرو بن العاص فى مدينة الفسطاط(مصر القديمة الآن). أهمل الحصن لسنوات طويلة، فتهدمت بناياته، وتساقطت أسواره ومزاغله وأبوابه ولقى الحصن من الإهمال ما لم يشهده خلال القرون الثمانية عشر الماضية، بقيت جوانب ثلاثة من الحصن لا يمسها أذى حتى وقت قريب لم يبق منها الآن إلا أجزاء من جانبين، أما الجانب الثالث فقد شوه ومسخ مسخاً، وكانت كل جوانب الحصن مدعمة بالأبراج القوية إلا الجانب الغربى فكانت السفن ترسو تحت أسواره، وظلت مياه نهر النيل تجرى تحت أسوار الحصن حتى الفتح الإسلامى، وكان أكبر أبواب الحصن بابه المطل على النيل، وأظهرت الحفريات الحديثة أن أسوار الحصن كانت تعلو بارتفاع ستين قدماً،

أما صروح الحصن فكانت أعلى من أسواره.

وكان الصاعد إلى أعلاها يمكنه أن يشاهد وبالعين المجردة جبل المقطم فى الشرق والأهرامات وأطراف الصحراء الغربية فى الغرب، وعلت الأرض حول الحصن بسبب انحسار مياه نهر النيل عن أسوار الحصن، فأخفت نصف أسواره، وكانت جزيرة الروضة فى وقت الفتح الإسلامى جزيرة محصنة منيعة تزيد من قوة حصن بابليون الذى يقع على بعد خطوات منها، ويذكر (ابن لقمان) أن عمرو بن العاص وضع فى حساباته العسكرية الاستيلاء على هذه الجزيرة أثناء حصاره لحصن بابليون نظراً لموقعها الهام فى وسط النهر، وكان حصن بابليون فى وقت الفتح الإسلامى يقع وسط مزارع كبيرة عامرة بالحدائق، وبساتين الكروم، وعدد كبير من الكنائس والأديرة أقيمت على مساحة كبيرة وصلت إلى المكان الذى يقع فيه اليوم جامع أحمد بن طولون وقلعة الكبش بالمقطم، وما زال بعض هذه الكنائس والأديرة باقياً حتى الآن فى نفس موقعها القديم، وينتسب حصن بابليون تاريخياً إلى الامبراطور الرومانى (تراجان) الذى بناه فى العام المتمم للمائة قبل الميلاد، وربما أقيمت بنايات حصون (تراجان) على أنقاض الحصن القديم الذى بناه الامبراطور الفارسى (بختنصر) وسماه باسم عاصمة ملكه بابليون، وذكر (إسترابون) الذى زار مصر قبل عهد (تراجان) بنحو مائة وثلاثين عاماً أن اسم حصن بابليون المنيع ينتسب إلى الأسرى البابليين الذين سكنوه، ويذكر (تيودور الصقلى) أن فرعون مصر (سيزوستريس) قد سجن جماعة من الأسرى البابليين فى قصر قديم أطلق عليه اسم مدينة (بابل) التى جاءوا منها وربما كان هذا القصر حصن بابليون.

اختلف المؤرخون حول تاريخ إنشاء الحصن وإلى مَنْ ينتسب، فذكر (يوسيفوس) أن الحصن لم يُبْنَ إلا فى حكم الملك الفارسى (قمبيز)، وذكر (ابن البطريق) أن (آخوس) هو الذى بنى الحصن، عرف حصن بابليون فى وقت الفتح الإسلامى (ببابليون - ان - خيمى) أى (بابليون مصر) وظل كتاب أوربا لفترة طويلة يطلقون اسم بابليون على مصر ويسمون حاكمها (سلطان بابليون) وظل مقياس النيل بحصن بابليون باقياً حتى أيام (المقريزى) وذكر (أميلنو) أن حصن بابليون كان له أسقف حتى زمن الفتح الإسلامى.





جزيرة الروضة

جزيرة الروضة:

جزيرة كبيرة تقع فى النيل، طرفها الشمالى حى (جاردن سيتى) والطرف الجنوبى (مصر القديمة) ويربطها ببر جاردن سيتى (كوبرى المنيل) وببر مصر القديمة كوبرى (الملك الصالح) وكوبرى (الجيزة) أما كوبرى الجامعة فيوصل الجزيرة بالجيزة أمام جامعة القاهرة.

بدأت أهمية جزيرة الروضة قبل الفتح الإسلامى، وقد لازمها زعماء الروم عند محاصرة الحصن وأقاموا داخل أسوارها، ومنها بَعَثَ المقوقس بجماعة تطلب التفاوض مع عمرو، ولما انتهت المفاوضات بالفشل غزا عمرو الجزيرة، ودك أسوارها وحصونها وظلت هكذا حتى أيام ابن طولون الذى أمر بإعادة بناء حصونها وأسوارها (٨٧٦ ميلادية).

وشَيَّدَ فيها داراً لصناعة السفن الحربية ومبنى لديوان الجهاد، وعرفت الجزيرة بالروضة نسبة إلى البستان الذى أنشأه (الأفضل شاهنشاه) أمير جيوش الأمير (بدر الدين الجمالى) فى نهايتها الشمالية سنة (٤٩٠هـ)-(١٠٩٦)م.

وظلت الجزيرة متنزهاً ملكياً حتى وقت الملك (الصالح نجم الدين) فأنشأ قلعة بالجزيرة عرفت بقلعة الروضة وبقلعة المقياس، وبقلعة الجزيرة، وكانت جزيرة الروضة محلا لسكن أمراء وأعيان مصر فى القرن (١٩) ومن أشهر قصور الجزيرة الباقية حتى الآن (قصر المنسترلى) المجاور لمبنى مقياس الروضة، ومع اتساع القاهرة وتزايد عدد سكانها أصبح حى جزيرة الروضة الآن من أكبر أحيائها.

تقوس:

تعرف الآن باسم «وَرْدَان» وتقع فى دائرة مركز إمبابة بالجيزة، وكان لها أهمية عسكرية ودينية كبيرة فى وقت الفتح الإسلامى، وينتسب اسم المدينة الحالى إلى مَوْلَى عَمْرو بن العاص «وَرْدَان» الذى حاول أهل المدينة اختطافه عندما فتحها عمرو فى (١٣) مايو سنة (٦٤١) ميلادية.

دمنهور:

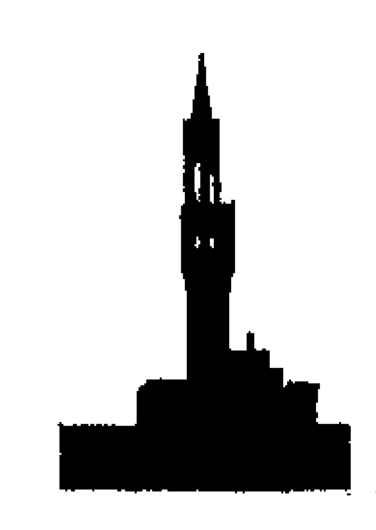
عاصمة محافظة البحيرة الآن، وتقع على بعد (٥٥) كيلو مترا من الإسكندرية، فى نفس مكان المدينة القديمة التى سمّاها الرومان (بهرموبوليس بارفا) والتى يرجع أصلها إلى فجر التاريخ المصرى، عرفت دمنهور فى العصور الفرعونية بمدينة (حورس) (دمى ـ ان ـ حور) وينتسب اسمها الحالى إلى هذا الاسم، فى عصور ما قبل التاريخ اتحدت أقاليم الوجه البحرى فى ظل مملكتين، سيطرت إحداهما على شرق الدلتا، وسيطرت الثانية على غرب الدلتا، وكانت - دمنهور ـ عاصمة لها، ولا توجد بدمنهور أى آثار الآن يمكن زيارتها، ولو أن المتحف المصرى يضم عدداً من التحف وجدت فى المدينة القديمة، التى أقيمت دمنهور على أنقاضها.

الكريون:

مدينة قديمة على ضفة ترعة الإسماعيلية كان التجار يركبون منها القوارب إلى الفسطاط فى وقت الصيف إذا علا النيل وصفها ابن حوقل بالمدينة الكبيرة العامرة بالبنايات والقصور والأسواق.

الإسكندرية:

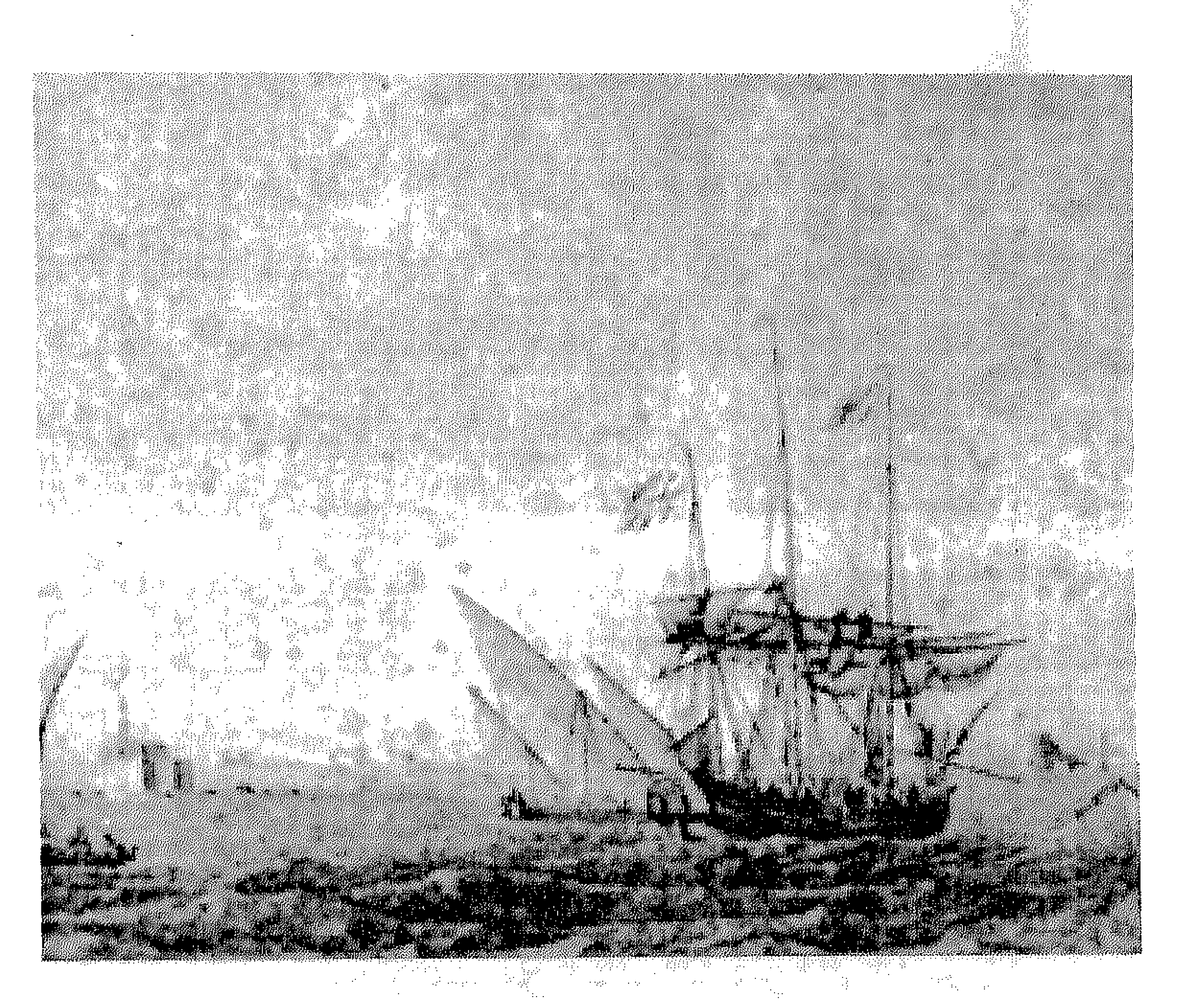
أسسها الإسكندر الأكبر المقدونى فى شتاء (٣٣٢-٣٣١ق.م) بعد فتح مصر أثناء رحلته إلى واحة سيوة، وقامت الإسكندرية عند موقع قرية (راكوده) المصرية القديمة، وامتدت عمارة الإسكندرية على الشريط الساحلى المحصور بين البحر الأبيض المتوسط وبحيرة مريوط، وكان يقع أمامها فى البحر جزيرة (فاروس) التى ورد ذكرها فى الأوديسا فأمر الإسكندر أن يبنى جسر بين الجزيرة والشاطىء بلغ طوله حوالى (١٢٠٠)متر.



ونشأ عن وجود الجسر ميناءان الميناء الشرقى وهو الميناء الرئيسى للإسكندرية، والغربى الذى سمى بميناء (العودالحميد) (EUNOSTAS) وقد عثر أخيراً على مبان ضخمة غارقة فى البحر أمام الساحل الشمالى لجزيرة فاروس، وفى داخل الميناء الغربى بنى ميناء صغير سمى (بالصندوق) (KIBOTOS) وكانت تصله قناة ببحيرة مريوط، وكان الميناء الشرقى الكبير للملاحة الخارجية وميناء مريوط للملاحة الداخلية، وكانت تأتيه السفن من جميع أنحاء مصر عن طريق النيل.

كلف الإسكندر الأكبر مهندس بلاطه (دينبوقراطيس) بوضع تخطيط مدينة الإسكندرية، وعين وزير ماليته فى مصر (كليو مينبس) بالإشراف عليها وتمويل مبانيها ومنشآتها، ولقد نظمت شوارع الإسكندرية حسب نظرية بناء المدن الإغريقية الشائعة فى ذلك الوقت، التى تتعامد شوارعها الطولية والعرضية كرقعة الشطرنج، وكان طريق كانوب (أبوقير) أهم شوارع المدينة، فكان يمتد من (باب الشمس) فى الشرق إلى باب القمر فى الغرب وقسمت مدينة الإسكندرية إلى خمسة أحياء رئيسية أطلقت عليها الحروف الخمسة الأولى من الأبجدية اليونانية وتمثل هذه الأحياء (الحى الملكى) الذى يبدأ عند (رأس لوخياس) (السلسلة الآن) و(حى الميناء) ثم (الهبناستاديون) الذى يصل إلى جزيرة فاروس، وفى طرف الجزيرة الشرقى أقيم فنار فاروس الشهير أحد عجائب العالم القديم السبعة، وموقعها الآن قلعة الأشرف قايتباى، ثم حى اليهود الذى يرمز له بحرف (دلتا) والحى المصرى فى الغرب عند موقع قرية راكوده المصرية القديمة.

وازدهرت الحياة فى مدينة الإسكندرية ازدهارا كبيرا حتى أصبحت واحدة من أزهى وأجمل مدن العالم، ومن أشهر معالمها فى العهد القديم (القصر الملكى) و (الفنار) و(الجمازيوم) و(مسرح ديونيبوس) و(معبد إيزيس)، و (معبد القصر) و(المجمع العلمى) (الموسيون) و(المكتبة) وفى وسط المدينة ضريح الإسكندر الأكبر الذى عرف باسم (سيما) أو(سوما) وفى الحى المصرى أقيمت أشهر المعابد جميعاً وأكبرها (السرابيوم) (معبد الإله سيرابيس) وفى نهاية العصر البطلمى تعرضت الإسكندرية لاضطراب شديد عرف فى التاريخ (بحرب الإسكندرية) بين (بطليموس الثالث عشر) والإسكندريين من ناحية و (يوليوس قيصر) و (كليوباترا) من ناحية أخرى وأشعل قيصر



ميناء الأسكندرية

النار فى أسطول أعدائه فامتدت النيران من الميناء إلى المبانى القريبة فالتهمت مكتبة الإسكندرية الكبرى (٤٧) ق.م

وتعرَّض الأقباط فى الإسكندرية لموجات الاضطهاد الرومانى العاتية، ولن ينسى التاريخ ما تعرض له الأقباط على يد الامبراطور الرومانى (دقيوس)(٢٤٩ ـ ٢٥١) ميلادية واضطهاد الامبراطور (دقلديانوس) الذى بدأه سنة (٣٠٣)ميلادية.

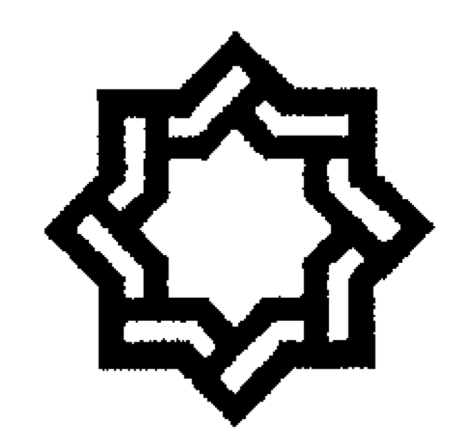
الفسطاط:

لما فتح العرب مصر فى سنة (١٨) هـ (٦٣٩) م كانت عاصمة البلاد الإسكندرية ففكر عمرو أن يتخذها قاعدة لحكمه، إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لم يوافقه على ذلك وأمره بإنشاء حاضرة جديدة لعاصمة مصر الإسلامية فاختار عمرو المكان الفسيح الذى يقع شمال (حصن بابليون) والذى عسكرت فيه قواته عند قدومها إلى مصر، واختط عمرو(الجامع العتيق) الذى عرف باسمه ، ثم اختطت القبائل العربية التى شاركته الفتح بيوتاً لها حول الجامع، وكان عمرو قد ولى (معاوية بن خديج)و(شريك بن الغطيفى) و(عمرو بن الخورانى) و (جبريل بن المعافرى) للإشراف على المدينة وذكر البلاذرى أن (الزبير بن العوام) هو الذى اختط مدينة الفسطاط واتخذ



لنفسه دارا وجعل فيها السلم الذى صعد عليه إلى سور حصن بابليون، وأن هذا السلم بقى فى مكانه حتى حريق الأمير شاور، وقد حدد (المقريزى) موقع الفسطاط فى خططه فقال: اعلم أن موقع الفسطاط الذى يقال عنه اليوم مدينة مصر، كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم (بقصر الشمع) ويقيم فى هذا الحصن الحامية الرومية المكلفة من قبل قيصر روما بالدفاع عن مصر، وتاريخ إنشاء الفسطاط مختلف فيه، فالبلاذرى يقول إنه كان بعد فتح حصن بابليون، فى حين جعله أغلب المؤرخين بعد فتح الإسكندرية، ومن المحتمل أن يكون بناء الفسطاط بعد صلح الإسكندرية، ويقول المؤرخ العربى (أبو المحاسن) أن (عمراً) بنى الفسطاط فى سنة (٢١) هجرية بعد فتح الإسكندرية، ومما زاد فى أهمية الفسطاط أنها كانت تصل بابليون والبحر الأحمر عند (القلزم) (السويس) قناة قديمة كانت تعرف باسم (ترعة تربانوس) وكانت تمر بمدينة بلبيس وبحيرة التمساح ولكنها أهملت فى وقت ما فأعاد عمرو بن العاص حفرها، فسميت لذلك بقناة أمير المؤمنين، وسهلت هذه القناة الاتصال بين عمرو وخليفة المؤمنين.

فى الجهة البحرية من جامع عمرو أقام عمرو داراً له عرفت (بالدار الكبرى) وداراً لابنه عبد الله عرفت (بالدار الصغرى) وبنى الزبير بن العوام دارا بجوار دار عبد الله، ولما رسخت أقدام المسلمين فى مصر، اتسعت عمارة الفسطاط، ففاقت البصرة والكوفة، على حد قول المؤرخ العربى (القضاعى)أن (الفسطاط) كان بها (٣٦٠٠) مسجد و(٨٠٠٠) شارع و(١٧٠٠) حمَّام، وارتفعت الفسطاط أيام الخلفاء الأمويين فصارت مقراً لولاتهم فشيّد فيها (عبد العزيز بن مروان) أمير مصر من قبل أخيه الخليفة عبد الملك داراً للإمارة عرفت بـ(دارعبد العزيز) وكانت تطل على النيل ولمّا غزا (عمورى) ملك بيت المقدس الديار المصرية أمر الأمير شاور بعد أن عجز عن الدفاع عنها بحرقها حتى لا تقع فى أيدى الصليبيين، واستخدم شاور فى حرقها فى حد قول (المقريزى)عشرين ألف قارورة نفط،وعشرة آلاف مشعل نار، فارتفع لهيب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظراً مهولاً.



تتحد العبادة والحضارة فى الدعوة الإسلامية، ويتصل الدين بالدولة أوثق الاتصال، بل إن استقامة السلوك البشرى والسياسة الإنسانية من أهداف العبادة ومقوماتها الأساسية.

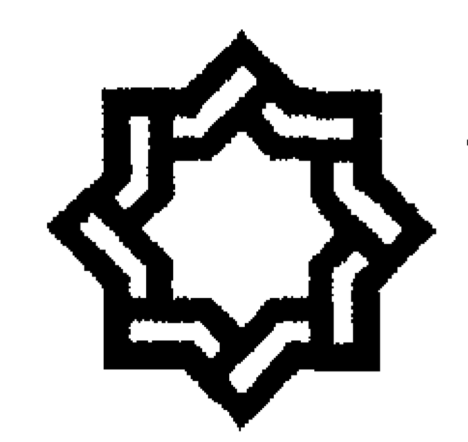
وكانت المساجد فى عهد الرسالة والخلفاء الصالحين منازل للعبادة والحكم معاً تؤدى فيه الصلاة وتقرر فيه السياسة.

الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية

بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط فى السنة التالية للفتح (٢١) هجرية (٦٤١) ميلادية لتكون مقراً للحكم العربى فى مصر، بدأت الفسطاط من أقصى جنوب الضفة الشرقية للقاهرة شمال مدينة (بابليون) قاعدة الحكم العسكرى البطلمى والرومانى والبيزنطى.

ولقد ساعد على اختيار هذا المكان لإقامة مدينة الفسطاط وجود بِركَة (الش) فى جنوب حصن بابليون، والفسطاط لفظ عربى يطلق على المدينة وأهل المدينة.. ومن هذه التسمية اتخذت حاضرة عمرو اسمها التاريخى، وظلت مدينة الفسطاط ـ وموقعها الحالى الفضاء الذى يجاور حصن بابليون بمصر القديمة ـ تحتل مكان الصدارة فى مصر رغم ظهور عواصم أخرى لمصر.

ظلّت الحكاية الطريفة التى تناولت سيرة مدينة الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية وقُبِلَتْ كحقيقة تاريخية فى الشرق والغرب على حد سواء، الحكاية التى تقول إنّ الفسطاط أقيمت حول (فُسْطَاط) (خَيْمةْ) القائد العربى المسلم عمرو بن العاص الذى عششت عليه يمامة بَرِّية وأفْرَخَتْ صغَارهَا وأخذَت هذه الحكاية مأخذ الصدق حتى اكتشاف البردية المكتوبة باللغتين اليونانية والعربية والتى أظهرت العلاقة بين الكلمة العربية (الفسطاط) والكلمة



اليونانية PHOSSATON ومعناها المعسكر الذى يحيط به خندق وأصلها اللاتينى كلمة FOSSATIN.

وَلى عمرو بن العاص معاوية بن خديج التجينى وشريك بن سمى الغطيفى وعمر الخورانى وجبريل بن المعاقزى للإشراف على إنشاء مدينة الفسطاط، وذكر البَلاذْرِى أن الزبير بن العوام هو الذى اختط مدينة الفسطاط واتخذ لنفسه دارا جعل فيها السلم الذى صعد عليه إلى سور حصن بابليون أثناء اقتحامه، وبقى ذلك السلم فى تلك الدار حتى حريق الوزير شاور الذى حدث فى زمن خلافة الخليفة (العاضد) سنة (٥٦٥ هجرية) (١١٦٩ ميلادية) حينما غزا (عمورى) ملك بيت المقدس الديار المصرية.

ولمّا عجز عن الدفاع عنها خاف أن يدخلها الصليبيون فأمر بإخلائها من الأهالى وحرقها، وعن حريق الفسطاط يقول (المقريزى): بعث شاور إلى فسطاط مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار، فارتفع فيها النار والدخان إلى السماء، فصار منظرا مهولا، وظلت النيران تأتى على مساكنها من اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر ولمدة أربعة وخمسين يوماً، ومنذ هذا التاريخ تحولت مدينة الفسطاط إلى الأطلال المعروفة بكيمان مصر.

يصف ابن الحكم فى كتابه فتوح مصر، وخطط الفسطاط الأولى أماكن الدور التى بناها رؤساء الجند والزعماء العرب الذين شاركوا فى فتح مصر، وحدد المقريزى موقع الفسطاط فى خططه فقال: اعلم أن موقع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بقصر الشمع وبالمعلقة.

وتاريخ مدينة الفسطاط مختلف فيه، يقول (البلاذرى): إن الفسطاط شيدت بعد فتح بابليون.. فى حين يجمع أكثر المؤرخين أن إنشاءها تم بعد فتح مدينة الإسكندرية أو بعد صلح الإسكندرية.

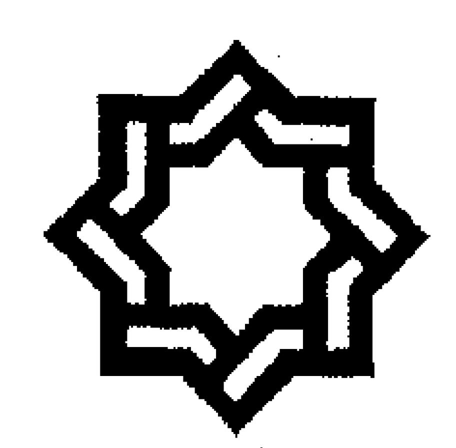
وكان موقع الفسطاط يحميها من الغزو الخارجى حيث تمتد فى أضيق منطقة بالوادى ما بين النهر وجبل المقطم، ولقد زاد من حصانتها قيام حصن الجيزة فى غرب النيل وبقايا حصن بابليون (قصر الشمع والمعلقة) كما كان من السهل الانتقال بين ضفتى

النهر عبر الجسرين اللذين يصلان الفسطاط بالضفة الشرقية وجزيرة الروضة، وبين جزيرة الروضة وحصن الجيزة، وظلت الفسطاط العاصمة السياسية لمصر أثناء حكم الخلفاء الراشدين والأمويين، حتى شيد العباسيون قاعدة جديدة لحكمهم في مصر ـ مدينة العسكر ـ في منتصف القرن الثامن الميلادى وأقام الطولونيون مدينة القطائع.

أصبحت مدينة الفسطاط مركز عبور ونقل بين الدلتا والوادى عن طريق الجسر الذى يربط الفسطاط بالجيزة عبر الروضة والحركة النهرية من الجنوب إلى الشمال والعكس، ولقد ساعد قيام ميناء الفسطاط على ازدهار المدينة تجارياً، فلقد كانت الميناء الوحيدة للعاصمة في ذلك الوقت، وكان ميناء الفسطاط يضم جمركاً للتجارة الواردة بالجمال من الطور إلى النيل، وبالمراكب إلى الفسطاط، وحول الفسطاط تجمعت أسواق الفسطاط حول الميدان المحيط بجامع عمرو بن العاص، وكان سوق القناديل أشهر هذه الأسواق، ويصف الرحالة ناصر خسرو هذا السوق بالسوق الذى لا نظير له حيث يحوى كل ما فى العالم من طرائف.

قدر (كليبر جيبيه) سكان الفسطاط بحوالى ٨٥٠ ألفاً، واقتصر سكانها فى البداية على القبائل العربية التى شاركت فى فتح مصر، ثم أخذت تجذب سكان الأقاليم الأخرى، وقدر كليبر جيبيه امتداد الفسطاط من الشمال إلى الجنوب بثلاثة أميال (٤.٨ك.م) وقدر (المقريزى) حدودها، وعدلها (على بهجت) بعد حفائره فى مدينة الفسطاط، فذكر أن حدّها الشمالى كان يقع بين كوم الجارح بطول (١٤٣٩ متراً)، وحدّها الجنوبى كان فيما بين (الرصد) وشاطئ النيل غربا بطول (١٩٤٣) مترا، وحدها الغربى يمتد بطول (٢٢٦٢) متراً على شاطئ النيل الأيمن، أمّا حدها الشرقى فيمتد حتى حدود (القرافة) الحالية، ويسير جنوباً حتى الرصد.

بعد حريق الوزير شاور الشهير تعرضت مدينة الفسطاط للكثير من الأزمات التى حدثت بسبب فيضان مياه النيل سنة (٥٩٦ هجرية) (١١٩٩ ميلادية) وتخريب قطاعها الغربى الذى أعيد تعميره فى عهد الوزير «شيركوه» وتوالت الأزمات على المدينة فى سنوات (٦٩٦ ـ ٧٤٩ ـ ٧٧٦ هجرية) (١١٩٩ ـ ١٣٤٨ ـ١٣٧٤ ميلادية)، وخربت المنطقة الشمالية الغربية من الفسطاط بعد الأزمة التى واكبت غزو المغول للشام سنة



(٨٠٦ هجرية) (١٤٠٣ ميلادية).

قسمت مدينة الفسطاط إلى خطط.. خصصت كل خطة لقبيلة ممن حضروا الفتح، ثم أنزل غير العرب أطراف المدينة، فأسكن الروم شمال المدينة وأسكن الفرس جنوبها، وأسكن قبط مصر فى قصر الشمع، وبلغ خطط الفسطاط خمس عشرة خطة.

أقيمت بيوت الفسطاط فى البداية من طابق واحد، وأسقفها مصنوعة من الجريد المحمول على دعامات من جذوع الأشجار، وحل محل هذه الدور مساكن من طوابق متعددة خمسة وستة وسبعة.

ولقد كشفت الحفريات فى مدينة الفسطاط عن وجود شبكة للصرف الصحى يصرف جزؤها الغربى إلى النيل، أمّا الجزء الشرقى فيصرف إلى مستودعات منقورة فى الصخر.

من أهم آثار مدينة الفسطاط الآن السور الضخم الذى بناه الوزير (بهاء الدين قراقوش) بأمر (الناصر صلاح الدين الأيوبى) ليحيط بعواصم مصر الإسلامية وليفصل بين القسم الذى دمره حريق شاور والقسم الآخر الذى أمكن استغلاله بعد الحريق، وأبراج قصر الشمع المعروفة الآن بحصن بابليون.. وأطلال الدور القديمة تمثل العناصر الرئيسية لبناء بيوت الفسطاط التى يعتمد تصميمها فى الأساس على الفناء المكشوف الذى يتوسط الدار، والوحدات السكنية التى تلتف حوله.

والمداخل المنكسرة التى تحمى السكان من نظر المارة وتحقق فى نفس الوقت فرص الدفاع عن الدور، وخزانات المياه المحفورة فى الصخر، وأنابيب المياه الفخارية داخل الجدران، وآثار الصرف الصحى، وحوائط يصل عرضها حوالى المتر.

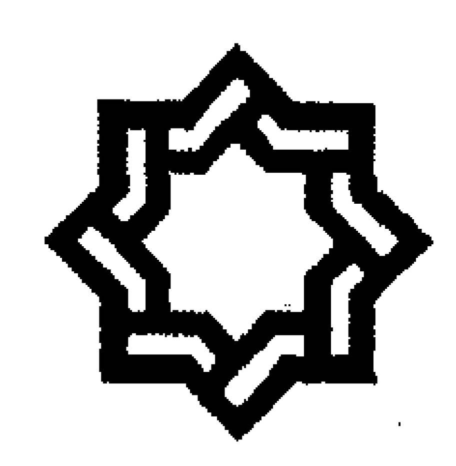
يحدثنا التاريخ عن ازدهار عمارة مدينة الفسطاط، وقصر (عبد الله بن سعد) الذى اشتهر فى التاريخ باسم (قصر الجن) و (دار الذهب) التى شيدها (عبد العزيز بن مروان) أمير مصر من قبل أخيه الخليفة (عبد الملك بن مروان) وعرفت فى التاريخ (بدار عبد العزيز) وكانت تطل على النيل، وبلغ من سعتها، وكثرة ساكنيها أنهم كانوا يصبون فيها أربعمائة راوية ماء كل يوم، وقد علت هذه الدار قبة ذهبية بنفس الأسلوب الذى اشتهرت به بنايات الأمويين الفخمة، وكانت دار عبد العزيز أول بناية إسلامية كبيرة فى مصر.

لما رسخت أقدام المسلمين فى مصر اتسعت مدينة الفسطاط وفاقت البصرة والكوفة ويلغ امتدادها على ضفة النيل ثلاثة أميال على حد وصف (ابن حوقل) فى أواخر القرن العاشر، ويذكر القضاعى أن الفسطاط كانت تضم (٣٦٠٠) مسجد و (٨٠٠) شارع و(١٧٠٠ حمّام)، ولو أن هذه الأرقام مبالغ فيها إلاّ أنها تعكس حالة ازدهار العمران فى المدينة، زاد من مكانة مدينة الفسطاط أنها كانت تصل بابليون والبحر الأحمر عند القلزم (السويس) قناة قديمة عرفت باسم (أمينس تراجانوس) ومعناها ترعة تريانوس، وكانت تمر بمدينة (بلبيس) وبحيرة التمساح لكنها أهملت فأعاد حفرها (عمرو بن العاص) وأعاد لها أهميتها القديمة فعرفت لذلك بقناة أمير المؤمنين، وكانت الغلال ترسل من خلالها إلى بلاد العرب، وسهلت هذه القناة الاتصال بين خليفة المؤمنين، وواليه فى مصر عمرو بن العاص.

ـ تولّى عمرو بن العاص أمر الفسطاط يوم الجمعة أول محرم سنة عشرين هجرية (٢١) ديسمبر سنة (٦٤٠) ميلادية وكان الأمير صالح بن على بن عبد الله الذى تولى حكم مصر من قبل أمير المؤمنين أبى العباس بن محمد السفاح آخر أمرائها، بعدها سكن أمراء مصر مدينة العسكر وكان أول من تولى أمرها (أبو عوف بن عبد الملك)، ولقد قام الأثرى المصرى الجليل على بهجت بحفريات هامة فى أطلال مدينة الفسطاط سنة (١٩١٢ ميلادية) كشف خلالها عن أبراج وشوارع وبنايات قصر الشمع.

كانت مدينة الفسطاط محل اهتمام العديد من الرحالة وصفها (ابن حوقل) فذكر أنّ الفسطاط مدينة حسنة المنظر ينقسم النيل لديها قسمين، وفيها أبنية جميلة ومساكن جليلة، فيها جزيرة تعرف بجزيرة الروضة والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث (بغداد) ذات رحاب فى مجالها، وأسواق ومتاجر فخمة وممالك جسام وظاهر أنيق وهواء رقيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مر الأيام خضرة وتتكون دورها من سبعة وستة وخمسة طوابق وربما سكن الدار المائتان من الناس ووصفها (المقدسى) فقال:

اتسعت رقعة فسطاط مصر وكثر ناسها واشتهر اسمها وجَلَّ قدرها وامتلأت بالأسواق والمعايش، لها أطعمة لطيفة، وإدامات نظيفة وحلاوات رخيصة، وتجارتها عجيبة ومعايشتها مفيدة، وأموالها كثيرة.

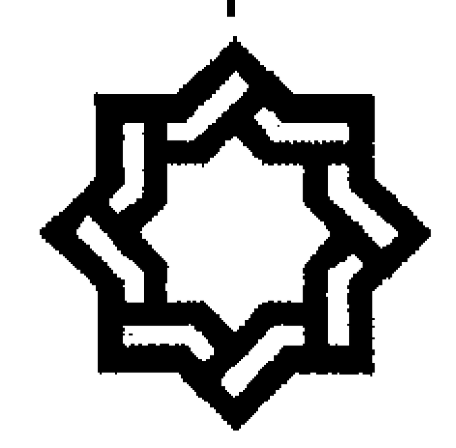


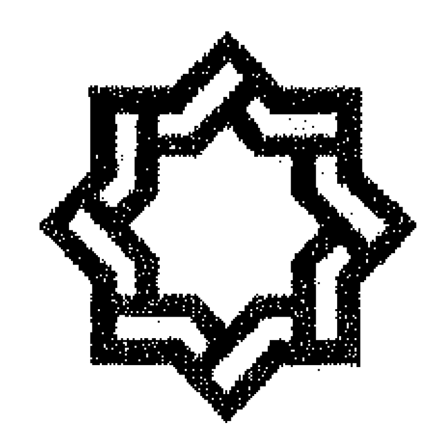
وعن الفسطاط كتب الرحالة الفارسى ناصر خسرو تبدو الفسطاط من بعيد وكأنها الجبل، وفى فسطاط مصر بيوت من أربعة عشر طابقاً وبيوت من سبعة طوابق، وبها أسواق كثيرة، وشوارع تضاء فيها القناديل دائما، وعلى الجانب الشمالى لمسجد عمرو ابن العاص سوق يسمى (سوق القناديل) لا يعرف سوق مثله فى أى بلد وفيه كل ما فى العالم من الطرائف.. رأيت فى فسطاط مصر معلمين مهرة ينحتون بلوراً غاية فى الجمال، ورأيت أنياب الفيل التى أحضرت من زنجبار، ورأيت جلد بقر من الحبشة يشبه جلد النسر يعملون منه النعال، ورأيت فى الفسطاط طائرا أليفا كبيرا له نقط بيضاء وعلى رأسه تاج مثل الطاووس جلبوه من الحبشة، ويَصْنَعُونَ فى فُسطاط مصر الخزف من كل نوع وهو لطيف وشفاف بحيث إذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل، وتصنع منه الكؤوس والأقداح والأطباق وغيرها، ومدينة مصر ممتدة على شاطئ النيل المقام عليه القصور والمناظر الكثيرة، وإذا احتاجوا إلى الماء رفعوه بالحبال من النيل، أمّا ماء المدينة فيحضره السقاءون من النيل أيضا يحمله بعضهم على الإبل وبعضهم على كتفه، ويقع جزء من مدينة فسطاط مصر على جانب النيل الآخر يسمونه الجيزة، وتجار مصر يصدقون فى كل ما يبيعونه، ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحُمُرَ المُسَرَّجَة فى ذهابهم وإيابهم، ورأيت أموالا يملكها بعض المصريين.. لو ذكرتها أو وصفتها لما صدقنى الناس.

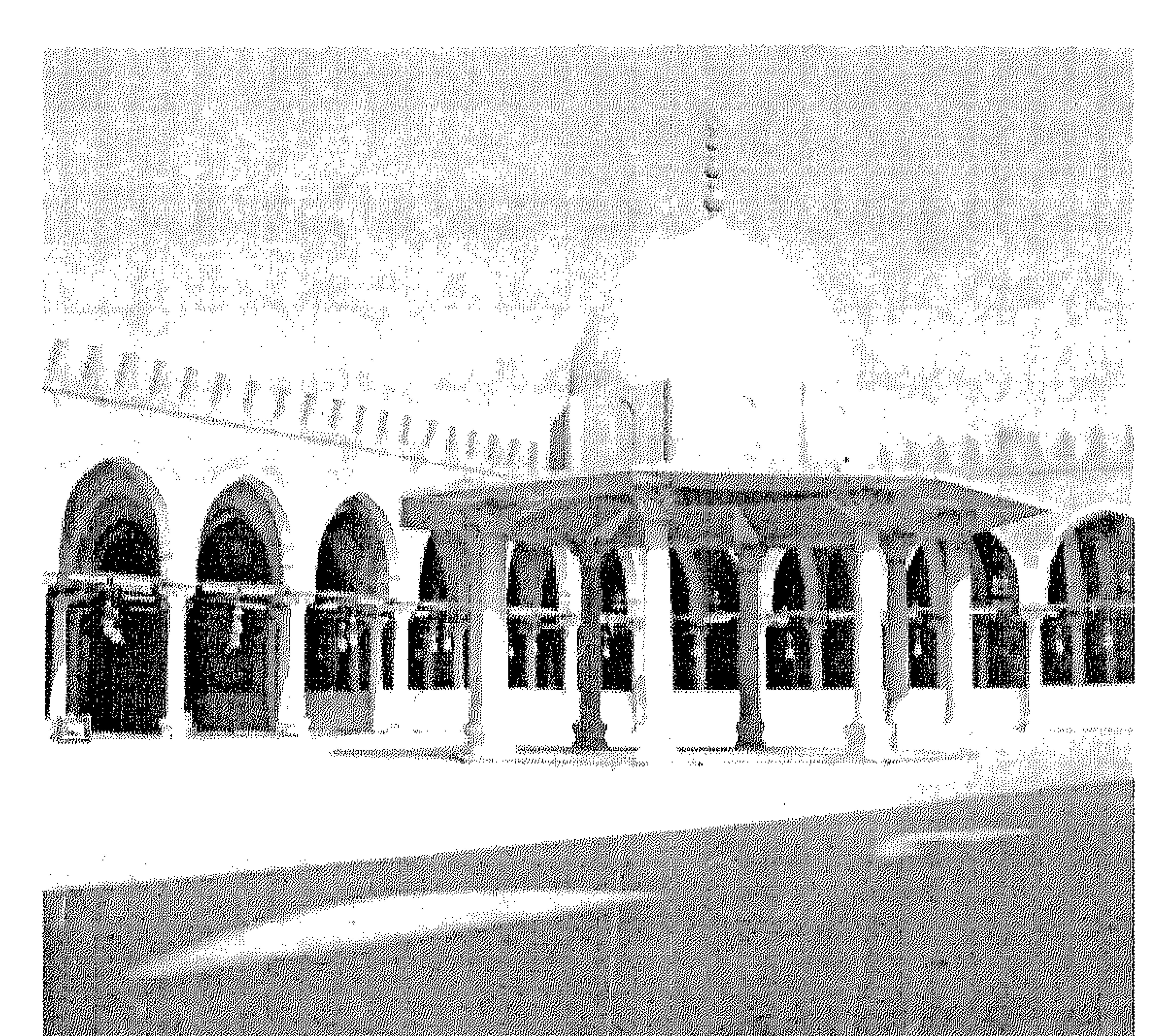
على عادة المسلمين فى تخطيط مدنهم الجديدة كان جامع عمرو ابن العاص الذى سمّاه الرحالة الفارسى ناصر خسرو بالمسجد العتيق أوّل بناء فى مدينة الفسطاط.

ويعتبر هذا المسجد رابع جامع أقيم فى الإسلام بعد مساجد المدينة والكوفة والبصرة، حدد عمرو مكان هذا الجامع فى الموقع الذى اختاره ليكون عاصمة لمصر ومقراً لحكمها، ثم اتخذ الجامع مركزا لتخطيط هذه العاصمة فبنى بجوارها دارا له، واختط الجند دُورا حوله، وبذلك صار جامع عمرو أساس مدينة الفسطاط التى صارت العاصمة العربية للديار المصرية، وأصبحت الآن جزء من القاهرة الحالية، ويحدد جامع عمرو مرحلة هامة فى تاريخ مصر بل فى تاريخ أفريقيا كلها، فهو من جهة أقدم جامع فى أفريقيا، ومن جهة أخرى يرمز إلى تخلص مصر من السيطرة الرومانية البيزنطية، ولجامع عمرو أهميته الفنية والمعمارية ذلك أنه جرى عليه كثير من التعمير والتجديد على طول التاريخ، وبقيت به آثار من بعض العمائر التى أجريت به فى العصور المختلفة ويمكن فى ضوئها أن يدرس تطور الطرز المعمارية والزخرفية فى مصر الإسلامية، وقد وصف هذا الجامع كثير من المؤلفين والرحالة نذكر منهم ابن دقماق والمقريزى وعلى باشا مبارك، وعنى بدراسة عمارته مجموعة من علماء الآثار والفنون الإسلامية أهمهم (كوريت) و (محمود أحمد) و (كريسويل) و (فييت) و (حسن عبد الوهاب) و (أحمد فكرى) و (فريد الشافعى).

لقد اختار عمرو موقع بناء المسجد فى المكان الذى كان فيه لواؤه، ولقد عرف المسجد بمسجد (أهل الراية) نسبة إلى فرق من جند الأنصار والمهاجرين كانوا يؤلفون نواة جيش عمرو، وتلتف







قبة وصحن جامع
عمرو بن العاص

حولهم براياتها باقى القبائل فى الناحية البحرية من جامع عمرو، شيد عمرو دارا له، عرفت فى التاريخ (بالدار الكبرى)، ودارا أخرى لابنه (عبد الله) عرفت بالدار الصغرى تمييزاً لها عن دار عمرو، وحول المسجد ودار عمرو أقيمت أحياء المدينة التى سميت بأسماء القبائل التى اشتركت فى فتح مصر، وظل جامع عمرو بن العاص على مر الزمان مسجداً يملأ أرض مصر بالهدى، ويفيض على أهلها بالعلم والنور.

كان جامع عمرو فى أول الأمر مسجدا بالغ البساطة مسافة طوله (٢٥) مترا وعرضه (١٥) مترا، مغطى بمظلة من الخشب وسعف النخل قائمة على أعمدة من جذوع النخيل، وظلت كذلك حتى صححها (قرة بن شريك) وكان المسجد يقوم محاذياً لضفة النيل، فكان النهر يقوم عوضاً عن جداره الشرقى، ولهذا لم يكن للمسجد إلا ثلاثة جدران، ولقد أزاله (مسلمة بن مخلد الأنصارى) أمير مصر من قِبَل معاوية بن أبى سفيان، وأعاد إنشاءه من جديد سنة (٥٣ هجرية) (٦٧٣ ميلادية).

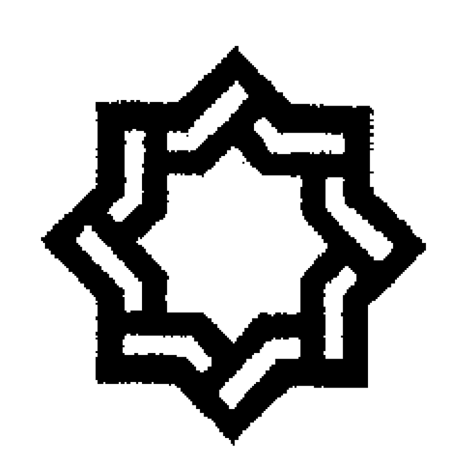
احترق جزء كبير من مسجد عمرو أيام حكم خمارويه بن أحمد بن طولون، فأعيد بناؤه وأكمل محمد بن طغج الإخشيد عمل خمارويه، ثم جدد الجامع مرات أيام

الفاطميين حتى بلغ ذروة جماله القديم أيام الخليفة المستنصر، وكان جامع عمرو يضاء بالليل من الداخل بالمصباح الضخم الذى أهداه للجامع الخليفة الحاكم بأمر الله، وكان وزن هذا المصباح لا يقل عن سبعة قناطير من الفضة بالإضافة إلى أكثر من (٧٠٠) قنديل، وكان المسجد مفروشاً بعشر طبقات من الحصير الملون بعضها فوق بعض، وقيل إن جامع عمرو كان أعمر المساجد بالمصلين، فكان عدد المترددين عليه من الصباح حتى صلاة العشاء لا يقل عن خمسة آلاف شخص ما بين مصلين وأساتذة، وطلاب علم وكتاب يحررون الصكوك والمبايعات للناس.

ويعتبر جامع عمرو بن العاص من أشهر آثار مدينة الفسطاط الباقية حتى الآن، عرف هذا الجامع العتيق (بتاج الجوامع).

ويحكى (هبيرة بن أبيض) أن (قسيمة بن كلثوم) أحد أفراد قبيلة (بنى سوم) سار من الشام إلى مصر مع عمرو بن العاص، فرأى حدائق بالقرب من حصن بابليون الموجود حتى الآن، فعرج إليها وأقام فيها، ثم خرج مع عمرو وترك أهله فيها، وبعد أن تم لعمرو فتح مدينة الإسكندرية، عادِ (قسيمة) إلى أهله، واختط عمرو داره مقابل تلك الحدائق، وتشاور المسلمون حول مكان مسجد المدينة الجامع، فاتفقوا على أن يكون فى نفس مكان دار (قسيمة) فرحب بذلك، وقال لإخوانه: (إنى ملكت هذا المنزل ويسعدنى أن أتصدق به للمسلمين)، فأقيم جامع عمرو بن العاص فى سنة (٢١ هجرية) (٦٤١ ميلادية)، وكان جامع عمرو على حد وصف (الليث بن سعد) تحيطه الحدائق والأعناب، واختلف المؤرخون حول مسجد عمرو ونشأته، فمنهم من ذكر أنه أقيم مكان خان قديم، ومنهم من يعتقد أنه بنى على أطلال دير قديم، وذكر «على باشا مبارك» فى خططه التوفيقية أن ثمانين رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ اشتركوا فى إقامة جامع عمرو فى مدينة الفسطاط منهم.. «الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، والمقداد، وأبو الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر، رضى الله عنهم أجمعين»..

ويذكر الشيخ (عبد الله بن أبى جعفر) أن الذى أقام محراب جامع عمرو هو الشيخ (عبادة بن الصامت) و (رافع بن مالك)، وذكر (ابن سعيد الحميدى) أنه شاهد جامع عمرو وطوله خمسون ذراعاً فى عرض ثلاثين، والطريق يحيط به من كل جانب، وأن

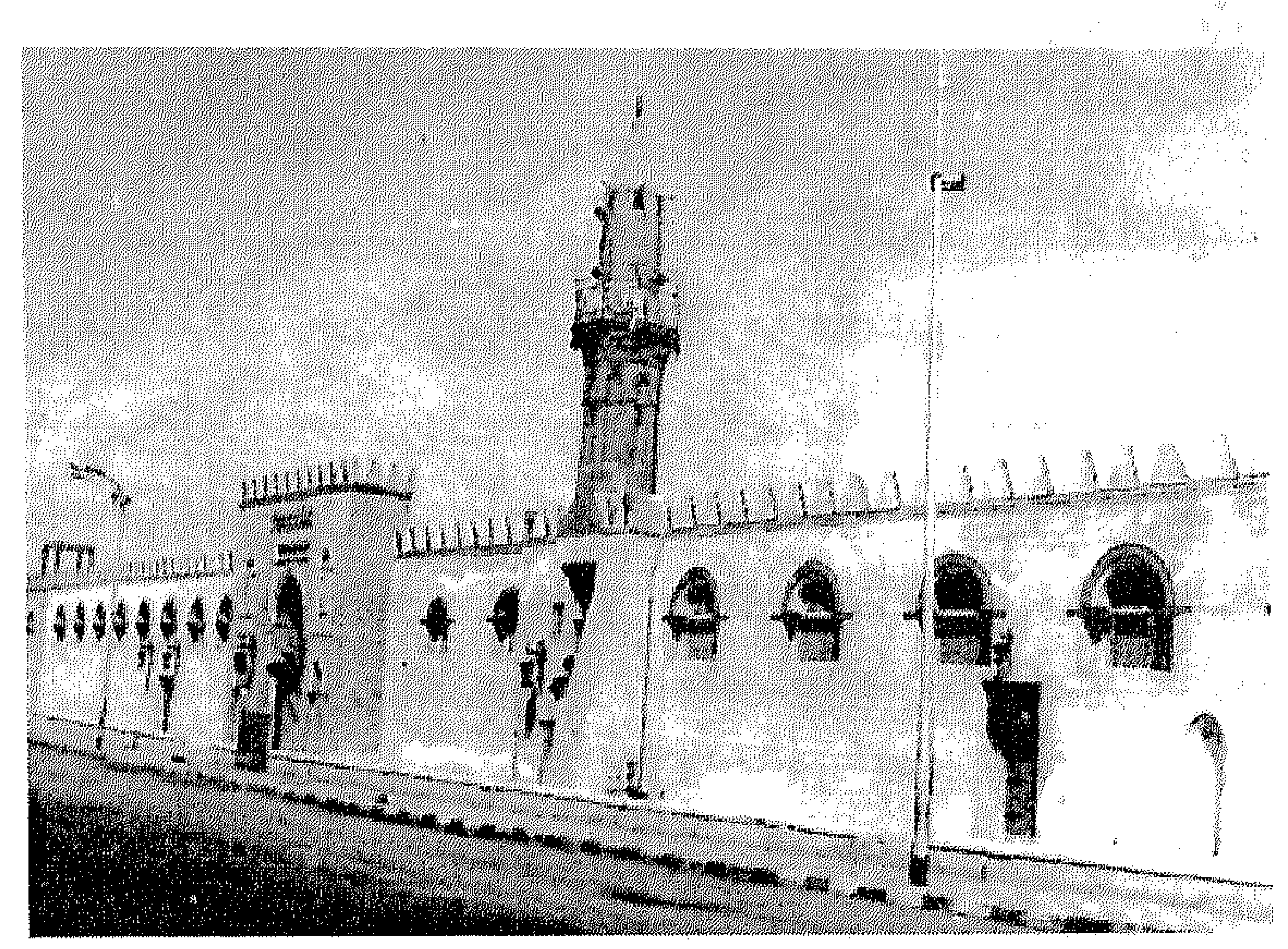


الجامع كان له بابان أمام دار عمرو، وبابان فى الجهة البحرية، وبابان فى جهته الغربية، وأن الخارج من (زقاق القناديل) يجد ركن المسجد الشرقى محاذيا لركن دار عمرو الغربى، وكان طول المسجد من القبلة إلى ناحية المسجد البحرية مساوياً لطول دار عمرو، ويذكر (القضاعى) أن صلاة الجُمَع لم تكن تقام فى بر مصر إلاّ بهذا الجامع.

اختار عمرو بن العاص موقع جامعه على الضفة الشرقية لنهر النيل فى منطقة بها أشجار وكروم على بُعد مائة متر جنوب حصن بابليون، وكان جامع عمرو عند إنشائه يقع مباشرة على شاطئ النيل، وقد أخذ مجرى النيل ينتقل تدريجياً نحو الغرب حتى صار يبعد الآن عن الجامع نحو خمسمائة متر، وكنتيجة لما أضيف إلى الجامع من زيادات، وما أجرى به من عمائر لم يبق شيء من بناء عمرو بن العاص غير مساحة الأرض التى كان قد بنى عليها، وتقع هذه المساحة فى النصف الشرقى من رواق القبلة أى على يسار الواقف فى رواق القبلة تجاه المحراب، ويمثل جامع عمرو أقدم الطرز المعمارية لبناء المساجد وأهمها، وهو الطراز المستوحى من عمارة الحرم النبوى الشريف، أى طراز الجامع الذى يتألف من صحن مربع أو مستطيل يحف به من جوانبه الأربعة أروقة أربعة أعمقها رواق القبلة، وعلى الرغم من أن جامع عمرو قد استقر على هذا الطراز، فقد ذكر بعض العلماء أنه كان مسقوفا على عهد عمرو، ولم يكن له صحن مربع، وهذا يناقض ما عرف عن المساجد الجامعة التى بنيت فى المدن الإسلامية التى أسستها الجيوش العربية الفاتحة والتى شيدت على نمط المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة مثل البصرة (١٤ هجرية) (٦٣٥ ميلادية)، ومسجد الكوفة (١٥ هجرية) (٦٣٦ ميلادية)، ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان (٥٠ هجرية) (٦٧٠ ميلادية) حيث كان المسجد عبارة عن مساحة تحف بها جوانب أربعة.

استوحى عمرو فى تخطيط الجامع وفى العلاقة بينه وبين داره مسجد النبى ﷺ وداره فى المدينة المنورة، إذ بنى عمرو داره خارج المسجد فى شرقيه ومحاذية لجداره، وترك بينها وبين المسجد طريقاً يبلغ عرضه نحو أربعة أمتار.

ومن المرجح أن عمراً بنى جامعه على نمط مسجد النبى ﷺ بالمدينة، فكان بناء ذا جدران أربعة، وله مظلة عند القبلة، وصحن غير متسع، وكان يحيط بالمسجد من جهاته



جامع
عمرو بن العاص

الأربعة طريق عرضه نحو أربعة أمتار، وكان للمسجد بابان فى كل من الجدار الشرقى الأيسر والجدار الغربى الأيمن والواجهة الشمالية، ويقال إن عمراً استخدم فى أول الأمر منبرا يخطب فوقه، وحينما بلغ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك أرسل إليه يأمره بكسره وكتب إليه:

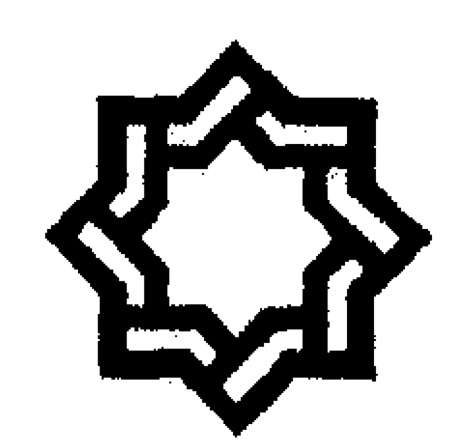
«أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك»

ومن المرجح أنّ المنبر الذى أقامه عمرو فى مسجده كان على نفس نمط المنبر الذى صنع بمسجد الرسول ﷺ (سنة ٧ هجرية) (٦٢٨ ميلادية)، وكان يتكون من ثلاث درجات فقط، ولم تقف مهمة جامع عمرو على الصلاة فقط، فكان مركزا للإدارة والقضاء والإفتاء، وربما كانت المآذن الأربعة ذات التخطيط المربع التى أقيمت سنة (٩١ هجرية) (٧١٠ ميلادية) فى عهد الوليد بن عبد الملك بالحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة مقدمة للمئذنة المصرية الأولى، التى أقامها بعد ذلك فى جامع عمرو (قرة بن شريك) فى سنة (٩٢ هجرية) (٧١١ ميلادية)، حينما هدم الجامع وأعاد بناءه من جديد[١].

بعد أن ولى عبد العزيز بن مروان حكم مصر من قبل أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان أجرى بجامع عمرو عمارة تضمنت توسعة المسجد وبخاصة عند جانبه الأيمن.

وكذلك عند جانبه المواجه للقبلة، وعمل (عبد العزيز بن مروان) على أن يوفر للمسجد وسائل الهدوء والوقار اللائق به، فرتب به قراءة المصحف، وكان أول من فعل ذلك، ومن الطريف أن نذكر هنا أن عبد العزيز بن مروان دخل مسجد عمرو بعد أن

(١) جامع عمرو.. الدكتور حسن الباشا.. (القاهرة.. تاريخها.. فنونها.. آثارها).



انتهت أعمال التعمير والتجديد التى أمر بها فلم يعجبه أمر المصلين، فأمر بغلق أبواب المسجد وعدم السماح لأحد بالخروج منها، ثم أمر باستدعاء المصلين فردا فردا فسأل أحدهم: هل أنت متزوج؟ فقال: لا، فأمر بأن يزوجوه، وسأل آخر: أحججت؟ فقال: لا، فأمر بأن يُحججوه، وسأل آخر: أعليك دين؟ فقال: نعم، فأمر بأن يقضوا دينه، فأصبح المسجد بعد ذلك عامرا بالخيرات والبركات.

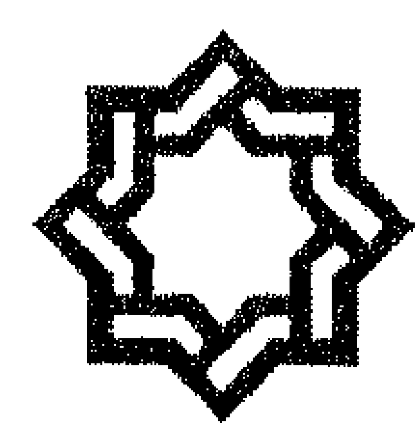
ومن الأمور الجديرة بالذكر هنا أن عمارة جامع عمرو بن العاص قد استوحت فى كثير من مظاهرها عمارة الحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة فى عهد الوليد سنة (٩١ هجرية) (٧١٠ ميلادية)، فأدخلت فى عمارة الحرم النبوى الشريف مساكن زوجات النبى ﷺ فى رقعة المسجد النبوى، وأدخلت دار عمرو ودار ابنه عبدالله فى رقعة جامع عمرو، وكما زوِّد الحرم النبوى الشريف بمحراب مجوف، زود جامع عمرو أيضا بمحراب مجوف، حتى التصميم العام لجامع عمرو جاء مشابها لتصميم الحرم النبوى، فلكل منهما صحن يحف به أربعة أروقة أعمقها رواق القبلة، ولقد كان لكل هذه المظاهر أثرها الكبير فى عمارة المساجد فى مصر، ولقد أقام (قرة بن شريك) فى جامع عمرو منبرا من الخشب كان بداية لإقامة المنابر فى مساجد قرى مصر، وقد تم ذلك فى عهد (عبد الملك بن موسى بن نصير اللّخمى) الذى وُلِّى حكم مصر من قِبَل (مروان بن محمد) آخر الخلفاء الأمويين.

وفى العصر العباسى قام (صالح بن على) بتوسعة جامع عمرو من الشمال الغربى، أى من ناحية الجانب المواجه للقبلة، فأضاف إليه مساحة أقام فيها أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، كما فتح بابا فى الجانب الشمالى الشرقى للجامع عرف باسم (باب الكُحْل)، لوقوعه فى زقاق كان يسمى (زقاق الكحل)، واستلزمت هذه الزيادة دخول أرض دار (الزبير بن العوام) رضى الله عنه فى المسجد، وكانت هذه الدار تقع فى الشمال الشرقى من الجامع، وفى شمال غرب دار عبدالله بن عمرو التى سبق أن أدخلها قرة بن شريك فى مساحة المسجد، وظل جامع عمرو فى ذلك الوقت هو المسجد الجامع الوحيد فى الفسطاط الذى يحظى بحب أهل مصر الذين كانوا يتبركون به ويستمعون فيه إلى الوعظ والإرشاد، ومنذ سنة (٣٨ هجرية) (٦٥٨ ميلادية) كان متولى القصص

يقوم فى أوقات معينة بالقراءة فى المصحف وبالوعظ والتذكير وكان يختم وعظه بالدعاء للخليفة وأعوانه والدعاء على أعدائه والمشركين، وكان متولى القصص يقرأ القرآن فى الجامع فى مصحف يسمى (مصحف أسماء) وكان هذا المصحف قد كتب لعبد العزيز بن مروان أثناء ولايته لمصر وانتهت ملكيته إلى أسماء ابنة أبى بكر بن عبد العزيز فنسب إليها.

وبعد وفاتها اشتراه أخوها (الحكم بن عبد العزيز بن مروان) بخمسمائة دينار فجعله فى جامع عمرو، وكان الناس يتبركون به ولقد أشار المؤرخ المقريزى إلى هذا المصحف فى خططه، وظل جامع عمرو يحظى بعناية الولاة العباسيين على الرغم من إنشاء مسجد جامع آخر فى سنة (١٦٩ هجرية) (٧٨٦ ميلادية) شيده الفضل بن صالح أثناء ولايته على مصر من قِبَل الخليفة المهدى فى مدينة العسكر، ومن الولاة العباسيين الذين عنوا بعمارة جامع عمرو الأمير (موسى الهاشمى) والى مصر من قبل الرشيد، وعندما قَدِمَ الإمام الشافعى إلى مصر فى حوالى (٢٠٠ هجرية) (٨١٥ ميلادية) ألقى فيه دروسه فى الفقه الإسلامى، وقد عرف المكان الذى كان يلقى فيه الشافعى دروسه فى جامع عمرو باسم (زاوية الإمام الشافعى)، وقد صار يحرص على التدريس فيها بعد ذلك كبار الفقهاء والعلماء، ومما لا شك فيه أن المكانة التى كانت لجامع عمرو فى قلوب المصريين، وإقبال الطلاب على تلقى العلم به كانت من الأسباب التى دفعت الولاة إلى العناية به، والحرص على عمارته، والعمل على توسعته كلما ضاق بالمصلين أوالدارسين.

أجريت العمارة الأساسية فى جامع عمرو فى العصر العباسى على يد (عبد الله بن طاهر) والى مصر من قبل الخليفة المأمون فى سنة (٢١٢ هجرية) (٨٢٧ ميلادية)، وكان جامع عمرو قبل عمارة عبد الله بن طاهر طويلا وضيقا، أى أن عرضه كان صغيرا جدا بالنسبة لطوله، ومن ثَمَّ كان من الطبيعى أن يوسع من العرض، وقد أضاف عبدالله إلى الجامع من جانبه الجنوبى الغربى مساحة تعادل مساحته قبل العمارة، وتضاعفت مساحة الجامع بذلك وحدث توازن بين طوله وعرضه، وتعتبر عمارة عبد الله بن طاهر أهم العمائر التى أجريت بجامع عمرو سواء من الناحية الأثرية أو المعمارية، وبهذه الزيادة



صحن جامع
عمرو بن العاص

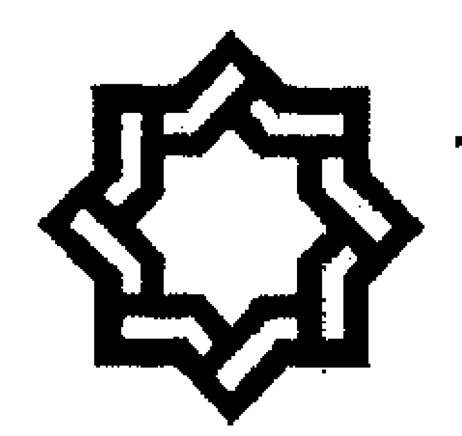
استقرت حدود الجامع حتى الوقت الحاضر، وصار الجامع على هيئته مربعا منتظما طوله نحو (١٢٠ مترا) وعرضه نحو (١١٠ أمتار) وظل جامع عمرو محتفظا بتصميمه دون تغيير كبير حتى عصر المماليك.

كان جامع عمرو الذى أعاد بناءه عبد الله بن طاهر مشيدا بالآجر أو الطوب، وكان يشتمل على ثلاثة عشر بابا، منها خمسة فى الجدار الشمالى الشرقى (الأيسر) وأربعة فى الجدار الجنوبى الغربى (الأيمن) وثلاثة فى الواجهة الرئيسية الشمالية الغربية، وباب الخطيب فى جدار القبلة، وكان الجامع يتألف من صحن به أربعة أروقة تضم صفوفاً من

العقود ترتكز على أعمدة وتمتد موازية بجدار القبلة، وكان كل من رواق القبلة والرواق المواجه له يشتمل على سبعة صفوف من الأعمدة يحتوى كل منها على عشرين عموداً، أما الرواقان الجانبيان فكانت صفوف أعمدتها يشتمل كل منها على أربعة أعمدة، وكان صحن الجامع يحف به أربع بوائك أو صفوف من العقود ترتكز على أعمدة، وكانت بائكة رواق القبلة والبائكة المواجهة لها تضم اثنى عشر عقداً، فى حين كانت كل من البائكتين الجانبيتين تشتمل على ثمانية عقود، وكان بجدار القبلة ثلاثة محاريب أحدها فى منتصف الجدار وهو المحراب الكبير وكان من عمل عبدالله بن طاهر، وقد ذكر البعض أن هذا المحراب والمنبر الذى بجواره قد أقيما مكان فسطاط عمرو نفسه (خيمته) أما المحراب الثانى فكان إلى يمين المحراب الأوسط وكان هو الآخر من عمل عبد الله بن طاهر، أما المحراب الثالث فكان إلى يسار المحراب الأوسط وكان يرجع إلى عهد قرة بن شريك، ومن المرجح أيضاً أنه كان فى كل ركن من أركان الجامع الأربعة مئذنة ونستطيع فى ضوء عمارة عبدالله بن طاهر أن نستنتج أن الجامع الذى أسسه عمرو بن العاص نفسه تقع رقعته فى النصف الأيسر من الجامع الحالى، وأن النصف الأيمن من جامع عمرو الحالى أحدث عهداً من النصف الأيسر.

وعلى الرغم من أن عمارة عبد الله بن طاهر فى جامع عمرو قد أتلفها حريق هائل فى سنة (٢٧٥ هجرية) (٨٨٨ ميلادية) مما أدى إلى ضياع معالمها فإنه لا يزال بجامع عمرو الآن بعض الآثار التى نَجَت من هذه الحرائق منها الشبابيك القديمة بالجدار القبلى والجدار الجنوبى الغربى (الأيمن) وبفضل هذه الشبابيك صار فى الإمكان تصور تصميم شبابيك جامع عمرو فى عهد عبدالله بن طاهر وطريقة بنائها.

وكان اتساع جامع عمرو بعد عمارة عبدالله بن طاهر سبباً فى إقبال طلاب العلم إليه وإلى زيادة حلقات الدروس فيه، ولقد بلغت حلقات الدروس فى سنة (٣٢٦ هجرية) (٩٣٧ ميلادية)(٣٣) حلقة منها (١٥) حلقة للشافعية و (١٥) حلقة للمالكية و(٣) حلقات للحنفية، وبلغت هذه الحلقات فى الازدياد بعد ذلك حتى بلغت (١١٠) حلقة فى النصف الثانى من القرن (الرابع الهجرى) (العاشر الميلادى) ولم يتم بجامع عمرو بن العاص منذ سنة (٢١٢ هجرية) (٨٢٧ ميلادية) حتى دخول الفاطميين مصر فى سنة



(٣٥٨ هجرية) (٩٦٨ ميلادية) أية عمائر مهمة.

أما الإضافة الثانية التى تمت فى جامع عمرو فكانت فى عهد (أبى أيوب أحمد بن محمد بن شجاع) أحد عمال الخراج فى عهد الأمير أحمد بن طولون.

وكانت هذه الزيادة أمام واجهة الجامع الرئيسية وصارت تعرف لذلك برحبة أبى أيوب، وعلى الرغم من أن أحمد بن طولون انتهى من عمارة جامعه الكبير الذى لا يزال باقياً بمعظم معالمه الأصلية حتى اليوم فقد احتفظ جامع عمرو بمكانته وقدسيته باعتباره الجامع العتيق وأول جامع بنى فى مصر وذكر فيه اسم الله تعالى، كما ظل الجامع الأساسى الذى تقام فيه الصلوات، وتعقد فيه الجمع والجماعات، ويقصده الأهالى من سائر أنحاء مصر للصلاة فيه،ويحرص القادمون إلى مصر على زيارته لمشاهدته والتبرك به، ووصف الرحالة (ابن رستة) الذى زار مصر فى القرن الثالث الهجرى (٦٢٤ ميلادية) بيت المال بجامع عمرو الذى بناه (أسامة بن زيد) متولى الخراج بمصر فى سنة (٩٧ هجرية) (٧١٦ ميلادية) ليحتفظ فيه بمال الدولة فذكر فى كتاب (الأعلاق النفيسة) بأن بيت المال بجامع عمرو يقع أمام المنبر وهو على هيئة صخرة فوقها قبة ترتكز على أعمدة من الحجارة وكان منفصلا عن سطح المسجد ولا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق قنطرة من الخشب كانت تجر بالحبال حتى يستقر طرفها على سطح المسجد، وكان له باب من الحديد بأقفال، ولقد حاول البعض نهبه فى سنة (١٤٥ هجرية) (٧٦٤ ميلادية) برغم كل هذه الاستحكامات فى ولاية (يزيد بن حاتم المهلبى).

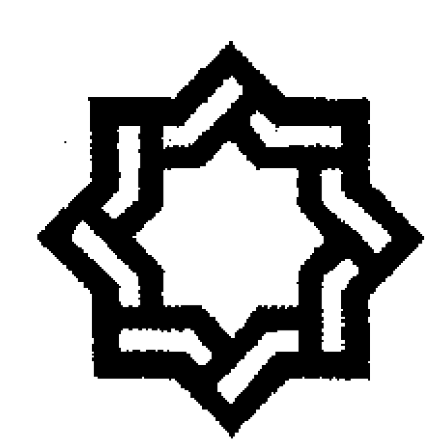
فى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون اجتاح جامع عمرو حريق فى سنة (٢٧٥ هجرية) (٨٨٨ ميلادية) دمّر معظم عمارة عبدالله بن طاهر، فأمر خمارويه بعمارة الجامع وترميمه وإعادته إلى ما كان عليه، وقد تكلفت هذه العمارة نحو (٦٤٠٠) دينار، وظل جامع عمرو محل عناية الإخشيديين ففى عهد الإخشيد طليت بماء الذهب أعمدة الجامع، وأقيمت صومعة فى سطحه ليؤذن فيها المؤذنون، وفى العصر الفاطمى لم يفقد جامع عمرو مكانته فبرغم إنشاء القاهرة والجامع الأزهر الشريف ظل جامع عمرو هو المسجد الجامع للفسطاط ولمصر كلها، وظلت مدينة الفسطاط فى العصر الفاطمى المدينة الرئيسية لسكن الأهالى، وظل جامع عمرو فيها محط العناية والرعاية من

الحكومة الفاطمية ومن الشعب على حد سواء.

وصف الرحالة (أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسى البشارى) صاحب كتاب (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) جامع عمرو بن العاص (فذكر أنه كان يسمى السُّفْلاَنِى) تمييزاً له عن جامع ابن طولون الذى بنى على تل مرتفع، وأنه جامع فخم حسن البناء، أسقفه على أعمدة رخام، وبه منبر حسن البناء، وأنه أعمر موضع بمصر، والازدحام فيه كبير، وأن الأسواق تحيط به إلاّ أن بينه وبينها (دار الشط)وخزائن وميضأة.

وقد حرص الفاطميون على عمارة الجامع وتجميله وتزويده بالأثاث الفخم حتى بلغ أوج ازدهاره فى عهدهم الزاهر، ورغم الأعمال التى قام بها العزيز بالله ثانى الخلفاء الفاطميين فى جامع عمرو سنة (٣٧٨ هجرية) (٩٨٨ ميلادية) إلا أن أهم الأعمال التى أجريت فى جامع عمرو تمت فى عهد الحاكم بأمر الله فتم تجديد بياض المسجد على يد (برجوان الخادم) وإقامة رواقين على عُمد من حجر بدلاً من الأعمدة الخشبية التى أقامها (أيوب بن أحمد بن شجاع) وقد ذكر (ابن دقماق) أنه بإضافة هذين الرواقين اكتملت أروقة الجامع فصارت سبعا فى المقدمة وسبعا فى المؤخرة وخمسا فى شرقيه وخمسا فى غربيه، وأصبح تصميم الجامع بعد هذه الإضافات فى أكمل صورة، بالإضافة إلى ذلك أمر الحاكم بأمر الله أن يزود الجامع بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا شريفا بعضها مكتوب بالذهب، كما أمر الحاكم بإقامة (تَنُّور) ضخم لإنارة الجامع وكان هذا التنور الذى تكلف مائة ألف درهم فضة من الضخامة بحيث تعذر إدخاله من باب الجامع إلا بعد قلع عتبتى الباب، ولقد عُلِّقَ التنور فى الجامع فى احتفال كبير حضره جمع غفير من الناس، وفى سنة (٤٠٥ هجرية) (١٠١٤ ميلادية) أمر الحاكم بتزويد جامع عمرو بمنبر كبير، فأقام منبراً ذهبياً فخماً نقله (الحاكم) بعد ذلك إلى جامع عمرو بالاسكندرية، وظل جامع عمرو محتفظاً بالمنبر الخشبى الذى كان قد أقامه قرة بن شريك فى سنة (٩٤ هجرية) (٧١٣ ميلادية) ويعتبر أقدم منبر فى الإسلام بعد منبر الحرم النبوى فى المدينة المنورة، وقام (يعقوب بن كلس) فى عهد الخليفة العزيز فى سنة (٣٧٩ هجرية) (٩٨٩ ميلادية) بإزالة منبر قرة بن شريك ليحل محله المنبر الذهبى.

وفى عهد الخليفة (المستنصر بالله) تمت عدة أعمال لتجميل وتعمير مسجد عمرو، ولقد زار الرحالة الفارسى ناصر خسرو جامع عمرو فى زمن المستنصر بالله الفاطمى فبالغ



بالإشادة به لفخامته، فذكر أنه قائم على أربعمائة عمود من الرخام، وأن الجدار الذى عليه المحراب مغطى كله بألواح من الرخام الأبيض الذى نقش عليه آيات من القرآن الكريم بخط جميل، وأن المسجد كانت تحيط به الأسواق من جهاته الأربع وكانت أبوابه تفتح عليها، وأنه كان يوقد فيه فى ليالى المواسم أكثر من سبعمائة قنديل، وأن المسجد كان يفرش بعشر طبقات من الحصير الملون بعضها فوق بعض، ولا يقل من فيه فى أى وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكُتَّاب الذين يحررون الصكوك.

زُوِّدَ جامع عمرو فى زمن المستنصر بالله بمحاريب خشبية تعتبر ظاهرة مهمة فى أثاث الجوامع بعضها محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة، وزود الجامع أيضاً فى عهد المستنصر بالله بمئذنة أقامها «القاضى أبو عبدالله أحمد بن زكريا» فى سنة (٤٤٥ هجرية) (١٠٥٣ ميلادية) كما شيدت فى المسجد مئذنتان أخريان فى سنة (٥١٥ هجرية) (١١٢١ ميلادية) فى عهد الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى، عرفت الأولى (بالمئذنة الكبيرة) والأخرى (بالمئذنة السعيدية).

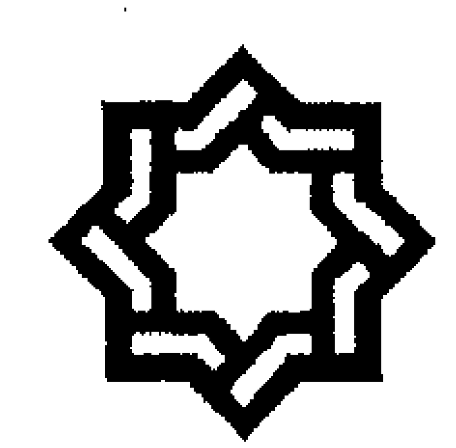
لم تكن صلاة العيد تقام بجامع عمرو فى القرون الثلاثة الأولى، ولكن فى بداية القرن الرابع الهجرى بدأت به صلاة الفطر، ويقال ان ذلك كان فى سنة (٣٠٦ هجرية) (٩١٨ ميلادية) وجرت العادة منذ عهد الفاطميين فى مصر أن تقام صلاة آخر جمعة فى شهر رمضان المبارك فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وكانت عادة الخليفة أن يصلى الجمعة الثانية منه فى جامع الحاكم، والجمعة الثالثة منه فى الجامع الأزهر الشريف، وكان الخليفة يذهب إلى الجامع فى موكب فخم.

ورغم أن العصر الفاطمى كان عصر ازدهار بالنسبة لجامع عمرو بن العاص، إلا أنه حدث فى نهاية هذا العصر أن تعرض الجامع لخسائر كثيرة، بسبب الحريق الهائل الذى أشعله الأمير (شاور) وزير الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فى مدينة الفسطاط، ليمنع دخول قوات عمورى ملك بيت المقدس فسطاط مصر، وكانت قوات عمورى قد تقدمت حتى وصلت إلى جنوب الفسطاط فى مكان كان يعرف ببركة الحَبَشْ، وظلت آثار هذا الحريق فى الجامع حتى أمر الناصر صلاح الدين الأيوبى بإعادة عمارته وتجديده فى سنة (٥٦٨ هجرية) (١١٧٢ ميلادية) فجدد إيوان القبلة بما فى ذلك المحراب الكبير الذى كُسِىَ بالرخام ونُقِش عليه اسم صلاح الدين.

اهتم سلاطين مصر المماليك بجامع عمرو بن العاص فأجريت به بعض الأعمال بقصد الترميم والتجميل والصيانة فقام (السلطان عز الدين أيبك) أول السلاطين المماليك بعمليات تجديد شاملة فى الجامع، وقام (السلطان الظاهر بيبرس) فى سنة (٦٦٦ هجرية) (١٢٠٩ ميلادية) بهدم واجهة إيوان القبلة وإعادة بنائها بعُمُد وَعُقُود جديدة، واقامة لوح أخضر جديد كتب عليه اسم السلطان بيبرس، وفى عهد السلطان المنصور قلاوون جُدِّدَتْ عمارة الجامع، وكُلِّفَ الأمير عز الدين أحد رجال المنصور بالإشراف على ذلك، وتعتبر التجديدات والعمائر التى أجريت بالجامع فى عهد السلطان الناصر محمد ابن قلاوون والتى كلف بها (الأمير سلار) نائب السلطنة بعد الزلزال الذى حدث فى سنة (٧٠٢ هجرية) (١٣٠٢ ميلادية) من وجهة النظر الأثرية والفنية من أهم الأعمال التى أجريت بالجامع فى العصر المملوكى.

أشار (البلوى الخالدى عيسى بن أحمد بن إبراهيم المغربى) الذى زار مصر فى سنة (٧٣٦ هجرية) (١٣٣٥ ميلادية) إلى جامع عمرو بن العاص فوصفه بالمسجد العتيق الحافل الذى بناه عمرو بن العاص وصحنه الفسيح، وأسواره الحافلة، ومقاصيره العجيبة، والتواريخ المكتوبة بالخط المذهب، كما أشار (المغربى) إلى الكتابة الأثرية التى تشتمل على نص تجديد الجامع باسم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد وصف (ابن المُتَوَّج) جامع عمرو واتضح من وصفه أن الجامع ظل محتفظا بتصميمه ومعظم معالمه التى كان عليها فى العصر الفاطمى خلال عصر المماليك، ولقد نقل (ابن دقماق) عن (ابن المتوج) و(المقريزى) وصف الجامع.

لم يحظ جامع عمرو بن العاص فى العصر العثمانى باهتمام الولاة اللهم إلا فى عهد (مراد بك) الذى تولى حكم مصر قبل دخول الفرنسيين مصر إذ أمر بإعادة تعمير المسجد وترميمه وإعداده للصلاة وبدأت عمارة (مراد بك) فى المسجد سنة (١٢١١ هجرية) (١٧٩٦ ميلادية) وتمت فى (١٢١٢ هجرية) (١٧٩٧ ميلادية) وأعادت هذه الأعمال للجامع أهميته فأعيد بناؤه من جديد، وتم تبييضه، وتجديد سقفه، وفرشه بالحصر، وتزويده بالقناديل، وغيرت هذه الأعمال معالم الجامع كلها فيما عدا حدوده الخارجية، ومن المرجح أن المئذنتين الباقيتين الآن بالجامع من بين الأعمال التى أمر بها (مراد بك) فى الجامع وإحداهما فوق المدخل الأيمن فى الواجهة، والثانية فوق الزاوية



القديمة عند الطرف الأيمن من جدار القبلة، وكلتاهما طراز تركى عثمانى، ولقد أقام (مراد بك) أربع لوحات من الرخام حفر عليها أشعار ركيكة تشيد بعمارته للمسجد وتؤرخها، ففى أعلا الباب الأيمن الرئيسى بالواجهة أسفل المئذنة لوحة جاء فيها: (أنشأه مولانا مراد بالمراد).

وفى اللوحة التى تعلو المحراب الأيسر فى جدار القبلة شعر جاء فيه:

لمسجد ابن العاص أضحى ... بعد هدم قد أصابه
كعبة يسعى إليها ... يُرتجى فيها الإجابه
عمل التاريخ رجح ... قد بنى هذا الصحابه

ولقد ذكر الجبرتى أن (مراد بك) صَلى بالجامع بعد إتمام عمارته فى آخر جمعة من شهر رمضان سنة (١٢١٢ هجرية) وقد أحيا بذلك التقليد الذى بدأ فى عصر الفاطميين إحياءً لذكرى عمرو بن العاص مؤسس الجامع الذى توفى فى ليلة عيد الفطر المبارك.

وعلى الرغم من الإصلاحات التى أجراها محمد على باشا الكبير فى المسجد إلاّ أن الجامع أُهْملَ حتى سقط إيواناه الجانبيان فى سنة (١٣٠٠ هجرية).

وتولت لجنة الآثار العربية، ثم مصلحة الآثار من بعدها أعمال صيانة وترميم جامع عمرو بن العاص الذى ظل منذ إنشائه وحتى الآن موضع الاحترام والتقدير والتبجيل.

يقع جامع عمرو بن العاص فى موضع القلب من مدينة الفسطاط (حى مصر القديمة الآن) التى أقيمت فى الفضاء الواسع الذى عرف بالحَمْرَاوَاتْ الثلاثة.

الحَمْرَاء القَرِيبَة
الحَمْرَاء الوُسْطَى
الحَمْرَاء القُصوَى

ومكانها الحالى خط قناطر السباع وحى السبع سواقى حيث السواقى السبع التى كانت ترفع مياه نهر النيل إلى القناطر المقامة على أعمدة لتوصيل ماء الشرب إلى القبائل العربية التى حضرت فتح مصر واختطوا منازلهم فيها، مبتدئين من حصن بابليون إلى حيث يقع الآن جامع عمرو بن العاص، الذى عرف بجامع الفتح، وتاج الجوامع، وبالجامع العتيق، بنى جامع عمرو بن العاص فى أول الأمر من الأحجار الخشنة وكان سقفه منخفضاً وأقيم على أعمدة تتخلله بعض الثقوب لدخول الضوء، ولم يكن له

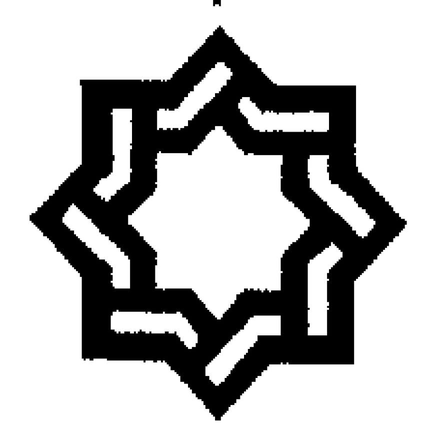
مئذنة ولا مقصورة ولم تكن تزينه أفاريز مزخرفة، حتى المنبر الذى أقامه عمرو قد أزيل بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان من واجب الحاكم أن يؤم الناس فى الصلاة، ويلقى خطبة الجمعة فى هذا الجامع المتواضع، حتى أضيفت مساحة أخرى للجامع سنة (٦٧٣ ميلادية) تسمح باستقبال الأعداد المتزايدة من المصلين، وشملت هذه الزيادة جزءا من دار عمرو، وأقيمت بعض الأعمدة فى أركان الجامع ليؤذن المؤذنون من فوقها، واهتم كل من وُلُّوا حُكْم مصر بعد عمرو بن العاص بهذا الجامع العتيق، فهدم الجامع بعد إنشائه بنحو خمسة وعشرين عاماً عن آخره وأعيد بناؤه وتوالت الإصلاحات والبنايات الجديدة بالجامع حتى أنه لم يبق أثر واحد من بنائه الأصلى، أمّا ما تَرَاهُ اليوم فهو التجديد الضخم الذى أقامه (عبد الله بن الطاهر) فى سنة (٧٢٧ ميلادية) ومساحة جامع عمرو الحالية أربعة أمثال مساحته الأصلية.

ويمتلئ المسجد بالمصلين الذين يؤدون صلاتهم فى حركات منتظمة فيضفون على المكان جواً من الهيبة والجلال ومنظراً فريداً من الروعة والبهاء، ويذكر (النبول) أن عشرات العروق الخشبية فى جامع عمرو بن العاص كانت تحمل ثمانية عشر ألف مصباح تضاء كل ليلة، ونستطيع أن نتصور بالطبع الضوء الساطع الذى يَصْدُر عن هذه الآلاف من المصابيح المضيئة.

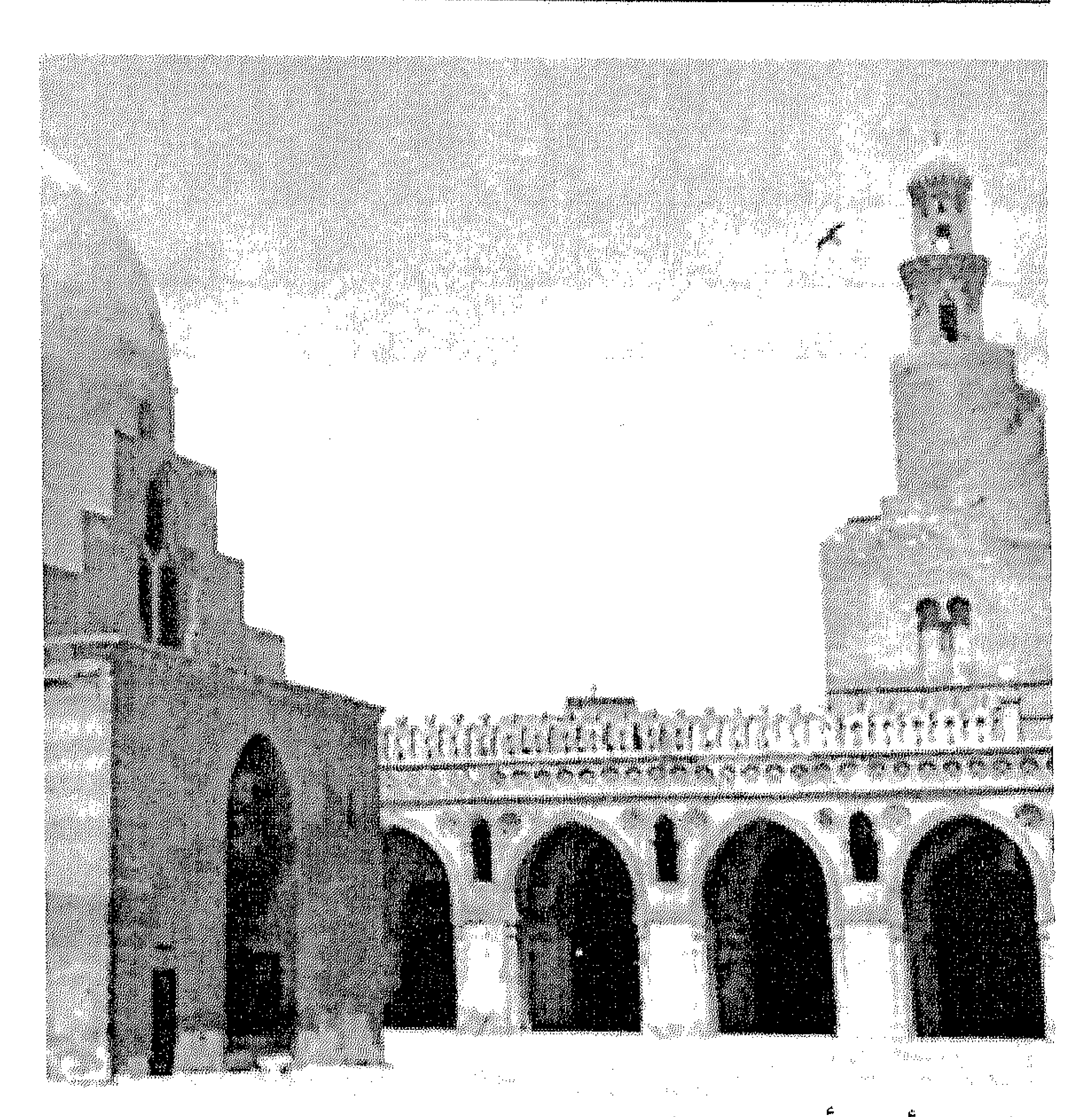
لقد كان جامع عمرو بن العاص الأثر الوحيد الباقى من مدينة الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية محل اهتمام الرحالة والمؤرخين عبر العصور فتذخر كتاباتهم بالكثير عن هذا الجامع العتيق، صحيح أن الجامع الأصلى الذى بناه الفاتح العربى عمرو بن العاص لا وجود له الآن إلاَّ أن الجامع الذى يمثله اليوم يقع فى نفس المكان المبارك الذى اختير محلاً لإقامة أول جوامع فى مصر وأفريقيا على الإطلاق، حتى مدينة الفُسْطَاط التى كانت حاضرة مصر ومرفأها النهرى لخمسة قرون اختفت تحت الأكداس المترامية من التلال الرملية، وقد وضعت هيئة الآثار المصرية خطة طموحة للكشف عن آثار مدينة الإسلام الأولى فى مصر، التى أقيمت على بعد عشرة أميال شمال أطلال مدينة (ممفيس) حاضرة مصر القديمة أمام حصن بابليون، فى الفضاء الذى يمتد بين النيل وجبل المقطم، ولم يكن هناك أى مبان فى ذلك الوقت غير بعض الكنائس وحصن بابليون الذى أطلق عليه العرب اسم (قَصْر الشّمع).

خطط أحمد بن طولون عاصمته على نفس نمط مدينة سامراء المدينة العراقية التى نشأ فيها ، فخطط فى محيط سكن الضباط والجنود والأفراد ورسم مخططاً لمسجده الجامع والأسواق التى ستحيط به.

وكانت هذه الأسواق تمتد فى صفوف وتنقسم حسب الشهرة التجارية وهكذا روعى فى تخطيط مدينة القطائع أن تكون المدينة الجديدة للأمن والجيش والإدارة والتجارة التى لا غنى عنها للحياة اليومية فى الدولة الطولونية، وخصصت مساحة كبيرة من مدينة القطائع شرق المدينة بالقرب من جبل المقطم لسباقات الخيل والتدريبات والعروض العسكرية وكانت ساحة العرض العسكرى فى مدينة القطائع من أشهر ساحات العالم الإسلامى فى ذلك الوقت، ولقد اختار خمارويه بن أحمد بن طولون أقوى وأشد الرجال فى حرسه الخاص، وروعى فى اختيارهم الطول والضخامة، وعاشت مصر حياة البذخ فى عهد الأمير خمارويه الذى زين قصره ووسعه، وأنشأ فيه حديقة صناعية بأشجار مفضضة ومذهبة.



وبناتات زكية الرائحة وأشجار أخرى من أندر الأنواع، وأقام خمارويه حديقة أخرى للحيوانات تربى فيها الخيول العربية الأصيلة والجمال والنمور والفهود والأفيال والزرافات، وكان الأمير خمارويه قد استأنس سَبعَاً لم يفارقه أبدا ، وعرف رواق مجلسه (ببيت الذهب) الذى زينه بصوره المذهبة واشتهر فى التاريخ بعجيبة الزمان، ولم يبق من كل ذلك إلاّ الذكريات بعد أن قضت على القطائع أحقاد الخلافة العباسية بالدمار والتخريب، ولحسن الحظ لم تجرؤ هذه الأحقاد على تدمير مسجد أحمد بن طولون الذى صممه أحمد بن طولون بنفسه.

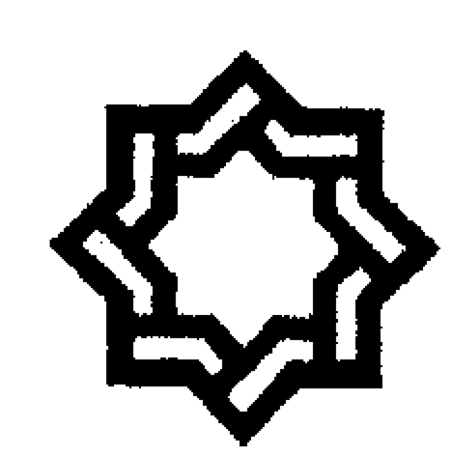


جامع
أحمد بن طولون

كان الأمير أحمد بن طولون فى الثالثة والثلاثين من عمره حين وصل إلى الفسطاط وكيلاً عن (باكباك) زوج أمه الذى أسند إليه الخليفة العباسى ولاية مصر، وكان من عادة ولاة العباسيين فى ذلك الوقت أن يقيموا بمدينة (سامراء) مركز الخلافة، ويبعثوا إلى ولاياتهم بوكلاء لهم يحكمونها نيابة عنهم، ولهذا أناب باكباك ابن زوجته أحمد بن طولون عنه فى مصر، وقتل باكباك وكان من المنتظر أن يُعْفَى أحمد بن طولون من إدارة مصر، ولكن حالفه الحظ حينما عين الخليفة (باركوج) حاكماً لمصر، وكان باركوج هذا والد زوجة الأمير أحمد بن طولون فأبقاه نائباً عنه فى حكم مصر، وأطلق يده فيها وزادت سلطاته حتى قال له:

(تسلم من نفسك لنفسك).

ولقد جمع الأمير أحمد بن طولون بدرجة رائعة بين الكفاية الحربية والإدارية والثقافة الإسلامية، وكان صادق الفراسة، عدلا، شجاعا، ورعا، وكان شعاره (من مد يده إليك فأعطه).



استطاع أحمد بن طولون ولأول مرة منذ الفتح الإسلامى لمصر أن يجعل من مصر دولة قوية ذات سيادة واكتفى بالتبعية الاسمية للخلافة، وبعد أن استتب له حكم مصر سار إلى سوريا ووصل بجيوشه إلى (طرسوس) و(الفرات) وحارب جيوش الخلافة، وجيوش الدولة البيزنطية، وامتد نفوذه من (ليبيا) حتى حدود الامبراطورية البيزنطية فى آسيا الصغرى ومن نهر الفرات حتى شلال النيل الأول.

نجح أحمد بن طولون فى إدارة مصر فانتشر الرخاء، ونمت الموارد، وزاد العمران، وقطعت مصر فى عهده شوطا كبيرا فى مجال التحضر والأخذ بأسباب الرفاهية.

نزل أحمد بن طولون فى دار الإمارة بمدينة العسكر لمدة عامين، ثم أسس حاضرة جديدة شمالى مدينة العسكر واتخذها مركزا لحكمه ومقراً لجنده وحاشيته الذين اقتسموها بينهم قطائع فسميت لذلك بمدينة القطائع، وكانت تمتد من موقع جامع أحمد ابن طولون الحالى وبين سفح جبل المقطم عند موقع قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين) ومن (مشهد الرأس) الذى عرف فيما بعد باسم (مشهد زين العابدين) وبين (الرميلة) تحت موقع القلعة.

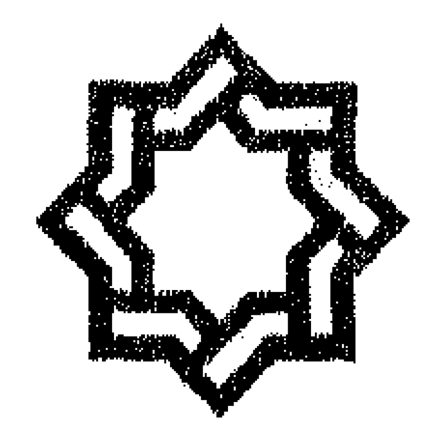
شيد الأمير أحمد بن طولون عددا من العمائر فى مصر غير أن أعظمها وأبقاها أثراً وأطولها عمراً مسجده الجامع الذى يعتبر ثالث المساجد الجامعة فى مصر بعد جامع عمرو بن العاص أول جامع فى مصر وكل أفريقيا وجامع العسكر الذى بناه الفضل بن صالح بن على، وعلى عكس جامع عمرو الذى فقد جميع معالمه الأصلية، وجامع العسكر الذى اختفى من الوجود تماما، بقى جامع ابن طولون حتى اليوم محتفظا بجميع حدوده القديمة وبمعظم معالمه الأصلية، ولقد اختلف المؤرخون حول سبب بناء ابن طولون لهذا الجامع، فذكر جامع السيرة الطولونية أن ابن طولون كان يصلى الجمعة بجامع العسكر فلما ضاق عليه بنى جامعه الشهير، وذكر (القضاعى) أن السبب فى بنائه أن أهل مصر شكوا له ضيق الجامع فأمر بإنشاء جامعه الجديد، وقيل إن ابن طولون قد أنفق على بناء جامعه من كنز عثر عليه، ولقد ذكر (المقريزى) قصة هذا الكنز وقال عنه (الكنز الذى شاع خبره) وربما كان ذكر قول الله تعالى فى لوحة تأسيس الجامع (والله يرزق من يشاء بغير حساب) ما أوحى بقصة الكنز.

وارتبط جامع أحمد بن طولون بكثير من القصص التى تدخل فى باب الأساطير، منها ما ذكره (المقريزى) بخصوص الربوة الصخرية التى اختارها أحمد بن طولون لإقامة جامعه وكانت تعرف (بجبل يشكر) والتى يعتقد البعض أنها بقعة مباركة ناجى فيها موسى عليه السلام ربه بكلمات، ولو أن ابن طولون قد اختار هذا الموضع الذى عُرِفَ (بتنورة فرعون) لأنه مناسب من الناحية المعمارية، فبناء الجامع على هذه الربوة الصخرية المرتفعة جعله بمنأى عن فيضان النيل وعن رشح المياه كما زوده بأساس صخرى متين ولعل ذلك السبب الأساسى فى بقاء جامع ابن طولون رغم اندثار كل المبانى من حوله.

وفى يوم مبارك من أيام شهر رمضان المعظم سنة (٢٦٤ هجرية) (٨٧٧ ميلادية) أقيمت أول صلاة جمعة فى جامع أحمد بن طولون، ولما انتهت الصلاة جلس الأمير أحمد ابن طولون مع الشيخ محمد بن الربيع خارج المقصورة فرحب به الشيخ محمد وأنهى حديثه إليه بقوله: «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتاً فى الجنة» ولما فرغ المجلس تقدم إلى الشيخ محمد غلام بكيس فيه ألف دينار وقال له (يقول لك الأمير أحمد بن طولون نفعك الله بما علمك) وتم افتتاح الجامع فى حفل دينى كبير، تصدق فيه الأمير ابن طولون على الفقراء بأموال كثيرة، وأعدت الولائم والأطعمة والكسوة للفقراء والمساكين، وكانت دار الأمير أحمد بن طولون فى الجهة القبلية للجامع ولها باب فى جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة بجوار المحراب والمنبر، وفى يوم افتتاح الجامع علقت القناديل وفرشت السجاجيد من دار الأمير حتى مقصورة الجامع، ولما وصل الأمير إلى المقصورة ركع وسجد شكرا لله تعالى على ما وهبه من فضل ورزق ومال، وهنا تقدم إليه المهندس الذى بنى الجامع وصاح (يا أمير أحمد.. عبدك يريد الأمان ويسأل عن جائزته).

فحيَّاه الأمير أحمد بن طولون وكرَّمه وأمر له بعشرة آلاف دينار، وأَجْرَى عليه الرزق الواسع حتى توفاه الله.

ويحكى أن يعقوب الباخى خطيب جامع ابن طولون دعا للمعتمد ولولده فى خطبة الجمعة فى وجود الأمير أحمد بن طولون ونسى أن يدعو للأمير أحمد ونزل الخطيب عن المنبر فأسرع نسيم ياور الأمير ونبهه فعاد الخطيب واعتلى المنبر من جديد واعتذر عن



مئذنة جامع
أحمد بن طولون

سهوه وقال: (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً» اللهم أصلح الأمير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين).

ويحكى أيضاً أنّ الأمير أحمد بن طولون رأى الصناع يبنون فى الجامع عند العشاء فى شهر رمضان المبارك فقال: متى يشترى هؤلاء البناءون إفطار عيالهم وأولادهم؟، وأمر بأن ينتهى عمل هؤلاء عند العصر فسارت هذه السنة إلى اليوم فى مصر. بلغت مصاريف إقامة هذا الجامع الكبير الأثر الوحيد الباقى من مدينة القطائع الإسلامية مائة وعشرين ألف دينار.

وأقيم جامع أحمد بن طولون على مساحة ستة أفدنة ونصف ويعتبر بذلك ثالث أكبر المساجد فى العالم، وتأثرت عمارته بعمارة مسجد سامراء فى العراق فكلاهما مسجد على هيئة حصن، ولكل منهما مئذنة ملوية وملفوفة ذات مصعد خارجى نادر يدور حول بدنها حتى أعلاها، شُرِعَ فى بناء جامع أحمد بن طولون سنة (٢٦٣ هجرية) (٨٧٦ ميلادية) وانتهى العمل فيه سنة (٢٦٥ هجرية) (٨٧٨ ميلادية) ذكر (ابن جبير[1]) فى رحلته إلى مصر:

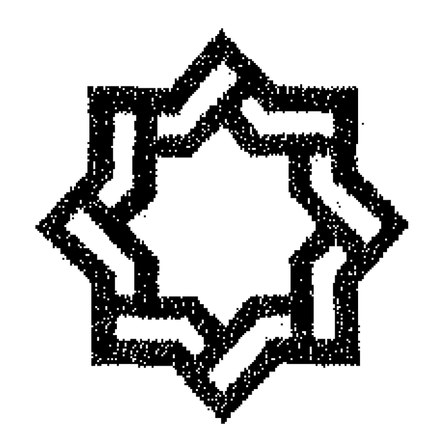
(بين مصر والقاهرة المسجد الكبير المنسوب إلى أبى العباس أحمد بن طولون وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة، الواسعة البنيان، جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه، وأجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر).

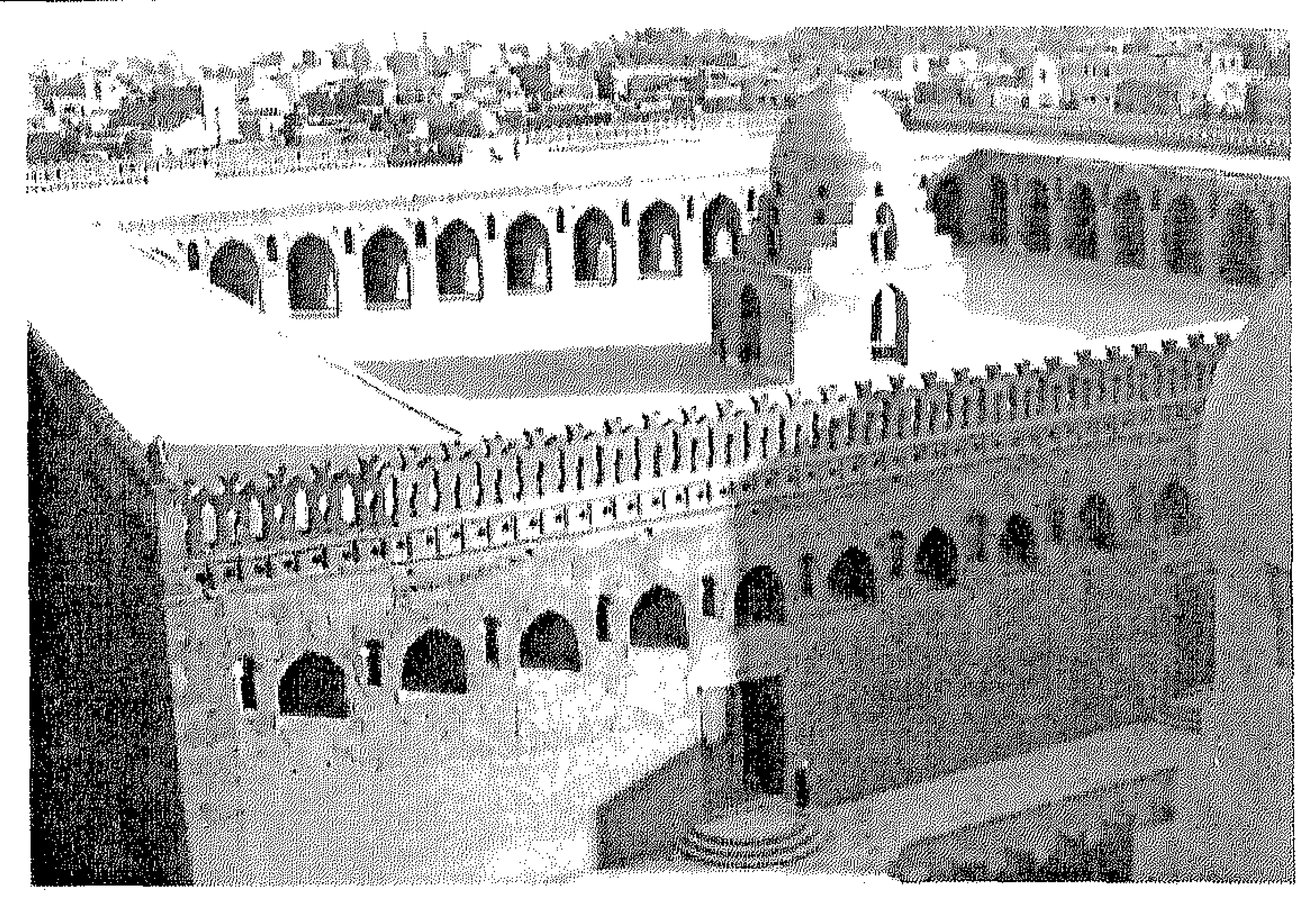
ويذكر (الجبرتى) أنه فى سنة (١١٠٥) هبت رياح شديدة وتراب إظْلَمَّ منه الجو فى مصر وكان الناس فى صلاة الجمعة فى شهر رمضان المبارك فظن الناس أنها القيامة فتهدمت منارة جامع أحمد بن طولون وتهدمت دور كثيرة.

جاء جامع أحمد بن طولون وسط مدينة مصر التى صارت تضم فى ذلك الوقت كلاً من الفسطاط والعسكر والقطائع، وكانت أمنيته أن يسعى إليه أهل هذه المدن الثلاث ومن ثم بناه على هذه المساحة التى تقدر بستة أفدنة ونصف أى حوالى (٢٦٢٨١) متراً

---

(١) ابن جبير: هو أبو الحسن محمد أحمد الكتامى المتوفى سنة (٦١٤ هـ) (١٢١٧م) من أشهر مؤلفاته رحلة ابن جبير رحالة مغربى درس على أبيه وغيره من علماء الدين فى غرناطة ثم دخل فى خدمة أبى سعد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة، بدأت رحلته إلى المشرق بصحبة صديق فى سنة (١١٨٤) فوصل إلى الأسكندرية فى (٢٦) مارس.. وبعد أن طاف بها وشاهد عمائرها ومدارسها رحل إلى القاهرة فى (٣) ابريل.. فدخلها فى (٦) ابريل وترك لنا وصفا حافلا للمدينة الكبرى فذكر معالمها الرئيسية ومدارسها ومشاهد الأئمة العلماء وزار منطقة أبى الهول والأهرام بالجيزة والروضة ثم رحل إلى الصين فى أواخر ابريل.





جامع
أحمد بن طولون

مربعاً، ويقال إن أحمد بن طولون قال عند عزمه على بناء جامعه «أريد أن أبنى بناء إن احترقت مصر بقى وإن غرقت بقى» فقيل له يبنى بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى إلى السقف، ولا يجعل به أساطين من الرخام لأنها لا صبر لها على النار، وهكذا بنى جامع أحمد بن طولون بالآجر بدلا من الحجر، ومن القصص التى ذكرت حول بناء جامع الأمير أحمد بن طولون أنه لما عزم على بناء الجامع وجد أنه سيحتاج إلى ثلاثمائة عمود من الرخام يقيم عليها السقف، وكانت العادة أن تجمع الأعمدة من المبانى القديمة، ولم يرغب ابن طولون فى ذلك وأقلقته هذه المشكلة، فبلغ أحد المهندسين ذلك، وكان هذا المهندس مغضوباً عليه وملقى به فى السجن، فكتب إلى الأمير أحمد بن طولون يعرض عليه استعداده لبناء الجامع دون الحاجة إلى استخدام الأعمدة، فأحضره ابن طولون من السجن وقد طال شعره حتى غطى وجهه فأسند إليه مهمة بناء الجامع بعد أن اقتنع بوجهة نظره.

وذكر ابن عبد الظاهر أن البعض قد أخذ على الجامع خلوه من الأعمدة ورد ابن طولون على ذلك بقوله «إنى بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز وما كنت لأشوبه بغيره وهذه العمد إمّا أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزهته عنها».

وجامع أحمد بن طولون مبنى كله بالآجر الذى يبلغ حجم الطوبة الواحدة منه حوالى ثمانية عشر سنتيمتراً طولا وثمانية سنتيمترات عرضاً وأربعة سنتيمترات سمكا، ويبلغ سُمْك المونة المستعملة سنتمترين ونصف، وتتألف الجدران من مداميك من الطوب المرصوص بعرض الطوبة وهذا ما يسمى فى مصطلح أهل المعمار (أديه وشناوى).

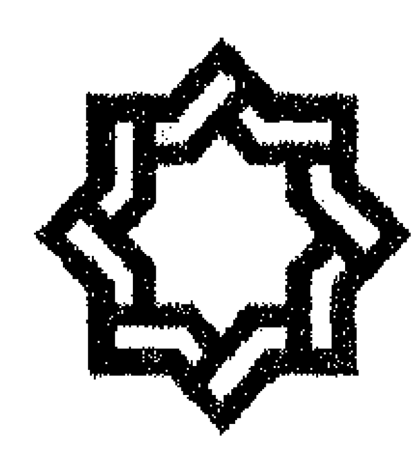
وكانت أسقف الجامع محمولة على دعائم الآجر، والحق أن معظم معالم جامع ابن طولون المعمارية والزخرفية تعتبر صدى للطراز الفنى الذى كان سائدا فى سامراء فى ذلك الوقت، ولقد ألمح (المقريزى) إلى ذلك، ولو أن بناء جامع أحمد بن طولون بالآجر واستخدام دعائم الآجر فى حمل أسقفه يعتبر استمراراً للتقاليد المصرية مع التأثر بالطراز الفنى فى مدينة (سامراء) بالعراق.

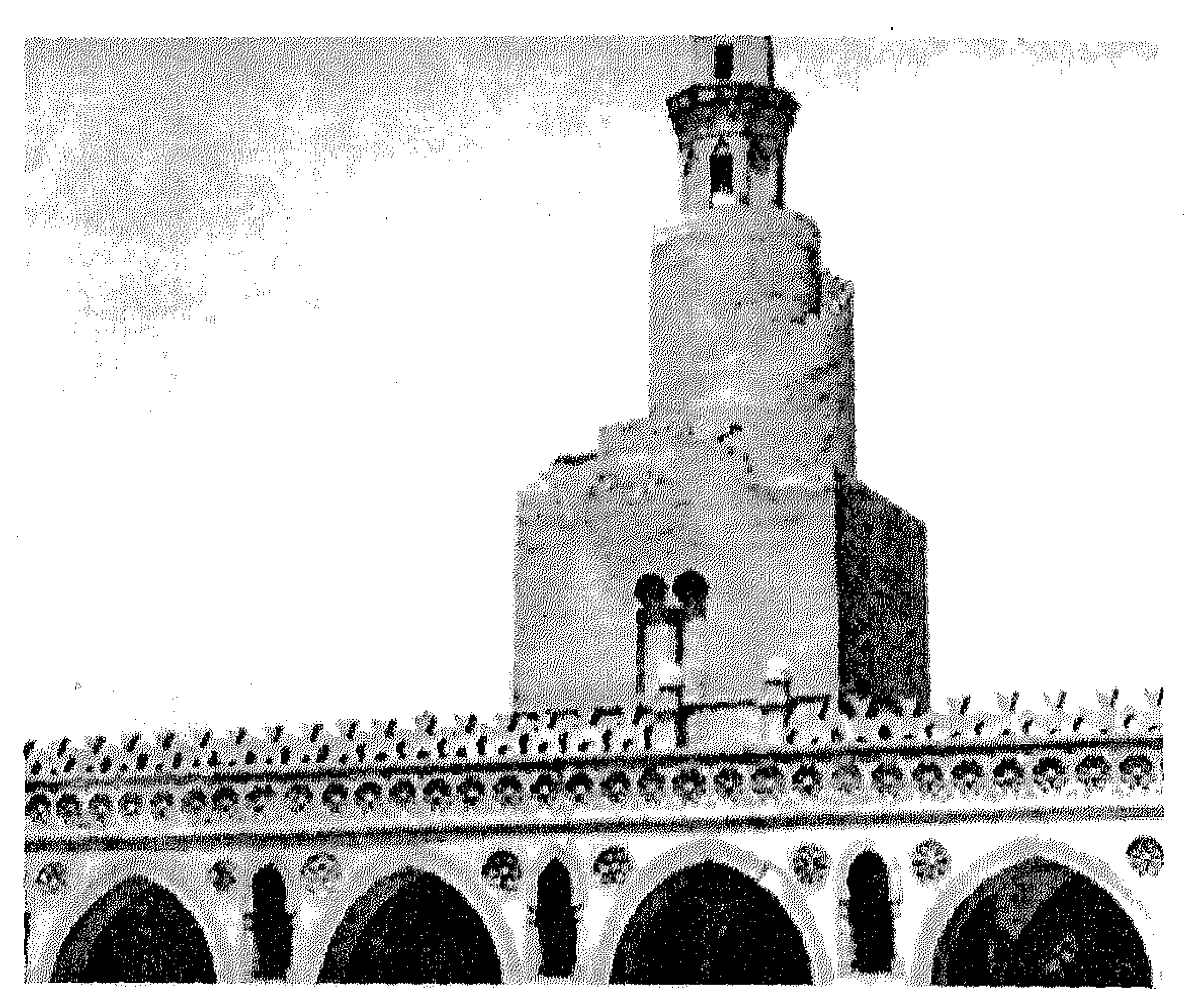
ويقال: إن مهندس جامع ابن طولون عرض أن يصور الجامع لابن طولون حتى يراه عياناً بلا عمد إلا عمودى القبلة، فأمر ابن طولون بأن تحضر له الجلود، فأحضرت وصوره له، فأعجبه واستحسنه.

اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ بناء جامع الأمير أحمد بن طولون، ولكن إذا كان تاريخ الشروع فى بنائه لا يزال غير مؤكد فإن تحديد تاريخ إتمام البناء قد حُسِمَ بفضل العثور على لوحة تأسيس الجامع التى تنص على أن البناء قد تم فى شهر رمضان المبارك سنة (٢٦٥ هجرية) إبريل ـ مايو (٨٧٨ ميلادية) وإذا لاحظنا أن هذا التاريخ هو الذى ذكره المقريزى رجّح لدينا صحة التاريخ الذى ذكره نفس المؤرخ بالنسبة لابتداء البناء وهو سنة (٢٦٣ هجرية) (٨٧٦ ميلادية) وبذلك يكون البناء قد استغرق حوالى ثلاث سنوات.

أنشأ أحمد بن طولون بجوار الجامع خلف جدار القبلة داراً صارت تسمى دار الإمارة، وجعل لها باباً من جدار الجامع كان يدخل منه إلى المقصورة بجوار المحراب، وكان ينزل بهذه الدار عند ذهابه لصلاة الجمعة فكان يجلس فيها ويجدد وضوءه، ويغير ثيابه، وقد خربت هذه الدار فيما خرب من القطائع والعسكر.

حظى جامع أحمد بن طولون بعناية المؤلفين القدامى أمثال جامع السيرة الطولونية وابن دقماق، والمقريزى، وابن تغرى بردى، والسيوطى، كما عُنِىَ بدراسته كثير من العلماء المحدثين أمثال على باشا مبارك، ومحمود عكوش، ويوسف أحمد، ومحمود أحمد، وزكى حسن، وحسن عبد الوهاب، وأحمد فكرى، وفريد الشافعى، وكمال المصرى، ومن الأجانب كويت بك، وكريسويل، وجاستون فييت، وفلورى، وفان برشم، ولقد تناوله هؤلاء العلماء من شتّى النواحى التاريخية والأثرية والمعمارية والفنية، ولقد

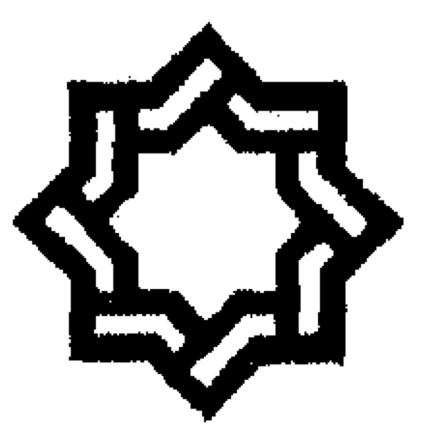




مئذنة جامع
أحمد بن طولون

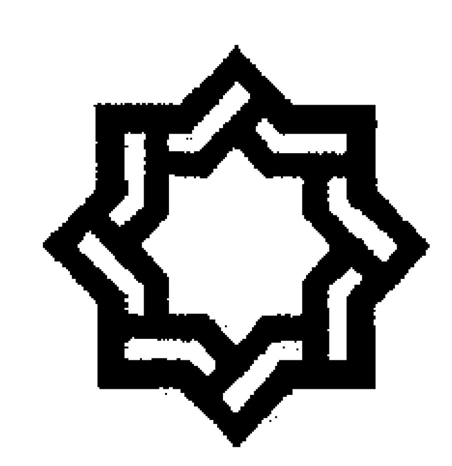
أثبتت الدراسات أن جامع أحمد بن طولون قد صُمِّمَ حسب الطراز الأساسى لعمارة المساجد المستمدة من تصميم مسجد النبى ﷺ بالمدينة المنورة والذى انتشر فى القرون الأولى فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى والذى لا يزال باقياً حتى الآن، وهو التصميم الذى يتألف من صحن أو فناء أوسط غير مسقوف يحف به من جوانبه الأربعة أروقة أربعة وقد عُرِفَ هذا التصميم فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وكذلك فى المسجد الجامع بمدينة سامراء بالعراق التى جاء منها أحمد بن طولون نفسه، وقد عُرِفَ قبل جامع أحمد بن طولون عدد من الجوامع المتسعة نذكر منها مسجد الكوفة حين أعيد بناؤه سنة (٥١ هجرية) (٦٧١ ميلادية) على يد زياد ابن أبيه، ويقال ان هذا المسجد كان يتسع لتسعين ألفا، ومنها جامع عمرو بن العاص الذى شُغِل بعد عمارة (عبد الله بن طاهر) فى سنة (٢١٢ هجرية) (٨٢٧ ميلادية) مساحة طولها (١٢٠) مترا وعرضها (١١٠) أمتار، ومنها المسجد الجامع فى (سامراء) الذى تم بناؤه قبل جامع ابن طولون بنحو ثلاثة عقود ويعتبر أكبر الجوامع فى العالم إذ يبلغ طوله (٢٤٠) مترا وعرضه (١٥٦) مترا.

مر جامع أحمد بن طولون بعهود من الخراب والتعمير وجدّدت مبانيه وزخارفه فى عصور مختلفة غير أنه ظل محتفظاً بمعظم معالمه الأصليّة.



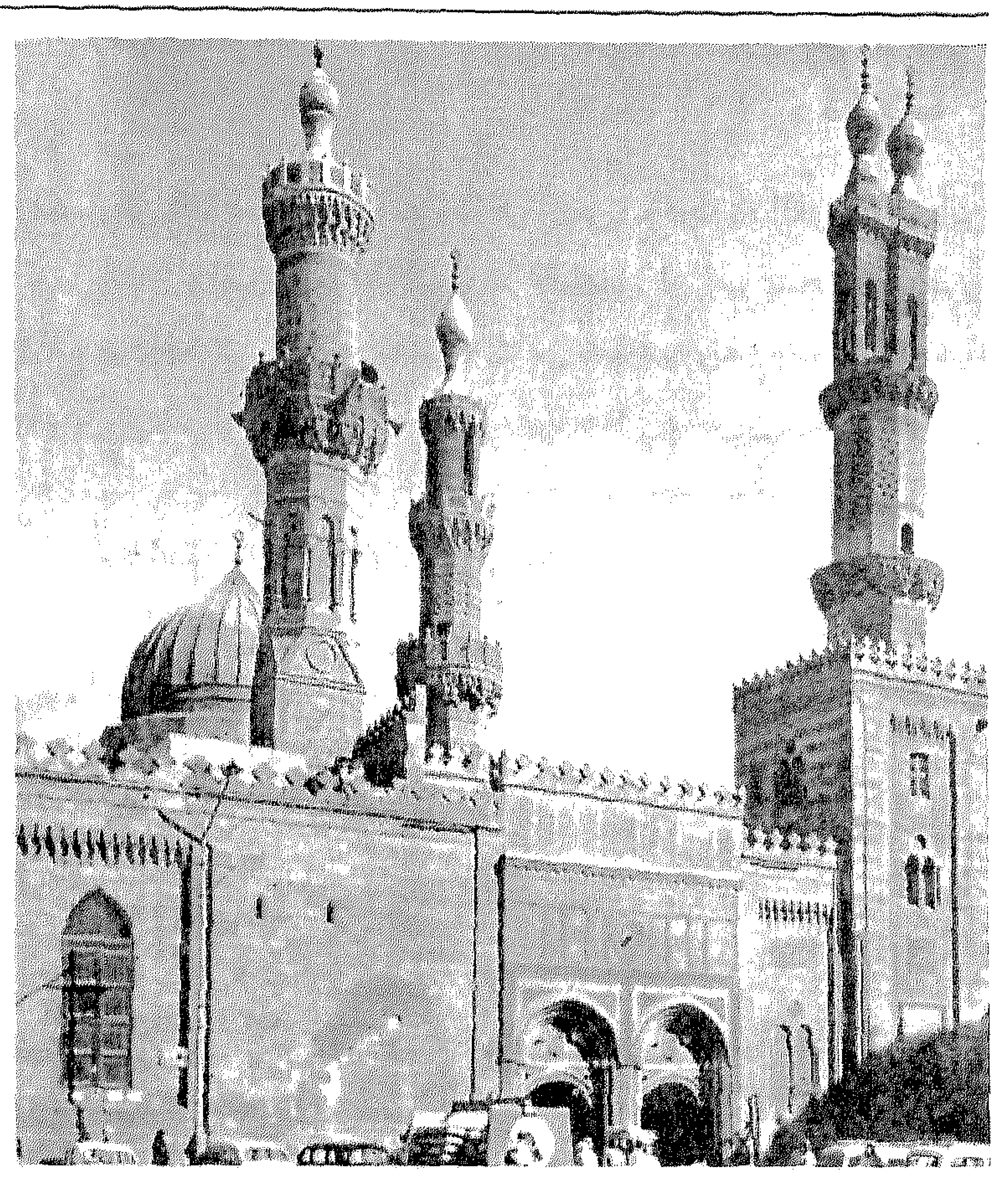
يعتبر الجامع الأزهر الشريف أول جامع أنشئ بمدينة القاهرة، أشرف على بناء الجامع الأزهر (القائد جوهر الصقلى) مولى (الإمام أبى تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله)وَوُضعَ حجر أساس هذا الجامع العتيق يوم السبت الموافق السادس من جمادى الأولى سنة (٣٥٩ هجرية) (٩٦٩ ميلادية).

وانتهت أعماله المعمارية والفنية فى اليوم التاسع من شهر رمضان المبارك سنة (٣٦١ هجرية) (٩٧١ ميلادية)، وكتب بدائرة القبة التى فى الرواق الأول على يمين المنبر والمحراب وبخط رائق جميل (بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببنائه عبدالله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلاثمائة، وأقيمت صلاة الجمعة فيه لأول مرة فى اليوم السادس من شهر رمضان سنة (٣٦١ هجرية) (٢١ يوليو سنة ٩٧١ ميلادية) والجامع الأزهر الشريف أقدم جامعة إسلامية فى مصر، وبناء الفاطميين يشمل الصحن والإيوان الأول إلى القبلة القديمة، والمدخل الأصلى للأزهر كان من الباب الثانى من الجهة الغربية، وأعمدة الجامع الأزهر الرخامية تزيد على (٣٨٠) عمودا، ويشتمل الجامع الأزهر على صحن كبير غير مسقوف تحوطه أروقة مسقوفة تحملها أعمدة، ومقصورة بناها جوهر الصقلى ورفعها على (٧٦) عمودا من الرخام، ومقصورة ثانية ترتفع على الأولى على أعمدة يبلغ عددها (خمسين) عمودا من الرخام بالإضافة إلى أعمدة الصحن، وأنشأ جوهر بالمقصورة القديمة محراباً للقبلة، ثم أقيمت (تسعة) محاريب أخرى، وبالجامع منبر واحد مصنوع من الخشب المخروط الجميل الصنع نقل فيما بعد إلى جامع الحاكم بأمر الله ولقد



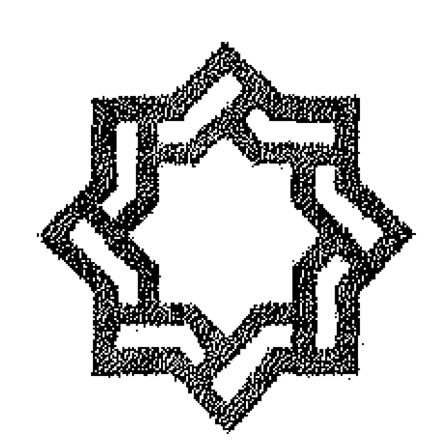
اهتم كل من وُلُّوا أمر مصر من الفاطميين بالجامع الأزهر الشريف فجدده العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله وأوقف عليه الحاكم بأمر الله بعد أن أمر بتجديده وقرر رواتب سنوية لخدام الجامع سجلها فى وثيقة مكتوبة، فأمر بصرف أربعة وثمانين دينارا لخطيب الجامع سنويا ودينارين لكل مؤذن فى الشهر، وأربعة وعشرين ديناراً لمشرف الجامع وأوصى بمبلغ مائة دينار وثمانية لشراء ألف ذراع حصير عيدانية، وعشرة آلاف ذراع حصير مضفورة لكسوة الجامع فى كل سنة، وخمسة عشر دينارا ثمن عود هندى للبخور فى شهر رمضان وأيام الجمع، ونصف دينار ثمن قنطار فحم للبخور، ونصف دينار ثمن قنطار خرق لمسح القناديل، ودينار وربع ثمن مائتى مكنسة، وسبعة وثلاثين دينارا ونصف دينار ثمن ألف ومائتى رطل زيت وقود.

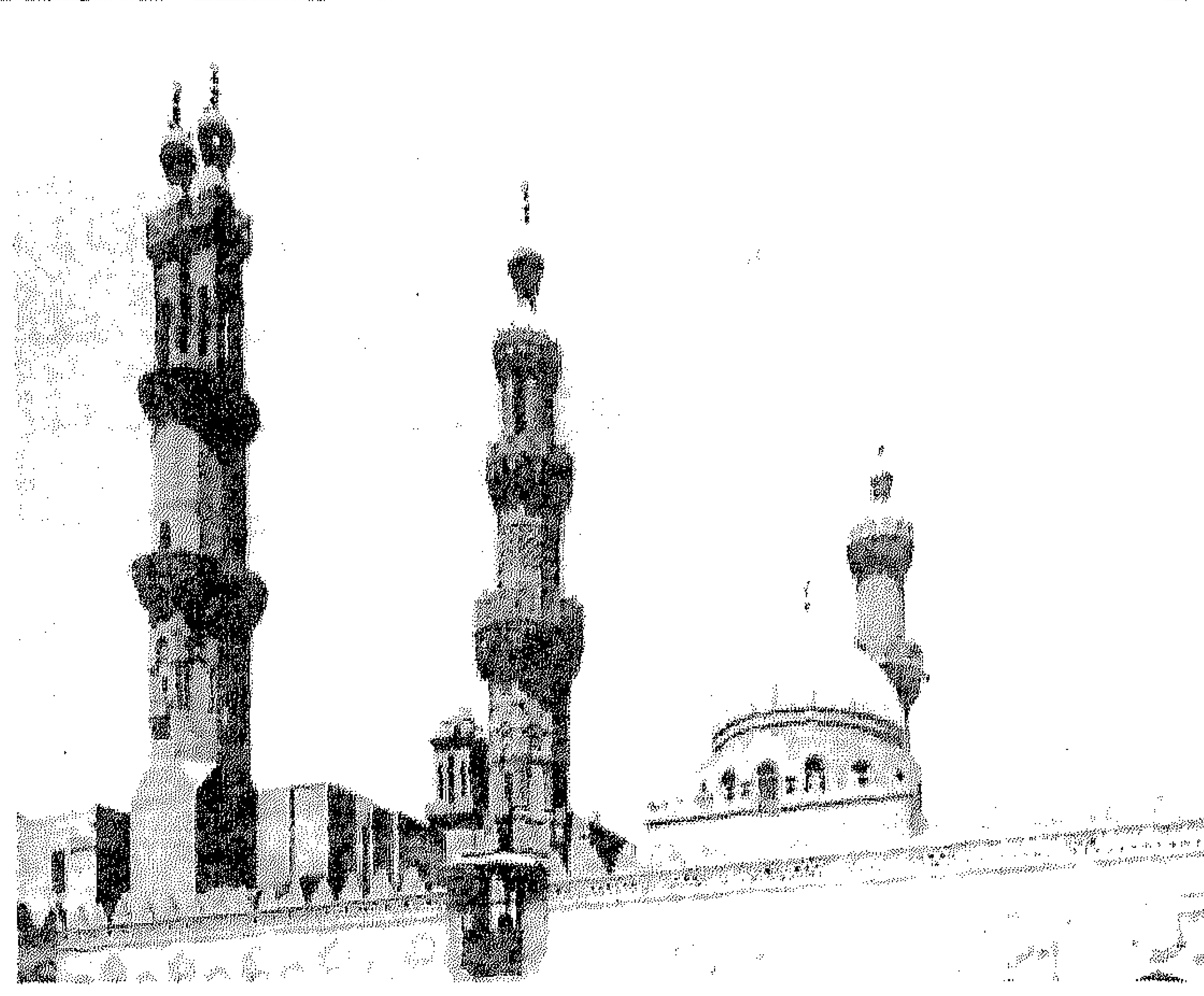
وجدد الجامع الأزهر الشريف بعد ذلك فى عهد الحافظ لدين الله الذى أنشأ فيه مقصورة جميلة بجوار بابه الغربى عرفت بمقصورة فاطمة، وجدده الأمير عز الدين أيدمر الحلى فى زمن سلطنة الملك الظاهر بيبرس، وأقام الأمير بيليك الخازندار مقصورة كبيرة، رَتَّبَ فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، ولما تولى السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى حكم مصر فى سنة (٥٦٧ هجرية) (١١٧١ ميلادية) انقطعت الخطبة فى الجامع الأزهر وأقيمت فى الجامع الحاكمى لأنه أوسع من الأزهر، وكان قاضى القضاة فى زمن صلاح الدين شافعيا لا يرى إقامة خطبتين فى بلد واحد، فبقى الأزهر معطلا عن الخطبة مائة عام، حتى أعيدت الخطبة فى زمن حكم السلطان الظاهر بيبرس، وفى سنة (٧٠٢ هجرية) (١٣٠٢ ميلادية) وبسبب زلزال شديد أصاب القاهرة سقط الجامع الأزهر والحاكمى وجامع عمرو وجوامع كثيرة أخرى فتقاسم الأمراء إعادة عمارتها، فتولى الأمير (سلار) عمارة الجامع الأزهر فأعاد ما تهدم منه، وفى سنة (٧٢٥ هجرية) (١٣٢٤ ميلادية) جدده القاضى (نجم الدين محمد بن حسين الأسعردى) وجُدِّدَ فى زمن سلطنة النّاصر حسن بن محمد بن قلاوون بأموال أمير الطواشى (سعد الدين بشير الجامدار الناصرى) ويذكر التاريخ بكل العرفان والتبجيل ما قام به الأمير (عبد الرحمن كتخدا بن حسن جاويش القذوغلى) فى الأزهر الشريف فقام فى سنة (١١٩٠ ميلادية) بإقامة مقصورة الجامع الأزهر، ومحراب، ومنبر


جامع الأزهر

جديد، وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة وبنى بأعلاه كُتَّاباً لتعليم الأيتام، وبنى فيه صهريجا كبيرا، وسبيلا لشرب العطاشي المارين، وعلى حد تعبير علي باشا مبارك: (لو لم يكن لعبد الرحمن كتخدا من المآثر إلاّ ما أنشأه بالجامع الأزهر من الزيادة والعمارة لكفاه ذلك).

وفى عصر المماليك أنشأ السلطان قايتباى المئذنة الثانية سنة (٨٨١ هجرية) (١٤٧٦ ميلادية) والتى تقع بجوار الباب الغربى الذى جدده السلطان قايتباى، على يمين الباب بين المدرسة الأقبغاوية التى أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد فى عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٤٠ هجرية) (١٣٣٩ ميلادية) وبين المدرسة الطيبرسية التى أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى قائد الجيوش فى عصر الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٠٩ هجرية) (١٣٠٩ ميلادية) ثم أنشأ السلطان الغورى المدرسة الجوهرية سنة (٨٤٠ هجرية) (١٤٣٦ ميلادية)، التى أشرف على بنائها





جامع الأزهر

الأمير جوهر القنقبائى المشرف على خزينة الملك الأشرف برسباى، كما أنشأ السلطان الغورى المئذنة ذات الرأسين سنة (٩١٥ هجرية) (١٥٠٩ ميلادية)، وكان أول درس ألقى بالجامع الأزهر الشريف فى شهر صفر سنة (٣٦٥ هجرية) (٩٧٥ ميلادية)، وألقاه القاضى على بن نعمان فى فقه الشيعة، والقاضى ابن نعمان ابن داعى الدعاة الفقيه الإسماعيلى النعمان بن محمد، ومن أعلام من درسوا فى الأزهر الشريف فى العصر الفاطمى الأمير المختار عبد الملك بن محمد بن عبدالله المعروف بالمسجى، وأبو عبدالله القضاعى المؤرخ المعروف، والحسن بن زولاق، وأبو القاسم الرعينى الشاطئ، والحسن بن الخطيب الفارسى.

وللجامع الأزهر الشريف ثمانية أبواب (باب المزينين) أكبر أبواب الأزهر وأشهرها، وعرف هذا الباب بهذا الاسم بسبب جلوس المزينين لحلق رءوس المجاورين أمامه، ولقد نقش على هذا الباب تاريخ إنشائه وإشارة إلى بانيه الشريف مولانا السلطان الأشرف قايتباى.

و(باب المغاربة)، و(باب الشوام)، و(باب الصعايدة).

و(باب الشربة) وسمى بهذا الاسم لقربه من مطبخ الشربة، الذى كان يطبخ فيه الأرز فى شهر رمضان للفقراء المترددين على الجامع.

و(باب الجوهرية).

وكان للأزهر ست منارات كانت تضاء في ليالي رمضان والمواسم لم يبق منها الآن إلا خمس مختلفة الطرز، مئذنة خارج باب المزينين على يمين الداخل تشرف على الشارع وهي من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا، وثلاث منارات داخل باب المزينين تطل على صحن الجامع، منها مئذنة الأقبغاوية على شمال الداخل إلى الصحن، واثنتان على يمين الداخل التي تعلو جانب الباب أنشأها السلطان الملك الأشرف قايتباي، وهي أعلى منارات الجامع الأزهر وأعظمها، والتي تليها من إنشاء السلطان قنصوه الغوري قايتباي، والثالثة خارجة قليلا إلى جهة الطيبرسيّة، والخامسة المئذنة التي إلى جانب باب الصعايدة، والسادسة منارة باب الشوربة، وجميعها من الحجر المتقن الصنع، وجرت العادة في هذا الزمان ألا يؤذن على تلك المنارات إلا العميان محافظة على عدم كشف عورات المساكن المجاورة لها.

وكان للجامع الأزهر ثلاثة عشر محرابا بقي منها الآن ستة، أَقْدَمُها محراب إيوان القبلة القديمة.

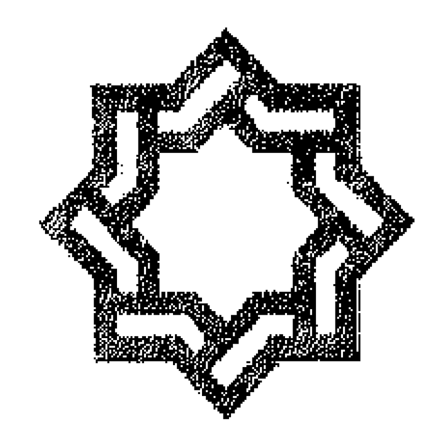
وللأزهر ثلاث قباب أجملها وأكبرها قبة المدرسة الجوهرية.

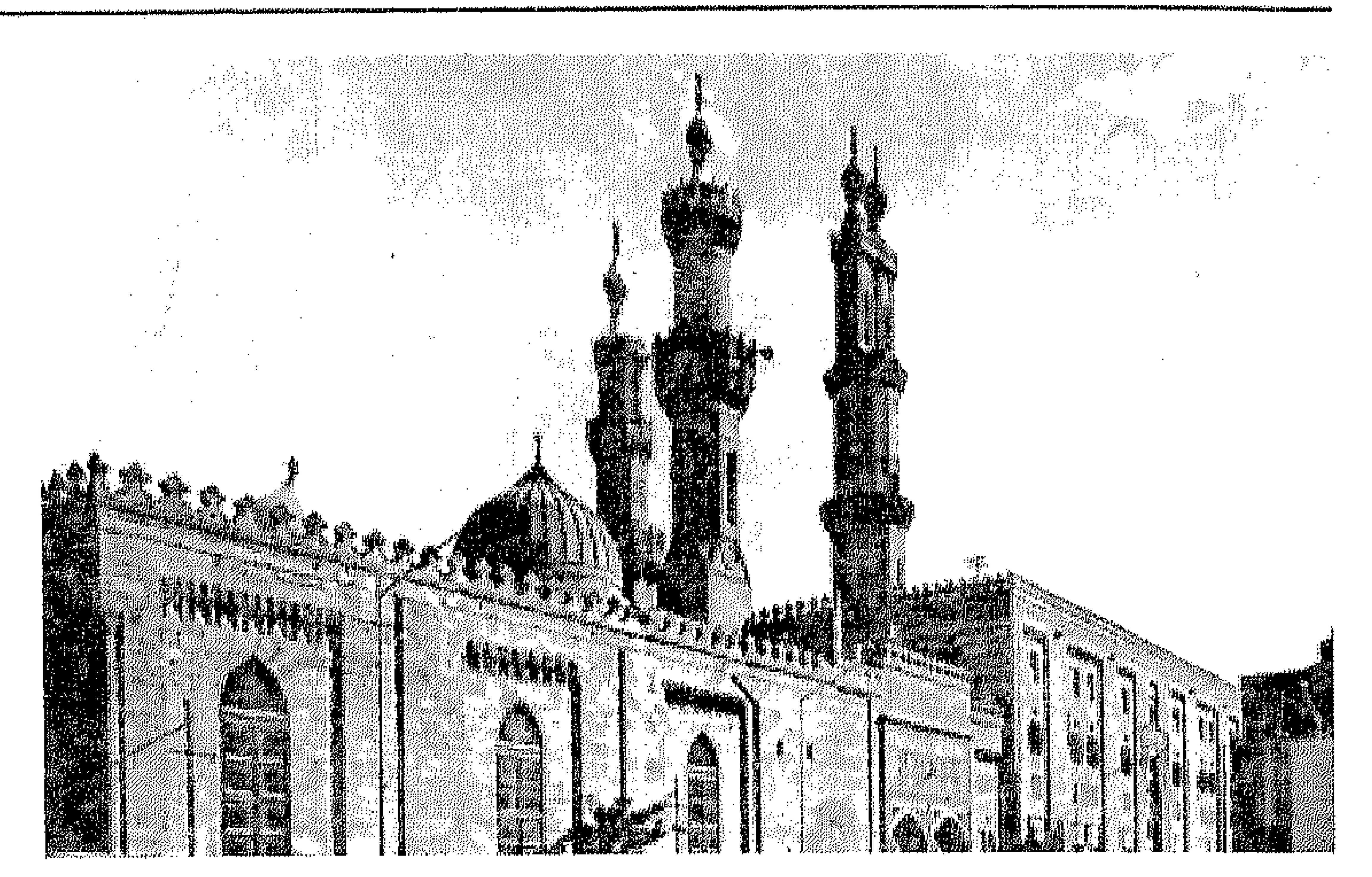
ويضم الأزهر عدة أروقة أشهرها (رواق الصعايدة)، (رواق الأكراد)، (رواق الهنود)، (رواق البرنية) نسبة إلى الطلبة القادمين من البرنو في تشاد، (رواق الجبرتية) نسبة إلى جبرت في الحبشة، (رواق السنّارية) نسبة إلى سنّار في السودان، (الرواق العباسي) الذي بناه خديوي مصر عباس حلمي الثاني سنة ١٩١٤م.

وفي سنة ١٩٦١ دخل الجامع الأزهر في طور جديد من تاريخه، فصدر قانون بتحويله إلى جامعة حديثة تحتفظ في نفس الوقت بالدراسات الإسلامية للأزهر، فتحول منذ هذا التاريخ إلى مؤسسة دينية علمية فريدة، ولا يضارع الأزهر معهد آخر في الدنيا في الخدمات العلمية التي قام بها منذ إنشائه منذ أكثر من ألف عام.

لقد أصبح الجامع الأزهر الشريف جزءا من تاريخ مصر، ونستطيع أن نؤرخ لمصر بتتبع تاريخ الأزهر، فندر أن وقع في مصر حادث له شأن إلا وكانت في الأزهر بدايته ونهايته.

كان الأزهر عبر التاريخ محطاً لأنظار المسلمين في كل بقاع الأرض، وإليه وفد طلاب العلم والدين من كل مكان.





جامع الأزهر

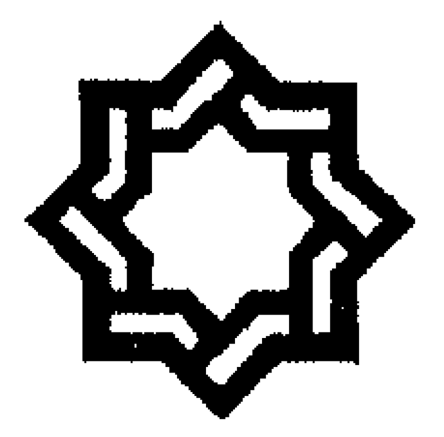
ولم يجرؤ النظام على أن يعين للأزهر شيخاً تعييناً رسمياً منذ أنشئ إلى آخر القرن الحادي عشر الهجري، وكان المتبع أن ينتخب من بين كبار العلماء ناظر يشرف على شئونه، ولم ينشأ منصب شيخ الجامع الأزهر إلا في عهد الحكم العثماني، وكان الوالي التركي هو الذي يعين شيخ الأزهر.

يضم الجامع الأزهر الشريف مكتبة عامرة بالكتب الدينية القيمة، ولقد أشار ابن ميسر(١) في كتابه (أخبار مصر) أن داعي الدعاة أبا الفخر صالح كلف بالإضافة إلى إشرافه على خزانة الجامع الأزهر بمنصب خطيب الجامع، ويذكر المؤرخون أنه كان بالقصر الفاطمي مكتبة جامعة تضم أكثر من مائتي ألف مجلد في سائر العلوم والفنون والفقه والأدب، وأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة بالقصر الفاطمي، وقد ذكر المقريزي أن الحاكم بأمر الله أمر بنقل نصف الكتب التي كانت بدار الحكمة إلى الجامع الأزهر الشريف، ومن خلال القراءات التاريخية عن مكتبة الأزهر يتضح أنها كانت تضم أكثر من خمسين ألف كتاب في زمن الحاكم بأمر الله.

ولابد أن نذكر هنا أن الفرنسيين حينما اقتحموا الأزهر نهبوا كثيرا من كتبه الثمينة بعضها معروض الآن بمكتبة باريس، كما نهبوا كثيرا من الآثار الإسلامية القيمة والقديمة كحجر رشيد، وأن كثيرا من نفائس الكتب التي كانت مودعة بمكتبات أروقة الجامع الأزهر تسرب إلى أيدي علماء أوروبا.

---

(١) ابن ميسر: هو محمد بن علي بن يوسف بن حلب.. من أشهر مؤلفاته: أخبار مصر الذي ترجمه هنري ماسيه سنة ١٩١٩م.



جامع الحاكم بأمر الله

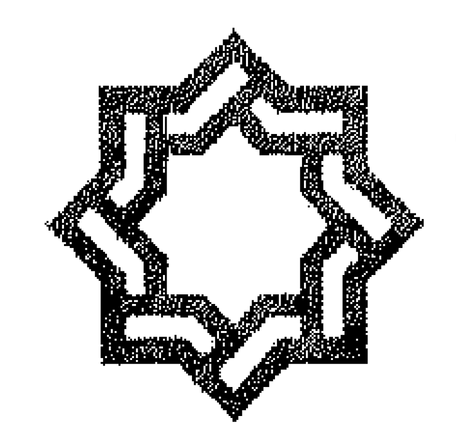
أنشأه الخليفة الفاطمى نزار بن المعز لدين الله سنة (٣٨٠ هجرية) (٩٩٠ ميلادية) وابنه الخليفة الحاكم بأمر الله وافتتح للصلاة لأول مرة سنة (٤٠٣ هجرية) (١٠١٢ ميلادية)، والجامع قد لحقه التخريب الكثير إلا أن الزمن أبقى على بابه الكبير وقسم كبير من إيوانه الشرقى بعقوده وكتاباته الكوفية والقبة والمحراب.

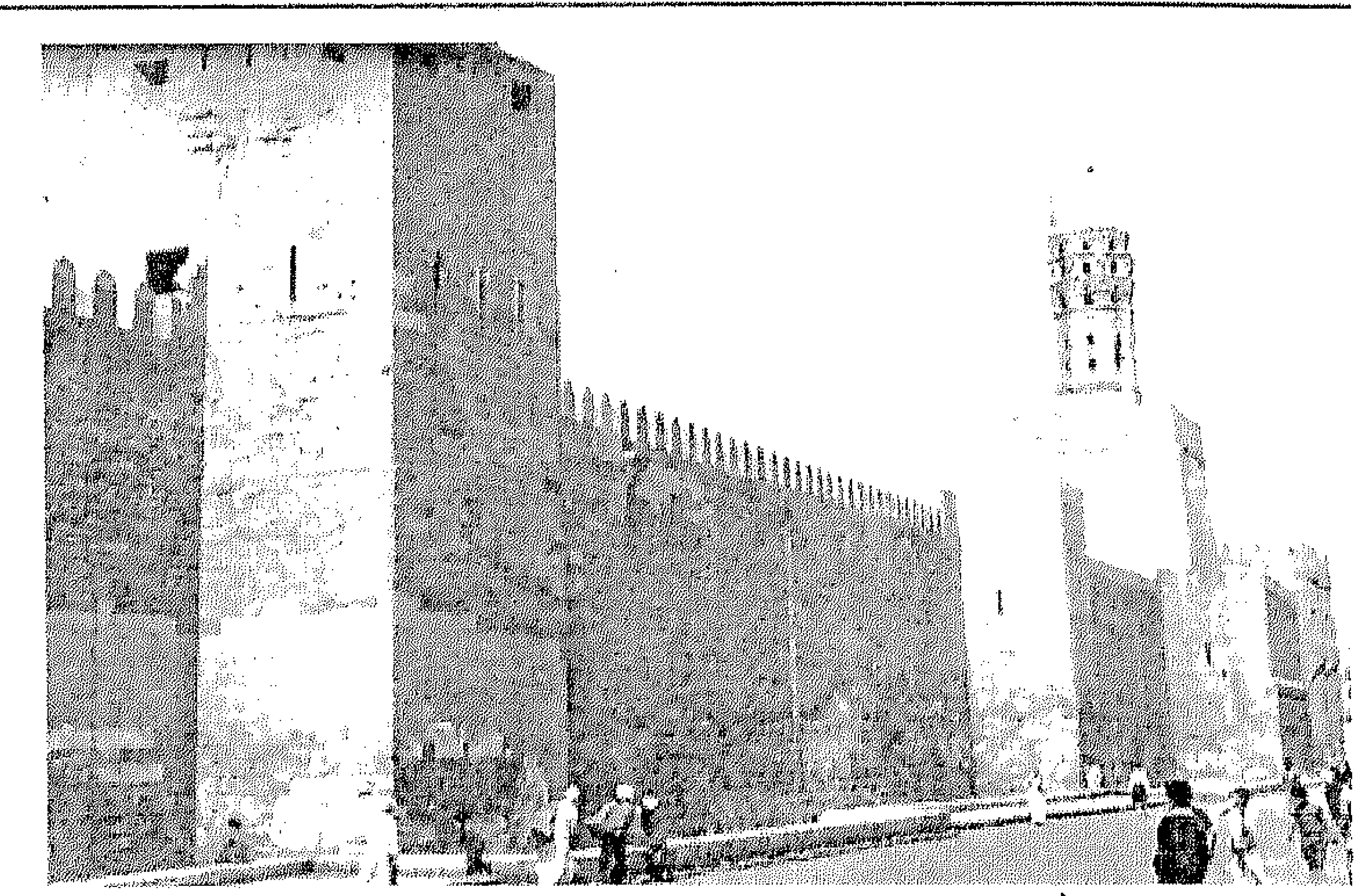
كما أبقى على منارتيه وهما من أقدم المنارات فى مصر، ولقد اهتم كل من ولوا حكم مصر بعد الحاكم بأمر الله بالمسجد، فتم إعادة ترميمه وتكملة زخارفه، واكتشفت الكتابات التى كانت منقوشة بالجامع باسم الحاكم بأمر الله وسنة إنشائه.

ويعتبر جامع الحاكم بأمر الله الذى عرف فى أول الأمر بجامع الخطبة، وبجامع الأنور، بكل المقاييس العلمية والفنية علما بارزا فى تاريخ العمارة الإسلامية، وجامع الحاكم كمساجد العصر الفاطمى الأخير استمرار لتقاليد المساجد الطولونية من ناحية، ومظهر من مظاهر الحضارة المغربية التى جلبها الفاطميون إلى مصر من ناحية أخرى.

وفى عهد الولاية الثانية للملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون جدد الجامع تجديدا شاملا، وفى سنة (١٢٢٢) ميلادية جدده نقيب الأشراف السيد عمر مكرم، ولم يبق من أبواب الجامع السبعة مفتوحا إلا اثنان، الباب الموصل إلى باب النصر وباب سوق الليمون.

ويقع جامع الحاكم بأمر الله خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة الفاطمية، وقدرت نفقات التجديدات التى قام بها الحاكم بأمر الله بالجامع بأربعين ألف دينار، وفى يوم الجمعة السادس من شهر رمضان المبارك سنة (٤٠٣ هجرية) (١٠١٢ ميلادية) صَلّى الخليفة





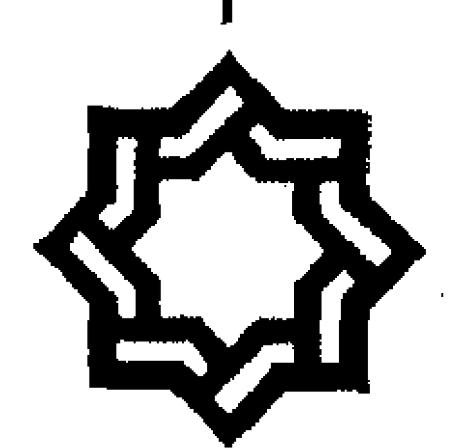
جامع
الحاكم بأمر الله

الحاكم بأمر الله بالنّاس صلاة الجمعة وهى أول صلاة أقيمت فى الجامع بعد الإنشاءات التى أقامها الحاكم بأمر الله بالجامع.

أشار (ابن الظاهر) فى كتاباته إلى جامع الحاكم بأمر الله، فذكر أن على باب الجامع الحاكمى نقوشا مكتوبة تسجل الأعمال التى قام بها الحاكم أبو على المنصور بالجامع وتاريخ الانتهاء من هذه الأعمال سنة (٣٩٣ هجرية) (١٠٠٢ ميلادية) وكتب على منبر الجامع اسم الحاكم بأمر الله أيضاً وتاريخ صنعه (٤٠٣ هجرية) (١٠١٢ ميلادية) وكان جامع الحاكم بأمر الله تتوسطه فسقية جميلة بناها الصاحب عبدالله بن على بن شكر أزالها بعد ذلك قاضى القضاة تاج الدين بن شكبر سنة (٦٦٠ هجرية) (١٢٦١ ميلادية).

تهدم الجامع الحاكمى فى سنة (٧٠٢ هجرية) (١٣٠٢ ميلادية) بسبب الزلزال الشديد الذى أصاب مصر بخسارة كبيرة، وتخيل الناس وقتها أن السماء انطبقت على الأرض فهربوا من بيوتهم مذعورين، وخرجت السيدات حاسرات الرءوس وكثر الصراخ والعويل، وفر سكان القاهرة هلعا إلى الصحراء، بعد أن فاضت مياه النيل فيضانا مخيفا، وألقت بالمراكب على الساحل وانحسرت عنها المياه بعد ذلك فصارت على الأرض بغير ماء، وخلت المدينة وتعالت الصيحات والابتهالات إلى الله تطلب الرحمة والنجاة، وخرب الزلزال أعلى مئذنتى الجامع الحاكمى، وتشققت سقوفه وجدرانه، وقام الأمير ركن الدين بيبرس بترميم ما تصدع وإعادة بناء ما سقط، وأوقفت على الجامع أوقاف فى الجيزة والصعيد والإسكندرية.

وبجوار باب الجامع فى الجهة الغربية مدفن بناه الحاكم لنفسه ولم يدفن فيه، واهتمت هيئة الآثار المصرية بجامع الحاكم بأمر الله فقامت بإعادة تعميره وترميمه.



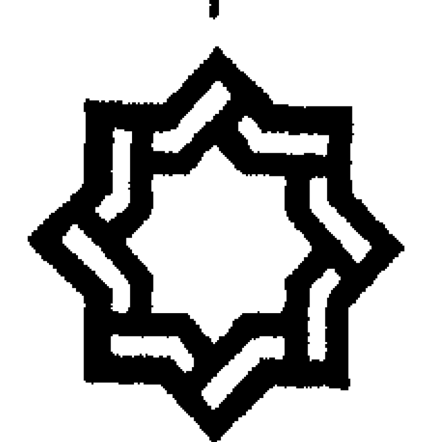
الجامع الأقمر

يعتبر هذا الجامع من أجمل مساجد العصر الفاطمى، وأكملها من الناحية الفنية وهو ينطق بطابعه الفاطمى، أمر بإنشائه الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله ابن المستعلى سابع الخلفاء الفاطميين فى مصر سنة (٤٩٠ هجرية) (١٠٩١ ميلادية).

ويقع الجامع فى شارع أمير الجيوش قرب باب الفتوح فى حى الجمالية بالقاهرة، وقد أكملت إنشاءاته فى سنة (٥١٩ هجرية) (١١٢٥ ميلادية).

والجامع الأقمر بسيط فى تخطيطه. يتكون من بيت صلاة يشتمل على أربعة أروقة عمودية على جدار القبلة وأربعة موازية لجدار القبلة والرواق المجاور للقبلة فسيح، وللمسجد صحن مكشوف مربع، ويحيط بالمسجد كله سور عريض، ومدخله الرئيسى معقد بعض الشىء، وأهم ما يميز الجامع وحدته الفنية التى تبدو من أى زاوية.

ذكر المقريزى أن الخليفة الآمر أمر وزيره المأمون بن البطائحى بإنشاء هذا الجامع على أكمل وجه، فأزال كل البنايات التى تقع فى المكان الذى اختير لإقامة الجامع، ومازال اسم المأمون والآمر على لوح فوق محرابه، جُدِّد الجامع فى عصر الملك الظاهر بيبرس، ثم جدده الوزير المشيد يلبغا السالمى سنة (٧٩٩ هجرية) (١٣٩٦ ميلادية)، فأنشأ بظاهر بابه البحرى حوانيت يعلوها طباق، وأقام فى صحنه بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية مرتفعة ينزل منها الماء من بزابيز نحاس، وبنى على يمين المحراب البحرى مئذنة، وبيض الجامع ولونه باللازورد والذهب، ويضم الجامع بئرا قديمة تعرف بـ (بئر العظام) نسبة إلى العظام التى نقلها جوهر القائد من المنطقة، وتعرف هذه البئر أحياناً ببئر العظمة.

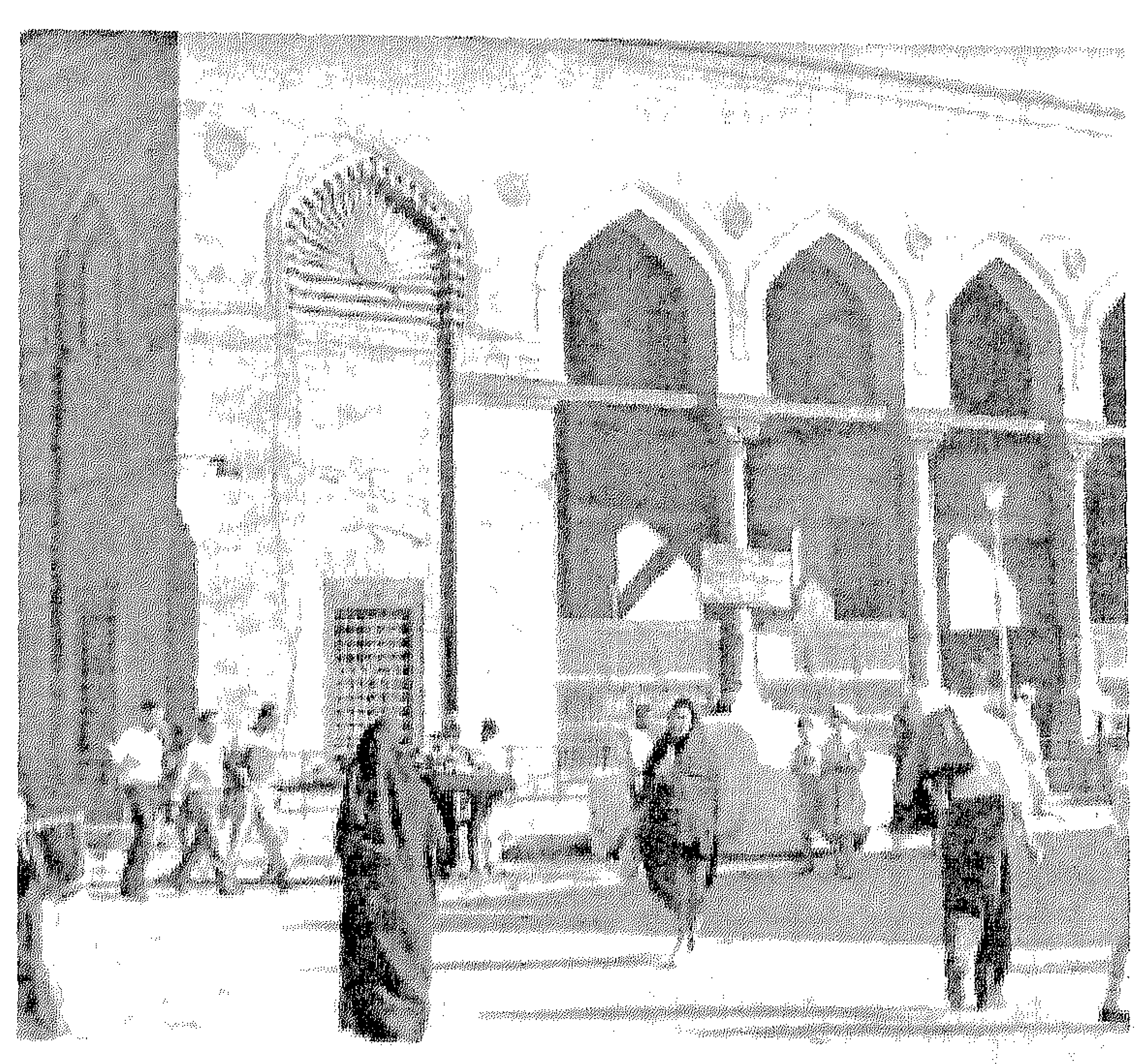


مسجد الصالح طلائع بن رزيك

إذا كان الجامع الأزهر الشريف هو أول المساجد الفاطمية فى القاهرة فإن مسجد الصالح طلائع آخرها، أنشأه سنة (٥٥٥ هجرية) (١١٦٠ ميلادية) أبو الغارات الملقب بالملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز بنصر الله الفاطمى.

شيد الصالح طلائع هذا المسجد ليدفن فيه رأس الحسين بن على ـ رضى الله عنه ـ (ريحانة أهل الجنة)، وكان الفاطميون قد نقلوه من دمشق إلى عسقلان ثم نقله الأفضل الجمالى بعد ذلك إلى القاهرة، ولما فرغ الصالح من بنائه لم يمكنه الخليفة الفائز من ذلك بعد أن أصر على دفنها داخل القصور الزاهرة حيث المشهد الحسينى اليوم.

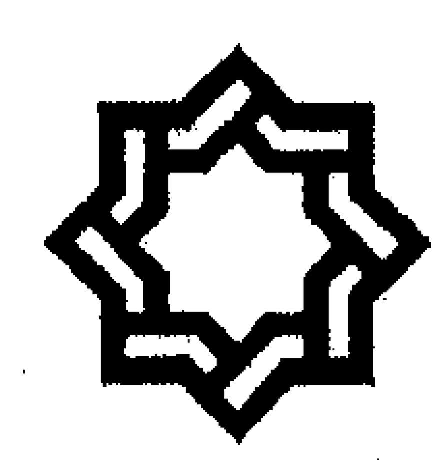
يقع مسجد الصالح طلائع فى مواجهة باب زويلة (بوابة المتولى) أشهر بوابات القاهرة الفاطمية، وتطل واجهة المسجد على ساحة باب زويلة وشارع قصبة رضوان، ورغم أن المسجد قد فرغ من بنائه فى سنة (٥٥٥ هجرية) إلا أنه لم يصبح مسجدا جامعا إلا بعد ذلك بمائة سنة، حين أقيمت فيه أول صلاة للجمعة فى عهد المعز أيبك التركمانى فى أوائل الدولة المملوكية، ويعتبر مسجد الصالح طلائع من المساجد المعلقة بالقاهرة، إذ يرتفع مستوى هذا الجامع عن أرض الشارع بما يقرب من أربعة أمتار، وبابه العمومى فى واجهته الغربية، ولقد أقيم أمامه رواق محمول على أربعة أعمدة رخامية تحمل عقودا زخرفت حافاتها، وحُلّى صدر الرواق بآيات قرآنية محفورة بالخط الكوفى المزهر، وللرواق سقف من خشب مزين بزخارف نباتية محفورة حفرا بارزا، ويعتبر هذا السقف الخشبى النموذج الوحيد للسقوف الفاطمية إذا استثنينا الألواح الخشبية التى بقيت من سقف القصر الغربى الصغير والتى يحتفظ بها



جامع
الصالح طلائع

متحف الفن الإسلامى، جدد المسجد أكثر من مرة، وكانت التجديدات التى قام بها الأمير بكتمر الجوكندار سنة (٧٠٢ هجرية) (١٣٠٢ ميلادية).. أهم هذه التجديدات، وسجلت نقوش نهاية الواجهة الغربية وأول الواجهة البحرية تاريخ إنشاء المسجد والتى جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم ـ أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة، وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنامل كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع عضَّد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته، وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها فى شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب أفضل الوصيين، وعلى ولديه الطاهرين أبى محمد الحسن، وأبى عبدالله الحسين وعلى الأئمة أجمعين.



كانت منارة جامع الصالح تعلو الباب الرئيسى فى الواجهة الغربية، ولكنها هدمت وحلت محلها منارة أخرى أزيلت سنة (١٩٢٦) لحدوث خلل بها، ويتكون الجامع من الداخل من أربعة أروقة يتوسطها صحن كبير مساحته حوالى (٤٥٥) مترا مربعا، به صهريج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج عند باب الخرق (باب الخلق الآن)، وأهم هذه الأروقة الإيوان الشرقى الكبير وهو يشتمل على ثلاث بلاطات ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية، وفى جدار المحراب شبابيك جصيّة حديثة صنعتها لجنة حفظ الآثار على نفس نمط الشباك الأصلى المحفوظ بمتحف الفن الإسلامى حاليا، وتزخرفه آيات قرآنية من سورة التوبة بالخط الكوفى يقرأ منها (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) ويمتاز المحراب ببساطته ويحيط به عمودان من الرخام الأحمر، وإلى يمين المحراب منبر رائع دقت حشواته وقوائمه وجلسة الخطيب بالأويمة الدقيقة، وهو لا يرجع إلى عصر إنشاء الجامع إذ أمر بصنعه الأمير بكتمر الجوكندار سنة (٦٩٩ هجرية) (١٢٩٩ ميلادية) كما يتضح من النقش المكتوب عليه فوق جلسة الخطيب ونصه:

«أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجناب العالى الأميرى الكبيرى سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جندار وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة»

ولم ينجُ مسجد الصالح طلائع من آثار الزلزال الذى حدث سنة (٧٠٢ هجرية) (١٣٠٢ ميلادية)، وأصابت أضراره كثيرا من مساجد وبيوت القاهرة، غير أن الأمير سيف الدين بكتمر عنى بتعميره وتجديده.

يتميز جامع الصالح طلائع بزخارفه المتنوعة التى زينت بها مسطحات الجامع الداخلية والخارجية، وتتكون هذه الزخارف من عناصر هندسية وخطية بديعة أجملها الكتابات الكوفية المزهرة حول عقود رواق القبلة ونوافذ الجامع، وكانت معظم ستائر الجامع الجصية تمتلىء بهذه العناصر الكتابية.

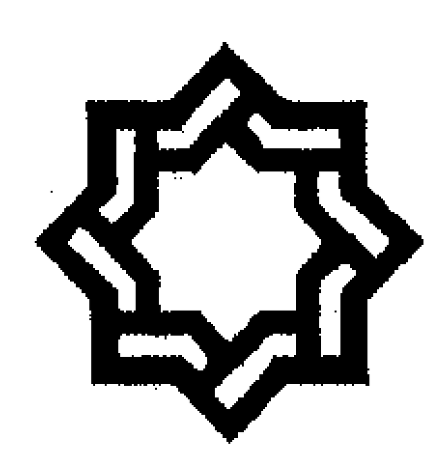
ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بأحد شبابيك جامع الصالح طلائع التى تعكس بجلاء المستوى الرائع الذى كانت عليه الزخارف الجصية الفاطمية، وتبدو فى هذا الشباك الكتابات الكوفية وهى تدور فى إفريز يُشكل عقدا مدببا، تملأ أرضيته الفروع

النباتية الدقيقة ونص الكتابة جزء من الآية رقم (١١١) من سورة التوبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾

ولقد اختيرت هذه الآية الكريمة بالذات إشارة إلى استشهاد الحُسين ـ رضى الله عنه ـ باعتبار أن الصالح طلائع قد أقام الجامع أصلاً لاستقبال رأسه الكريم، وربما استكملت هذه الآية الكريمة فى شبابيك أخرى

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾





قلعة الجبل

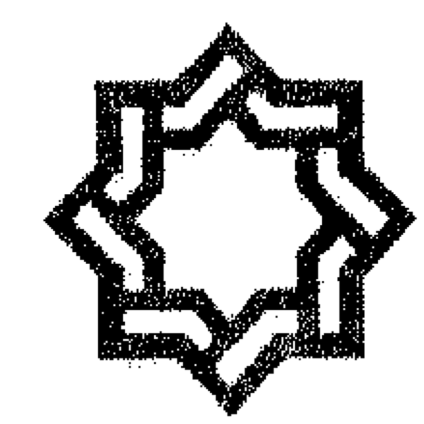
لم يقض الناصر صلاح الدين الأيوبى فى مصر سوى ثمانية أعوام من سنوات حكمه التى استمرت أربعة وعشرين عاما، وبالرغم من هذه السنوات القصيرة التى قضاها فى القاهرة إلا أن أحدا ممن سبقوه من الحكام لم يترك فيها مثلما ترك من آثار، فإليه يرجع الفضل فى اتساع القاهرة التى أحاطها بسور ضخم ضم كل الأحياء المسكونة.

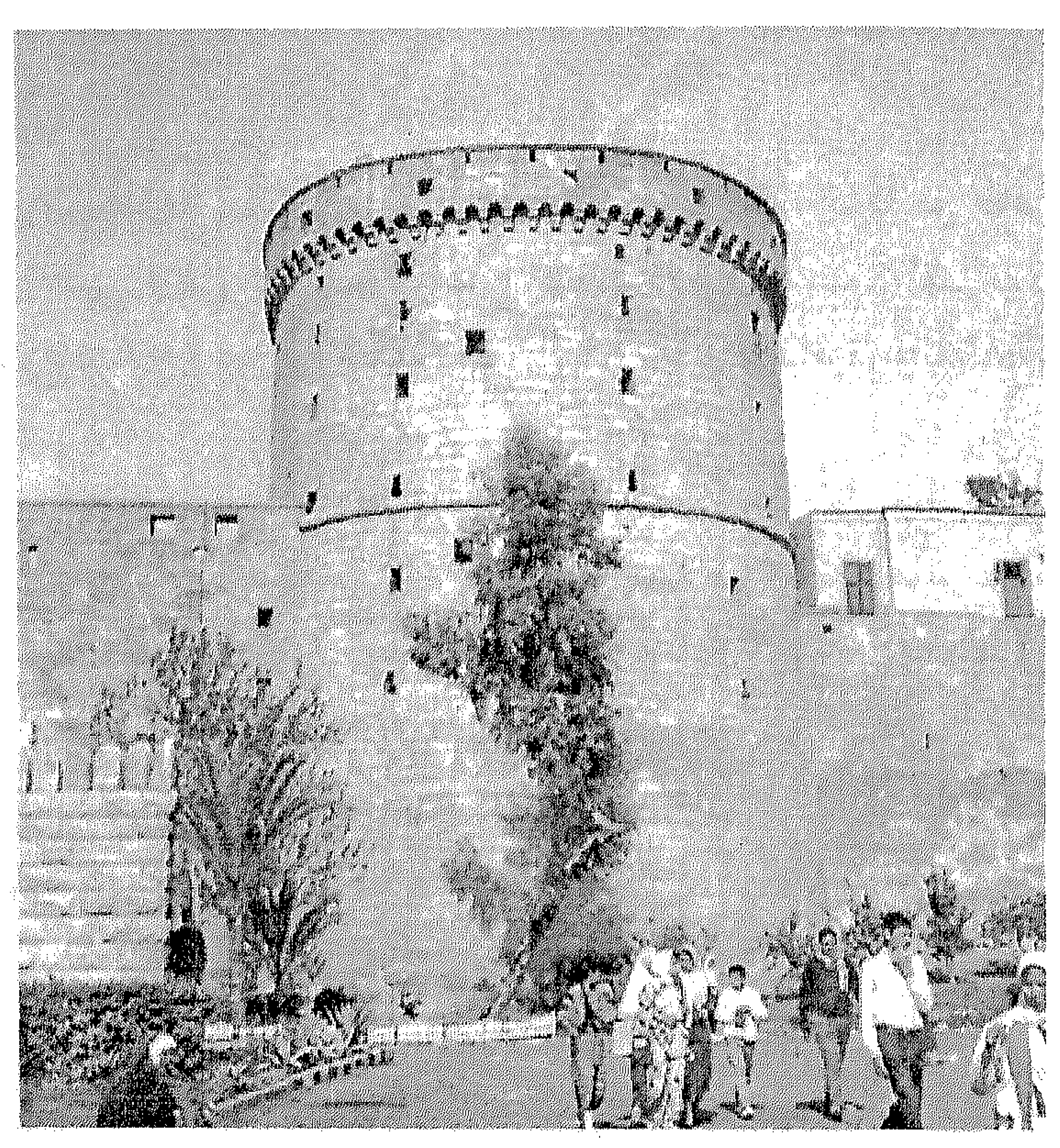
وكلف وزيره بدر الدين الجمالى ـ الأرمنى ـ بتشييد هذا السور من الحجر، وأن يمتد باستحكاماته إلى المقس غربا وإلى المقطم جنوبا مرورا بمدينة الفسطاط حتى حافة النيل، ولم تستكمل خطط صلاح الدين الإنشائية فى القاهرة بسبب حروبه فى سوريا، ورغم ذلك فقد مَدّ سور القاهرة شمالا من نهايته عند الخليج حيث أقيم (حصن المقس) المنيع حتى باب الوزير جنوبا، وما زالت أسواره باقية حتى الآن.

أراد صلاح الدين أن يتخذ من القلعة مقراً لحكمه لكرهه الشديد لقصور الحكام الفاطميين، ولقد اتخذ خلفاؤه من القلعة مقرا لحكمهم، وأقيمت القلعة بنفس التصور المعمارى لقلاع سوريا، فكانت كل مدينة سورية لها قلعتها الخاصة ورأى صلاح الدين فى قمة جبل المقطم موقعا مناسبا لإقامة قلعته فى القاهرة، فاختار مكانا فى جبل المقطم يرتفع عن سطح الأرض بمائتين وخمسين قدما، وبدأ العمل فى بناء القلعة فى سنة (١١٧٦) تحت إشراف (الأغا قراقوش) أحد أمراء صلاح الدين المخلصين وبالرغم من خدمات هذا الرجل الجليلة ارتبط اسمه فى أذهان الأهالى بالوحشية والقسوة البالغة، وكانت أهرامات الجيزة تستخدم محاجر لجلب الأحجار اللازمة لبناء القلعة، ويروى بعض المؤرخين أن جانبا من إنشاءات

القلعة قد تمت بواسطة الأسرى الصليبيين الذين أسروا فى حروب صلاح الدين، ولقد ذكر الرحالة الأندلسى (ابن جبير) أنه شاهد عند زيارته للقاهرة سنة (١١٨٣) أعدادا كبيرة من الأسرى الفرنجة يعملون فى إنشاءات القلعة مع العمّال المصريين، وكان عدد الفرنجة من الكثرة بحيث يتعذر حصره، ولم تكتمل إنشاءات القلعة إلا فى سنة (١٢٠٧) فى عهد الملك الكامل، وظلت القلعة المقر الرئيسى والحصن المنيع لكل الحكام الذين تولوا حكم مصر حتى سنة (١٨٥٠)، فاهتم بها سلاطين مصر من المماليك فأقاموا فيها التوسعات والبنايات، وأعاد والى مصر محمد على باشا الكبير إلى القلعة مجدها القديم، فأقام فيها مسجده الفخم على النمط المعمارى التركى سنة (١٨٢٤).

لقد استطاع الناصر صلاح الدين أن يرفع القاهرة إلى مرتبة العواصم العالمية الشهيرة، بفضل تحصيناته لها وما شيده فيها من أماكن لنشر الدين والعلم، ولقد علل المؤرخ المصرى (المقريزى) سبب اختيار الناصر صلاح الدين لموقع القلعة باللحم الذى علق بالقاهرة، فتغير لونه بعد يوم وليلة ولم يتغير لونه إلا بعد يومين وليلتين فى موقع القلعة، ورغم طرافة هذا القول إلا أنه لا يستند إلى أى أساس علمى، وخصوصاً أن نفس القصة قد ذكرت عند اختيار الخليفة العباسى المنصور لموقع مدينة بغداد، ولاشك أن أمر بناء قلعة حربية كقلعة القاهرة أخطر من أن يترك أمره لمثل هذا التفسير، وأن الأقرب إلى الصحة هو أن مكان القلعة قد اختير لأغراض استراتيجية لا يتوفر وجودها فى مكان آخر، إذ أن جبل المقطم يأخذ فى الارتفاع فجأة عند مكان القلعة، كما تبرز فيه أكبر الكتل الصخرية التى تشرف على كل القاهرة، وعرف المكان الذى أقيم فيه القلعة فى العصر العباسى باسم (قبة الهواء) نسبة إلى القبة التى بناها (حاتم بن هرثمة)، وخربت فى العصر الطولونى، وأقيم فوقها عدد من المساجد والأضرحة الفاطمية التى من بينها مسجد (سعد الدولة) و (معز الدولة) و (عدة الدولة)، ولقد أزيلت كل هذه البنايات بسبب دواعى عمارة القلعة الحربية، ولم تكن قلعة القاهرة هى أول التحصينات الحربية للناصر صلاح الدين، فقد سبقتها أعمال أخرى أهمها عمارة سور القاهرة، ولقد أشار إلى ذلك المؤرخ (أبو شامة) الذى ذكر أن السلطان صلاح الدين شرع فى عمارة سور القاهرة بعد أن تهدم سور بدر الجمالى الذى أقيم فى العصر الفاطمى، وأصبح





قلعة الجبل

طريقا لا يرد داخلا ولا خارجا، وولاه لقراقوش الخادم.

أدرك الناصر صلاح الدين بحسه الحربى وهو بالشام ماقامت به القلاع فى حلب والكرك من دور فاصل فى المعارك الحربية، فقد تسقط المدينة وتظل قلعتها تقاوم حتى ييأس المحاصرون، فأصدر الناصر صلاح الدين غداة وصوله إلى القاهرة سنة (٥٧٢ هـ) (١١٧٦م) أمراً ببناء سور حول القاهرة والفسطاط.

ولم يتحرَّ المؤرخ (لين بول) فى كتابه عن صلاح الدين الدقة، فذكر أن ما دفع الناصر صلاح الدين إلى بناء القلعة رغبته فى أن تكون حصناً يدافع منه عن أسرته وعن مصر، إذا اجتاحها سيده (نور الدين محمود بن زنكى) لأن صلاح الدين لم يشيد القلعة إلا بعد وفاة نور الدين بعامين أى فى سنة (٥٧٢ هجرية) (١١٧٦ ميلادية).

ولقد ذكر (العماد الأصفهانى) أنه لما تملك السلطان صلاح الدين مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يمنعها فقال إن أفردت كل واحدة بسور احتاجت إلى جند مفرد يحميها، وإنى أرى أن أدير عليهما سورا واحدا من الشاطئ إلى الشاطئ،

وأمر ببناء القلعة فى الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم، ابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج المقس وانتهى به إلى أعلا مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم، ولقد حدد المقريزى تاريخ شروع صلاح الدين فى بناء السور العام حول القاهرة، والقطائع، والعسكر، والفسطاط وبناء القلعة بقوله:

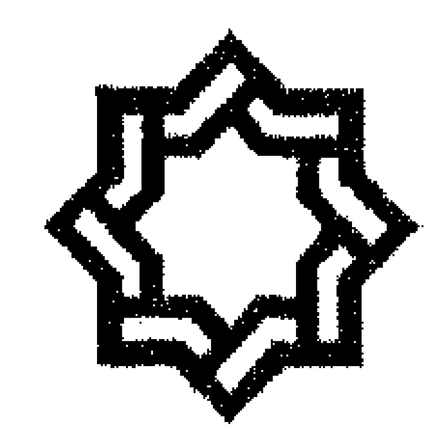
«وقدم صلاح الدين فى السادس عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين بعد ما كانت لعساكره حروب كثيرة مع الفرنج، فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل أقام على بنائه بهاء الدين قراقوش الأسدى».

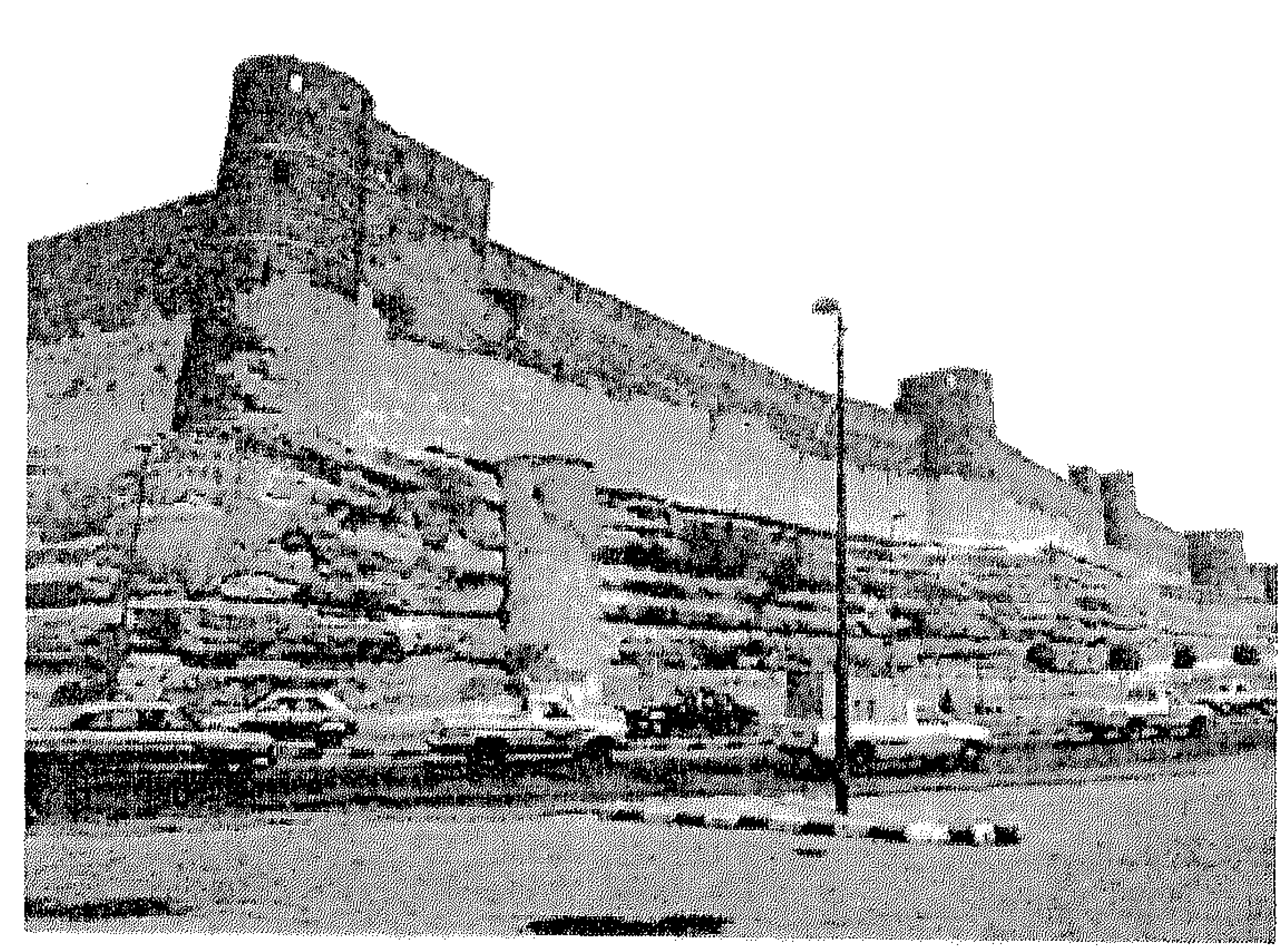
بدأ صلاح الدين فى تشييد القلعة فوق المقطم سنة (٥٧٢ هجرية) (١١٧٦ ميلادية)، وجلب لها أحجار البناء من بعض أهرامات الجيزة، كما ذكر المؤرخ عبد اللطيف البغدادى وغيره من الكتاب الذين جاءوا من بعده.

ولقد سجل الناصر صلاح الدين على باب المدرج فى الناحية الشمالية من القلعة نقشاً مؤرخاً فى سنة (٧٥٩ هجرية) (١١٨٣ ميلادية). يشير إلى نهاية عمارة صلاح الدين فى القلعة جاء فيه.

(بسم الله الرحمن الرحيم.. إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) «أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة.. مولانا الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب، محيى دولة أمير المؤمنين فى نظر أخيه، وولى عهده الملك العادل سيف الدين بن أبى بكر محمد خليل أمير المؤمنين على يد أمير مملكته، ومعين دولته قراقوش بن عبدالله الملكى الناصرى فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة».

ولهذا النص المنقوش أهميته، (الأولى) أنه يشير إلى أن القلعة لم تستكمل إنشاءاتها إلا فى سنة ٥٧٩ هجرية ـ ١١٨٢ ميلادية، (والثانية) أن النص يعتبر أقدم أمثلة لاستخدام الخط النسخ على آثار القاهرة الإسلامية، واستعمال هذا الخط على الآثار من المستخدمات الفنية التى أدخلها صلاح الدين فى ميدان الفنون، وكان ذلك إيذاناً بزوال عصر الخط الكوفى المزهر الجميل الذى شاع استخدامه فى العمائر والتحف





قلعة الجبل

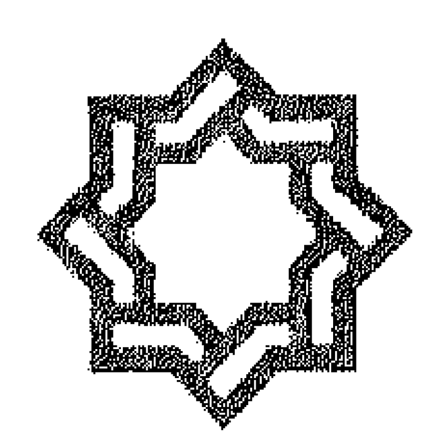
الفاطمية فى القاهرة، وتعتبر الإنشاءات المعمارية التى قام بها الملك الكامل محمد سنة (٦٠٤ هجرية) (١٢٠٧ ميلادية) من أهم إنشاءات القلعة المعمارية بعد إنشاءات الناصر صلاح الدين والملك العادل، فلقد شيد الملك الكامل قصور القلعة وأبراجها الرئيسية واتخذها مقراً له، ويذكر المقريزى أن الملك الكامل اهتم بعمارة القلعة، وعمارة أبراجها التى كملت فى سنة أربع وستمائة، ونقل إليها أولاد الخليفة العاضد وأقاربه وسجنهم فى بيت فيها، وحذا حذو الملك الكامل عند غيره من ملوك الأيوبيين وسلاطين وأمراء مصر المماليك والأتراك، فظلت القلعة مقرا للحكم إلى أن اتخذ الخديوى إسماعيل قصر عابدين مقراً رسمياً له سنة (١٨٧٤) ميلادية.

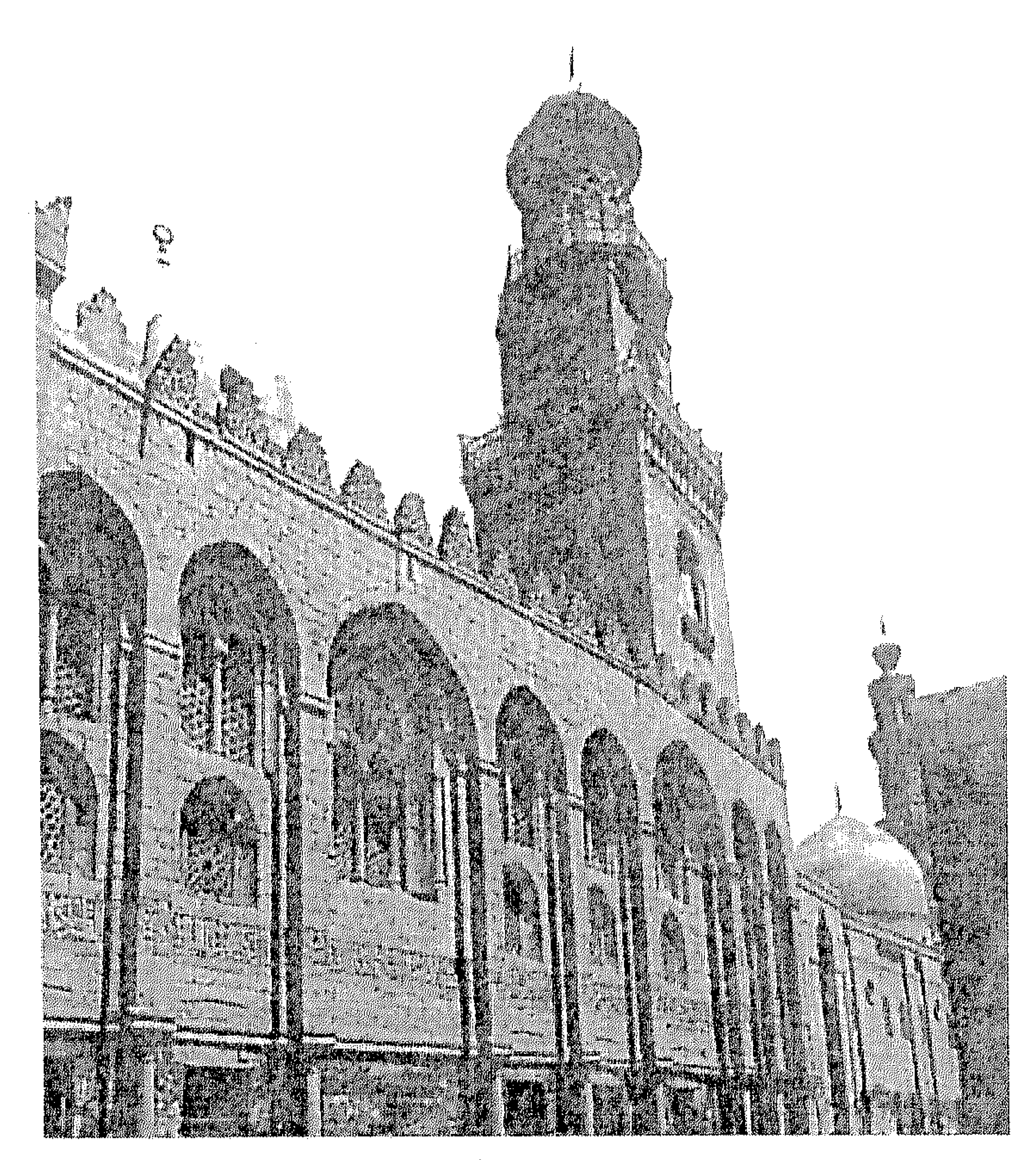
ازدهرت العمارة الحربية المتمثلة فى القلاع والأسوار فى العصر الأيوبى، ومن أشهر آثار القاهرة الأيوبية قلعة الجبل التى بنيت فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى تحت إشراف الأمير بهاء الدين قراقوش أحد قادة جيش السلطان الناصر، وكان للقلعة بابان أحدهما الباب الأعظم المواجه للقاهرة واسمه (الباب المدرج)، والثانى اسمه (باب القرافة)ويطل على تلال المقطم.

وتعتبر قلعة صلاح الدين من أهم معالم مدينة القاهرة منذ إنشائها سنة (٥٧٢ هـ) و(١١٧٦ ميلادية)، وكانت القلعة مقرا لكل حكام مصر بعد الناصر صلاح الدين الأيوبى، فأضاف كل منهم إليها ركنا ورمم وأزال أو أعاد بناء أركان، والقلعة فى شكلها الحالى مدينة عظيمة تحدها أسوار وأبراج ضخمة من جميع الجهات، وهى تنقسم إلى قسمين واضحين: قسم شمالى شرقى وقسم جنوبى غربى، وتحد كلاً من القسمين أسوار من الجهات الأربع، ويتصلان معا فى جزء مشترك من هذه الأسوار، ويدل مظهر القسم الجنوبى الغربى من القلعة على أنه اشترك فى بنائه ولاة متعاقبون منذ عهد الملك صلاح الدين إلى عهد والى مصر محمد على باشا الكبير، أما القسم الشمالى الشرقى فواضح أنه بنى فى عصر واحد، والدليل تناسق النمط المعمارى ووحدته وانتماؤه لزمن واحد، ولقد أكدت الكشوفات الأثرية أن هذا القسم من القلعة أقيم فى عصر الدولة الأيوبية نفسه وخاصة فى عهود صلاح الدين والعادل والكامل، وينحصر القسم الشمالى الشرقى فى مستطيل غير منتظم الأضلاع ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب (٥٦٠) مترا وعرضه من الشمال إلى الجنوب (٣١٧) مترا ومحيطه حوالى ألف متر ويمتد السور المشترك بينه وبين القسم الجنوبى (١٥٠) متراً، وهو سور سميك ضخم ينتهى طرفاه ببرجين عظيمين وتتوسطه بوابة كبيرة معروفة باسم (باب القلعة) ويحف بها برجان عظيمان، أما القسم الجنوبى الغربى فهو أصغر قليلا من القسم الأول وشكله غير منتظم وتبلغ أقصى مسافة فيه من الشمال إلى الجنوب (٥١٠) مترا ومن الشرق إلى الغرب (٢٧٠) مترا وتختلف أسوار هذا القسم مظهرا وبناءا عن أسوار القسم الشمالى فبينما تستند هذه الأسوار على أبراج عديدة مستديرة وشبه مستديرة، فإن أسوار القسم الجنوبى تكاد تمتد على هيئة ستارة لا تعترضها أبراج.

وتمت توسعات كبيرة فى التحصينات والعمائر الدينية، والمدينة فى القلعة فى العصور التى تلت العصر الأيوبى.

ومن منشآت القلعة الباقية من العصر المملوكى بقايا قصر الناصر محمد بن قلاوون (٧١٤ هجرية) (١٣١٤ ميلادية) ومسجد الناصر محمد بن قلاوون (٧٣٥ هـ) (١٣٣٤ ميلادية) كما استمرت القلعة مقرا للحكم خلال العصر العثمانى، وأضاف إليها





جامع
محمد بن قلاوون

العثمانيون عمائر ومنشآت عديدة أهمها إعادة إنشاء مسجد سليمان باشا (سارية الجبل) (٩٣٥ هجرية) (١٥٢٨ ميلادية) ومسجد أحمد كتخدا الغرب (١٠٦٧ هجرية) (١٦٩٧ ميلادية) يوجد باب العزب من جهة ميدان صلاح الدين، وقد أعاد محمد على باشا فى فترة حكمه للقلعة مجدها الأول حيث أقام العديد من المنشآت داخل القلعة، ومن أهمها مسجد محمد على (١٢٦٢ هجرية) (١٨٤٥ ميلادية) ودار سك العملة، ودار المحفوظات، وقصر الجوهرة، وسراى العدل، وقصور الحريم، ومنها القصر الذى يشغله المتحف الحربى الآن.

استمر الاهتمام بالقلعة حتى غادرها خديوى مصر إسماعيل باشا فى سنة (١٨٧١) ميلادية إلى قصر عابدين فأهملت القلعة، ومنشآتها وتدهورت حالتها حتى قامت هيئة الآثار المصرية تحت إشراف الدكتور أحمد قدرى بإعادة تعميرها وترميمها.

ومن عمائر القلعة التى تنتسب إلى الناصر صلاح الدين شخصيا حائط السور بأبراجه نصف الدائرية بالقسم الشمالى الشرقى، وهو ما يسمى بقلعة الجبل كما هو مذكور باللوحة الرخامية الموجودة بالباب المدرج، ويبدأ هذا الجزء من الجانب الشرقى ببرج المقطم ويمتد نحو الجنوب والشرق والشمال، وينعطف حتى الجزء الملاصق للمتحف الحربى الآن، وقد بنى الناصر صلاح الدين هذا القسم كاملاً قوياً، ولما استتب الملك لأخيه العادل ابن أيوب قام باستكمال التحصينات بما لديه من موارد قوية، ولذلك ينسب إلى الملك العادل بناء الأبراج القوية فى السور الجنوبى الفاصل بين القسم الشمالى الشرقى والقسم الجنوبى.

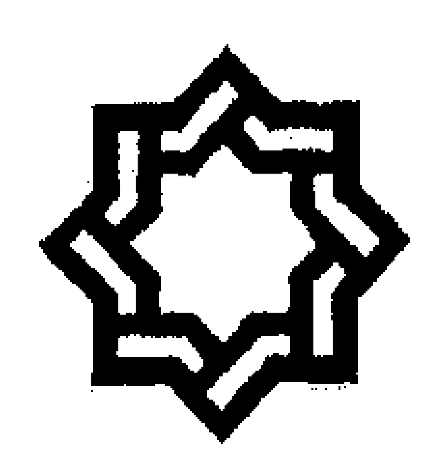
ومن المعالم التى ترجع إلى عصر الناصر صلاح الدين فى قلعة القاهرة (بئر يوسف) الذى يقع فى الساحة الجنوبية للقلعة، وفى الجهة الجنوبية الشرقية من جامع الناصر محمد، وعمق هذا البئر (٨٩) مترا تقريبا، وتنسب الأساطير الشعبية هذه البئر إلى سيدنا يوسف عليه السلام، وليس هناك أى أساس علمى لهذا النسب، وتعرف هذه البئر أيضا باسم (الحلزون).

وتتألف البئر من طابقين عمق الأول نحو (٥٠) مترا، والآخر (٤٠) مترا.

ولكل طابق منهما ساقية ترفع الماء منها بواسطة الدواب، ويقال إن هذه البئر كانت متصلة بالنيل بسرداب تنفذ منه مياه نهر النيل إلى القلعة، ولقد وصف (ابن عبد الظاهر) هذه البئر بأنها من عجائب الأبنية.

أحاط صلاح الدين قلعته بخندق عظيم عميقة يفصل القلعة عن جبل المقطم، ولقد شاهد ابن جبير هذا الخندق سنة (٥٧٩ هجرية) (١١٨٣ ميلادية) أثناء حفره، ولقد أكد استخدام الأسرى الصليبيين فى حفر هذا الخندق، وكان هذا الخندق يمتد من خارج سور القاهرة الصلاحية شرقاً خارج باب النصر إلى البرقية وما بعده، ولقد شاهد المقريزى بقايا آثار هذا الخندق، وتعلوه بقايا سور القاهرة وأبراجه.

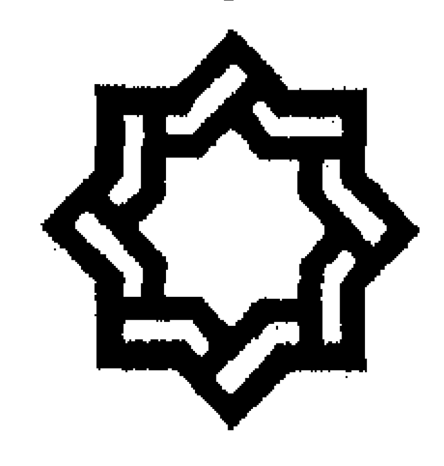
وما زالت قلعة الجبل شاهدة على عظمة الناصر صلاح الدين رغم أنه لم يسكنها أبداً، ودليلاً ملموساً على شخصيته الفذة كرجل سابق لزمانه وأرقى من معاصريه.



يقع هذا الأثر الإسلامى الفريد فى شارع الإمام الشافعى، ولقد أمر الناصر صلاح الدين الأيوبى ببناء المدرسة الصلاحية بجوار قبر الإمام الشافعى فى سنة (٥٧٢ هجرية) (١١٧٦ ميلادية) وكانت هذه المدرسة معقلا لنشر المذهب الشافعى ويضم المتحف الإسلامى بباب الخلق اللوحة التاريخية المكتوبة بخط النسخ الأيوبى والتى تسجل تاريخ إنشاء المدرسة الصلاحية.

وبقى من عمارة صلاح الدين الأيوبى قبة الإمام الشافعى وهى تابوت فاخر من الخشب غطاؤه هرمى الشكل عليه نقوش وكتابات بالخط الكوفى والنسخ ويزخر التابوت بوحدات زخرفية نباتية دقيقة.

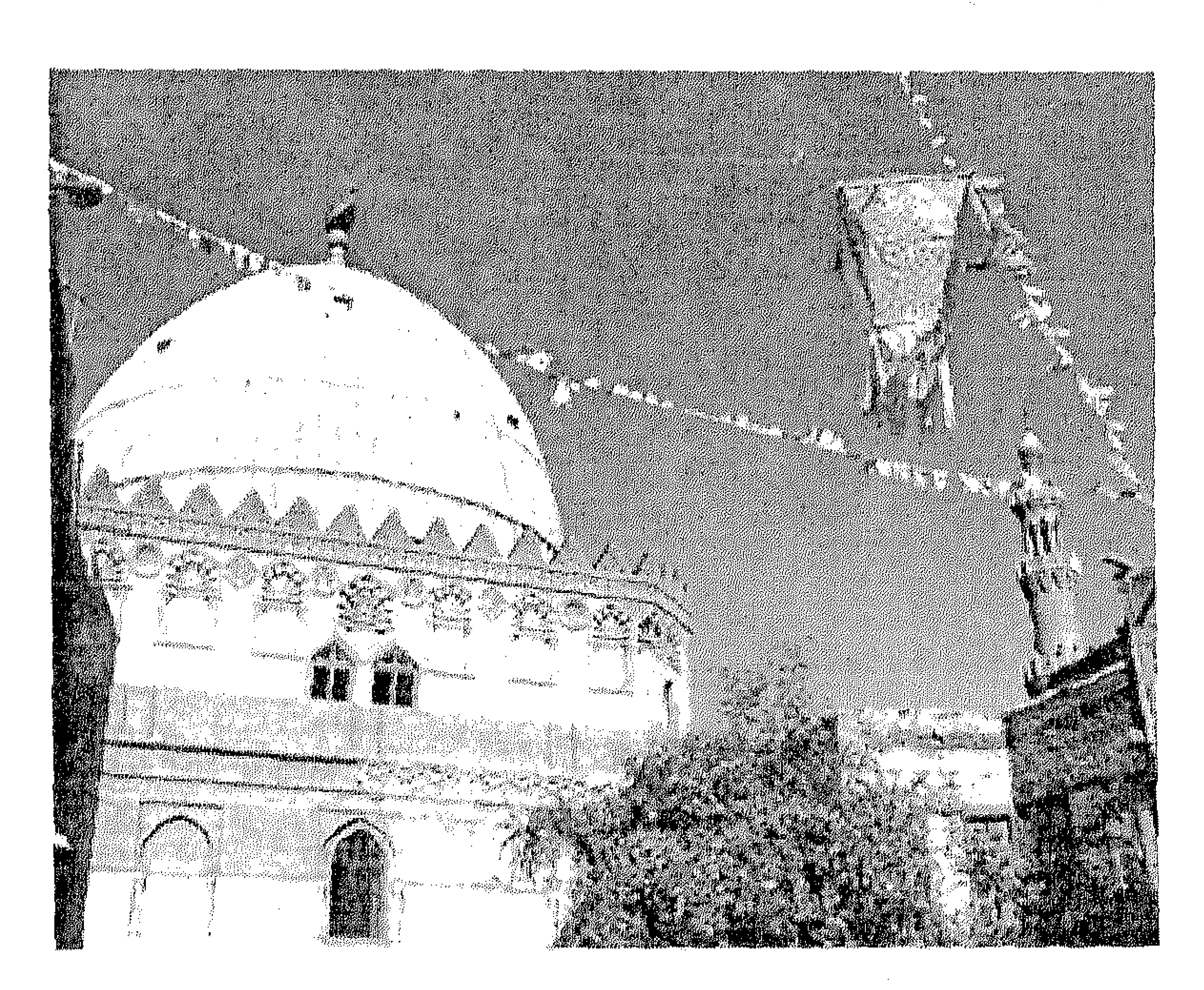
أنشئت قبة مسجد الإمام الشافعى فى عهد السلطان الملك الكامل محمد بن العادل (٦٠٨ هجرية) (١٢١١ ميلادية) وتعتبر قبة الإمام الشافعى من أجمل القباب فى مصر الإسلامية، صنعت هذه القبة من الخشب المكسو بالرصاص وكُسيتْ جدرانها من الداخل بالرخام، وبالقبة تابوت آخر فوق قبر أم الملك الكامل لا يقل فى أهميته التاريخية والفنية عن تابوت الإمام الشافعى.



قبة ومسجد الإمام الشافعى

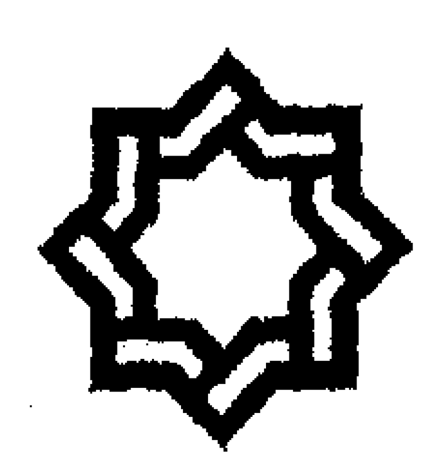
أمر السلطان قايتباى بإصلاح القبة فى سنة (٨٨٥ هجرية) (١٤٨٠ ميلادية) وَجُدِّدتْ القبة بعد ذلك فى عهد الملك الأشرف قانصوه الغورى، ثم فى عهد على بك الكبير فى سنة (١١٨٦ هجرية) (١٧٧٢ ميلادية).

وقبة الإمام الشافعى عبارة عن مربع طول ضلعه (١٥) مترا وسُمْك الجدران (٢,٧٥) متراً مربعاً وجدار القبة السفلى مبنى بالحجر، وفى جدار القبة الشرقى يوجد (٣) محاريب من عصر صلاح الدين، ومحراب رابع من عصر السلطان قايتباى، ورقبة القبة مستديرة يوجد بها (١٦) نافذة مصممة لإضاءة القبة وتهويتها،



مسجد
الإمام الشافعى

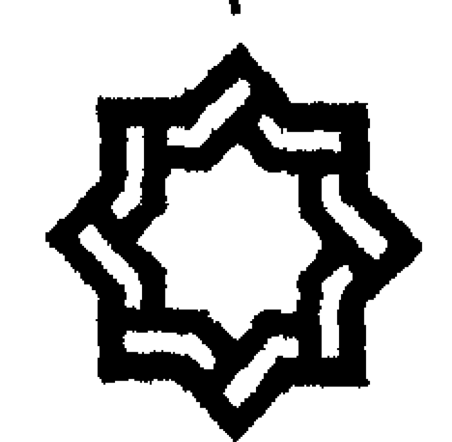
والقبة من الداخل مزخرفة بزخارف رائعة ويحيط بأعلى القبة من الداخل آية الكرسى بالخط الكوفى وهذه الزخارف والكتابات من أعمال على بك الكبير، ولقد قامت هيئة الآثار المصرية فى إطار الخطة الخمسية لترميم الآثار الإسلامية والقبطية بترميم قبة الإمام الشافعى.



أقيم جامع السلطان حسن فى نفس مكان بيت يلبغا اليحياوى نائب الشام، ولقد جاءت عمارته فى أحسن هندام وأضخم شكل فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد إسلامى يحاكيه، واستمرت عمارته ثلاث سنوات لم تعطل فيه يوما واحدا، وأُرْصِدَ لمصاريفه عشرون ألف درهم يوميا.

وبلغت تكاليف عقد الإيوان الكبير بالجامع نحو مائة ألف درهم، ولقد ذكر (مقبل الشامى) أنه سمع السلطان الناصر حسن يقول:
(لولا أن يقال إن ملك مصر عَجَزَ عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صُرِفَ عليه).

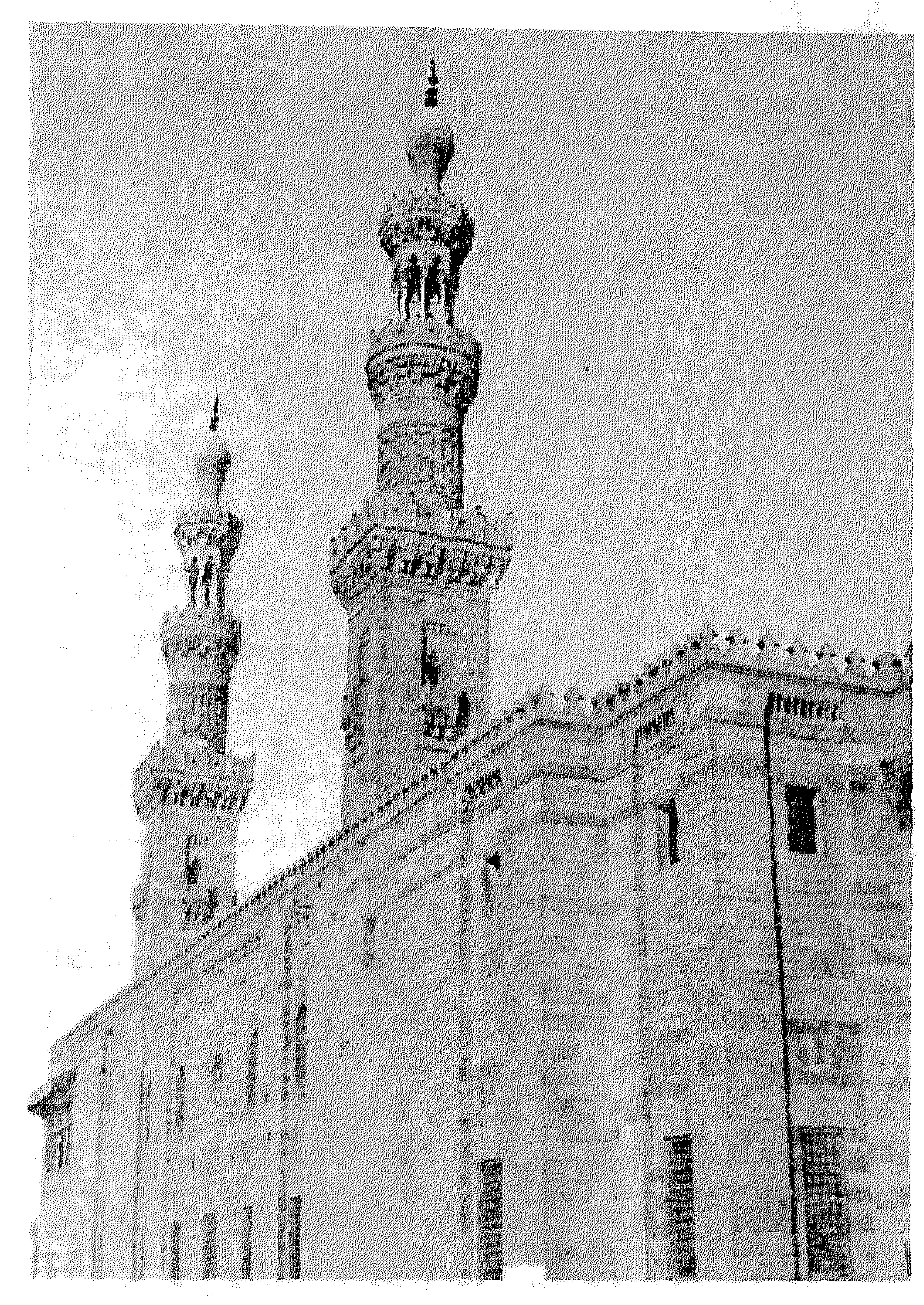
ومن عجائب البنيان فى هذا الجامع الضخم إيوانه الكبير الذى يبلغ خمساً وستين ذراعا، والذى يقال إنه أكبر من إيوان كسرى بخمس أذرع، وقبته العظيمة التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها، والمنبر الرخام الذى لا نظير له، والبوابة الكبيرة.



جامع السلطان الناصر حسن

كان السلطان حسن قد عزم على أن يبنى أربع مآذن يؤذن عليها، بعد أن انتهى البناء فى ثلاث منها سقطت المنارة التى تقع على الباب فى سنة (٧٦٢) فأحدثت خسائر كبيرة وراح ضحيتها نحو ثلاثمائة نفس فأبطل السلطان بناء هذه المئذنة وبناء الأخرى وما زالت مئذنتا الجامع قائمتين إلى اليوم.

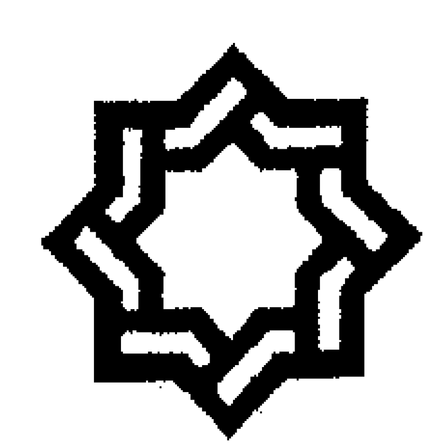
توفى السلطان الناصر حسن قبل أن يتم ترميم الجامع فأتمه من بعده (الطواشى بشير الجمدار) وكان السلطان قد أوقف على هذا الجامع أوقافا كبيرة ولقرب الجامع من القلعة فكثيراً ما استخدمه بعض الأمراء المنشقين والمعارضين كمكان لضرب القلعة والتحرش بحكامها، فأمر الملك الظاهر برقوق بهدم الدرج المؤدية إلى المئذنتين



جامع
السلطان حسن

ويبوت الفقهاء فوق سطح الجامع الذى استخدم فى رمى القلعة حتى لا يمكن الصعود إلى سطح الجامع وصار الأذان على درج الباب ولقد اشترى السلطان المؤيد باب جامع السلطان حسن النحاسى وتنورته بنحو خمسمائة دينار وَرَكَّبَ الباب على بوابة جامعه الذى بناه عند باب زويلة وتنورته عند محراب الجامع.

بدأت إنشاءات هذا المسجد العريق فى سنة (٧٥٧ هجرية) (١٣٥٦ ميلادية) واستمرت ثلاث سنوات بلا انقطاع واستشهد السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن



قلاوون بَانِى هذا المسجد قبل أن يتم البناء فقام الأمير بشير أغا أحد أمرائه باستكمال البناء ويعتبر هذا المسجد من أعظم المساجد فى مصر والعالم.

والسلطان الملك الناصر حسن بانى هذا المسجد ولد فى سنة (٧٣٥ هجرية) (١٣٣٤ ميلادية) وسُمِّىَ فى أول الأمر باسم قمارى ولما وَلِىَ حكم مصر فى رمضان (٧٤٨ هجرية) (١٣٤٧ ميلادية) لم يكن يبلغ عمره الثلاث عشرة سنة ولصغر سنه تولى الأمير بيغاروس نائب السلطنة إدارة شئون البلاد.

يقع مسجد الملك الناصر حسن بميدان صلاح الدين بالقلعة وكانت أرض هذا المسجد تعرف قبل ذلك باسم سوق الخيل وكانت هذه الناحية تضم قصرا كبيرا هدمه الملك الناصر حسن. وتعتبر إنشاءات هذا المسجد من أجمل الآثار الإسلامية فى مدينة القاهرة.

يعتبر جامع السلطان حسن من عجائب العمارة الإسلامية وأجمل بناء أقيم فى الإسلام، أمر السلطان حسن بإقامة مدرسة ملحقة بالجامع، لتكون مدرسة للمذاهب الأربعة وألحق بها مساكن للطلبة، صمم الجامع بالأسلوب المتعامد الشكل حتى يكون لكل مذهب من المذاهب مدرسة يصف المقريزى جامع السلطان حسن فيقول:

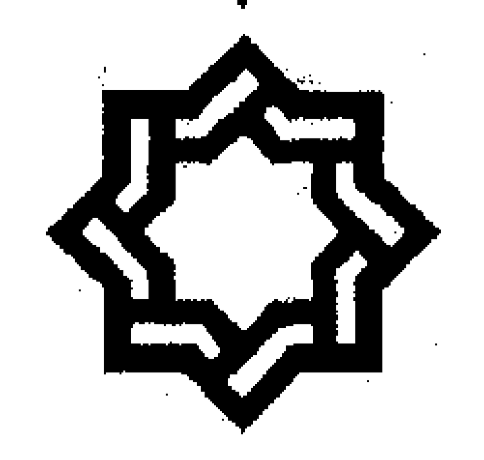
(لا يُعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكى هذا الجامع وقبته التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلهما) ولقد وصفه المؤرخ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى فقال:

(ليس له نظير فى الدنيا مسجد لا ثانى له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى فخامة البناء والارتفاع وسعة مدخله، فكأنه جبال منحوتة تصفق فيها الرياح، كما تفعل فى شواهق الجبال).

ينسب المسجد المطل على ميدان الرميلة بالقلعة إلى الشيخ على ابن شباك المدفون فيه وهو ابن الشيخ الرفاعى ومن أصحاب الشهرة والاعتقاد. وفى سنة (١٢٨٦ هجرية) (١٨٦٩ ميلادية) أمرت دولتو خوشيار هانم والدة خديوى مصر إسماعيل باشا بإعداد مشروع لبناء مسجد كبير يلحق به مدافن لها ولأسرتها.

واستمر المشروع أحد عشر عاما حتى ارتفع البناء مترين على سطح الأرض ثم أوقف العمل بالمسجد سنة (١٨٨٠ ميلادية) ولم يستكمل البناء إلا بعد ربع قرن فى عهد عباس حلمى الثانى سنة (١٩١٢ ميلادية).

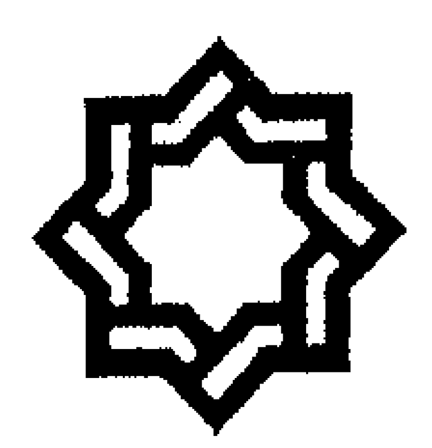
يعتبر مسجد الرفاعى من أشهر المساجد التى أنشئت فى القرن العشرين ومن أجملها زخرفة وأتقنها صناعة، وهو يحاكى فى ضخامته وارتفاعه مدرسة السلطان حسن، فتتميز مداخل مسجد الرفاعي بارتفاعها الشاهق وأعمدتها الحجرية والرخامية بتيجانها العربية، وحليت أعتابه بِمُزَرَّراتْ الرخام، وغطيت مداخلها بقباب وسقوف مزخرفة وملونة ومذهبة، وتمتاز منارتاه بالرشاقة والجمال، فأقيمت على قواعد مستديرة كمنارتى مدرسة السلطان حسن، وصممت شبابيك الواجهات النحاسية برسوم جميلة.

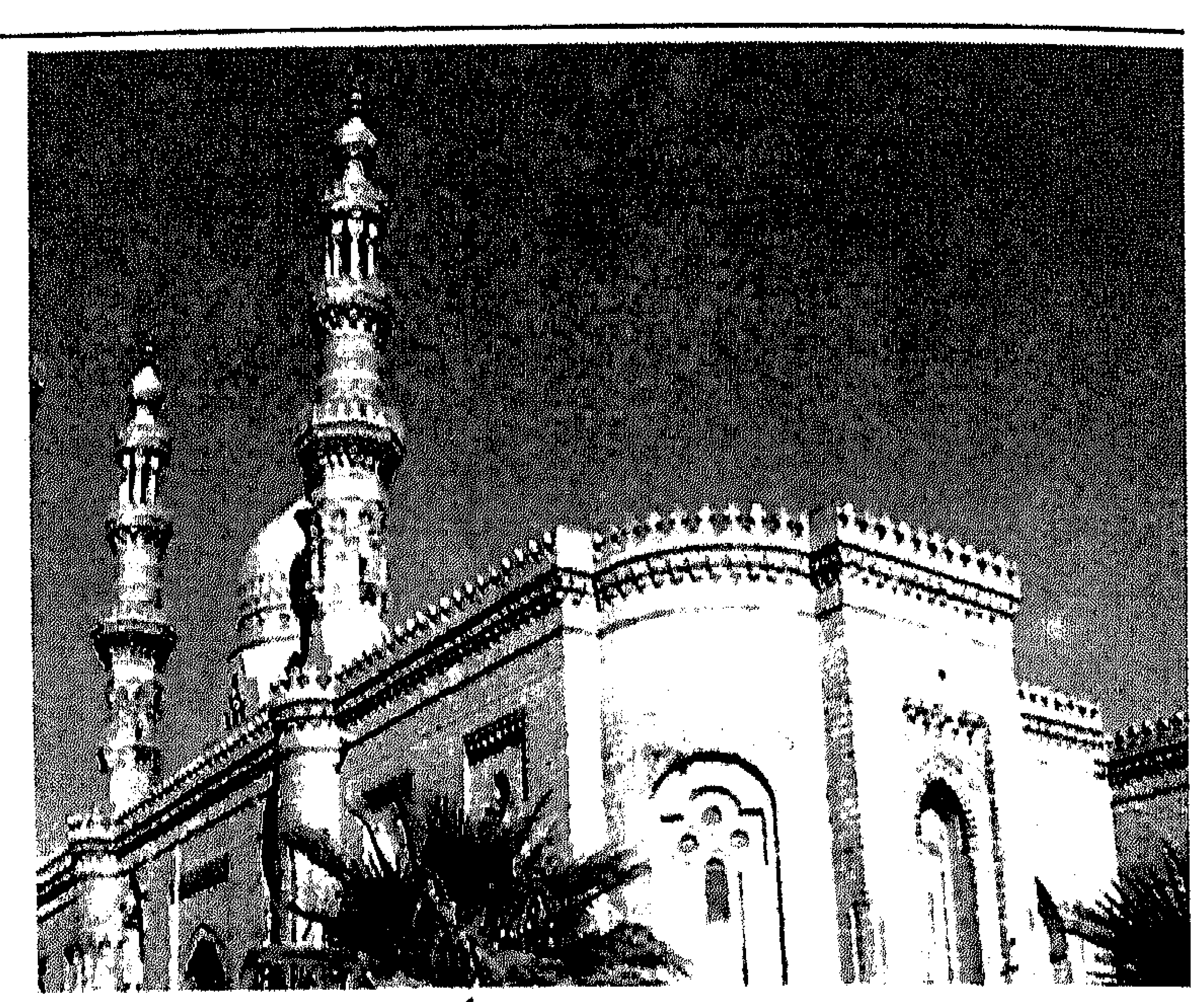


مسجد الرفاعى

تبلغ مساحة مسجد الرفاعى (٦٥٠٠ متر) والجزء المخصص للصلاة مساحته (١٧٦٧ مترا) وتشغل المدافن وملحقاتها بقية المساحة، وواجهة المسجد الغربية تضم المدخل الملكى الحافل بالأعمدة ذات القواعد الرخامية بنقوشها ومقرنصاتها البديعة، والتى كست أعتابه بالرخام الملون والكتابات الجميلة.

على يمين الداخل من هذا المدخل توجد مقبرة الملك فؤاد الأول، وتقع فى الركن الغربى القبلى للمسجد، وقد كُسيت جدرانها بأنواع الرخام الملون والآيات القرآنية الكريمة، وحليت مقبرة الملك فؤاد بتركيبة رخامية نقشت بزخارف مذهبة وبجوار مقبرة الملك فؤاد يقع قبر والدته الأميرة فريال المتوفاة فى سنة (١٩١٠ ميلادية)، ولقد



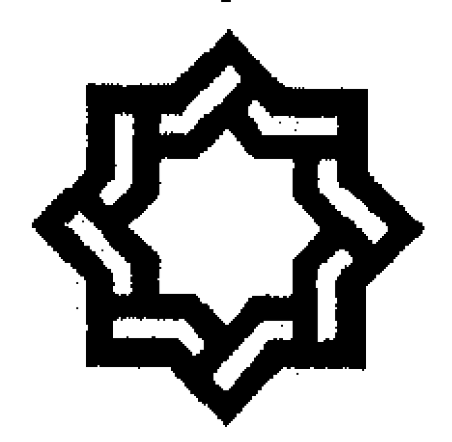


مسجد الرفاعى

صممت هاتان المقبرتان وزخرفتا بنفس أسلوب العمائر الإسلامية، وطعمت مصاريعها بسن الفيل وحليت أعتابها وما حولها بنقوش ملونة ومطعمة بالرخام تضم قبر الشيخ على بن شباك الرفاعى، وفوق الحجرة قبة حليت بمُقرنَصات مذهبة وملونة تتوسطها مقصورة خشبية مطعمة لها أعمدة رشيقة وبها خرط دقيق، وبدن هذه القبة مفرع بأشكال هندسية غطيت بالزجاج الملون وبجوانبها الأربعة أبواب تؤدى إلى الجامع حُلِّيت أعتابها بالزخارف الدقيقة وطعمت مصاريعها بسن الفيل والأبنوس، وبين البابين القبليين حجرة بسيطة، يتوسطها تابوت خشبى به قبر سيدى الأنصارى، تعلوها قبة حجرية خالية من الزخارف.

وقد ارتفعت جدران المسجد وسقوفه جميعها بوزرات رخامية مختلفة الألوان، ويحيط بها طراز مذهب مكتوب عليه آيات من القرآن الكريم ويتوسط الجدار الشرقى المحراب الذى يتوسط أربعة أعمدة من اليمين واليسار، اثنان منهما ملونان باللون الأبيض والآخران ملونان باللون الأخضر الداكن، وعلى جوانب المسجد وفى وسطه أقيمت أكتاف بنواصيها أعمدة رخامية كسيت الأكتاف التى بينها بالرخام الدقيق، وعلى جانب المحراب يوجد منبر كبير طعمت حشواته بسن الفيل والأبنوس وخشب الجوز، وفى الجانب البحرى للمسجد ستة أبواب، أربعة منها تؤدى إلى المدافن.

ولقد قامت هيئة الآثار المصرية فى عهد الدكتور أحمد قدرى بعمليات تجديد وترميم هذا المسجد الكبير الشهير.

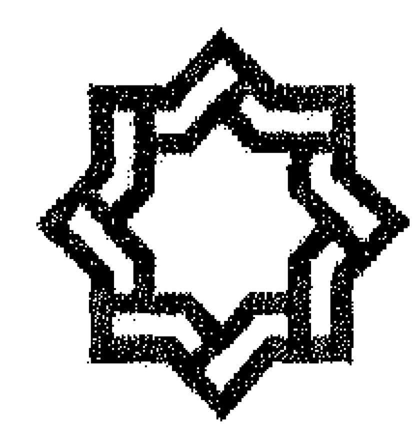


مسجد سارية الجبل

يرجع تاريخ بناء هذا المسجد إلى ما قبل تاريخ بناء قلعة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى المعروفة فى التاريخ بقلعة الجبل، بنى هذا المسجد الأمير مرتضى مجد الخلافة أبو الميضو قسطة الآمرى سنة (٥٣٥ هجرية) (١١٤٠ ميلادية).

ولقد اهتم به كل من وُلُّوا أمر مصر عبر العصور، عُرِفَ هذا المسجد أيضاً بمسجد الردينى نسبة إلى الشيخ الردينى عالم الفقه، ولما أقيمت قلعة الجبل سنة (٦٤٠ هجرية) (١٢٠٧ ميلادية) احتوته داخل أسوارها المنيعة، وجدد المسجد فى عهد السلطان برقوق، ثم جدده سليمان باشا الخادم والى مصر من قِبَل السلطان العثمانى، وأُطْلِقَ اسم سارية الجبل على هذا المسجد نسبة الى سارية ابن عمر بن عبدالله قائد جيوش المسلمين،وقام والى مصر محمد على باشا الكبير بتجديد هذا المسجد فى سنة (١٨٢٧ ميلادية).

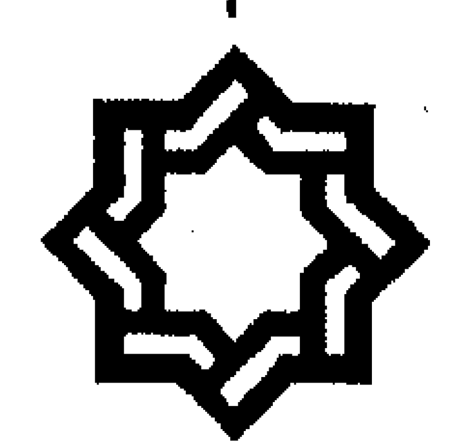
يعتبر هذا المسجد أول المساجد التى أقيمت على النمط المعمارى العثمانى فى مصر، ويتكون المسجد من دور وقاعة وإيوانين، والقاعة مغطاة بقبة يجاورها ثلاثة أنصاف قباب، يغطى اثنتان منها إيوان القبلة والإيوان الشمالى، والثالث يغطى الجزء الجنوبى من الدور قاعه الذى يحتوى على باب الدخول والمنبر الرخامى، ومن صحن مكشوف يحيط به أربعة أروقة من جوانبه الأربعة عبارة عن أكتاف حجرية مثمنة تحمل عقودا تحصر فيما بينها مساحات مربعة مغطاة بقباب ضخمة وفى رواق المسجد الغربى يقع ضريح الأمير مرتضى مجد الخلافة أبو المنصور قسطة الآمرى الذى أنشأ المسجد فى زمن الفاطميين، وملحق بالضريح بعض التراكيب والشواهد العثمانية لبعض الذين دفنوا تبركاً بهذا المكان، ويعلو ضريح سارية الجبل قبة أكثر ارتفاعا من القباب الأخرى المجاورة لها كسيت



مسجد
سارية الجبل

بالقيشانى من الخارج، وكانت جميع قباب المسجد مكسوة بالقيشانى الأخضر والأزرق، ولها دورتان وخوذة مخروطية مكسوة بالقيشانى الأزرق، واندثرت الميضأة الكبيرة التى كانت تتوسط الحوش المكشوف بحرى المسجد.

قامت هيئة الآثار المصرية فى عهد الدكتور أحمد قدرى بإعادة ترميم وتجديد هذا المسجد بعد أن ساءت حالته للغاية وتعرضت عناصره المعمارية والخشبية والرخامية والمعدنية للخراب.



مسجد قاني باي الرمّاح بميدان القلعة

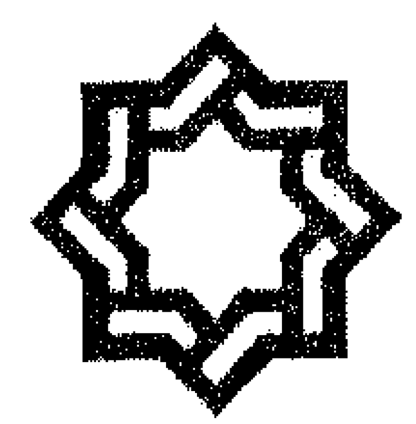
يقع مسجد قانى باى الرماح بميدان صلاح الدين بالقاهرة خلف مدرسة السلطان حسن إلى الشمال من مسجد المحمودية، وهو مبنى على مرتفع وله واجهتان، الواجهة الشرقية وبها واجهة الإيوان الشرقى والقبة والواجهة القبلية التى تضم واجهة القبة والمدخل الرئيسى والمنارة والسبيل والكُتَّاب.

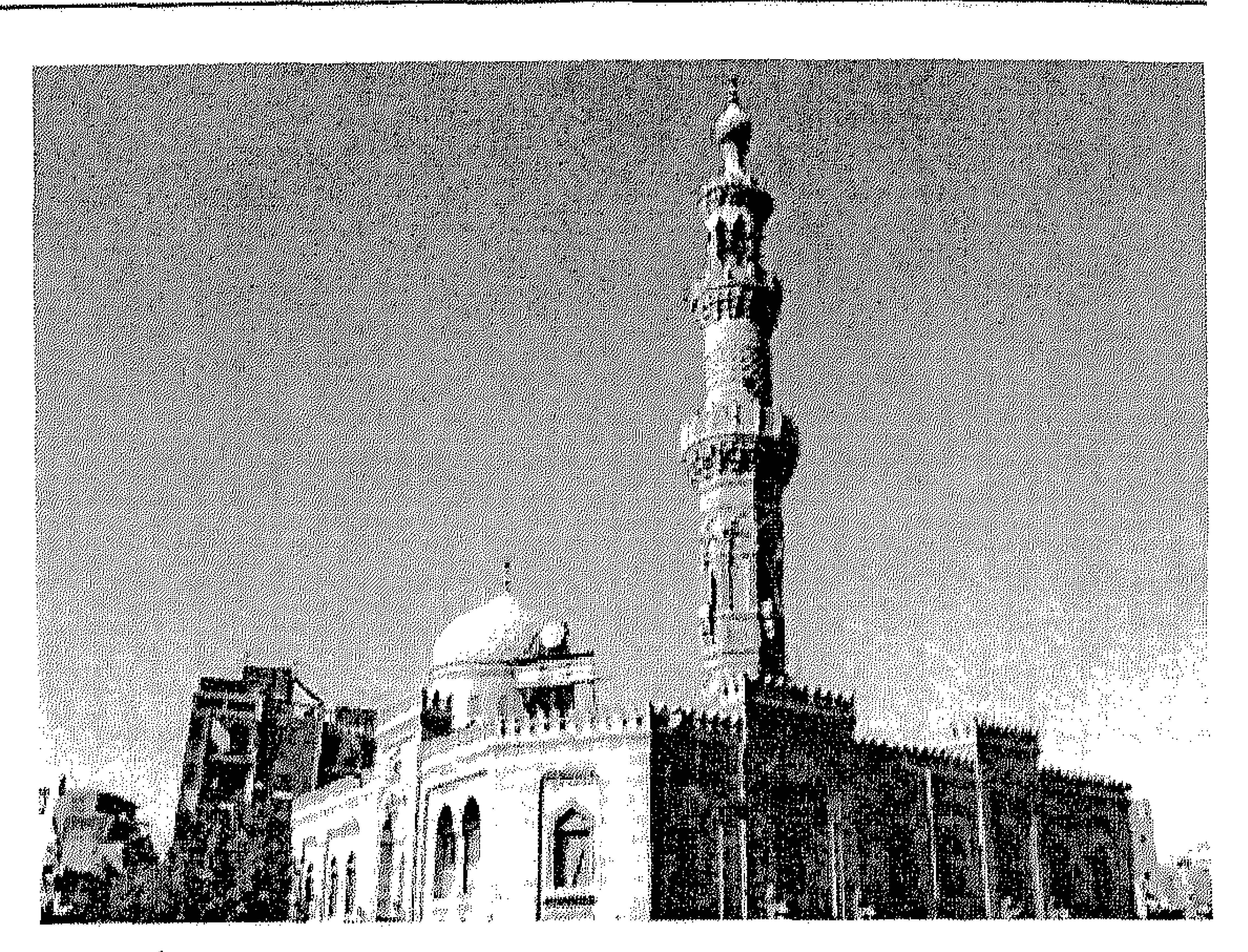
ويعتبر هذا المسجد من المساجد المعلقة فهو قائم على عقود تحملها أكتاف حجرية مربعة، وعلى باب المسجد عتب حجرى بالرخام الملون، يعلوه مزرر رخامى مكتوب على جانبيه (أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله المقر الأشرف العالى المولوى السيفى قانى باى أمير آخور كبير أعزه الله تعالى)

يؤدى باب المسجد إلى دركاه مربعة سقفها ملون مذهب له إزار مقرنص، ثم طرقة على يسارها باب المنارة، ثم ينثنى إلى طرقة أخرى معقودة تنتهى إلى الصحن.

أنشأ هذا المسجد الأمير قانى باى قرا مملوك الملك الأشرف قايتباى، الذى أعتقه وعينه فى جملة وظائف إلى أن رفعه لرتبة أمير، وعينه أميرا لحلب ثم عاد لمصر وتزوج من ابنة الأمير يشبك، وفى دولة الناصر محمد بن الأشرف أبى النصر قايتباى رُقِّى إلى (مقدم ألف) ثم أمير آخور كبير، واشتهر الأمير قانى باى بالشجاعة والفروسية واللعب بالرمح، فعرف لذلك بقانى باى الرمَّاح، وتوفى يوم الجمعة (٢٦) من ربيع الأول سنة (٩٢١ هجرية) (١٥١٥ ميلادية).

أقيم مسجد قانى باى الرَّمَّاح على طراز المدارس فى هذا العصر، ولم تستعمل الأخشاب فى سقوف هذا المسجد إلا فى دركاه المدخل، وأهم إيوانات المسجد الأربعة الإيوان الشرقى ذو القبو البرميلى





مسجد
قانى باى الرماح

الشكل الذى يكتنفه من الجانبين قبوان دائريان، ونقشت أركان قبو الإيوان الشرقى بنقوش مذهبة مكتوب على دائرة:

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(١) صدق الله العظيم

(أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف الكريم العالى المولدى السيدى السنَوى الذُخْرى العَضدى الكريمى الكَبيرى السَّيفى قانى باى أمير آخور كبير المَلكى أعز الله أنصاره بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا).

ومحراب المسجد من الحجر المحلى بنقوش ومكتوب بتجويفه

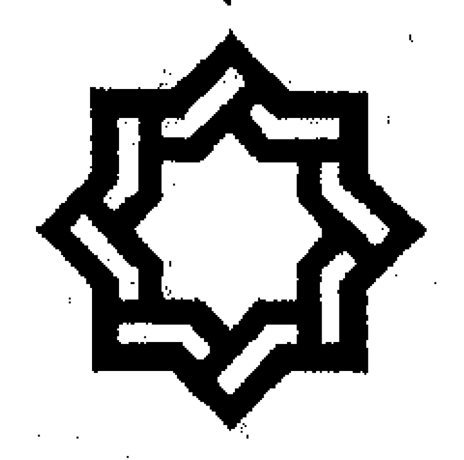
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢) «صدق الله العظيم»

وبجوار المحراب منبر صغير طُعِّمَتْ حشوات جوانبه بالعاج، وبالجدار الشرقى للباب قبة المسجد المغطاة بمقرنصات ومكتوب على جانبيه بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾(٣)

ويعلو ذلك سطر مكتوب فيه: (اللّهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة).

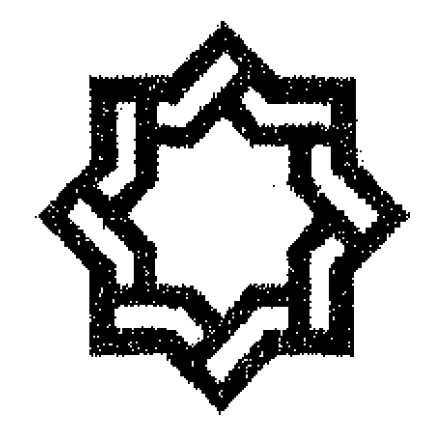
(١) سورة التوبة الآية (١٨).
(٢) سورة الحج الآية (٧٧).
(٣) سورة ق الآية (٣٤).

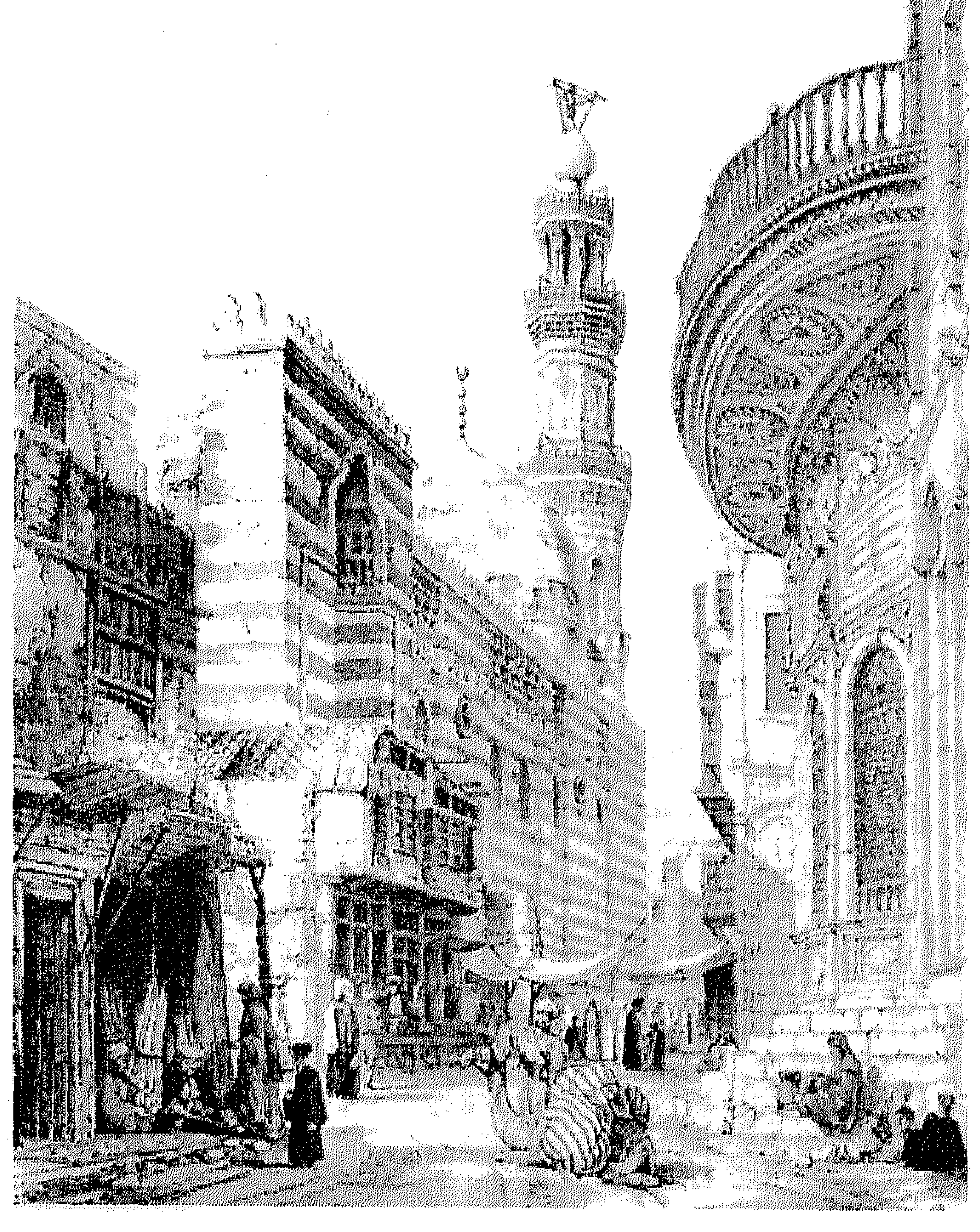


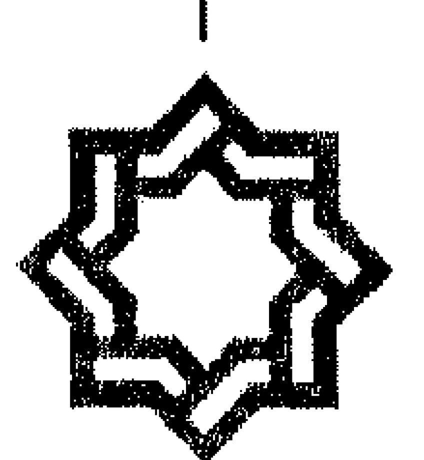
مسجد المحمودية

أنشأه محمود باشا والى مصر من قبَل الدولة العثمانية فى عصر السلطان سليمان ابن السلطان سليم، وقد قدم إليها فى أول شهر شوال سنة (٩٧٣ هجرية) (إبريل سنة ١٥٦٦ ميلادية) وكان محمود باشا حاكما ظالما متعسفا جائرا فى أحكامه غير أنه برغم كل ذلك كان معروفا بالكرم.

ومسجد المحمودية من مساجد مصر المعلقة يصعد إليه ببضع درجات، وله أربع واجهات مبنية بالحجر، وتضم الواجهة الشرقية القبة، وهى بارزة عن سمت الواجهة، وقائمة بمفردها وبنيت هى وقاعدتها بما فيها الرقبة الهرمية بالحجر، وواجهة المسجد الرئيسية هى الواجهة القبلية، ويتوسطها باب عقده يعلوه ثلاث مربعات بداخلها وزرات على هيئة مشربيات، يعلوها عتب آخر وشباك صغير مغطى بمقرنص فوقه توشيحتان ملبستان بالحجر الأبيض والأحمر، وقد كتب فى ميمنة العقد (الله حَسْبى)، وفى الناحية الشرقية القبلية قاعدة مستديرة حُلِّيتْ بزخارف تنتهى عند ارتفاع الواجهة بمقرنص متصل بالمقرنصات التى تغطى جحور شبابيك الواجهة القبلية، وتعلو هذه القاعدة منارة بسيطة ذات تنورة واحدة تنتهى من أعلاها بشكل مخروط مدبب، وقد اقتبس مهندس هذا المسجد من مسجد السلطان حسن القريب منه، ويتوسط واجهة المسجد البحرية باب، يقابل الباب القبلى، والمسجد من الداخل عبارة عن قاعة كبيرة مربعة طول ضلعها (١٩,٧٥ مترا) تتوسطها أربعة عمد كبيرة من الجرانيت الأحمر تحمل أربعة عقود كبيرة، ويتوسط جدار المسجد الشرقى محراب بسيط من الحجر عار من الزخارف يعلوه شباك من الجص مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ويجاوره منبر من الخشب، له درابزين من الخشب الخرط، وعلى يسار المحراب باب يؤدى إلى القبة الواقعة خلف المحراب مباشرة.







مسجد ومدرسة السلطان برقوق النحاسين

أنشأه الملك الظاهر أبو سعيد برقوق، أول المماليك الجراكسة بمصر ملاصق لمدرسة الناصر محمد بن قلاوون من الجهة البحرية.

نفذ عمارته المهندس (شهاب الدين أحمد ابن الطولونى) والمَبْنى غنى بنماذج فنية جميلة، بابه مكسو بالرخام، وتمتاز واجهة المبنى بالشبابيك الخشبية الهندسية الزخرفية، وتزدان منارة المسجد الضخمة بتلبيس الرخام فيها، وقبة المسجد ذات أركان مقرنصة غاية فى الإتقان.

أنشأه الأمير بشتاك سنة (٧٣٦ هـ) (١٣٣٥م)، ثم عمرته والدة الخديوى إسماعيل سنة (١٣٢٩ هـ) (١٨٦٢ م)، وجددت مئذنته وفرشته بالبسط، وأنشأت تجاه بابه من واجهة الشارع سبيلاً ومكتباً.

وصفه المقريزى (بأبهج الجوامع وأحسنها رخاماً وأنزهها).

مشهد الجيوشى المقطم

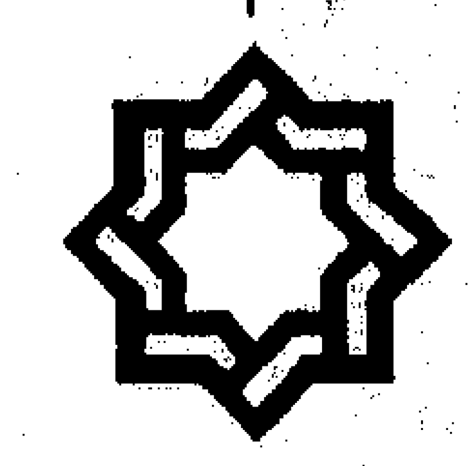
أنشأه أمير الجيوش بدر الدين الجمالى بأعلا جبل المقطم سنة (٤٧٨ هـ) (١٠٨٥م) يشمل المشهد رغم صغره مميزات مهارة نادرة، أبرزها تلك الدعائم القائمة فى الواجهتين الجنوبية والشمالية بقبابها الصغيرة. يضم المشهد محرابا حُلّى بكتابات كوفية جميلة.

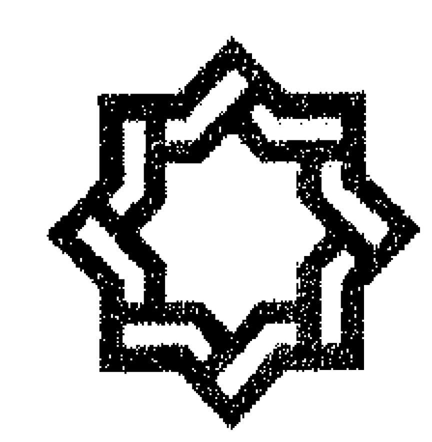
مسجد محمد بك أبو الذهب القاهرة

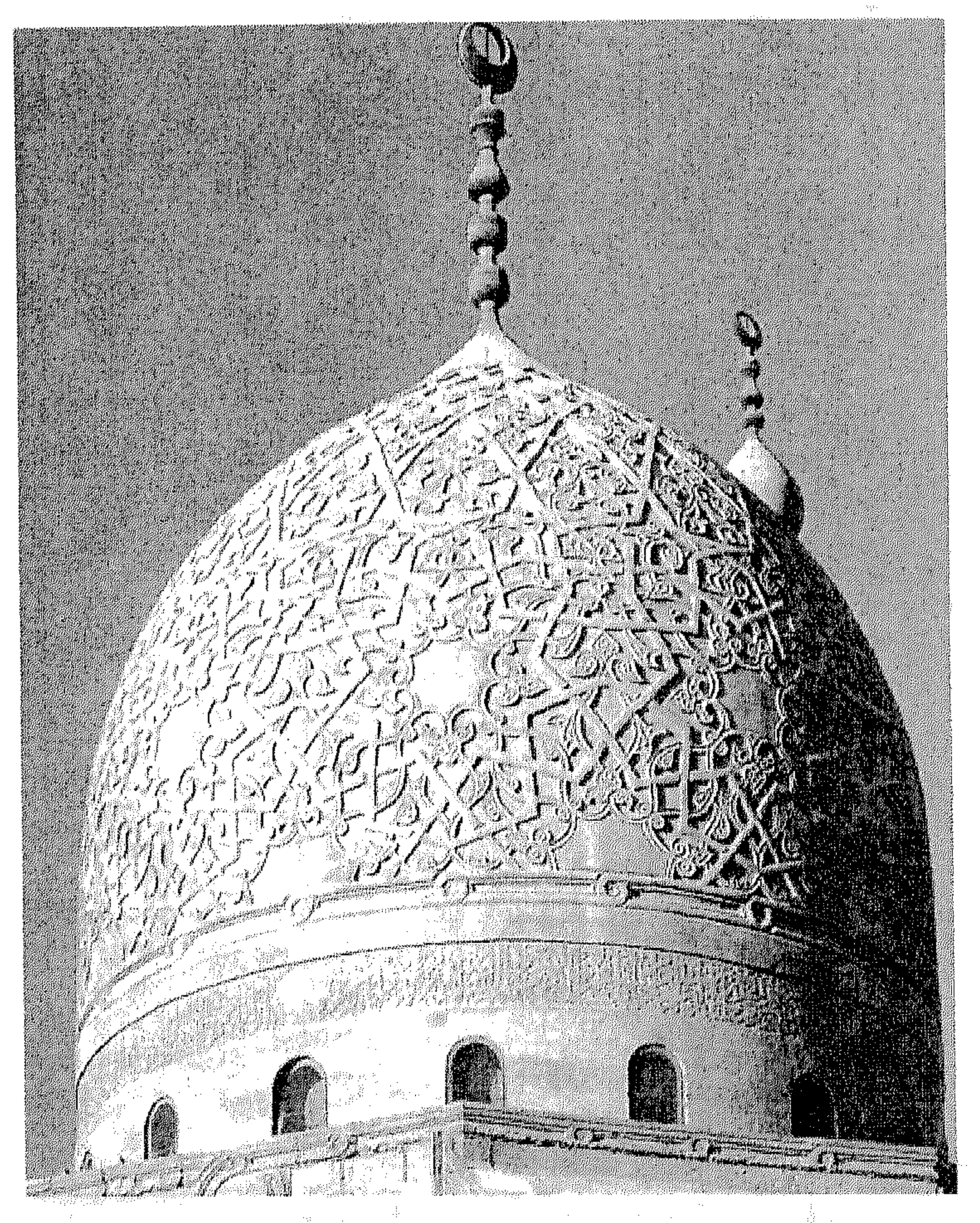
يقع مواجهاً للجامع الأزهر الشريف، أقامه الأمير محمد أبو الذهب سنة (١١٨٨هـ) (١٧٧٣ م) والمسجد له واجهتان، إحداهما بحرية والأخرى شرقية، وله بابان رئيسيان وآخر صغير.

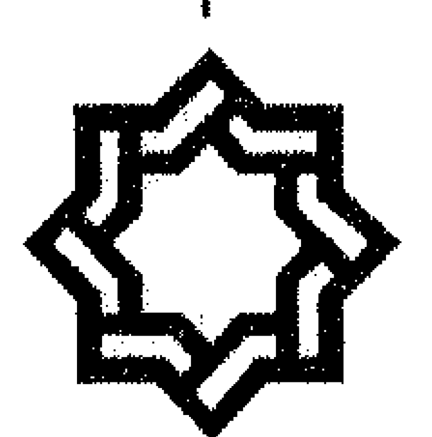
شُيد هذا المسجد على نفس طراز جامع سنان باشا ببولاق، وعلى وجه أحد أبواب المسجد نقشت هذه الأبيات الشعرية:

أنشأت يَا مولى الأكابر مسجداً
ولواء نصرك فى البرية يسعد
ولك العناية بالسعادة أرخت
حاز الفضائل والكمال محمد





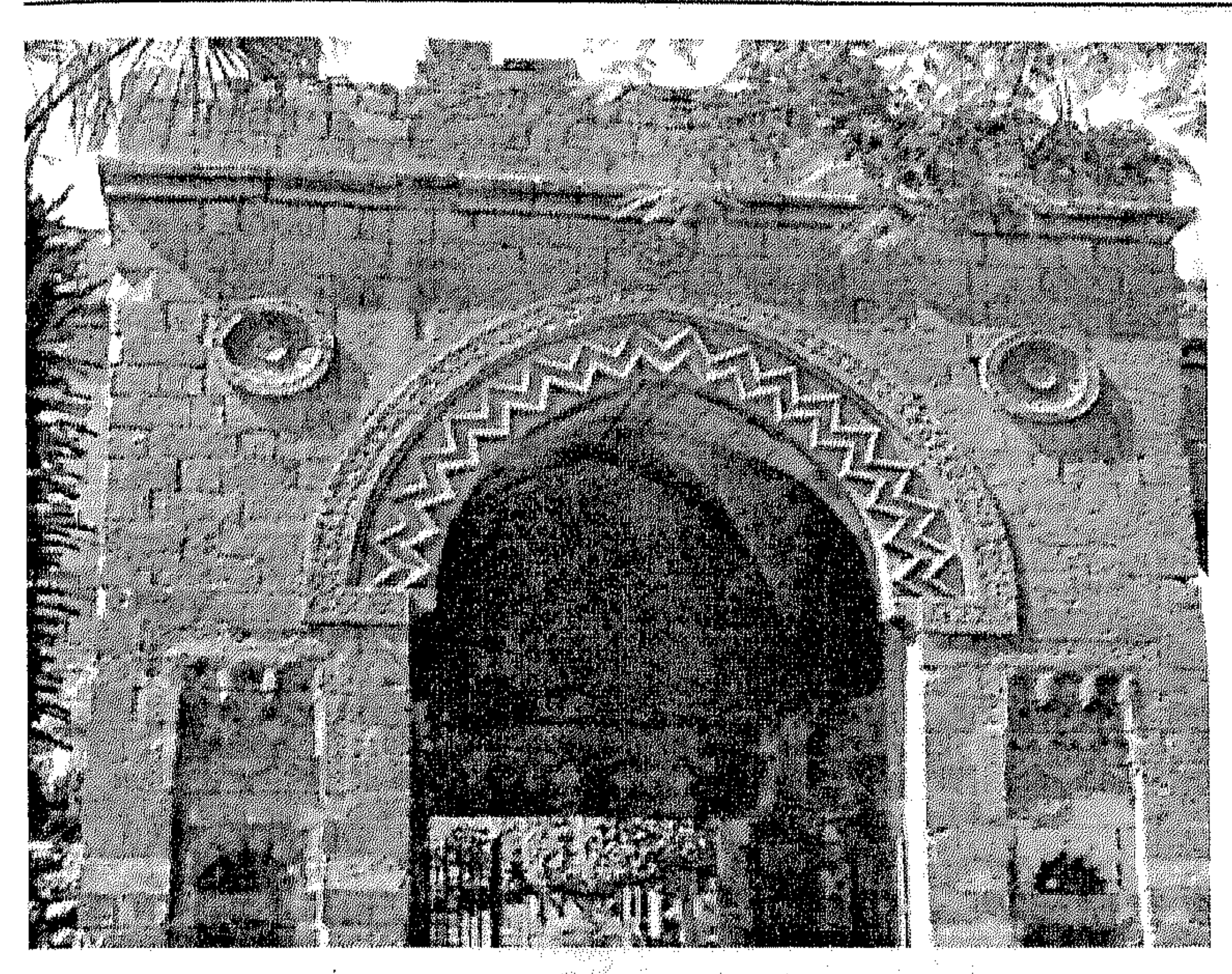


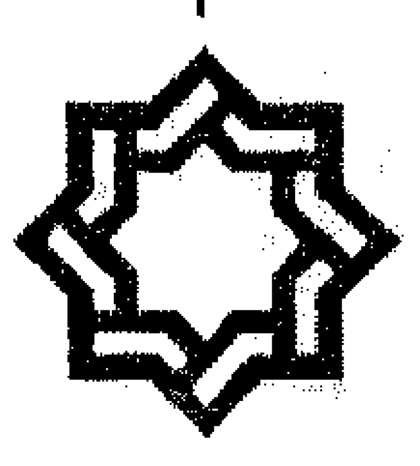


مسجد مدرسة قايتباى القاهرة

يقع هذا المسجد بحى منيل الروضة بالقاهرة وفوق مدخل المسجد نقشت هذه العبارات (بسمك.. أمر بإنشاء هذه المدرسة المعظمة مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره سلطان الإسلام والمسلمين مُحْى العَدْل فى العالمين ناصر شريعة سيد المرسلين، خَلَّدَ الله مُلْكهُ وثبت قواعد دولته).

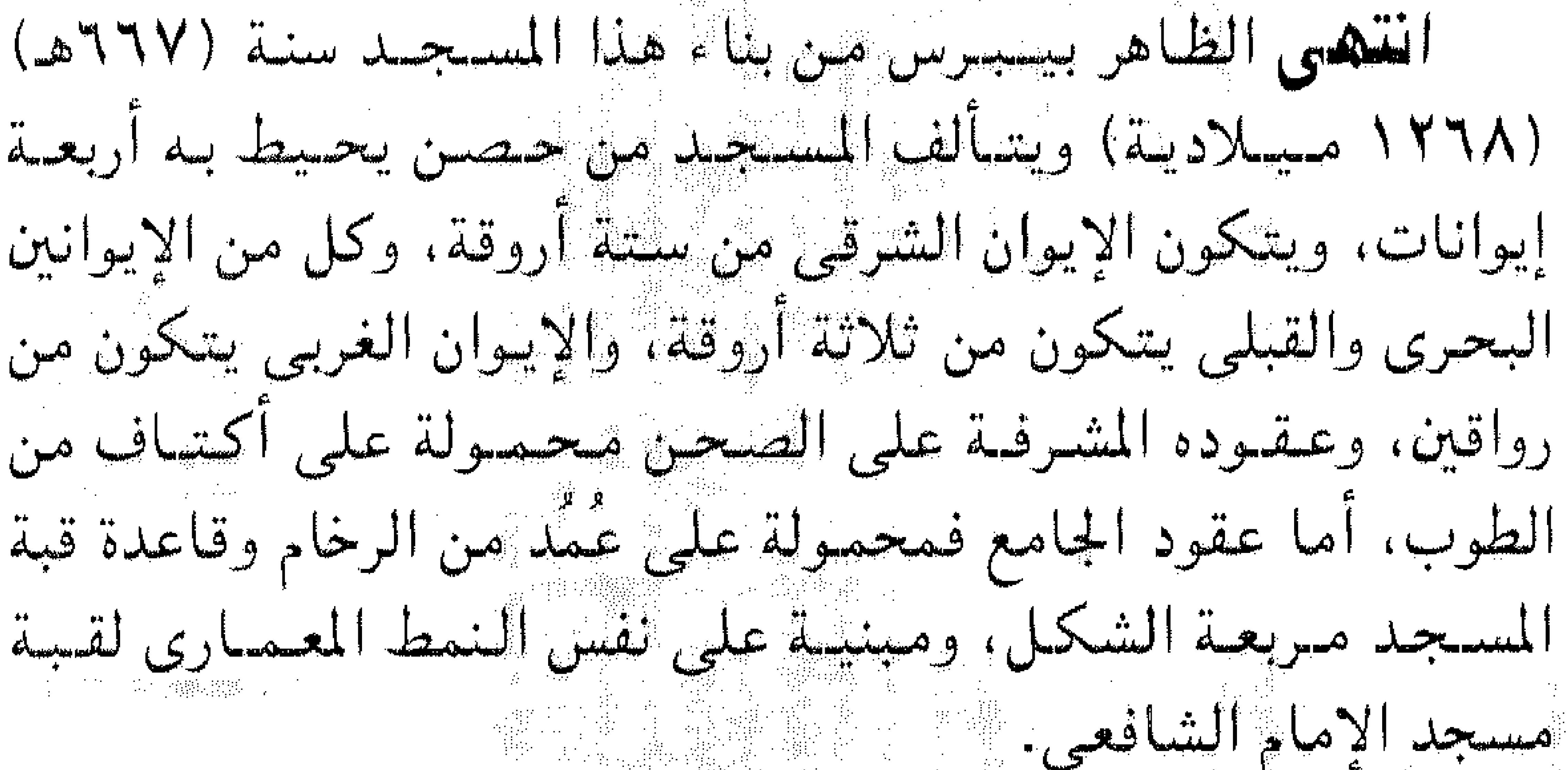
أنشأ هذا المسجد المهندس ـ البدر حسن بن الطولونى، وعرف هذا المسجد باسم الإمام جلال الدين الذى سكن قريباً منه.





مسجد الظاهر بيبرس ميدان الظاهر

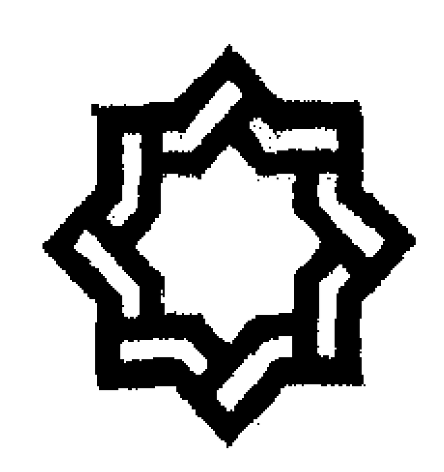
انتهى الظاهر بيبرس من بناء هذا المسجد سنة (٦٦٧هـ) (١٢٦٨ ميلادية) ويتألف المسجد من حصن يحيط به أربعة إيوانات، ويتكون الإيوان الشرقى من ستة أروقة، وكل من الإيوانين البحرى والقبلى يتكون من ثلاثة أروقة، والإيوان الغربى يتكون من رواقين، وعقوده المشرفة على الصحن محمولة على أكتاف من الطوب، أما عقود الجامع فمحمولة على عُمُد من الرخام وقاعدة قبة المسجد مربعة الشكل، ومبنية على نفس النمط المعمارى لقبة مسجد الإمام الشافعى.



اتخذ الفرنسيون من هذا المسجد مركزاً حربياً لهم، وجعلوا من مئذنته برجاً للمراقبة، ونصبت المدافع على أسواره، وجعله محمد على باشا بعد ذلك مصنعاً للصابون، ثم استعمله الجيش البريطانى مذبحاً حتى سنة (١٩١٨م) حين سلمته لجنة حفظ الآثار العربية فأعادت تجديده وترميم زخارفه وأعيد افتتاحه للصلاة.

توجد كتابة منقوشة فوق باب الواجهة الشمالية نصها:

بسم اللهم.. أمر بعمارة هذا الجامع المبارك مولانا وسيدنا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفتح بيبرس الصالحى أمير المؤمنين خَلَّد الله مُلكه وذلك بتاريخ الرابع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة.



يقع المسجد داخل باب زويلة وملاصق له فى شارع المعز لدين الله الفاطمى .

حفر أساس هذا المسجد سنة (١٤١٥م)، وبدئ فى البناء سنة (١٤١٦م)، وأقيمت به أول صلاة جمعة فى يوم الجمعة ٢ جمادى الأولى سنة (٨٢٠ هـ) (١٤١٧م) ولم يكمل منه سوى إيوان القبلة فقط.

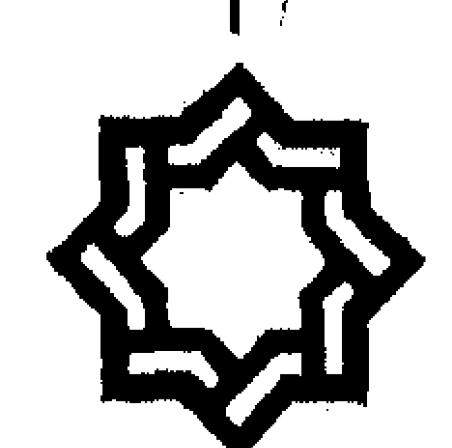
وفى يوم الجمعة ٢١ شوال سنة (٨٢٢هـ) (١٤١٩م) تم افتتاح المسجد رسمياً.

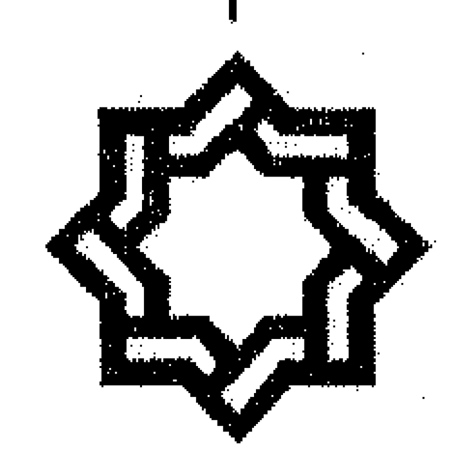
يتكون المسجد من أربع واجهات، وواجهته الشرقية هى الرئيسية وتحتفظ بتفاصيلها وبها المدخل العمومي، وباب المسجد شاهق الارتفاع مكسو بالرخام مغطى بالمقرنصات، وأجمل ما فى هذا المسجد إيوانه الشرقى المزين بالزخارف البديعة.

وبأعلا جدران هذا الإيوان إفريزان مُزينان بكتابات خطية أحدهما: مكتوب بخط النسخ المملوكى، والآخر: بالخط الكوفى بحروف سوداء على أرضية ذهبية.

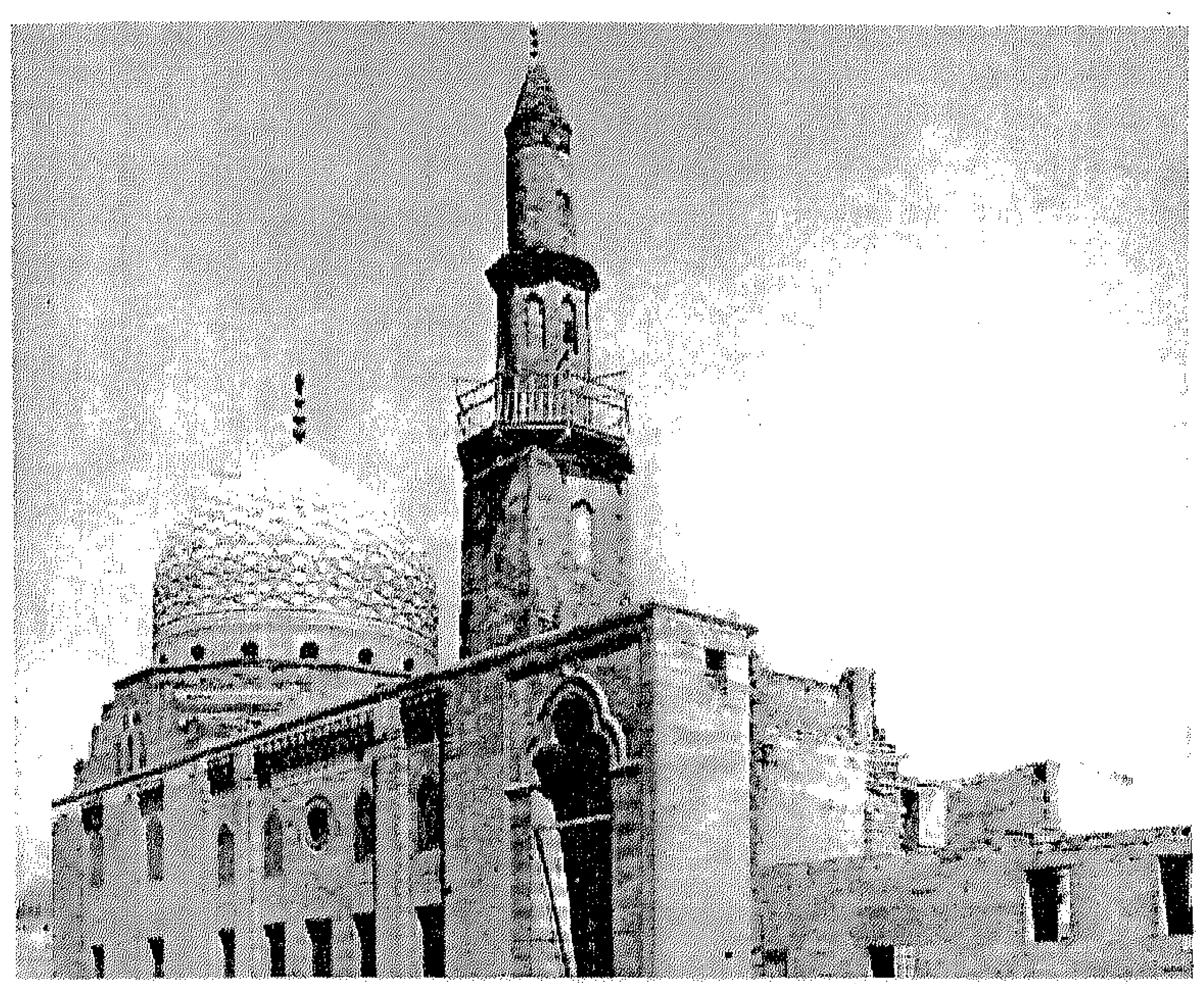
تعتبر زخارف سقف هذا المسجد من أرقى نماذج السقوف الخشبية، وللمسجد مئذنتان تقعان على باب زويلة، والمئذنتان رشيقتان لكل منهما ثلاث دورات حُليت بالكتابات والنقوش، وعلى مئذنة المسجد الشرقية سُجِّلَ هذا النص:

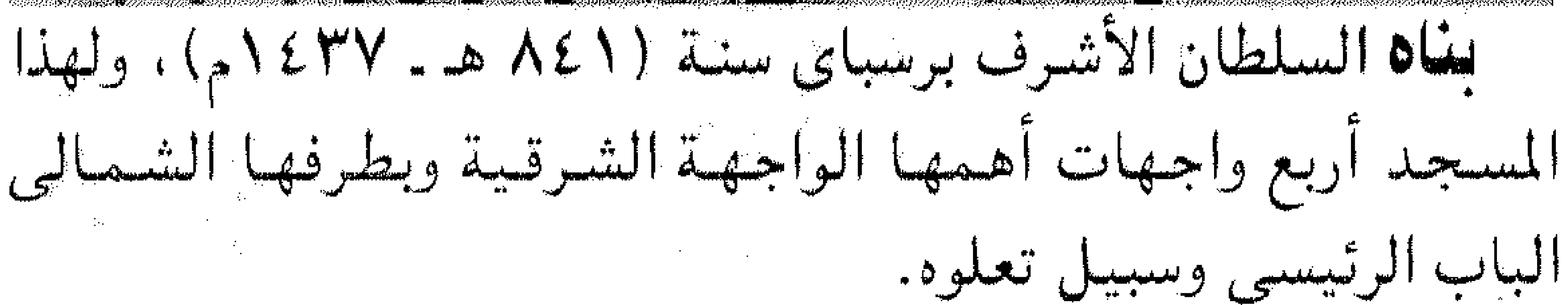
(عمل هذه المئذنة المباركة العبد الفقير لله تعالى محمد بن القزاز، وكان الفراغ أول رجب سنة اثنتين وعشرين وثمان مائة).





مسجد الأشرف برسباى الخانكة



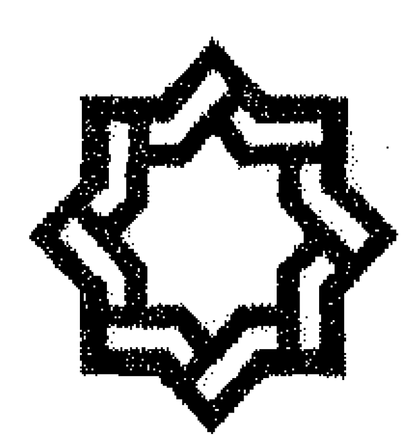


بناه السلطان الأشرف برسباى سنة (٨٤١ هـ - ١٤٣٧م)، ولهذا المسجد أربع واجهات أهمها الواجهة الشرقية وبطرفها الشمالى الباب الرئيسى وسبيل تعلوه.

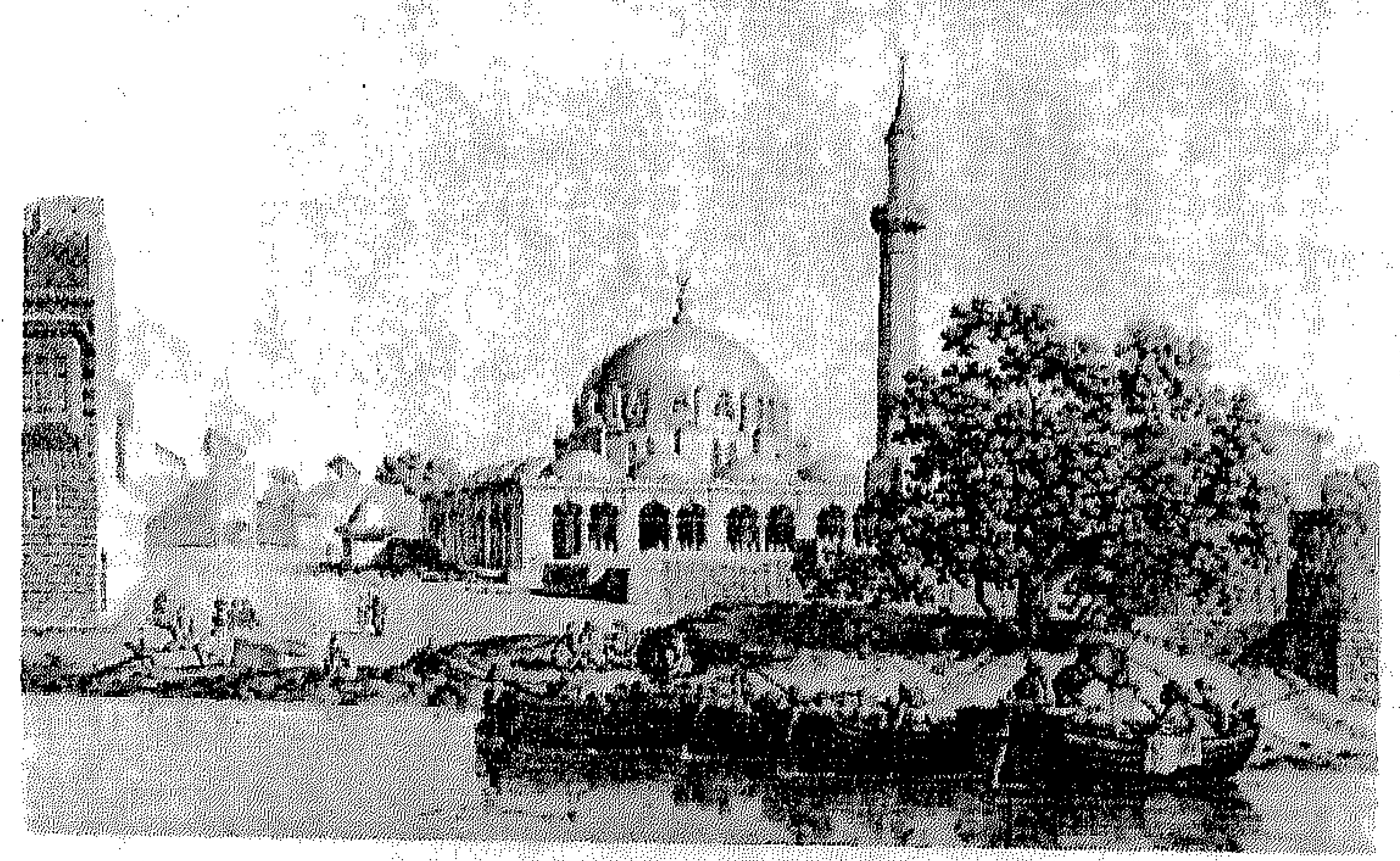
باب المسجد الرئيسى مكسو بالرخام، وقد كتب على جانبيه: «بسم الله الرحمن الرحيم» (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك سيدنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباى عز نصره).

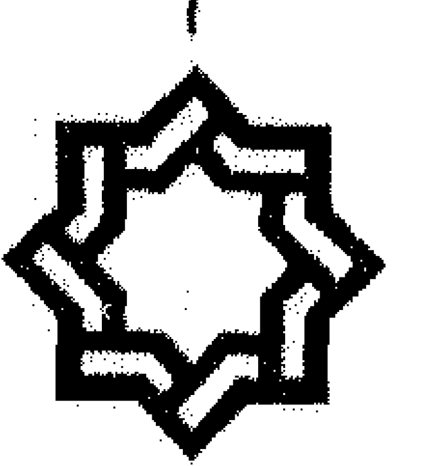
يعلو باب المسجد عتب رخامى مزخرف على هيئة شرفات بيضاء وسوداء يحيط به إفريز رخامى ملون، كما يوجد به دائرتان مكتوب عليهما: (عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباى عز نصره)

يعلو الدائرتين سطر مكتوب فيه تاريخ الانتهاء من بناء المسجد، على يسار الباب منارة رشيقة والمسجد مربع طول ضلعه (٣٨٤ مترا) ومساحته (١٤٧٤ مترا) ويتكون من أربعة إيوانات بوسطها صحن مكشوف أكبرها الإيوان الشرقى.



يقع فى شارع جامع السنانية (بوكالة البلح)
أنشأه سنَان أحد ولاة مصر فى العصر العثمانى سنة ٩٧٩.
ويتكون من قاعة واسعة تعلوها قبة شاهقة.. ويتكون سقفها من قبوات صغيرة محمولة على عقود محمولة على عُمُد رخامية.. وأقيمت مئذنة المسجد فى الطرف الشرقى المقابل للواجهة، وقبة المسجد ضخمة حُلّيت من الداخل والخارج بشبابيك من الجص ذى الزجاج الملون، ومحراب المسجد من الرخام الدقيق الصُّنْع يجاوره منبر من الخشب المشغول الفريد فى زخرفته.

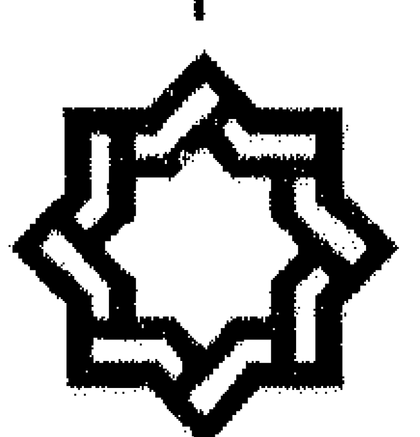




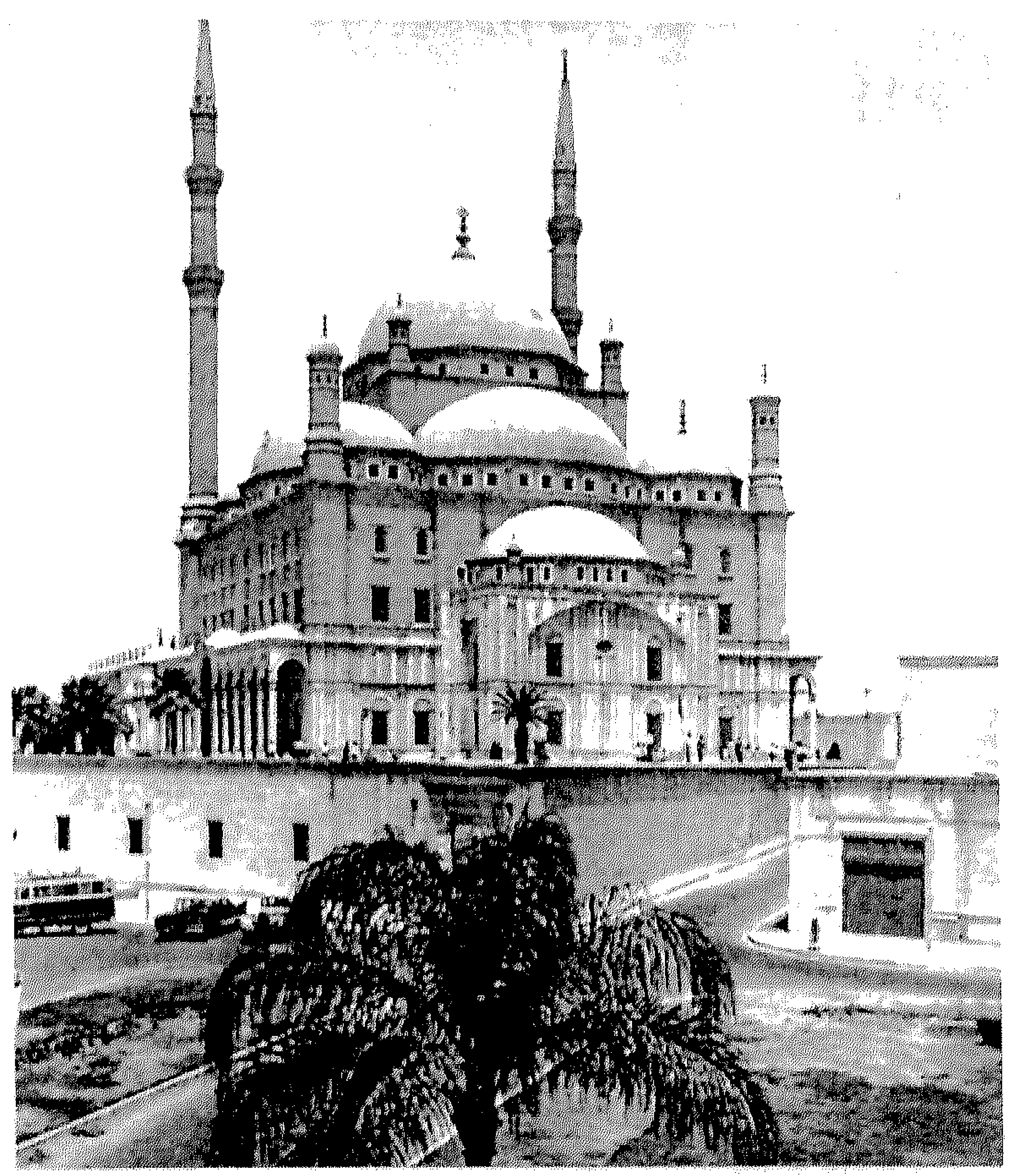
مسجد سنان باشا بولاق

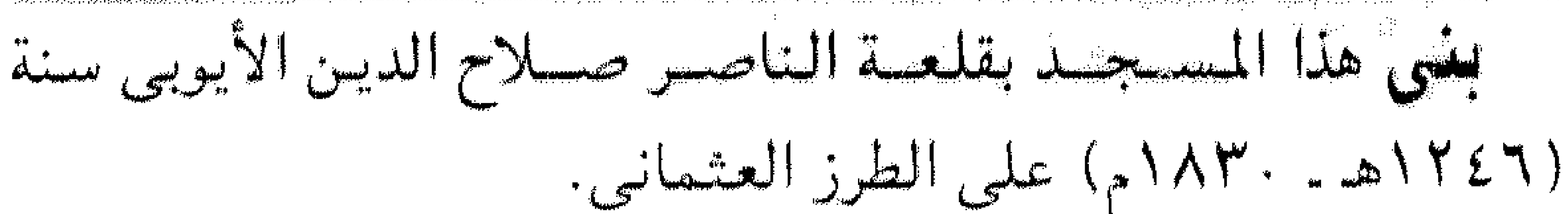
روضة أبى منصور إسماعيل - القاهرة

أثر إسلامى فريد فى الطريق إلى مسجد الإمام الشافعى أو هو عبارة عن مسجد صغير ومصلى أنيق بناه القائد الأيوبى (أبو منصور إسماعيل بن ثعلب) سنة (١٢١٦م) فى عصر بقيت لنا منه آثار معمارية قليلة.
ومحراب المصلى مزين بكتابة على الخشب فيها اسم صاحب الضريح وتاريخ إنشائه.. نصفه معروض الآن فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة والنصف الآخر موجود فى متحفى فكتوريا وألبرت فى لندن.



مسجد محمد على باشا بالقاهرة

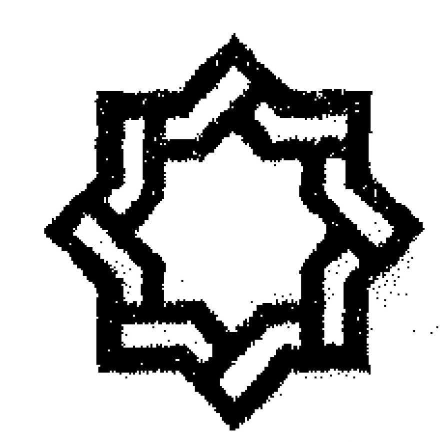




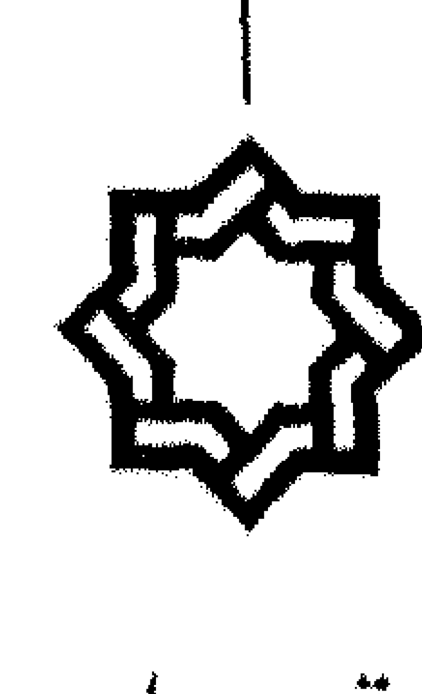
بنى هذا المسجد بقلعة الناصر صلاح الدين الأيوبى سنة (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) على الطرز العثمانى.

يتكون المسجد من رواق الصلاة المربع الشكل تعلوه قبة يحيط بها من الجهات الأربع أنصاف قباب، وللمسجد مئذنتان رفيعتان يبلغ ارتفاعهما (٨٤ مترا).

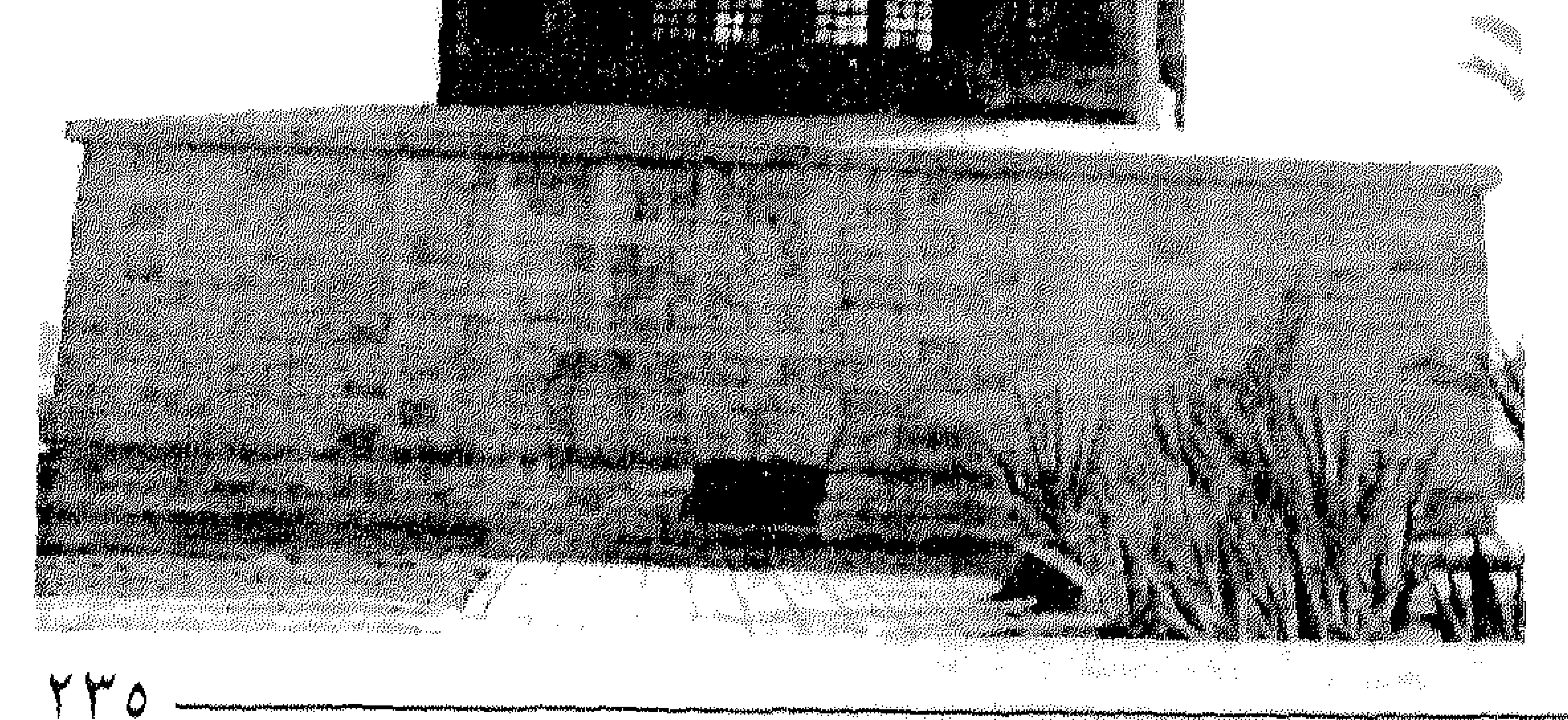
فى الجدار الغربى للمسجد برج الساعة المهداة من لويس فيليب ملك فرنسا، ومن صحن المسجد يمكن مشاهدة القاهرة والنيل والأهرامات فى الأفق البعيد، ويطلق على مسجد محمد على اسم المسجد المرمرى لاستخدام رخام المرمر فى كسوة جدرانه من الخارج والداخل وفى صحن المسجد.

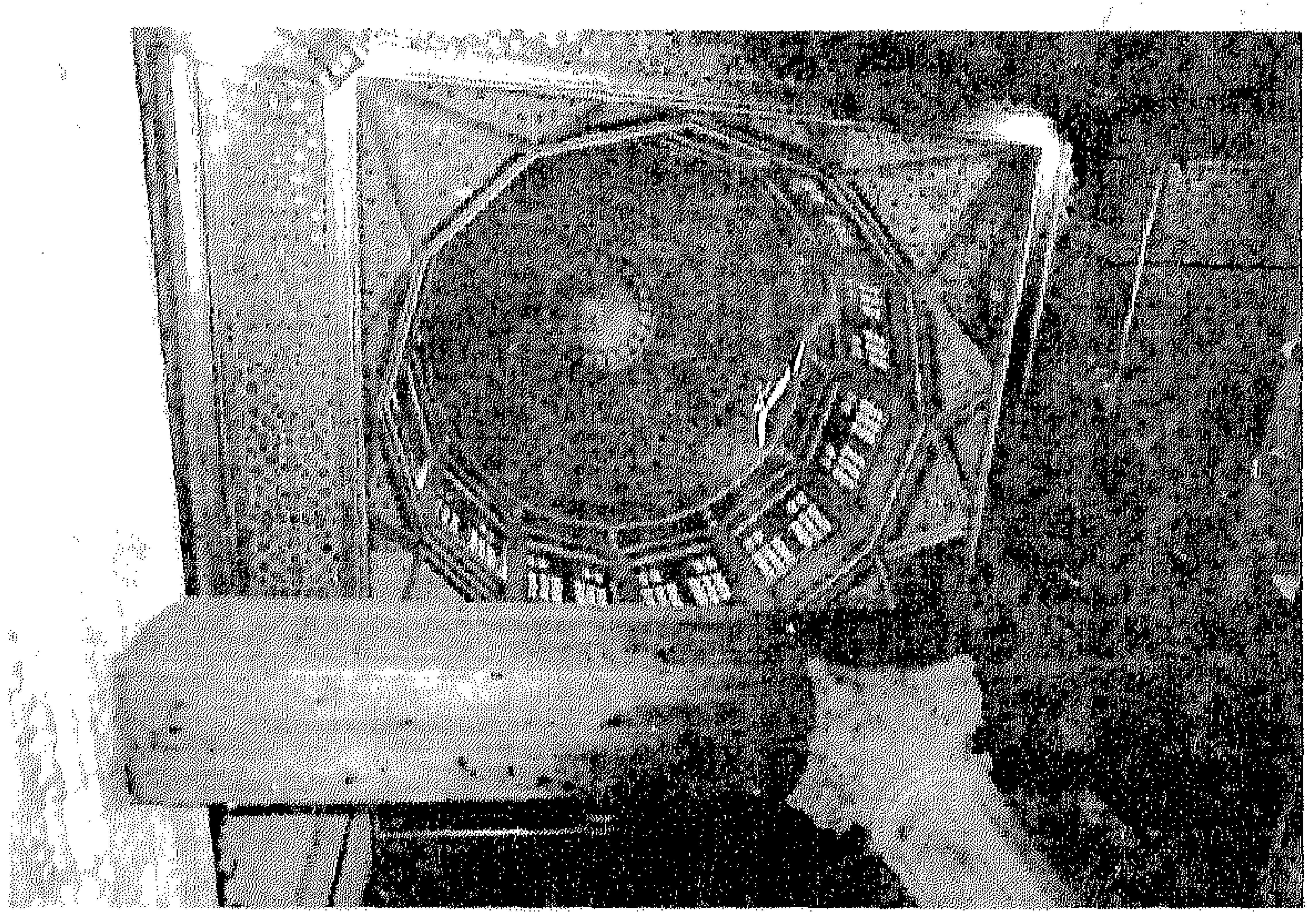


أنشئ مقياس الروضة الموجود حتى الآن قبلى جزيرة الروضة فى عهد الخليفة المتوكل على الله العباسى سنة (٢٤٧ هجرية) (٨٦١ ميلادية)، ويتكون من عمود رخامى مدرج يتوسط بئرا مربعة من الحجر مساحتها (١٦,٢٠ مترا مربعا)، وبها درج يوصل إلى القاع، ويتصل المقياس بالنيل بواسطة ثلاث فتحات تجرى بالقرب من القاع.



مقياس النيل بالروضة





مقياس النيل

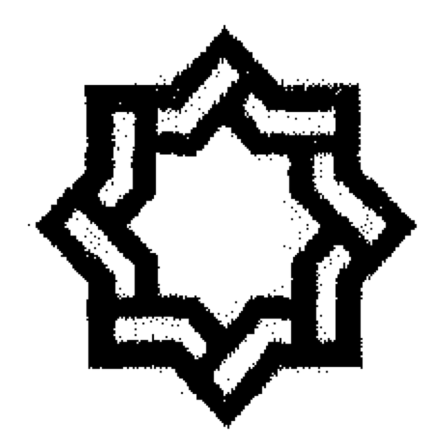
وهى على شكل عقود مدببة، ترتكز على أعمدة متصلة ذات تيجان كورنثية، وقواعد رومانية مقلوبة وزخرفت جدران البئر من الداخل وفوق عقوده آيات قرآنية مكتوبة بالخط الكوفى، وتعتبر هذه الكتابات أقدم أمثلة للكتابة الكوفية المؤرخة على الآثار فى مصر الإسلامية، كما أن العقود المدببة تعتبر أيضا أقدم أمثلة من هذا النوع فى مصر، وفى سنة ١٩٢٥م حدث هبوط فى عمود المقياس بلغ ستة سنتيمترات فقامت لجنة حفظ الآثار العربية بالتعاون مع تفتيش رى الجيزة ومصلحة المبانى باتخاذ الاحتياطات الهندسية لإيقاف هذا الهبوط ونجحوا فى ذلك، وتم كذلك إقامة غطاء هرمى الشكل للمقياس من الخارج وبعض الإصلاحات والترميمات من الداخل تحت إشراف هيئة الآثار المصرية.

ويبلغ طول عمود المقياس المثمن الشكل (٩,١٨) مترا (حوالى ١٦ ذراعاً)، والعمود مقسم إلى خطوط عرضية المسافة بين كل خطين (٥٤) سنتيمتراً تقريباً.

وتعرضت قبة المقياس الأصلية التى تم تجديدها سنة (١٩٣٧) لاعتداءات جنود الحملة الفرنسية على مصر.

ويقع مقياس الروضة بالقرب من أقدم جامع فى مصر (جامع عمرو بن العاص) فى الفسطاط عند الزاوية الجنوبية لجزيرة الروضة، وكان يستدل به على ارتفاع منسوب مياه النيل.

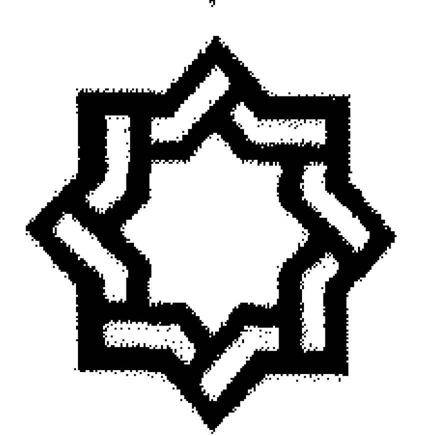
ويعتبر مقياس النيل بالروضة أقدم آثار العصر العباسى فى مصر وأجملها.



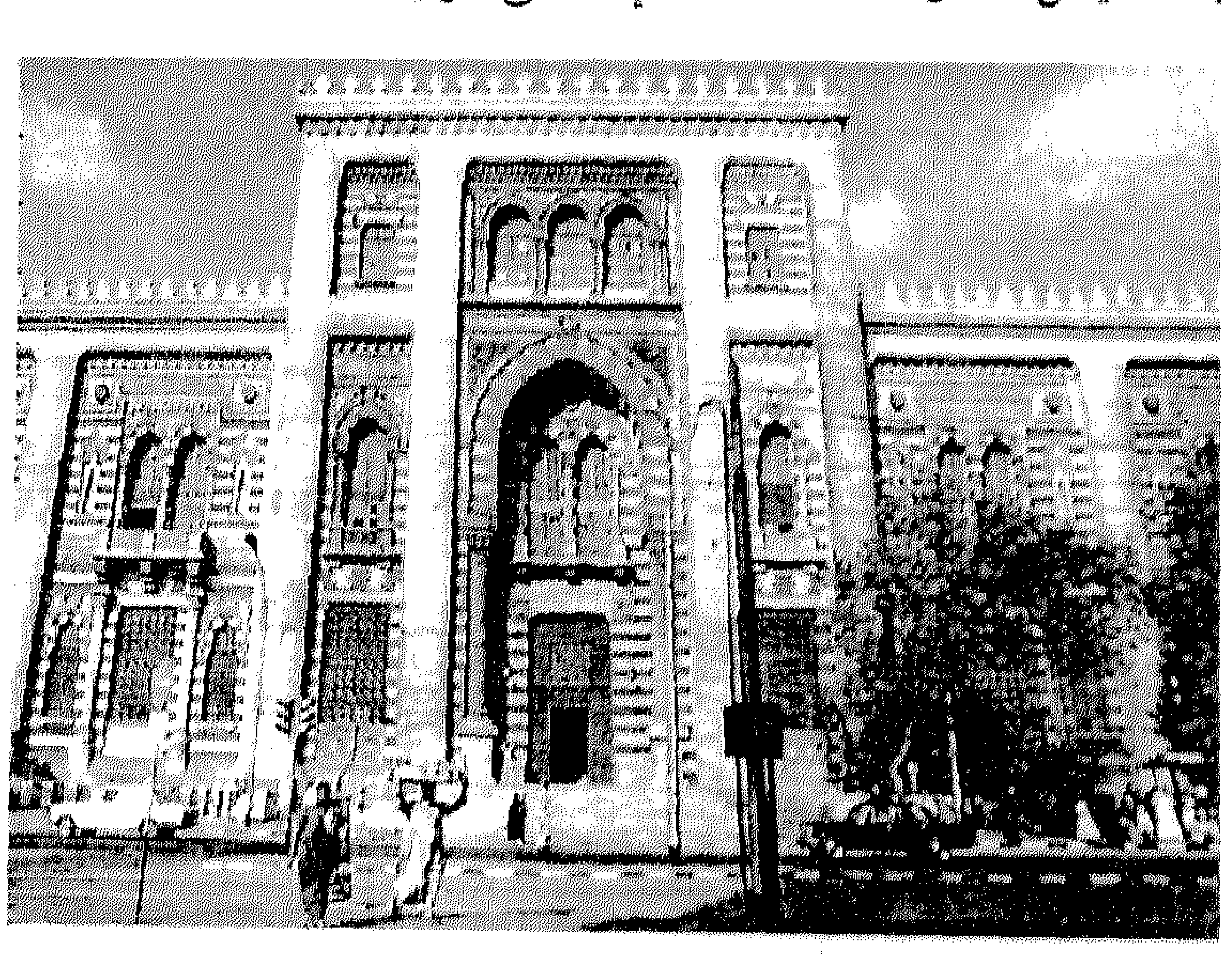
يقع متحف الفن الإسلامى بميدان أحمد ماهر بباب الخلق بالقاهرة، فى نفس مبنى دار الكتب الملكية القديمة، ويعتبر هذا المتحف من أغنى المتاحف العالمية على الإطلاق بالتحف الإسلامية، والتى تمثل الفنون العربية الإسلامية والفنون الفارسية والهندية والتركية الإسلامية.

تمثل بدائع هذا المتحف المعروضة التراث الفنى الإسلامى بدءا بظهور الإسلام وحتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، ولهذا السبب تغيير اسم المتحف من دار الآثار العربية إلى اسمه الحالى متحف الفن الإسلامى.

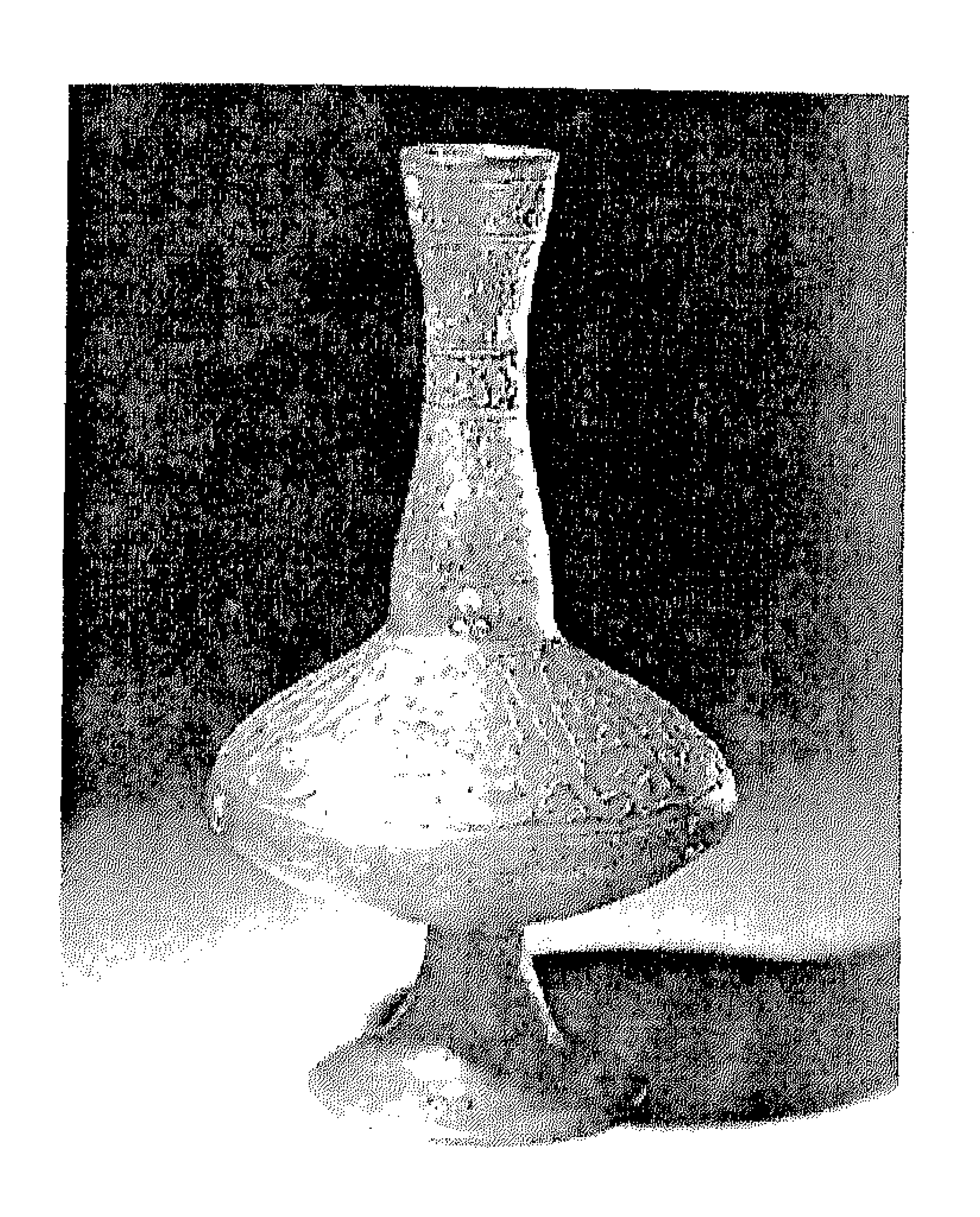
بدأت فكرة إنشاء متحف الفن الإسلامى سنة (١٨٦٩) حينما اقترح المهندس الإنجليزى (سالزمان) على خديوى مصر إسماعيل باشا إنشاء متحف للآثار الإسلامية يضم ما تيسر من المساجد من تحف وآثار، ولكن ظلت الفكرة معطلة حتى عهد خديوى مصر توفيق باشا، الذى أصدر مرسوماً بتكليف وزارة الأوقاف المصرية بتخصيص مكان لذلك المتحف الإسلامى الوليد.



متحف الفن الإسلامى



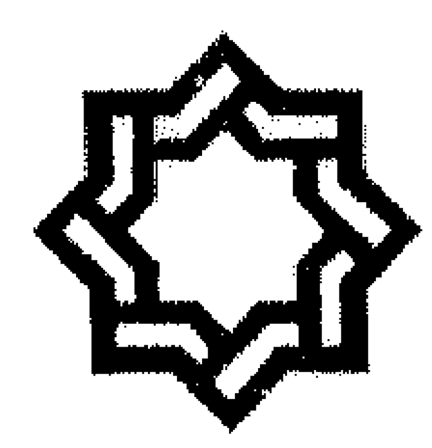




طبق وإبريق من
مقتنيات المتحف
الإسلامى

أقيم المتحف أول الأمر فى رواق من أروقة جامع الحاكم بأمر الله الذى يقع فى نهاية شارع المعز لدين الله الفاطمى من جهة بابى النصر والفتوح، وعرف المتحف فى ذلك الوقت باسم دار الآثار العربية، ولم يطرأ على المتحف أى تطوير يذكر إلاّ فى سنة (١٨٨١) حينما أشرفت عليه لجنة حفظ الآثار العربية فتم نقل مقتنيات المتحف من جامع الحاكم بأمر الله إلى مبناه الحالى بميدان باب الخلق.

تم افتتاح المتحف رسمياً فى ٢٨ ديسمبر سنة (١٩٠٣) فى مبناه الحالى، ولقد تولى مسئولية الإشراف عليه (فرانتز باشا) فى الفترة من (١٨٨١ حتى ١٨٨٧)، وتولى (ماكس هيرتز) إدارة المتحف فى سنة (١٩٠١)، وكان الأستاذ على بهجت الذى تولى إدارة المتحف فى يناير (١٩١٥) أول مصرى يكلف بهذه المسئولية الكبيرة، واتسع نشاط المتحف الإسلامى فى وقت «على بهجت» فشمل الكشف والتنقيب عن التراث الفنى الإسلامى، والمحافظة عليه، والنشر عنه، ونشطت حركة التنقيب والحفائر فى المواقع التى ترتبط بعواصم مصر الإسلامية الأربعة: الفسطاط، والعسكر، والقطائع، والقاهرة.





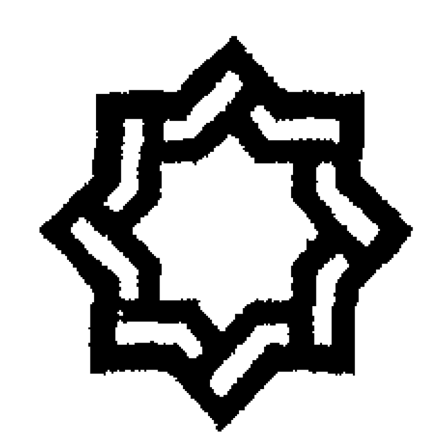
المتحف الإسلامى

فى الطابق الأول من مبنى دار الكتب المصرية بميدان باب الخلق، تم عرض مقتنيات متحف الفن الإسلامى فى ثلاث وعشرين قاعة، روعى فى عرضها تقسيم القاعات طبقا للتسلسل الفنى التاريخى بداية من الطراز الأموى فالعباسى (إخشيدى وطولونى)، فالفاطمى والأيوبىّ فالمملوكى (بحرى وجركسى) ثم العثمانى، وتخصيص قاعات للأخشاب، والمعادن، والأسلحة التاريخية، والخزف، والنسيج، والزجاج، والمحاضرات، والحق ظل المتحف الإسلامى لفترات طويلة دون تغيير يذكر فى قاعاته وأساليب العرض، ووصل إلى الحالة التى عانى فيها من ضعف الإمكانيات المادية، فكثرت القطع المخزنة بالمخازن، وأُهْمِلَتْ وتعرضت للتلف، وعانى المتحف من التكدس، وتقدم الكثير من أبناء المتحف بمقترحات لتطويره ووضعه على مصاف المتاحف العالمية وبشكل يليق به وما يحويه من كنوز، وتقدمت هيئات عالمية بمشروعات لتطوير المتحف، وكانت ضآلة الاعتمادات المالية كفيلة بوقف أى اقتراحات من شأنها رفع المستوى المتحفى.

وفى عهد رئاسة الدكتور أحمد قدرى لهيئة الآثار المصرية نال المتحف الإسلامى عناية الهيئة، فوضعت أفكار تطويره فى مقدمة الاهتمامات، فزادت مساحته، وأضيفت قاعات جديدة لقاعاته، واستحدثت وسائل العرض، وشكل بطاقات الشرح، واستهدفت مرحلة التطوير الأولى التى بدأت فى النصف الثانى من سنة (١٩٨٢) إعداد المتحف وتهيئته، ليكون مركزاً للجذب الثقافى والسياحى.

فى إطار أعمال تطوير المتحف تم ضم الجزء الذى كانت تشغله مطبعة دار الكتب المصرية للمتحف، وتم الاستفادة من هذه المساحة، فخصصت القاعة العلوية الكبرى لعرض النسيج والسجاد بأحدث وسائل العرض العالمية، وتم إعداد بطاقات وصف للأثر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، وطورت مكتبة المتحف فزادت مساحتها، وأعدت قاعة كبيرة على يسار المدخل الشمالى للاطلاع والمحاضرات، وألحق بالمتحف فى الجزء المضاف من مكان المطبعة قسم للترميم وقسم للتنوير، وأضيفت قاعة جديدة لعرض العملات الأثرية والموازين والمكاييل والأنواط والأوسمة.

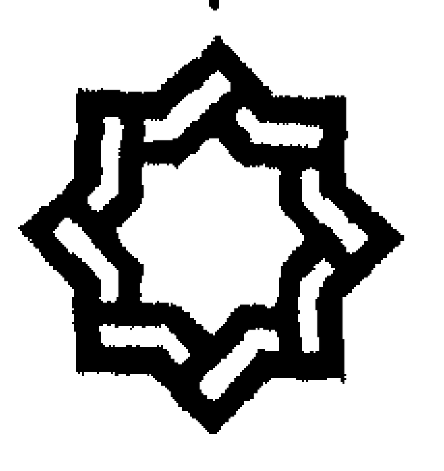
وفى إطار مشروع تطوير المتحف تم إضافة مساحة (١٠٧٠ متراً مربعاً) إلى المتحف كانت تشغلها محطة نفط كانت تقع فى مواجهة مدخل المتحف، وكانت تمثل تهديداً مستمراً لأمن المتحف وآثاره، وتحولت أرض هذه المحطة إلى حديقة أثرية إسلامية للعرض المفتوح، ضمت العشرات من القطع المناسبة من الأعمدة والتيجان وأعمال النحت الحجرى والرخام الإسلامى، وفى وسط الحديقة المتحفية نافورة جميلة تم ترميمها وتشغيلها، وسبيل تركى، وجزء من مدخل جامع مملوكى، أعيد ترميمه وتجميعه من مخازن مسجد السلطان حسن.



من قصور القاهرة الإسلامية الفريدة فى تصميمها وزخارفها ونقوشها وأثاثاتها قصر الأمير محمد على باشا ولى عهد مصر.. وابن عم ملك مصر السابق فاروق الأول وابن خديوى مصر توفيق باشا.

استوحى الأمير محمد على توفيق تصميم قصره من الطرز الإسلامية المعمارية الفاطمية والأيوبية والمملوكية والفارسية والشامية والمغربية، ومن المعروف أن الأمير محمد على قد قام بتصميم قصره ووضع رسومه الهندسية بنفسه، ويعتبر القصر بحق مدرسة فنية إسلامية جامعة.

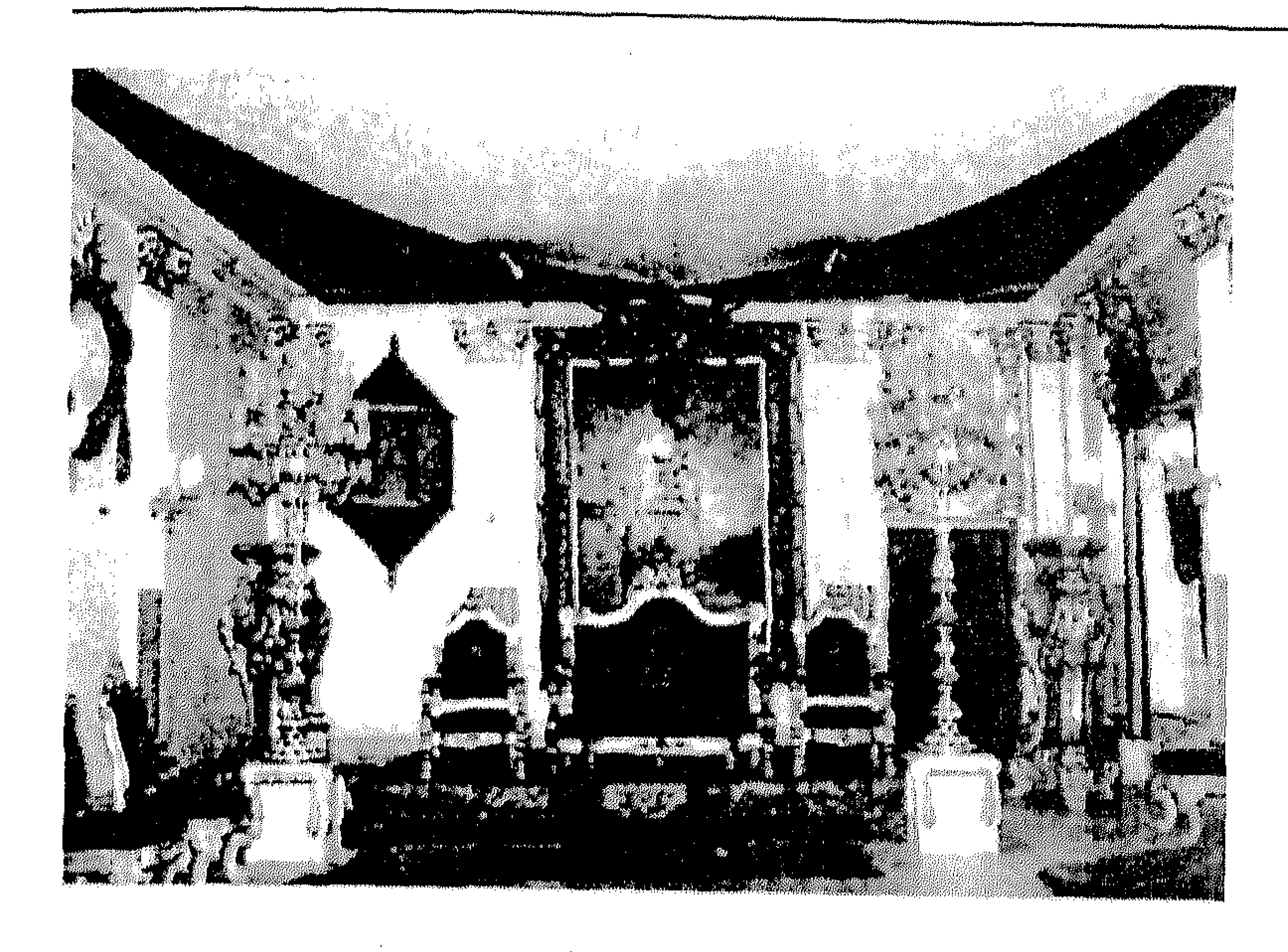
يتكون قصر محمد على باشا الذى ولد بالقاهرة سنة (١٨٧٥)، وتوفى خارج مصر سنة (١٩٥٤) من خمسة مبان أقيمت فى أماكن متفرقة من حديقة القصر.. وسراى الاستقبال بالقصر التى أعدت لاستقبال زوار الأمير محمد على باشا تحفة معمارية وزخرفية بكل المقاييس الفنية، وسلم الصعود إلى طابق السراى العلوى دَرابْزِين السلم الخشبى المخروط بعناصر زخرفية دقيقة آية من آيات الفن والجمال.



متحف قصر المنيل

تشير اللوحات الرخامية على جدران مدخل مسجد القصر إلى تاريخ بنائه، وأسماء الفنانين والملاحظين والعمال الذين شاركوا فى تأسيسه، وينقسم مسجد قصر الأمير محمد على باشا من الداخل إلى إيوانين متداخلين يفصل بينهما عمودان من الرخام، وسقف الجزء الشرقى من المسجد الذى زين بكتابات خطية جميلة آية فنية رائعة، تعكس المستوى الفنى الممتاز الذى وصل إليه الفنان المصرى المسلم.

زينت قبلة مسجد قصر الأمير محمد على ذات الإطار الخارجى



إحدى قاعات
قصر المنيل

الجميل بمقرنصات من الخشب المنقوش بزخارف وكتابات قرآنية مذهبة.

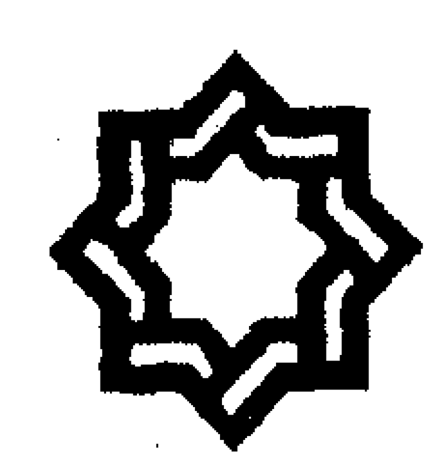
وتتكون مئذنة مسجد قصر الأمير محمد على باشا من كتلة مربعة الشكل صُمِّمَتْ على هيئة المآذن المغربية التى استوحت نمط الأبراج الشامية قبل الإسلام.

اشترى الأمير محمد على باشا أرض القصر من أحد الأجانب سنة (١٩٠١)، وشرع فى بنائه على سنوات، راح خلالها يدخل عليه الكثير من التعديلات والتحسينات حتى صار على شكله الحالى سنة (١٩٢٩).

(وذكر البرنس محمد على باشا توفيق فى مذكراته أن هذا القصر يجمع أفخر الفنون والصناعات الإسلامية من شتى العصور والأجيال، وسيبقى نموذجاً للأجيال القادمة).

يقع قصر محمد على باشا توفيق فى حى المنيل بالقاهرة على فرع النيل الشرقى، وتبلغ مساحته الكلية (٦١٧١١ مترا مربعا)، ويضم القصر بالإضافة إلى سراى الاستقبال، سراى الإقامة التى تمثل السكن الخاص للبرنس محمد على باشا.

ويضم قصر محمد على باشا فى المنيل تحفاً فنية وتاريخية فريدة، وأوانى نادرة، وسجاجيد جميلة، وفى صدر متحف القصر صور تذكارية نادرة لكل أسرة محمد على المالكة المعروفة باسم الأسرة العلوية نسبة إلى مؤسسها محمد على باشا الكبير والى مصر.أقيم سور القصر الذى يحيط بمنشآت القصر على نفس النمط المعمارى لأسوار مدينة الفسطاط القديمة وأسوار قلعة صلاح الدين، وقد كان لترتيب الكسوة الحجرية

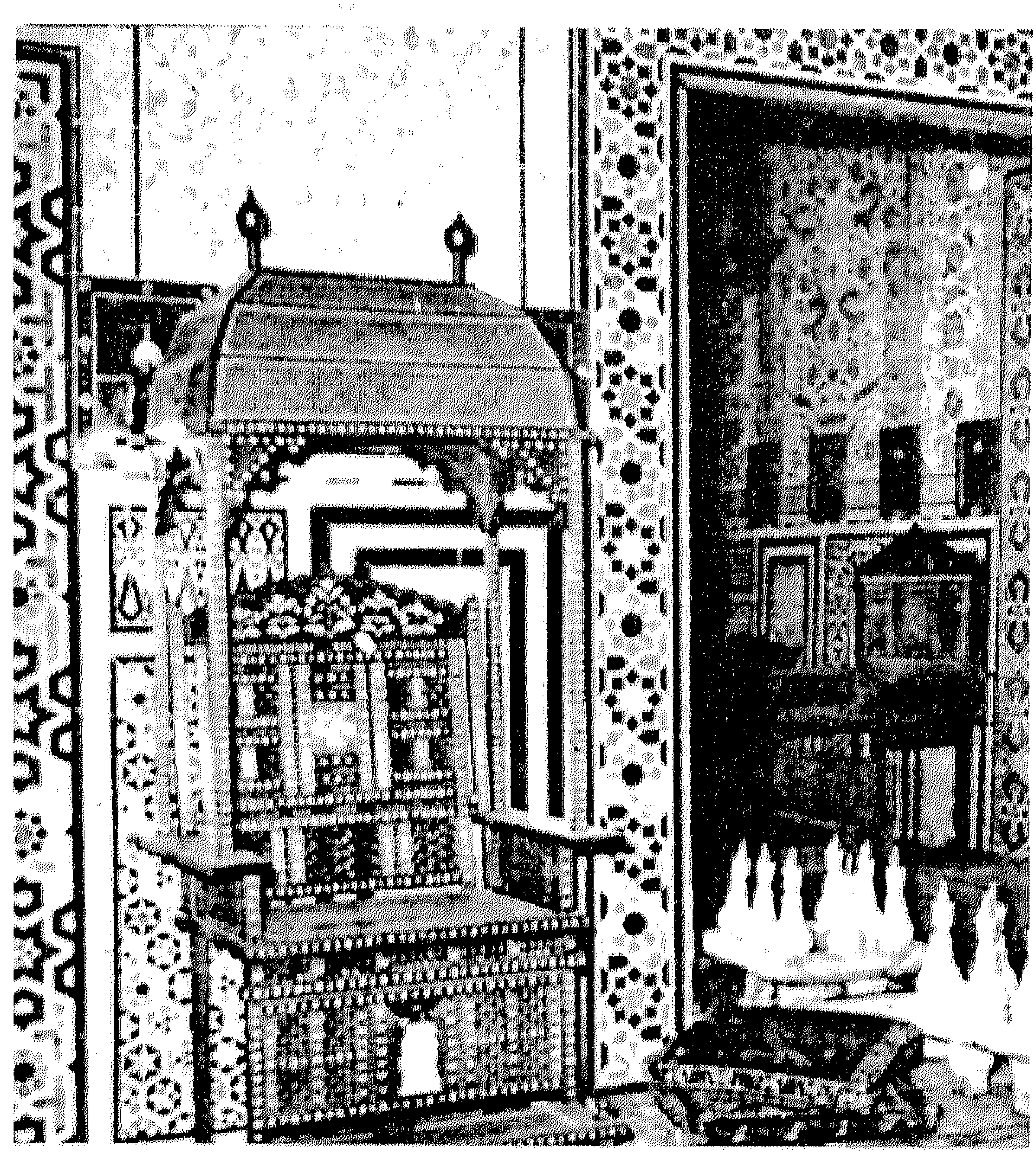


والزنكات ذات الكلمات الدينية والماشكوليات فى واجهة القصر البحرية تأثير جميل أكسب سور القصر مظهر الفخامة والقوة، وفى واجهة مدخل القصر شرفة متوسطة الفتحة تحتها لوحة حجرية نقش عليها: «أنشأ هذا القصر الأمير محمد على باشا نجل المغفور له الخديوى محمد توفيق إحياء للفنون الإسلامية وإجلالاً لها» وتصميم بوابة القصر فريد فى نوعه، فالفتحة الكبيرة عبارة عن عقد على هيئة حدوة الفرس، وبوابة القصر الخشبية الشديدة الصلابة مصممة من ضلفتين كبيرتين مصفحتين بالنحاس الأصفر المؤكسد المزخرف فى أشكال هندسية إسلامية غاية فى الدقة والجمال على شكل فروع نباتية وحليات بارزة على الطراز المملوكى.

ومن أقسام طابق القصر العلوى الفخمة (الصالون المغربى) الذى يقع فى الجهة الغربية من الطابق العلوى وهو متسع المساحة صُمِّمَ على الطراز المغربى، وسقف الصالون المغطى بسدائب خشبية بأشكال نجمية هندسية تعلوها أرضية من المرايا، وتتوسطها قبة بها عدد من المقرنصات أو الدلايات، وتتوسط السقف ثُرَيا من النحاس المفرغ مضلعة الشكل، وحول الثريا أربع مشكاوات كروية من الزجاج بعضها يحمل زخارف وكتابات ملونة.. وجدران هذا الصالون مكسوة ببلاطات مربعة صغيرة ملونة من القاشانى من النوع الذى كان مستعملا فى بلاد المغرب، وفى أعلى الجدران من الناحية الغربية والجنوبية أربعة عشر شباكا من الجص والزجاج الملون المصرى الصنع.

ومن صالونات القصر العلوية الصالون الأثرى المنقول من مدينة دمشق، وجميع أجزاء هذا الصالون أثرية قديمة، وهى من مقتنيات قصور مدينة دمشق القديمة.

وسراى العرض فى قصر الأمير محمد على باشا توفيق، مصممة على نفس الطراز المعمارى للمبانى الموجودة على ضفاف السفور المعروفة بالكشك، وتتكون سراى العرش من دورين الأرضى ويشمل قاعة العرش، والعلوى ويشمل الحجرة الفرنسية، وصالون القيشانى وصالون الخشب.. وتضم قاعة العرش عددا من الصور الكبيرة الملونة لحكام مصر من أسرة محمد على باشا الكبير، ومدخل قاعة العرش يتكون من باب من الخشب فى أعلاه آية مكتوبة بالخط الثلث {فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين} وزخارف، سقف قاعة العرش على هيئة قرص الشمس تنتشر منها أشعة ذهبية بطول القاعة وعرضها.



قاعة الحفلات
الكبرى بقصر
الوصاية القائم فى
حديقة قصر المنيل
على الطراز
الإسلامى التركى

وَنُفِّذَتْ هذه الزخارف بالخشب المذهب على طرز الفن التركى العثمانى، والجدار الأيسر بقاعة العرش يزدان بصور زيتية كبيرة تمثل حكام مصر من الأسرة العلوية.



المواقع والمزارات الدينية التى ترتبط برحلة قدوم آل بيت الرسول ﷺ إلى مصر

تقع فى إطار مـركـز «أبو حـمّـاد» بمحـافظة الشـرقـيـة، التى أكسبتها ظروفها الجغرافية،وموقعها الهام مكانة فريدة على امتداد التـاريخ القديم والحديث، وتمثل الشرقيـة البـاب الشرقى لمصر، الذى اجتازه الغزاة عبر التاريخ منذ أيام الهكسوس، ولقد حظيت الشرقية بمكانة دينية خاصة نظراً لقربها من غرب آسيا مهبط الوحى ومراكز النبوة.

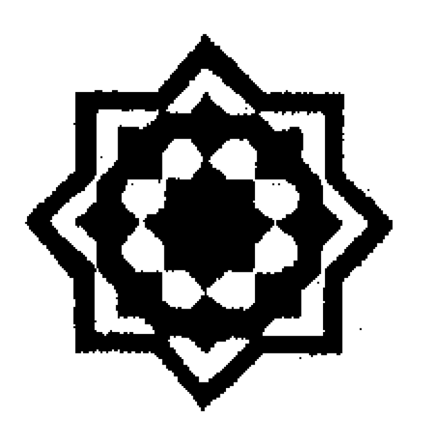
ومن الأرجح أن قصة سيدنا إبراهيـم ـ عليه السلام ـ دارت على أرض الشرقـيـة، ومن الثـابت تاريخيـاً أن سيـدنا موسى عليـه السلام ولد بالشرقية، ونشأ فى صان الحجر أو بالقرب منها.

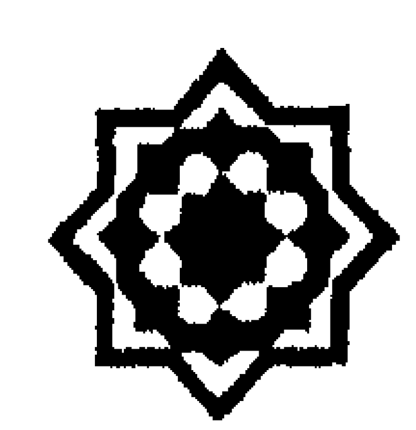
ومن المُسلّم به أن سيدنا يوسف عليه السلام عاش فى إقليم صان الحجر أيضاً، وأن أهله عـاشـوا على أرض جاشان التى تقع الآن بين (بلبيس) و (الزقازيق).

وكـانت الشـرقـيـة فى شرف استـقبـال الرعيـل الأول مـن المسلمين بقيـادة عمرو بن العـاص، الذى اتخذ من بلبيس مقراً حربياً له، وهو فى طريقه المقدس لفتح مصر.

وكانت أراضى الشرقية هى المحل المفضل الذى اختارته الهجرات العربيـة التى استمرت حتى القرن الثالث عشر الميلادى، ومن أشهر القبائل العربية التى تعيش على أرض الشرقية الآن قبائل:

الطحـاويـة، والهناوى، والنقـبـعـات، والطمـبـلات، والعـبـابدة، والسماعنة.





إذا كانت السيدة زينب، رضى الله عنها، هى أول من شرفت بها أرض مصر، فإن ضريحها يعتبر أقدم الأضرحة فى مصر.

أقيم ضريح السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ شمال دار مسلمة بن مخلد والى مصر عند قدومها المبارك إلى مصر، ومرت الأيام واندثرت الدار وبقى الضريح الطاهر.

أعيد تجديد الضريح فى عهد الخليفة أحمد بن طولون، وفى عهد المعز لدين الله الفاطمى الذى زود الضريح ببناء جليل.

أوقف الحاكم بأمر الله عدة ضياع على الضريح، وظل المشهد الزينبى محل عناية العهود التى تعاقبت على مصر بعد الفاطميين، فأعيد بناؤه أيام الأيوبيين والمماليك.

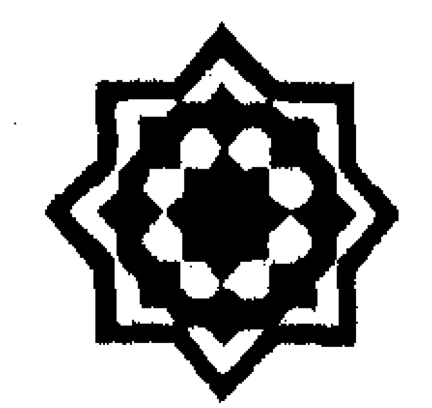
من أهم التجديدات التى لحقت الضريح ما أقامه الملك (العادل سيف الدين أبو بكر ابن أيوب) فى القرن (السادس الهجرى) والإصلاحات التى قام بها الشريف (فخر الدين ثعلب الجعفرى).

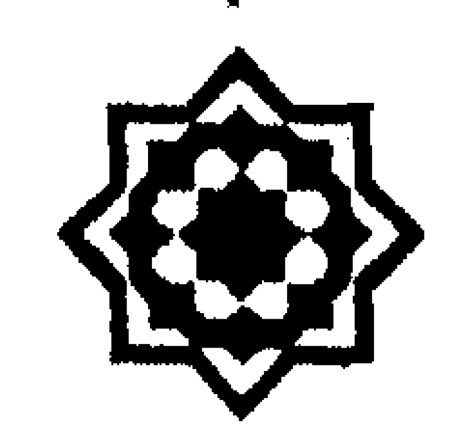
عُمِّرَ المسجد والضريح فى عهد الأمير على باشا الوزير والى مصر أيام العثمانيين، وأعاد الأمير عبد الرحمن كتخدا بناء المسجد، وشيّد أركانه وزوده بحوض للطهارة.

وَجُدِّدَتْ مقصورة الضريح الشريف فصنعت بالنحاس الأصفر، وزينت بكتابات خطية ما زالت موجودة حتى الآن نصها:

(ياسيدة زينب.. يابنت فاطمة الزهراء.. مددك)

أضيفت إلى المسجد بعد ذلك من الناحية الجنوبية مساحة جديدة بلغت حوالى (٢٥٠٠) متر مربع.





أقيم المشهد الحسينى فى نفس مكان (قصر الزُّمُرد) أكبر قصور الحكام الفاطميين فى مصر، وكان هذا القصر يمثل منطقة خان الخليلى كلها وعُرِفَ الحَىُّ الذى أقيم فيه المشهد الطاهر منذ هذا التاريخ بحَىِّ الحسين.

ويقول المقريزى: إن رأس الحسين، رضى الله عنه، قد نقلت من عسقلان إلى القاهرة يوم الأحد ٨ من جمادى الآخرة سنة (٥٤٧ هـ) ٣١ أغسطس (١١٥٣ ميلادية).

شبَّ حريق فى المسجد سنة (٦٤٠ هجرية) (١٢٤٢ ميلادية) فى عهد الصالح نجم الدين أيوب.

أنشأ أبو القاسم بن يحيى السكرى منارة تعلو الباب الأخضر على باب المشهد سنة (٦٣٤ هجرية) (١٢٣٧ ميلادية) استكملها ابنه من بعده، وهى عامرة بالزخارف والنقوش.

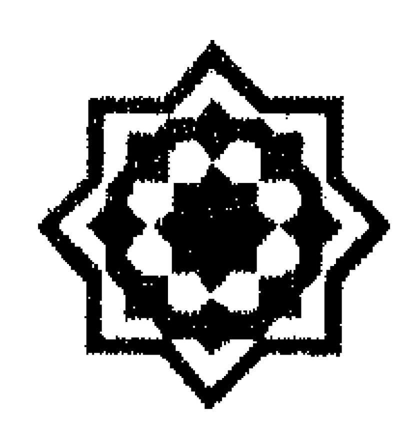
قام القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى بترميم المسجد.

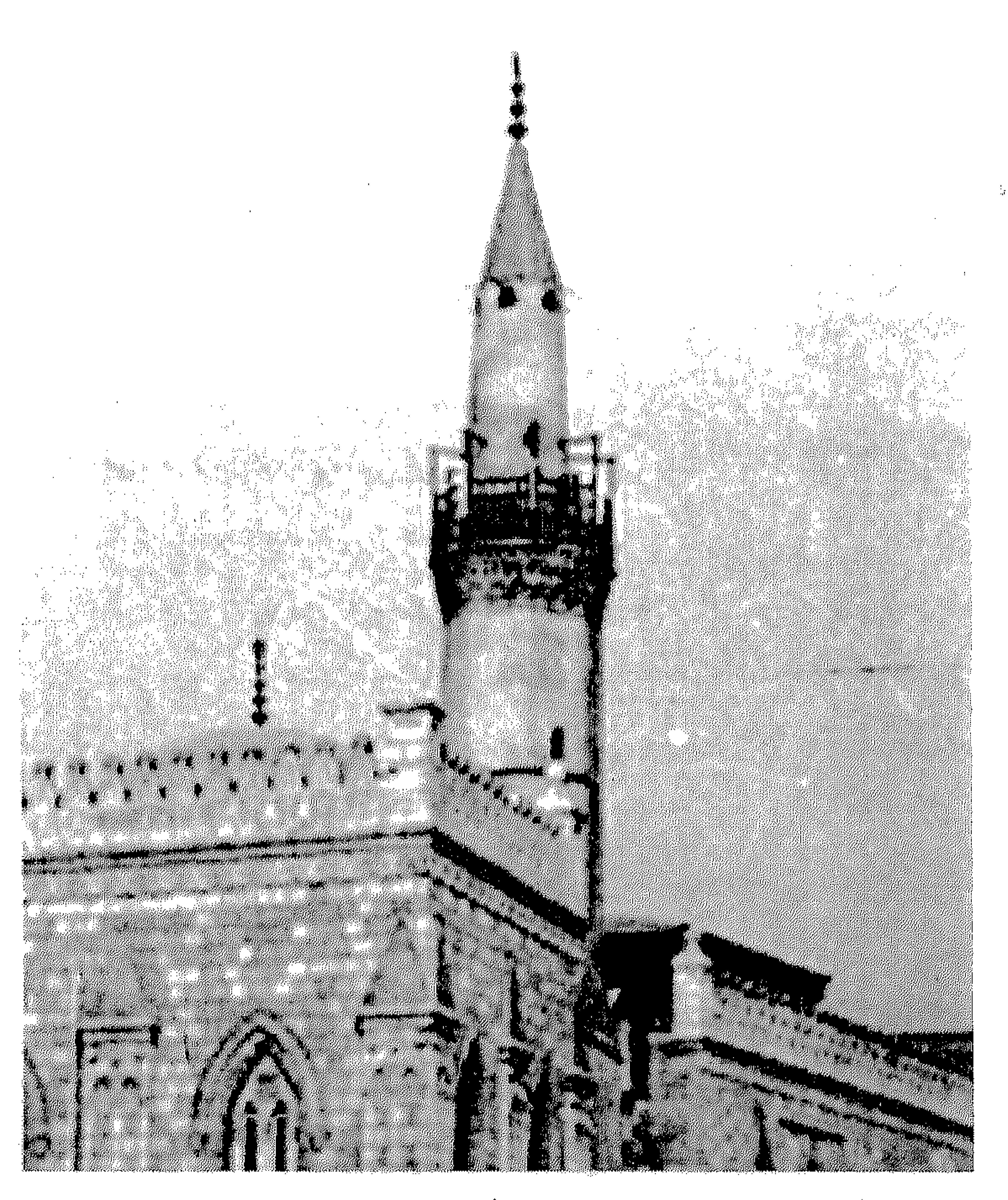
وأعيد تجديد المسجد فى عهد النَّاصر محمد بن قلاوون سنة (٦٨٤ هجرية) (١٢٨٥ ميلادية)، ثم أعيد تجديده فى العصر العثمانى فأمر السلطان سليم بتوسيع المسجد، فبنيت ثلاثة أبواب للمسجد من الرخام جهة خان الخليلى.

أمر السلطان العثمانى عبد العزيز بمناسبة زيارته للقاهرة بإعادة شاملة لبناء المسجد، فتم ذلك فى عهد الخديوى إسماعيل، واستمرت أعمال التجديد التى أشرف عليها (على باشا مبارك) عشر سنوات كاملة.

يضم المسجد غرفة تضم الآثار النبوية الشريفة:

- قطعة من قميص النبى ﷺ .
- مَكْحَلَة ومِرود وشعرات من لحية النبى (ﷺ).





مسجد
سيدنا الحسين

ـ قطعة من عصا الرسول الكريم.

ـ مصحفان شريفان أحدهما ينتسب إلى سيدنا عثمان بن عفان، رضى الله عنه، والآخر ينتسب إلى سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وكانت هذه الآثار الشريفة عند ابن إبراهيم فى يَنْبُع، واشتراها الوزير المصرى (تاج الدين) فى القرن السابع الهجرى، ثم نقلها إلى مصر، وبلغ من حرص المصريين على هذه المخلفات أن خصصوا من وظائف الدولة وظيفة شيخ الآثار النبوية.

نقلت الآثار النبوية الشريفة من أثر النبى إلى قبة الغورى، حيث ظلّت هناك أكثر من ثلاث سنوات، ثم نقلت إلى المسجد الزينبى ثم إلى القلعة، ثم نقلت بعد ذلك إلى سراى عابدين.. وانتقلت إلى مكانها الحالى بناءً على أوامر من الخديوى توفيق فى موكب كبير إلى المسجد يوم الخميس ٢٥ جمادى الآخرة سنة (١٣٠٥) هجرية.

أمر والى مصر من قبل الأمويين (عبد الله بن السرى بن الحكم). ببناء مقام السيدة نفيسة وبشكل يتناسب ومكانتها فى قلوب المصريين.

أعيد بناء المقام الطاهر فى عهد المنتصر بالله الفاطمى، ثم جُدِّدَ فى عهد الخليفة الفاطمى(الحافظ لدين الله)

وعلى باب الضريح لوحة رخامية كتب فيها:

{نصر من الله وفتح قريب} «أمر بإنشاء هذا المشهد النفيسى الشريف مولانا أمير المؤمنين فى ربيع آخر سنة (٤٨٢ هجرية) (١٠٨٩) ميلادية»

وظل المشهد محل عناية واهتمام كل الخلفاء الفاطميين بعد ذلك.

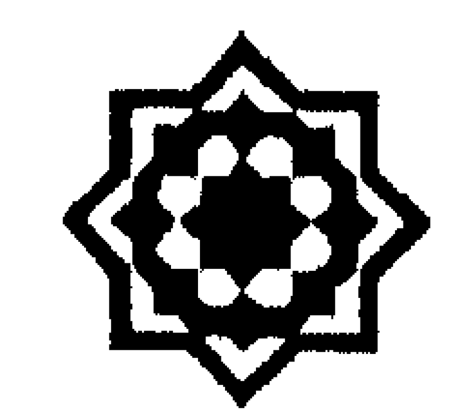
جدد الملك محمد بن قلاوون قبة الضريح، وأنشأ المسجد بجوارها سنة (٧١٤ هجرية) (١٣١٤ ميلادية).

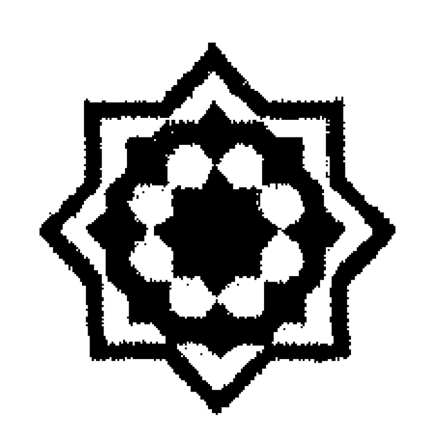
ويصف الرحالة المغربى (خالد البلوى) مشهد السيدة نفيسة فيقول:

«شاهدت المشهد العظيم، فرأيت مسجدا عظيما غاية فى الحسن فيه من الذهب وأنواع النحاس ما لا يحصيه العدد ولا يجمعه، وفى جدار قبلة المسجد باب بديع يؤدى إلى قبة عجيبة تتوقد ذهبا، وتتلألأ جمالا، وتحت القبة الضريح المبارك، وحوله الرخام البديع المجزع الغريب الترصيع وثريات الفضة والذهب».

أقام والى مصر (على باشا حكيم) بوابة على الساحة ـ الفضاء ـ أمام المسجد ما زالت موجودة حتى الآن وسط الميدان.

وقام الأمير عبد الرحمن كتخدا بإعادة بناء الضريح والمسجد، ثم جُدِّدَ الضريح والمسجد فى عهد خديوى مصر عباس حلمى الثانى





مسجد
السيدة نفيسة

سنة (١٣١٣ هجرية) (١٨٩٦ ميلادية)، وتم افتتاح هذه التجديدات فى احتفال مهيب حضره بالإضافة إلى الخديوى نفسه أمراء وأعيان مصر.

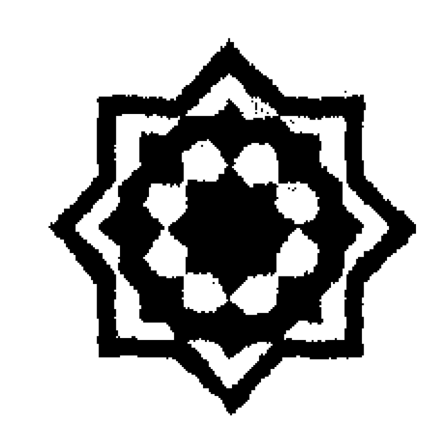
وتؤكد الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها:

«مساجد مصر وأولياء الله الصالحون».

أن مشهد ومسجد السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ أقيما فى نفس المكان الذى دفنت فيه السيدة نفيسة منذ حوالى (١٢) قرناً من الزمان.

ضريح على زين العابدين

(رضى الله عنه)



أقيم ضريح على زين العابدين فى حى الحمراء القصوى القديم ـ حى السيدة زينب وعابدين الآن ـ والمسجد الموجود حالياً حول الضريح يرجع إلى أوائل (القرن الثانى عشر الهجرى).

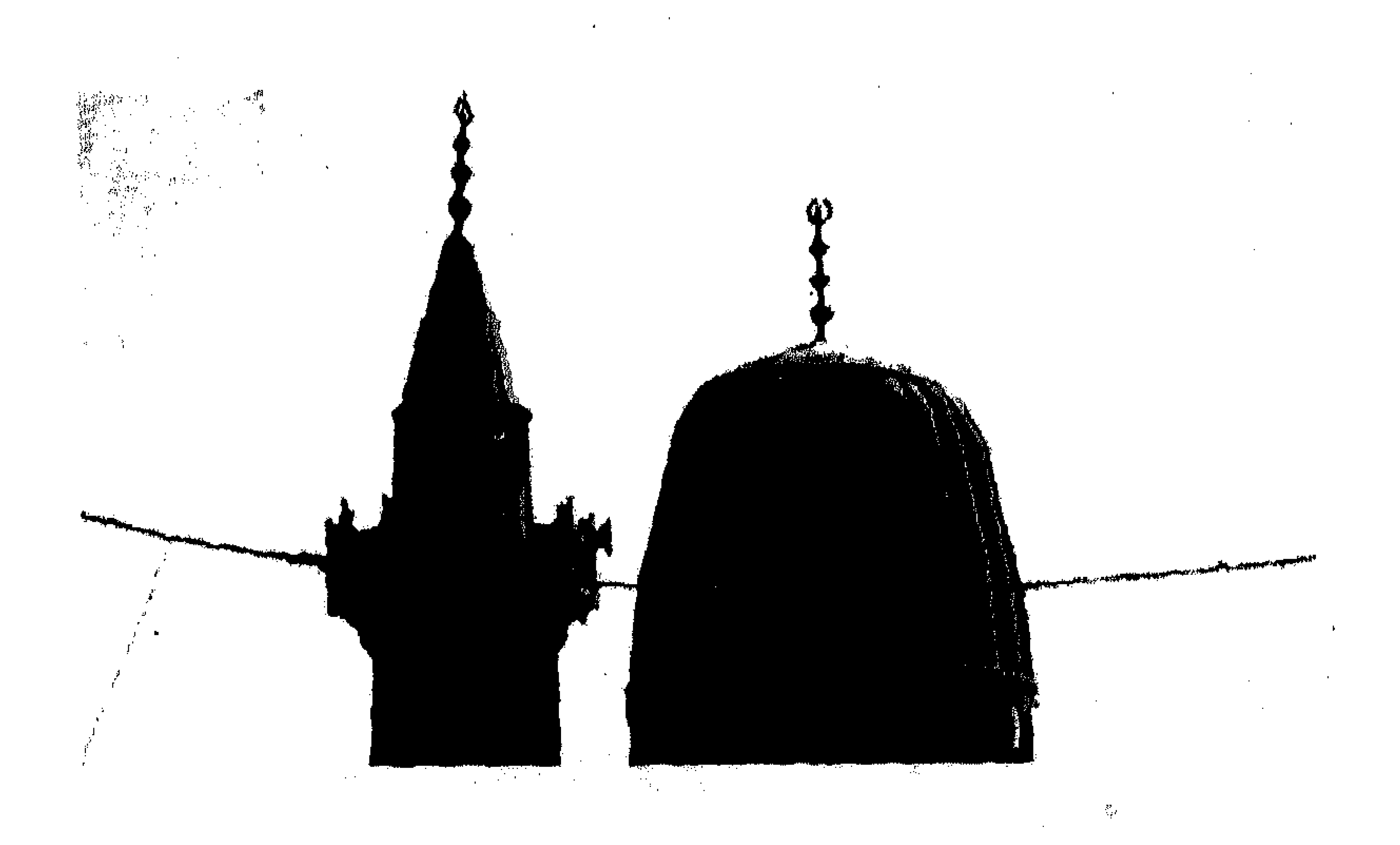
جدده وأعاد بناءه (عثمان أغا مُسْتَحْفظانْ)، وما زالت الطرقة الداخلية للضريح تضم بعض آثار العمارة الفاطمية.

على مدخل المسجد القديم لوحة تذكارية مثبتة بالواجهة الغربية كتب عليها (بسم الله الرحمن الرحيم هذا مشهد الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فى سنة (٥٤٩ هجرية) (١١٥٤ ميلادية)».

وقبة الضريح مملوكية الطراز ترجع إلى القرن الثامن الهجرى.

تعتبر مقصورة الضريح التى أنشأها محمد قفطان باشا نموذجاً رائعاً لصناعة الحديد المزخرفى.

ومازال ضريح على زين العابدين ـ رضى الله عنه ـ فى القاهرة يقف شامخاً فى الحيِّ العريق الذى يحمل اسمه الكريم.





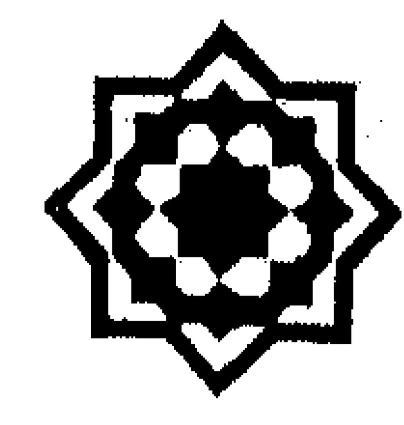
يحدثنا ابن بطوطة الذى زار مصر فى القرن (الثامن الهجرى) فى كتابه: (تحفة النُّظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) عن ضريح السيدة فاطمة النبوية ـ رضى الله عنها ـ فيقول:

كانت توجد أسفل القبر لوحتان من الرخام مكتوباً على إحداها بخط بديع (بسم الله الرحمن الرحيم، للّه العزّة والبقاء).

(وفى رسول الله أسوة، هذا قبر أم سَلَمَة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها)، ونقش على اللوح الآخر: (صنعه ابن أبى سهل النقاش بمصر).

وتحت ذلك أبيات شعر تقول:

يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة
بنت الأئمة، بنت الأنجم الزهر



ضريح السيدة فاطمة النبوية

(رضى الله عنها)

أنشأ مسجد السيدة فاطمة النبوية عبّاس باشا، واعتنى بعمارته، وفرشه، فجعل به ستة أعمدة من الرخام، وفرشه بالحجر المنحوت، وجعل منه منبراً من الخشب يعتبر من نَوَادِرِ هذا الفن البديع.

جَدَّدَ الضريح والمسجد القاضى شرف الدّين قومندان الجيش المصرى، ثم جدده عبد الرحمن كتخدا، ثم أعيد تجديده فى عهد الدولة العلوية.

وضريح السيدة فاطمة النبوية ـ رضى الله عنها ـ ضريح جليل ذو وضع جميل يقع يسار القبلة، وتتخلله قبلة مرتفعة، ومقصورة من نحاس أصفر.

ولمسجد السيدة فاطمة النبوية ـ رضى الله عنها ـ أوقاف جارية تصرف عليه حتى الآن بإشراف وزارة الأوقاف.

جدده عبد الرحمن كتخدا سنة (١١٧٣) هجرية وكتب عليه:

«حرم يابنت الحسين مؤرخ لسكينة تصب المواهب كلها ذا مسجد ياآل طه مؤرخ شمس هدى بنت الحسين تسكنه».

أعاد الخديوى عباس الأول بناء ضريح السيدة سكينة، ورفعه إلى مستوى سطح المسجد بعد أن كان منخفضاً عن سطح الأرض، وأحاطه بمقصورة من النحاس تشبه مقصورة مسجد السيدة نفيسة بالضبط.

جُدِّدَ المسجد وقبته فى عهد عباس حلمى سنة (١٢٣٢) هجرية، وما زالت هيئة المسجد الحالية ترجع إلى هذا العهد.

ضريح السيدة رقية رضى الله عنها

يعتبر ضريح السيدة رقية ـ رضى الله عنها ـ من المشاهد الفاطمية البارزة والباقية فى مصر حتى الآن، وينتسب هذا الضريح إلى الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله ثامن الخلفاء الفاطميين.

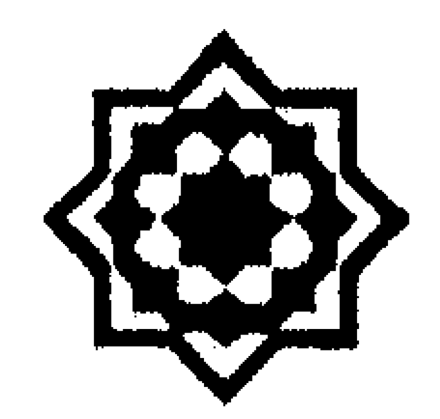
يشبه ضريح السيدة رقية ـ رضى الله عنها ـ إلى حد كبير الجامع الأقمر، الذى يشبه واجهته الغربية مشهد السيدة رقية، ولو أنّ تاريخ بناء المشهد والجامع مختلف تماما.

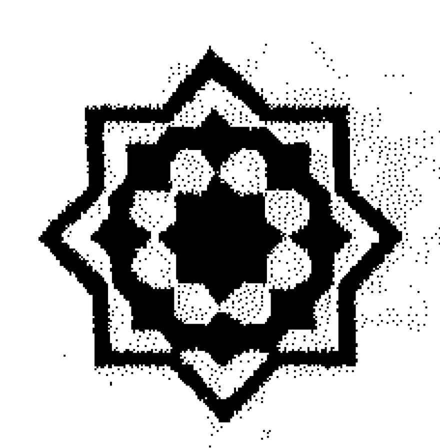
وفى الربع الكبير الذى يوجد فيه مقام السيدة رقية ـ رضى الله عنها ـ باب من الحجارة كتب عليه بيت يقول:

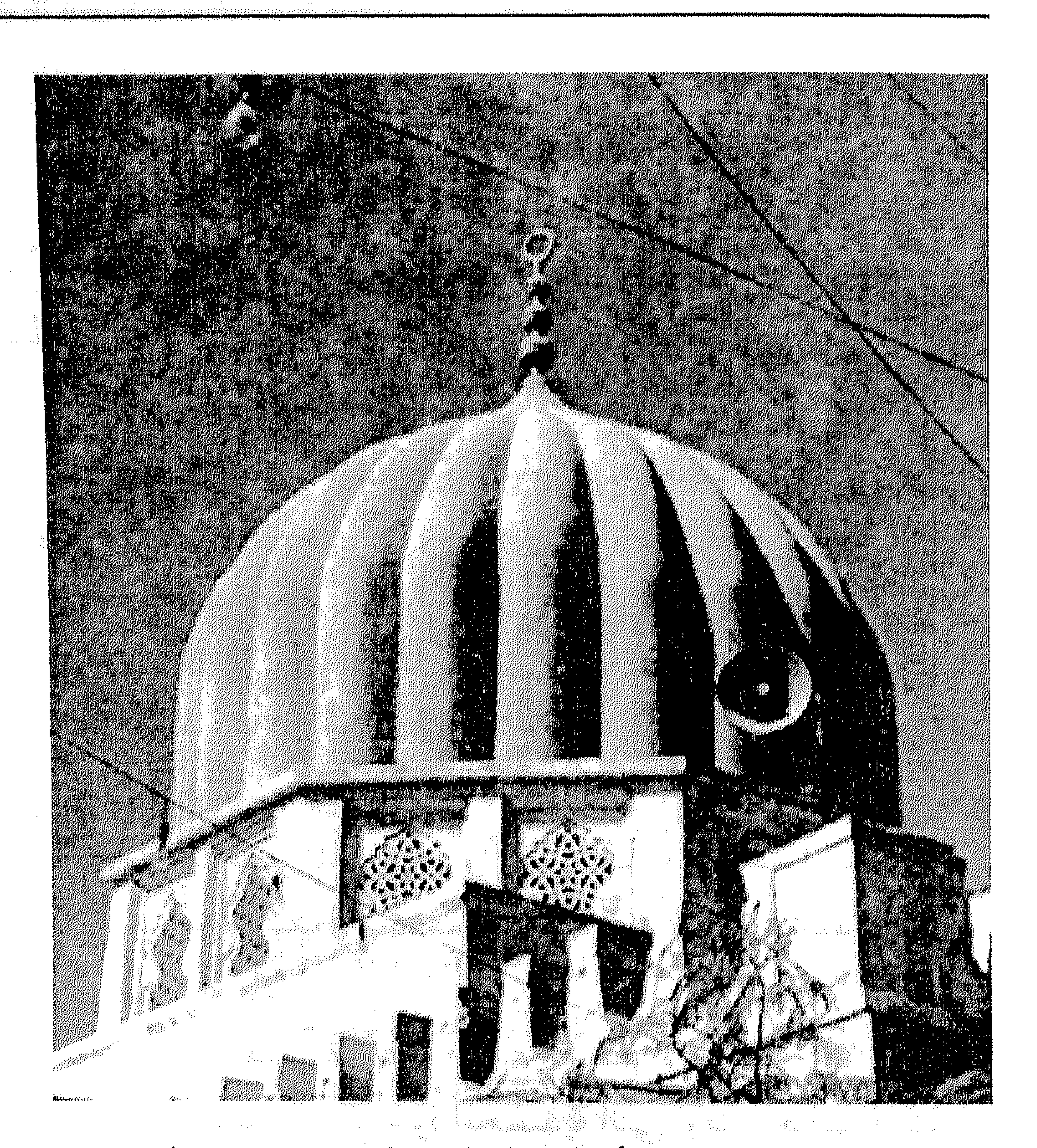
بقعة شرفت بآل النبى وبنت الرضا على رقية

ضريح ومسجد السيدة عائشة رضى الله عنها

ظل ضريح السيدة عائشة، رضى الله عنها، مشهدا بسيطا حتى القرن (السادس الهجرى) (١٢٢٧ ميلادية) فاهتم به الفاطميون ثُمَّ الأيوبيون الذين أنشأوا بجوار قبة السيدة عائشة مدرسة.







مسجد
السيدة رقية

وفى نفس الوقت الذى أحاط فيه الناصر صلاح الدين الأيوبى عواصم مصر الإسلامية الأربع: الفسطاط ـ العسكر ـ القطائع ـ القاهرة ـ بسور ضخم طوله حوالى ١٥ كيلو مترا.

لما فَصَل هذا السور قبة السيدة عائشة عن باقى القرافة، فتح فى سور القاهرة باباً سماه ـ باب عائشة ـ (المعروف الآن بباب القرافة).

وأعيد بناء قبة ومسجد السيدة عائشة فى عهد الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة (١١٧٦ هـ ـ ١٧٦٢م).

وكُتبَ على أحد أبواب مسجد السيدة عائشة، رضى الله عنها، وهذا البيت:

بمقام عائشة المقاصد أرخت

سل بنت جعفر الوجيه الصادق

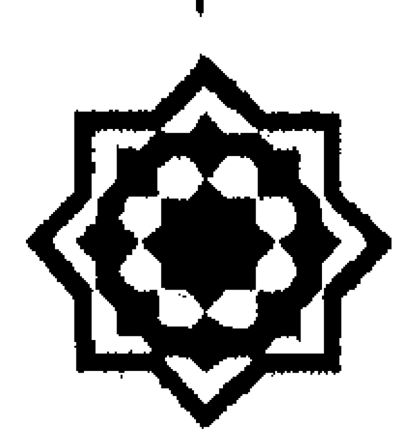
هُدِمَ المسجد القديم للسيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى سنة (١٩٧٣)، وزادت مساحته إلى (١٥٠٠) متر مربع، وأصبح يتسع لحوالى ثلاثة آلاف مصل.

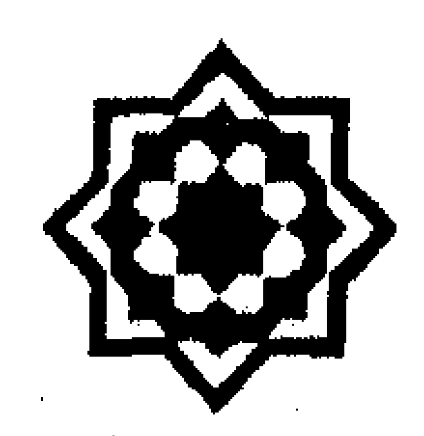
الحقيقة التى لا يمكن أن يختلف فيها اثنان هى أن مصر مهد الأديان..

- زارها خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة.
- قدم إليها يوسف ـ عليه السلام ـ فأقام بين أهلها معززاً مكرماً، وبعد أن تَعرَّفَ عليه إخوته دعاهم للإقامة فيها، فعادوا ومعهم أبوهم يعقوب ـ عليه السلام ـ فأقاموا بأرض جاشان(١).
- ولد فيها موسى(٢) ـ عليه السلام ـ واحتضنته رضيعاً، وفتى يافعاً، يتلقى حِكْمَتها ،وبدأت رسالته من مصر، فيؤمن به النّاس إلا فرعون حتى صدر له الأمر الإلهى بالخروج منها مع قومه.
- وكانت مصر الملاذ الأول والأخير للعائلة المقدسة (عيسى عليه السلام، ومريم البتول بنت عمران أمّ السيد المسيح، عليه السلام، ويوسف النجار).
- وإلى مصر انطلقت طلائع الفتح الإسلامى من فلسطين العربية، تحمل نور الدعوة المحمدية التى أوصى خاتم الأنبياء والمرسلين بأهلها خيراً.
- اختار آل بيت النبى (ﷺ) مصر محلا لإقامتهن بعد فاجعة كربلاء.

من هذا المنطلق أرى أن هناك عددا من المواقع والمزارات التى ترتبط برحلات مصر الدينية المقدسة، وينظر إليها كل المؤمنين برسالات السماء بكل الإجلال والتبجيل، وأقترح أن تكون هذه المواقع محلاً لإقامة البرامج والمناسبات والمهرجانات الدينية الدولية التى تستهدف أولا وأخيرا تنشيط حركة السياحة الخارجية إلى مصر.

(١) أرض جاشان.. بلبيس بالشرقية.
(٢) ولد موسى عليه السلام فى أواريس «صان الحجر الآن» بالشرقية.



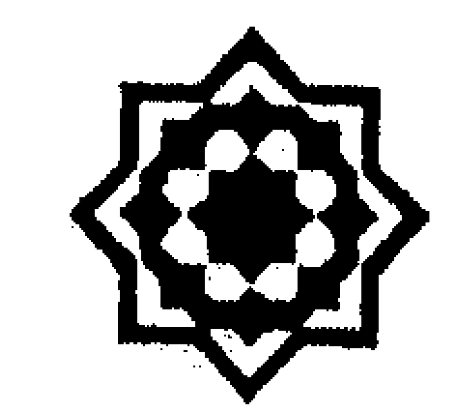


أشهر جبال سيناء على الإطلاق، ويعرف كذلك بجبل طور سيناء، ويقع على بعد (٦٠) كيلو مترا إلى الشمال الشرقى من مدينة الطور عاصمة سيناء الجنوبية الآن.

ويذكر هذا الجبل فى التوراة بجبل حوريب، أو بجبل سيناء، أو بجبل الله، أى الجبل الذى جاء إليه موسى، عليه السلام، فظهر له الرب فى عليقة مشتعلة، وأمره بالعودة إلى مصر وإنقاذ قومه من الأسر.

ويقال إنه الجبل الذى نزل عنده موسى عليه السلام بعد خروجه مع قومه من مصر، وتجلى له الرب، فأنزل عليه الوصايا العشر.

ويتكون جبل طور سيناء من عدة قمم أعلاها وأشهرها جبل موسى الذى يرتفع عن سطح البحر بنحو (٧٣٦٣) قدماً، وقد بنى فى قمته كنيسة صغيرة لرهبان دير سيناء[١]، وجامع أصغر منها، والصاعد إلى قمة هذا الجبل يمكنه أن يرى معظم بلاد الطور، وجانباً من خليج العقبة، ولقد أتيح لى أن أصعد قمة هذا الجبل فى وقت شروق الشمس، وشاهدت الشمس وقد أرسلت أشعتها الذهبية على تلك الجبال المتراكمة بعضها فوق بعض على مدى النظر، وسيظل هذا المشهد الرائع منطبعاً فى نفسى ووجدانى لا تمحوه الأيام.

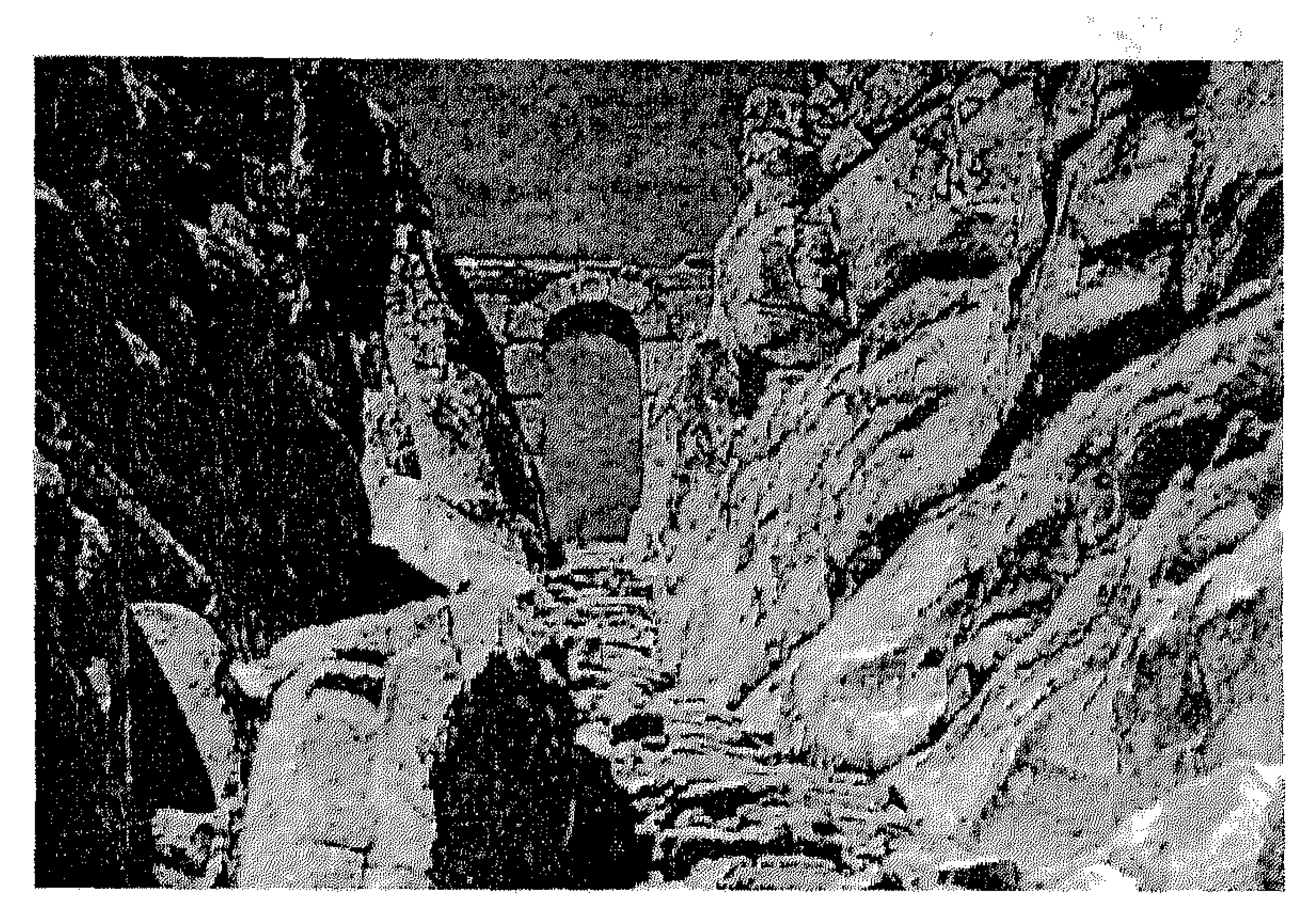


جبل موسى.. بسيناء الجنوبية

ويقع جبل المناجاة شمالى جبل موسى، ويعتقد بدو سيناء أنه الجبل الذى ناجى فيه موسى عليه السلام ربه[٢] ولقد أطلق عليه هذا

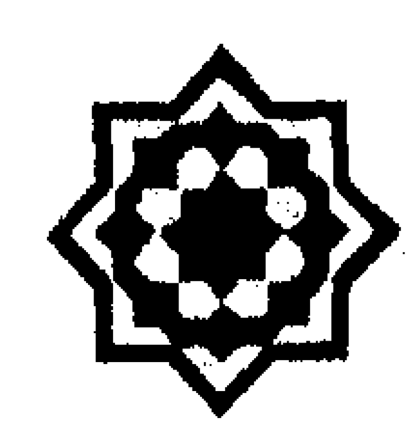
(١) دير سيناء.. دير سانت كاترين.

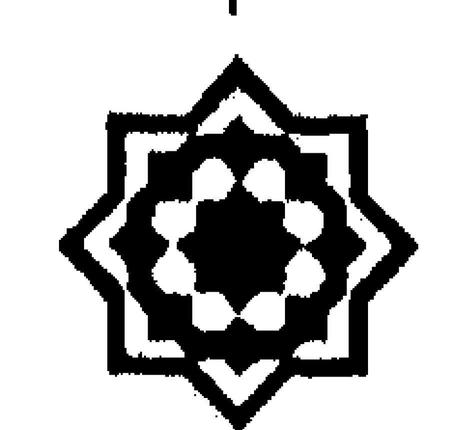
(٢) يرى كثير من الباحثين أن جبل الصفصافة هو الجبل الذى وقف عليه موسى، عليه السلام، عند إلقائه الوصايا العشر على قومه من بنى إسرائيل، وهذا الجبل يقع إلى الشمال الغربى من جبل موسى ويرتفع بنحو (٥٠٠٠) قدم عن سطح البحر، وأن سهل الراحة هو السهل الذى وقف عليه الإسرائيليون عند تلقيهم تلك الوصايا، وأن التل الذى عليه مقام النبى هارون الآن، هو التل الذى عبد فيه الإسرائيليون العجل الذهبى الذى صنعه لهم موسى السامرى فى غياب موسى عليه السلام.



جبل موسى

الاسم بسبب هذا الاعتقاد، وكان بدو سيناء يزورون جبل موسى، ومقام هارون، مرة كل سنة فى الصيف ويذبحون لهما، أو يضربون خيامهم فى سهل الراحة عند مقام النبى هارون ، ثم يصعدون إلى قمة جبل موسى ومعهم الذبائح من ماعز أو ضأن فيذبحونها بالقرب من الجامع ويسلخون جلدها، أو يكتفون بتشريط أذنيها على قمة الجبل، وينزلون بها حية فيذبحونها ويأكلونها فى المخيم، وفى اليوم التالى يزورون قبر النبى هارون فيذبحون له جملا، وكان بدو الجبالية، والصوالحة والعليقات، ومزينة أكثر البدو اهتماماً بهذه العادات. ويقع جبل القديسة كاترينا بجانب جبل موسى وإلى الجنوب الغربى منه، وله ثلاثة ارتفاعات أعلاها يبلغ (٨٥٣٦) قدما عن سطح البحر، وهى أعلى قمة فى سيناء كلها، وأقترح أن يقام فى وادى الراحة (ملتقى دينى - سياحى عالمى) لكل المؤمنين برسالات السماء، ينظم فى إطاره برنامج سياحى لزيارة أماكن هذه المنطقة المقدسة،ويمكن أن تتم هذه الزيارات بطريقة تعيد إلى الأذهان ذكريات هذه الأماكن المقدسة، فيركب الزوار فى تنقلاتهم الجمال والخيول، وتعد مخيمات للراحة فى طريق أماكن الزيارة يمكن للسياح أن يقيموا فيها ليلة أو أكثر، وأن يقام لهم أمسيات بدوية فى خيام الشعر السيناوية ذات الألوان الجميلة تنتهى بعشاء فى الهواء الطلق على الطريقة البدوية، ويمكن أن يشمل البرنامج السياحي فى هذه المنطقة (سباقاً للهجن) و (سباقاً للصقور العربية) و (سباقاً فى تسلق الجبال)، ولابد أن تزود هذه المخيمات بالطبع بالخدمات الفاخرة، ويمكن لفنادق وقرى سيناء السياحية الكبرى أن تتولى مهمة إدارة هذه المخيمات وهذا البرنامج السياحى الدينى العالمى.





الدير المحرق في جبل قسقام بأسيوط

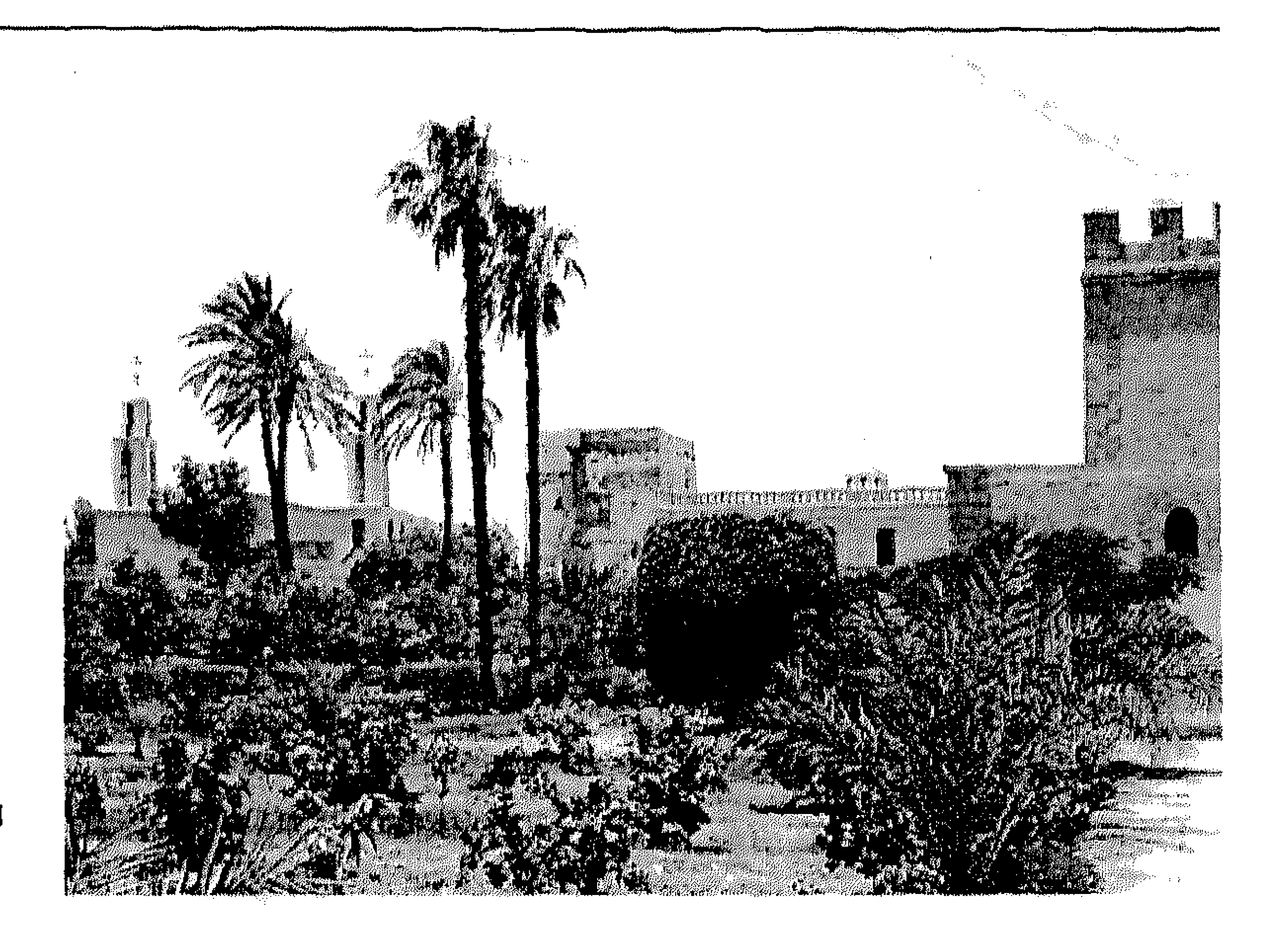
من أشهر المزارات الدينية المسيحية في أسيوط بصعيد مصر، ويقع في (جبل قسقام) في سفح الجبل الغربي لبلدة (صنبو)، وتبلغ مساحة الدير حوالي (٩) أفدنة، ولقد أنشئ في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، وبه قَلايَات كثيرة للرهبان وأربع كنائس.

وتعتبر مدينة أسيوط الذي يقع فيها الدير المحرق كبرى مدن الوجه القبلي، ولقد عرفت أيام الفراعنة باسم (سَاوُوتْ) ومعناها بالعربية (الحَارسَة)، وكان معبود أسيوط الرئيسي هو الإله (وِيَواوت) أي (فَاتِح الطريق)، ويرمز له (بابن آوى)، وكانت أسيوطَ عاصمة للإقليم الثالث عشر من أقاليم الوجه القبلي.

ولقد شرفت الأرض التي أقيم عليها (الدير المحرق) بزيارة العائلة المقدسة، فكان آخر موقع وصلت إليه في رحلة قدومها إلى مصر، وأول مكان بدأت منه رحلة عودتها إلى فلسطين.

وأقترح أن يقام في هذا الدير احتفال ديني كبير يحيي ذكرى رحلة قدوم العائلة المقدسة إلى هذا المكان والأماكن الأخرى، التي تشرفت بهذه الرحلة المباركة، والحكمة وراء اختيار مصر بالذات، لتكون المكان الذي تلجأ إليه العائلة المقدسة هرباً من بطش الرومان وخيانة اليهود[١].

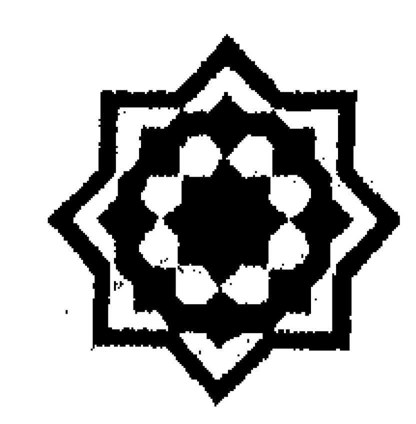
(١) لقد أشرت في الجزء الخاص برحلة العائلة المقدسة إلى مصر إلى الأماكن المختلفة التي ارتبطت بهذه الزيارة المباركة، كما أشرت إلى هذه الرحلة بالتفصيل في كتابي ـ طرق مصر المقدسة ـ الذي نشرته هيئة الكتاب (سنة ١٩٩٢)، المكتبة الثقافية العدد (٤٨٤) من (ص ٣٣ إلى ص ٦١)



دير
المحرق بأسيوط

ويمكن أن يقام فى إطار هذه المناسبة (السياحية ـ الدينية) عرض فيلم عالمى يحكى أحداث هذه الرحلة المقدسة، ويصور كل المواقع التى ارتبطت بها، على أن يبدأ الفيلم بالإشارة إلى تاريخ هذه المنطقة منذ العصر الفرعونى وحتى قدوم العائلة المقدسة إليها.

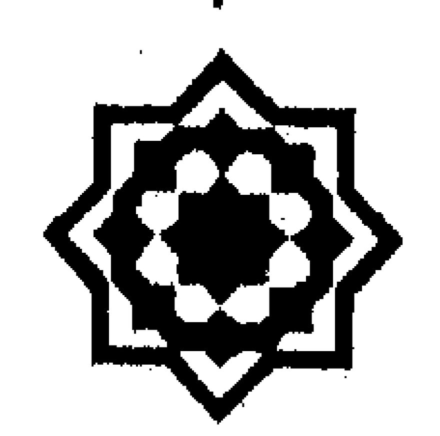
كما يمكن أن يقام فى إطار هذه المناسبة (سباق دولى للسباحة فى النيل)، (وسباق دولى للدراجات)، (وحفل للفولكلور الشعبى والموسيقى التقليدية)، (ومعرض للصناعات الشعبية الأصيلة) فى صعيد مصر.



تقع على مشارف مدينة العريش فى منطقة جميلة تظللها أشجار النخيل الباسقة، وتطل على أجمل بانوراما طبيعية فى سيناء.

وكانت (المساعيد) أول مكان يختاره (عمرو بن العاص) لتعسكر فيه قوات الفتح الإسلامى، وهى فى طريقها إلى مصر، وقد حَيّاهم (عَمْرو) بقوله: (المسَاء - عيْد)، وكان هذا اليوم يوافق وقفة عيد الأضحى المبارك، فَعُرِفَتْ هذه المنطقة منذ هذا التاريخ (بالمسَاعيد) [1].

وأقترح أن يقام فى هذه المنطقة الجميلة برنامج سياحى دولى يتضمن (مسابقة ثقافية دينية عالمية) حول الفتح الإسلامى لمصر، والذكريات التاريخية التى ترتبط برحلة الفتح الإسلامى لمصر، وكيف استطاع عمرو بن العاص وجنوده أن يحرروا مصر من ظلم الرومان واضطهادهم للمصريين، الذى فاق حد التصور والوصف، وأن يقام فى إطار هذه المناسبة (سباق للهجن العربية)، (وأمسيات سمر بدوية)، (وسباق للوند سيرف[2])، (وسباق للدراجات البخارية وللسيارات والطائرات الشراعية)، (ومهرجان للفنون الشعبية السينائية).



المساعيد فى شمال سيناء

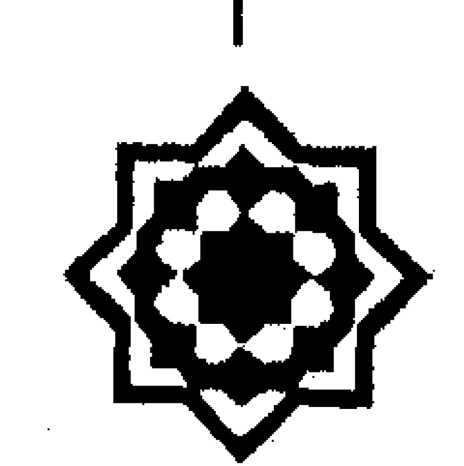
(١) لقد أشرت إلى طرق مصر المقدسة، وطريق الفتح الإسلامى لمصر بشىء من التفصيل فى كتابى (طرق مصر المقدسة) (من ص ٦٣ إلى ص ١١٨).

(٢) الوندسيرف.. الأشرعة العائمة على أمواج البحر.

ويمكن أن تدخل منطقة (تل العمارنة) فى المنيا ضمن المواقع الهامة التى يمكن أن تستثمر سياحياً على المستوى العالمى، نظراً لشهرة «إخناتون» الزاهد.. الفيلسوف.. أوّل الموحدين بالله.

قرر الملك (إخناتون) أن يبدأ دينه الجديد فى أرض جديدة لم يُعْبَدْ فيها من قبل إله آخر، فترك «طيبة» عاصمة البلاد التاريخية فى السنة الرابعة من حكمه، ومعه بعض رجال حاشيته المخلصين وانطلقوا نحو الشمال، ليختاروا موقعاً لبناء الحاضرة الجديدة، فوجدوا سهلا صحراويا متسع الأرجاء تحيط به شبه دائرة من الصخور العالية.

ولم يكن هذا الوادى مَسْكُوناً ولاَ آهلا، ولم يكن مكرساً لعبادة أى إله أوآلهة من آلهة مصر السابقين، عندئذ شعر «إخناتون»[١] كما لو كان الإله الواحد (آتون) قد اختار له هذا المكان، ليقيم فيه حاضرته الجديدة «آخْت أُتون»[٢] التى تقع بالقرب من «تَلْ العَمَارِنَة» بالمنيا.

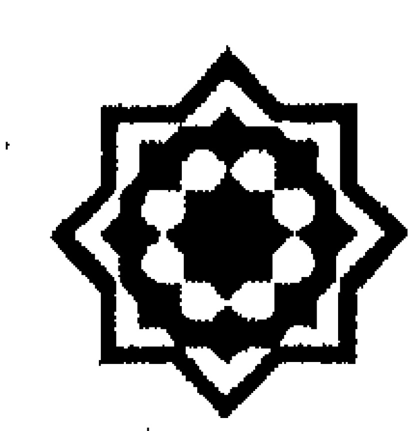


تل العمارنة فى المنيا

● وأقترح هنا أن يقام (مشروع للصوت والضوء) يحكى سيرة هذا الفرعون الزاهد أول الموحدين بالله .. على أن يختلف عرض الصوت والضوء هنا عن الأشكال التقليدية التى تقدم فى أهرامات الجيزة والكرنك فى الأقصر وفيلة فى أسوان، بأن يصاحب عرض الصوت والضوء مجموعات من الممثلين بملابس تستلهم الخطوط الرئيسية لملابس عصر إخناتون وأدوات الزينة والحلى والرسوم

(١) إخناتون.. هو الاسم الذى اختاره لنفسه الملك (أمنْحُتب الرابع) ابن الملك أمنحتب الثالث الذى يُشَبه عصره بعصر «هارون الرشيد» أما أمه فهى الملكة «تى» التى تميزت بشخصيتها القوية الفذة.

(٢) آخْتْ أتونْ.. أفق آتون.



والتماثيل والعربات التى ميزت هذا الزمان، وأرى أن أعمدة الأشمونين هى المكان المناسب لإقامة مثل هذا المشروع «السياحى ـ الدينى» الذى يجب أن يتم إخراجه بمستوى عالمى يتناسب وعظمة هذا الفرعون الفيلسوف. وإذا نفذت هذه الفكرة، نكون قد أضفنا للحركة السياحية فى المنيا بُعْداً جَديداً، وأتَحْنَا للسياح فرصة الاستمتاع بأمسية سياحية جذابة يتم فيها عرض مشوق يحكى قصة مصر مهد الأدْيَان، وراعية رسالات السماء، ويستتبع نجاح مثل هذا المشروع بالطبع إعداد منطقة المشروع إعداداً سياحياً يليق بمستوى خدمات سياحية لا تقل عن خمسة نجوم، وأن يعاد تعمير محطة سكة حديد المنيا وتزويدها بالخدمات السياحية الراقية، وأن يعاد النظر فى التخطيط العمرانى السياحى للمناطق الأثرية فى المنيا.

نادى هنا بإحياء المهرجانات والاحتفالات التى كانت تقام فى العصور الإسلامية المختلفة «برؤية سياحية معاصرة» تنشيطاً لحركة السياحة الخارجية والعربية..

● ونقترح هنا إقامة (احتفال دينى ثقافى عالمى) يقام فى شهر رمضان المبارك فى جامع الحسين بن على «رضى الله عنه» فى يوم وموعد يحدد مسبقاً. يعيد ذكريات الاحتفال لهذا الشهر المبارك عبر العصور الإسلامية المختلفة: موكب السلطان ـ الفولكلور الشعبى ـ حلويات رمضان ـ حلقات الذكر.. الخ.

(احتفال دينى ثقافى عالمى) يقام بمناسبة إقامة أوّل صلاة جمعة فى الجامع الأزهر الشريف.

وإذا نجحنا فى التحضير والإعداد الجيد لهذه المناسبات «السياحية الدينية»، نكون قد أطلقنا طاقات سياحية جديدة، وخلقنا مجالات وأنشطة سياحية غير تقليدية، ستُسْهِم بلا شك فى تحقيق انطلاقة سياحية كبرى جديرة بشهرة مصر وتاريخها السياحى العريق، والذى أشارت إليه كتب ونشرات الإرشاد السياحى الأوروبية منذ أكثر من (١٥٠) عاماً، وأكرر وأقول: إذا نجحنا فى التحضير والإعداد الجيد لهذه المناسْبات (السياحية الدينية)، نكون قد أدرجنا اسم مصر فى قائمة دول الدرجة الأولى السياحية، عندئذ فقط تسهم الإيرادات السياحية فى تغيير وجه الحياة على أرض مصر لصالح كل المصريين.

شكلت اللجنة برئاسة الأستاذ عادل طاهر وكيل وزارة السياحة فى ذلك الوقت، وضمت نخبة ممتازة من ممثلى الهيئات الدينية والوزارات والأجهزة المختلفة والخبراء المعنيين بالعمل فى مجال السياحة.

نشاط لجنة السياحة الدينية:

أولاً: تطوير المزارات المسيحية وتنشيط السياحة المسيحية:

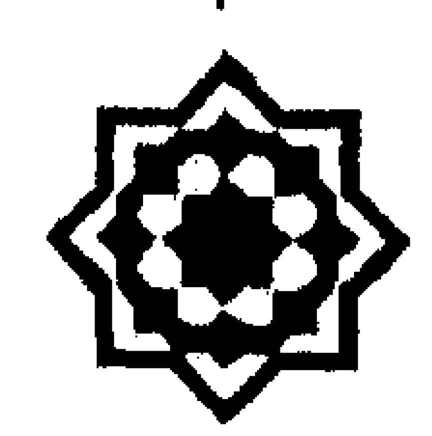
قامت اللجنة بإعداد دراسات وافية عن رحلة العائلة المقدسة فى مصر، وحصرت المناطق الدينية المسيحية، وانبثقت عن اللجنة العليا لجنة أخرى فرعية قامت بزيارة معظم تلك المناطق للتعرف على مدى صلاحيتها، لاستقبال أفواج الزائرين، وأحوال الطرق المؤدية إليها، وطاقة الإيواء المتاحة بها، ومستوى الخدمات والمرافق.

وبناء على نتائج الحصر الشامل، واستنادًا إلى ترتيب الأولويات فقد تقرر البدء فى المشروعات الأكثر أهمية من الناحية الأثرية والتاريخية ذات الشهرة الدينية الواسعة فى الداخل والخارج ونذكر منها ما يلى:

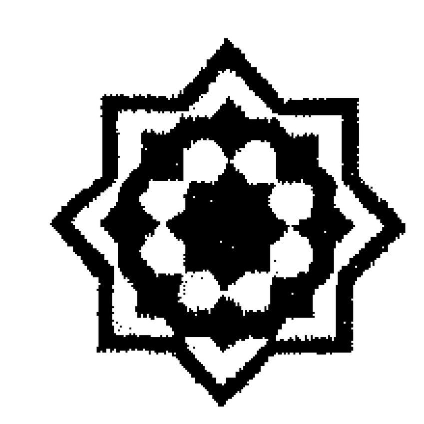
تطوير منطقة جبل الطور:

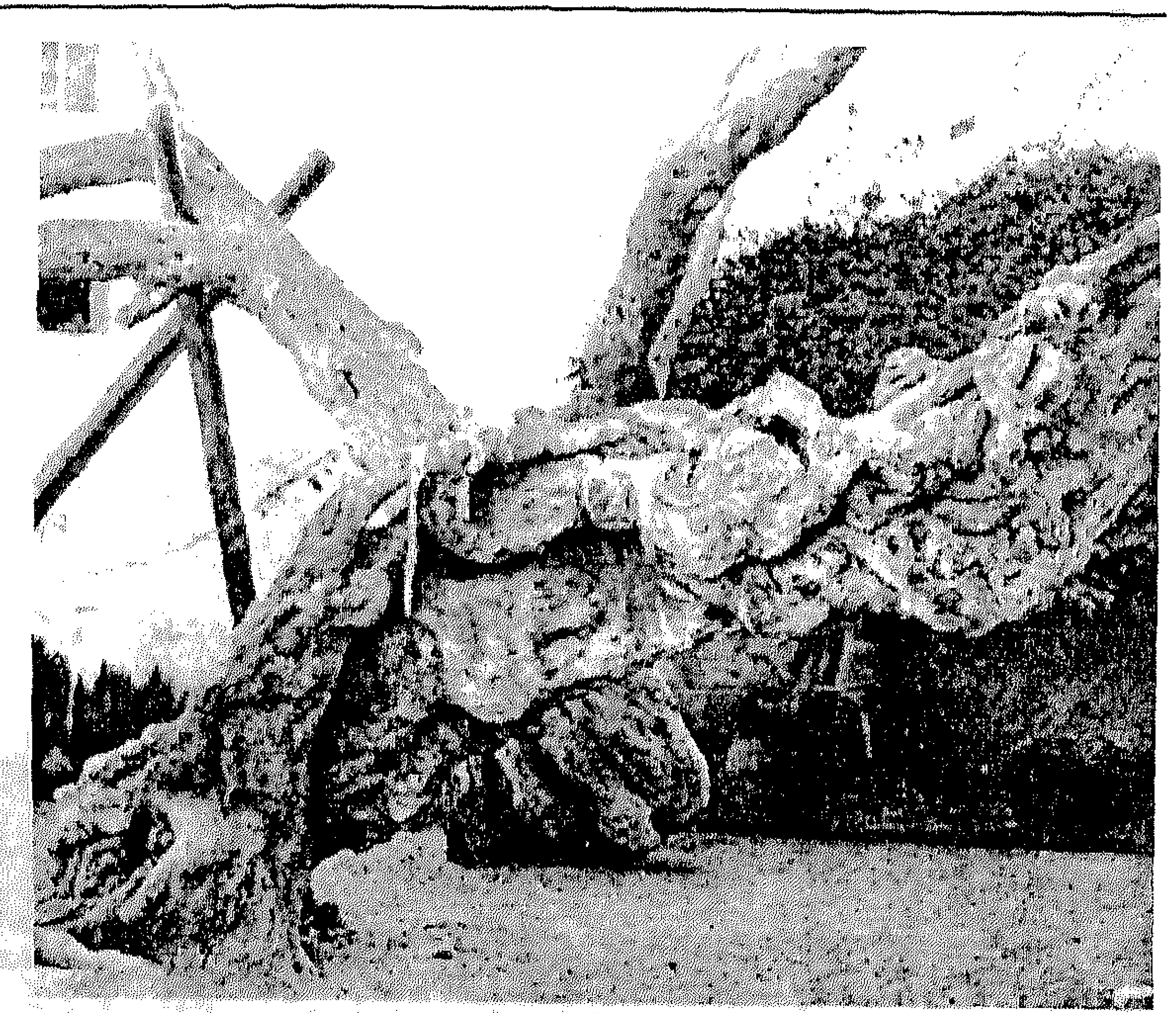
يقع جبل الطور فى جنوب شبه جزيرة سيناء حيث ترتفع الجبال إلى قمم عالية، وهى صخور صلبة تتوهج عليها أشعة الشمس بكل ألوان الطبيعة فتكسبها جمالاً وإبداعاً، كما تكسوها فى الشتاء طبقة من الجليد، وتمتاز هذه المنطقة أيضاً بوجود دير سانت كاترين، وله شهرة واسعة فى جميع أنحاء العالم.

ومن المنتظر أن يكون لهذه المنطقة نشاط دينى ضخم إذا توفرت هذه الأسباب:



القرار الوزارى رقم «٢٢» لسنة ١٩٧٠ الخاص بتشكيل لجنة عليا للسياحة الدينية





شجرة
السيدة العذراء

(١) تجهيز المنطقة سياحياً بإقامة فنادق صغيرة، واستراحات مزودة بالخيام لاستيعاب أكبر عدد من الزائرين.

(٢) إقامة عرض للصوت والضوء يحكى رحلة العائلة المقدسة.

(٣) إصلاح المطار المهمل بجانب الدير، والعمل على تهيئته بحيث يكون صالحاً لاستقبال الطائرات الصغيرة والهليكوبتر.

(٤) إعداد الطرق الممتدة من مدينة السويس إلى دير سانت كاترين، ووضع اللافتات الإرشادية اللازمة، وإقامة استراحات بسيطة فى بعض المراكز التى تتميز بآثار تاريخية ومناظر طبيعية أو أى مُرَغِّبات سياحية.

(٥) الاتفاق مع الشركة العامة للبترول فى أبو رديس على إعداد وسائل الإقامة والمواصلات اللازمة من مطار أبو رديس إلى الدير.

تطوير منطقة الدير المحرق بأسيوط:

نظراً لشهرة هذا الدير وباعتباره مركزاً هاماً للسياحة الدينية فى مصر، فإنه يلزم الاهتمام على وجه السرعة بإصلاح الطريق المؤدى إلى هذا الدير نظراً لوعورته وخطورة بعض جوانبه.

تحويل منطقة السيدة العذراء بالزيتون إلى منطقة سياحية:

تتميز منطقة الزيتون بأنها أول منطقة فى مصر قصدتها واستقرت بها العائلة المقدسة أثناء رحلتها من فلسطين، ولقد برزت الأهمية التاريخية لهذه المنطقة على مر العصور،

فقد عرفت فى التوراة باسم (أون) وفى العصر البطلمى أطلق عليها اسم (هليوبوليس) أى مدينة الشمس نسبة إلى وجود معبد الإله (رَعْ) إله الشمس عند قدماء المصريين، وأطلق عليها المسلمون بعد ذلك اسم (عين شمس) تخليداً لذكرى عين الماء التى يقال إنها نبعت عند قدمى السيد المسيح عندما كان طفلاً.

هذا فضلاً عن الحدث الذى ذاع صيته فى العالم أجمع عندما تجلى طيف السيدة العذراء فوق قباب كنيسة الزيتون الموجودة بتلك البقعة الأثرية فى إبريل عام ١٩٦٨، وكان لهذا الحدث أثره فى الدعاية للسياحة الدينية، وأصبحت المنطقة محط أنظار الكثير من السائحين الذين يجذبهم هذا اللون السياحى.

وانطلاقاً من هذا المفهوم أصبحت الحاجة ملحة لوضع خطة متكاملة لدراسة إمكانية (إقامة منطقة سياحية بجوار كنيسة السيدة العذراء بالزيتون)، وقد انتهت اللجنة إلى بحث المشروع الذى كان من المقرر تنفيذه على مدى عشر سنوات بعد أن قدرت تكاليفه بمبلغ (٧٤٠) ألف جنيه مصرى.

وقد شمل:

(١) شراء أراضٍ وأعمال تكميلية للحفاظ على الكنيسة كأثر تاريخى هام ومبانٍ وخدمات ومرافق للكنيسة.

(٢) إقامة مبنى (كاتدرائية السيدة العذراء) ودار السيدة العذراء للاستشفاء الروحى.

(٣) إنشاء مبنى تتوافر به قاعات تصلح لعقد (المؤتمرات الدينية).

(٤) إقامة المكتبات الكنسية.

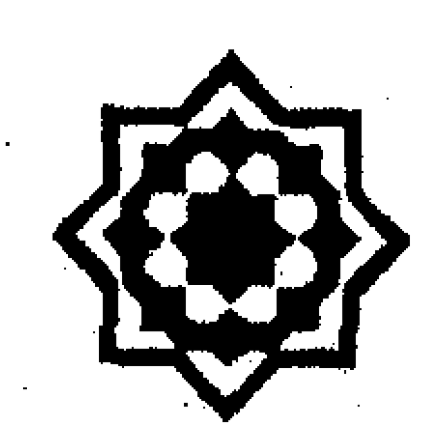
(٥) تجميل المنطقة بالأسوار والنافورات وتزويدها بجميع الخدمات الصحية.

المحافظة على منطقة شجرة السيدة العذراء المعروفة (بشجرة مريم بالمطرية):

باعتبارها تراثاً قومياً يتحتم الحفاظ عليه وصيانته، وكذلك الطرق المؤدية إليها، والعمل على رفع مستوى النظافة بالمنطقة المحيطة وضرورة تَسْوِيرِهَا بسور لائق مزين بلوحات تمثل رحلة (العائلة المقدسة).

تنظيف حى مصر القديمة:

رأت اللجنة أهمية التنبيه إلى تنظيف طرق وشوارع حى مصر القديمة باعتباره من



أشد المناطق جاذبية للسائح الأجنبى، كما أنه يضم مجموعة كبيرة ومتنوعة من الآثار والمعالم الدينية التى تمثل اليهودية والمسيحية والإسلام.

وبناء على الاتصالات التى قامت بها اللجنة بمحافظة القاهرة، فقد صدر قرار من مجلس محافظة القاهرة بتنفيذ كافة توصيات اللجنة الخاصة بجميع المعالم الدينية بالقاهرة.

ثانيا: تطوير المزارات الإسلامية وتنشيط السياحة الإسلامية:

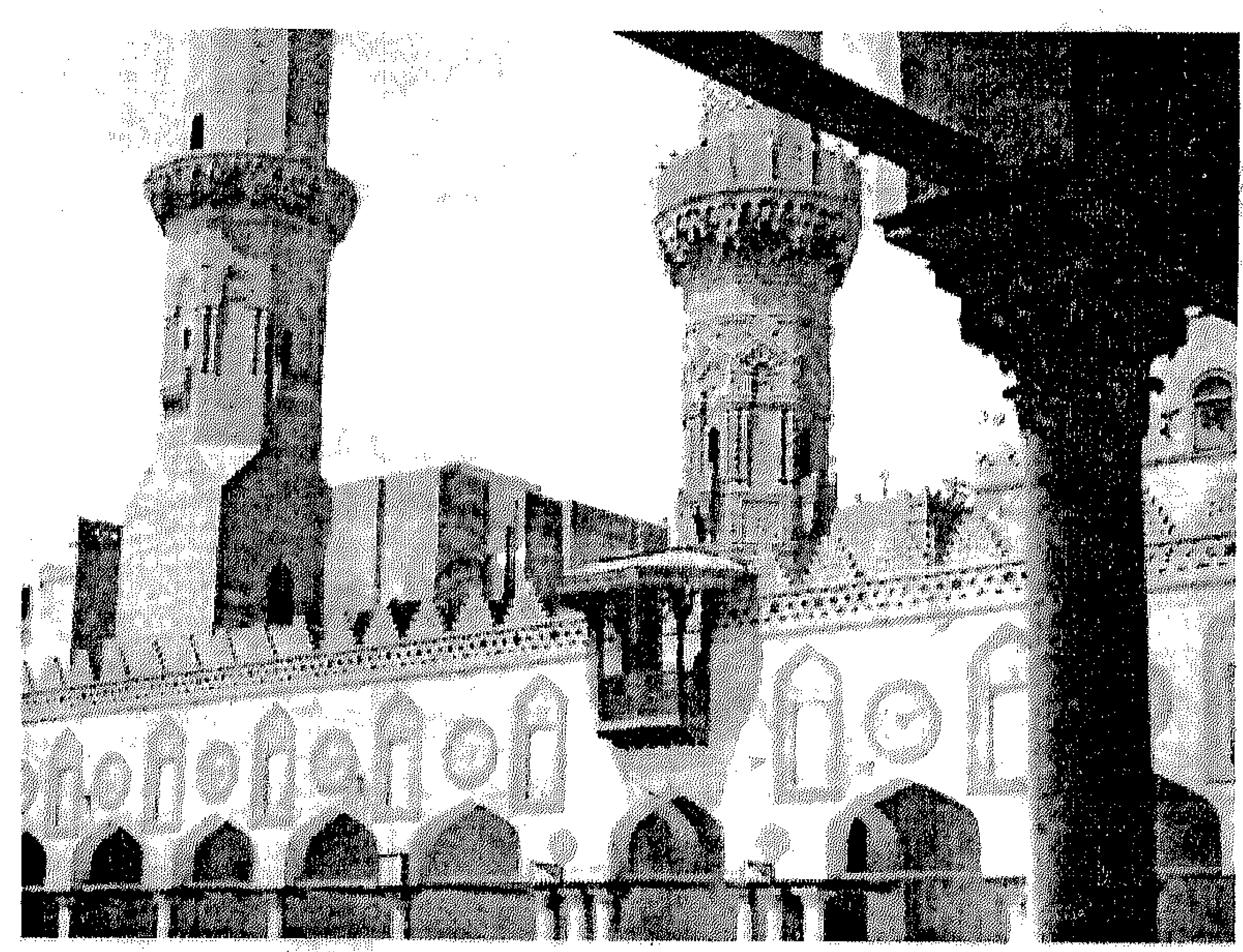
عملاً على تعريف شعوب العالم بنفائس التراث الإسلامى فى مصر، وحرصاً على استغلال تلك الثروة العظيمة فى جذب أكبر عدد من رواد هذا اللون من السياحة، فقد بذلت لجنة السياحة الدينية جهودا كبيرة منها:

(١) القيام بعمل حصر شامل للمناطق الإسلامية الهامة، كمنطقة الأزهر والحسين ومصر القديمة (الفسطاط)، وكذا حصر المناطق والمعالم الأثرية الإسلامية بمختلف محافظات مصر، وكانت خطة العمل تركز على الاستفادة من مرور أفواج الحجاج القادمين من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا بمصر، والعناية بهم بالتنسيق مع كافة الجهات الدينية والمدنية المعنية، وذلك بإعداد برامج للمزارات الدينية الإسلامية ذات الشهرة من المساجد الهامة، وأضرحة الأولياء والصالحين، والآثار الإسلامية، وخاصة مخلفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) المحفوظة بمشهد الإمام الحسين، وزيارة الأزهر أقدم جامعة إسلامية فى العالم لمقابلة شيخ الجامع مع إهدائهم بعض أسطوانات المصحف المرتل وتزويدهم بالنشرات والمطبوعات السياحية الدعائية.

(٢) إعداد لقاءات مع الشخصيات الدينية الكبيرة فى مصر إلى جانب توفير نبذات عن أولياء الله الصالحين، بجانب صور فوتوغرافية للأضرحة.

(٣) إلقاء محاضرات بمعرفة رجال الدين لتعريفهم بأمور دينهم، وإرشادهم إلى مناسك الحج، كما تعرض عليهم أفلام سينمائية عن الأرض المقدسة.

(٤) قيام الأزهر بتوفير مندوبين متخصصين لمرافقة الحُجَّاج، ويفضل أن يكونوا من أبناء بلادهم الذين يدرسون فى مصر «البعوث الإسلامية» حتى يسهل التخاطب والتعاطف وذلك بعد أن يتم تدريبهم بمعرفة الوزارة.



جامع الأزهر

(٥) دراسة مدى إمكانية مساهمة شركة مصر للطيران فى توسيع خدمة نقل الحجاج، ومدى إمكانية تعاونها مع بعض الخطوط العاملة فى مناطق جلب الحجاج لتوسيع نطاق الخدمة على أن تقوم وزارة السياحة من جانبها بتسهيل قدوم هؤلاء الحجاج بما يحقق الغرض، وتلافى مشاكل الطيران والحَجْر الصحِّى والبواخر.

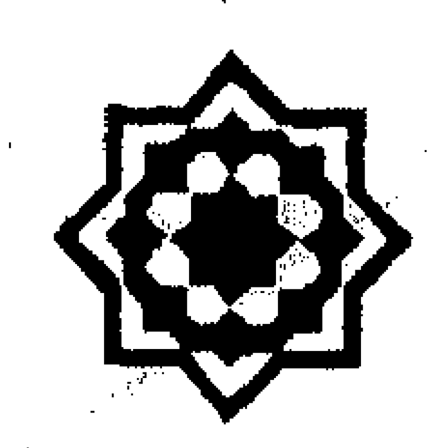
(٦) دراسة الإمكانيات والاحتياجات اللازمة لإقامة هؤلاء الحُجّاج من فنادق ونزل أو مدن جامعية.

(٧) تدبير المواصلات الداخلية اللازمة وإعداد هدايا تقدم للحجاج عن طريق شركات الطيران، ويمكن أن تكون الهدية عبارة عن ملابس مناسك الحج مثلا.

(٨) دراسة وسائل الدعاية اللازمة وموعد البدء فيها، وتبليغ سفاراتنا فى تلك الدول بما تقدمه مصر بمناسبة موسم الحج، وإظهار ما يمكن أن يجنيه الحجاج من وراء مرورهم بها خلال رحلاتهم للأراضى الحجازية.

أما بالنسبة للسياحة الإسلامية الداخلية فقد تلخصت خطة اللجنة فى:

(أ) الاهتمام بالمناسبات الدينية العامة كمولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد آل بيت رسول الله ﷺ والأولياء الصالحين، وإحياء ليالى شهر رمضان، وتطوير تلك



الاحتفالات بالقدر الذى يؤدى إلى تنشيط السياحة الداخلية، مع الإعلام عن تلك المناسبات فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون.

(ب) المشاركة فى احتفالات مرور ألف سنة على إنشاء الجامع الأزهر الشريف، وذلك بوضع برنامج الاحتفال والإشراف مع إدارة الأزهر ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(جـ) الاشتراك فى الجهود الخاصة بالاحتفال بألفية القاهرة.

(د) إعداد تقويم للموالد والمناسبات الدينية الإسلامية فى مصر، وقد حققت اللجنة إنجازات طيبة فى تلك المجالات فى حدود الإمكانيات المتاحة.

(٩) قامت اللجنة بالإعلان فى الصحف والإذاعة والتليفزيون.

(١٠) قدمت التسهيلات لبعثة من التليفزيون النمساوى قامت بتصوير فيلم عن المعالم الإسلامية بعنوان (الله له عدة أسماء) تم عرضه فى النمسا وألمانيا.

ولقد تقدمت اللجنة بالمشروعات الآتية إلى الجهات المعنية:

* إحياء مدينة الفسطاط بوصفها أول عاصمة إسلامية لمصر.
* إصلاح وتجديد جامع عمرو بن العاص.
* تنظيم حى مصر القديمة.

ثالثا: مقترحات وتوصيات لتنشيط السياحة الدينية المسيحية

(١) الاهتمام بالتوعية فى الداخل لأهمية الإعلام المباشر وغير المباشر، وخاصة فى البلاد المصدرة للسياح، وكذلك على السفن العابرة لقناة السويس.

(٢) توفير دعاية قوية عن طريق وسائل تنشيط هذا المجال السياحى، ورسم سياسة لها، وتحديد سبل التنفيذ إلى جانب حصر الإمكانيات الموجودة والجهات المسئولة، التى يمكن التعاون معها لتحقيق هذا الهدف.

(٣) إشراك الجهات الدينية المعنية فى جميع أنحاء العالم فى الدعوة لزيارة أهم المعالم الدينية فى مصر، وكذلك الاهتمام بالسياحة الجماعية والاتصال بالسفارات بالخارج لحصر المهتمين بهذا اللون من السياحة، وهذا بالإضافة إلى الاتصال بمجالس الكنائس العالمية لموافاتها بالآثار المسيحية بمصر، وتشجيعها على إرسال أفواج تهتم

بالإلمام بالحضارات الدينية بالبلاد.

(٤) الحملات الإعلامية فى الخارج سواء عن طريق إلقاء المحاضرات فى الجامعات والمراكز الثقافية بمختلف دول أوربا وأمريكا وأفريقيا عن المعالم المسيحية، ونفائس الفن القبطى فى مصر، وعمل الأحاديث من صحفية وإذاعية وتليفزيونية عن حركة السياحة الدينية فى البلاد بالإضافة إلى عرض الأفلام الدينية، وتوزيع النشرات الخاصة التى تخدم هذا الغرض.

(٥) تشجيع شركات السياحة المصرية، لتضع فى برامجها السياحة الدينية.

(٦) حصر الأفلام الخاصة بالسياحة المسيحية، وتحديد ما يصلح منها لاستغلالها فى برامج الدعاية، وقد تم هذا الحصر وكذلك إعداد أفلام أخرى لهذا الغرض ومن أهمها فيلم (زخارف قبطية).

(٧) توفير التذكارات الدينية التى تشير إلى أهم المعالم المسيحية والمناسبات الدينية فى مصر.

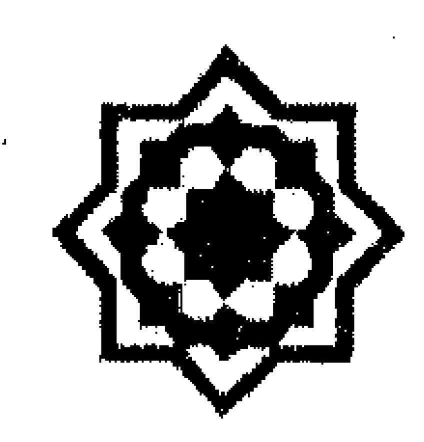
(٨) الإعلان عن الأعياد والمناسبات الدينية فى الأوساط الدينية المسيحية، وإعداد نتيجة سنوية عنها أسوة بما تم عام ١٩٦٨/١٩٦٩

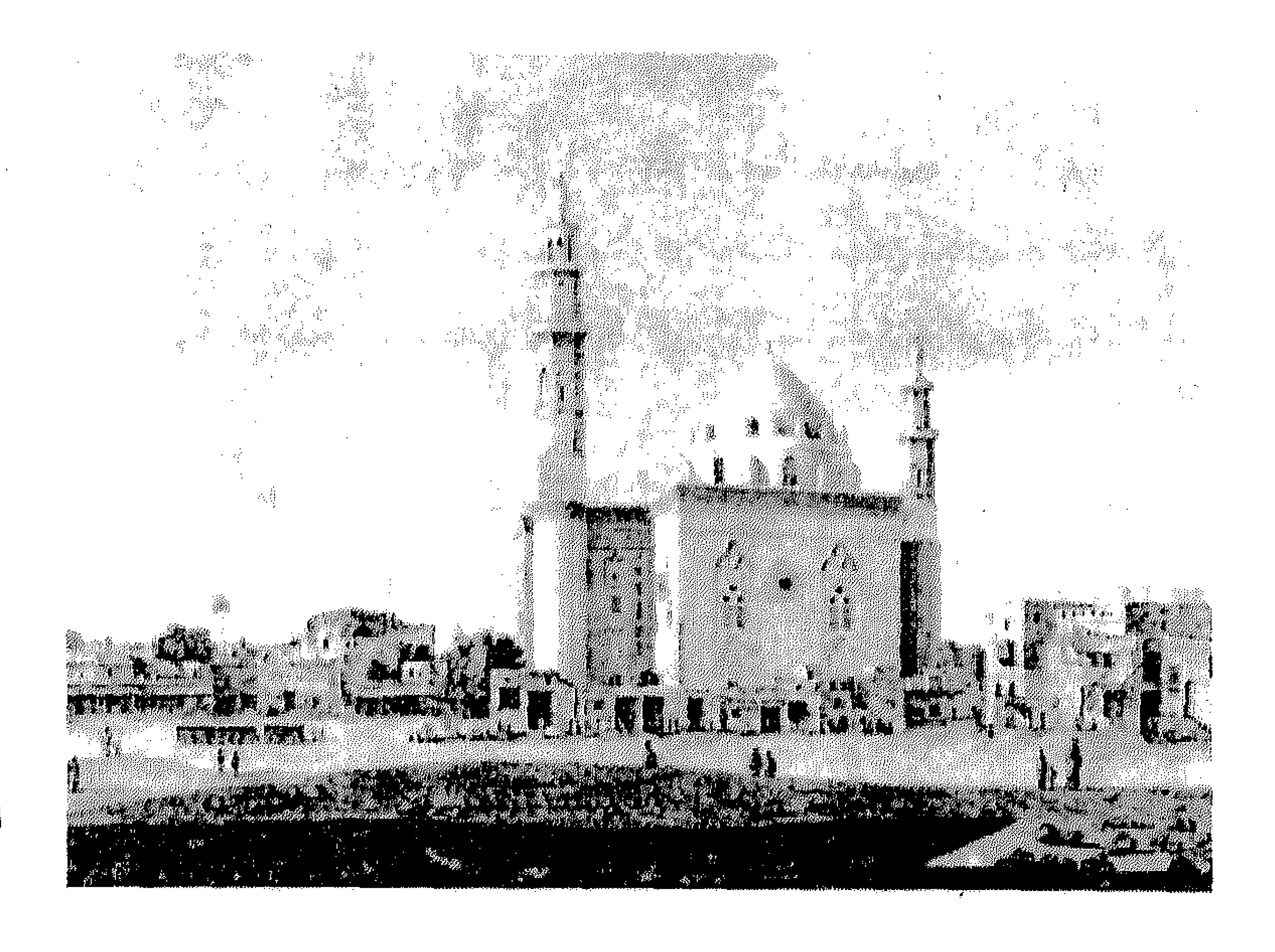
رابعا: مقترحات وتوصيات لتنشيط السياحة الدينية الإسلامية:

إن تنشيط السياحة الدينية الإسلامية يتطلب الآتى لضمان الاستفادة الكاملة من ثروة المعالم الأثرية الإسلامية، والمواقع التى تعبق بها رائحة التاريخ، وتزخر بها معظم أنحاء بلادنا.

(١) الاستفادة بطريقة عملية من مرور أفواج الحجاج بمصر فى طريقهم إلى الأراضى الحجازية، وفى هذا الصدد يلزم قيام تعاون متصل بين كافة الجهات المعنية من وزارات وأجهزة وشركات وهيئات سواء كان هذا بالنسبة للحج أو للعمرة.

(٢) الاستفادة بما للأزهر وللمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من مكانة مرموقة فى العالم الإسلامى والعالم عموماً، لتشجيع تنظيم زيارات ذات طابع إسلامى إلى مصر، ويمكن للمراكز الإسلامية فى الخارج أن تقوم بدور بارز فى هذا المجال، كما يمكن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية توعية خريجى الأزهر المنتشرين فى كل أنحاء العالم للدعوة إلى زيارة مصر.





جامع
السلطان حسن

(٣) تنظيم البرامج السياحية (دينية ـ ثقافية ـ ترويحية) التى تغطى الطريق الذى سلكه جيش الفتح الإسلامى لمصر، وذلك بعد أن يتم التحديد الفعلى لمعالم هذا الطريق وحصر الإمكانيات السياحية، والخدمات الإيوائية والترويحية، وتزويد المواقع المختلفة على الطريق بكل وسائل الراحة التي تكفل للزوار الاستمتاع برحلات طيبة. هذا فضلا عن العناية بكافة المعالم الإسلامية على طريق الفتح.

(٤) إحياء مدينة الفسطاط على اعتبار أنها أول عاصمة إسلامية لمصر، كما أنها ثالث مدينة أنشئت بالعالم الإسلامى بعد مدينتى البصرة والكوفة، ويتطلب الأمر العناية بنظافة ما بها من حارات وأزقة.

(٥) وشوارع فى حى مصر القديمة وبخاصة تلك التى لا زالت تحمل أسماء تاريخية ترجع إلى أيام الفتح العربى. وفى هذا المجال تجب العناية بالعديد من المساجد وأضرحة الصحابة وأولياء الله الصالحين. ولا يمكن أن يعود للفسطاط سابق رونقها وبريقها إلا إذا تم تجديد وترميم جامع عمرو بن العاص الذى يتوسط مدينة الفسطاط، والذى يعتبر أول مساجد مصر وكل أفريقيا. ويمكن عن طريق حملة قومية وعالمية توفير الأموال اللازمة لإقامة:

(أ) مشروع للصوت والضوء يحكى قصة الفتح الإسلامى لمصر، وإنشاء مدينة

الفسطاط وجامع عمرو، والعصور التى مرت على الفسطاط منذ قيامها.

(ب) إنشاء جامعة الفسطاط على نسق جامعة الأزهر بحيث تركز تلك الجامعة على الدراسات الإسلامية والعربية وبحيث تخصص أجنحة للدول التى تسهم فى تمويل إنشاء تلك الجامعة

(٦) العناية بمنطقة الأزهر، التى يتركز فيها النشاط السياحى فى زيارة الآثار، والمساجد، والأبله، والوكالات، والحانات، والمدارس القديمة، وكذا زيارة مناطق الصناعات الحرفية اليدوية التى يتوارثها السكان. ويتطلب الأمر استغلال الموالد والمناسبات الدينية فى إحياء الاحتفالات الفاطمية الشهيرة وبخاصة ما يأتى منها أثناء الموسم السياحى.

(٧) إعداد تقويم سنوى بالموالد والمناسبات والاحتفالات الدينية على مدار السنة.

(٨) إلا أن من الأمور المؤسفة والتى تشكل جانباً سلبياً سيئاً ما يحدث من تشويه للمعالم الأثرية الإسلامية وسوء استخدامها، ومن ذلك قيام بعض الصناعات اليدوية الصغيرة والأكشاك المستخدمة فى تجارة الملابس والخردوات وغيرها مما يحجبها عن الأنظار. هذا فضلا عن اللافتات المعلقة على جدران المعالم مما يفقدها جلالها.

ويتطلب الأمر سرعة إنجاز الآتى حماية للتراث الإسلامى فى مصر:

(أ) إخلاء جميع الآثارالمسجلة من الأفراد والهيئات التى احتلتها.

(ب) إزالة جميع المحلات التجارية والمبانى التى تغطى جدران المعالم الإسلامية وواجهات بعض الآثار.

(جـ) العناية بالنظافة وإزالة المخلفات المحيطة بالآثار وإصلاح وصيانة وإضاءة الشوارع والأزقة والحارات، وإصلاح المرافق من مياه وصرف صحى.

(٩) دعم الخدمات الإيوائية فى المناطق الأثرية وخاصة تجهيز الإيواءات الشعبية البسيطة، التى يمكن أن تتناسب أسعارها وإمكانيات رواد السياحة الدينية الداخلية. كما أن من الأمور ذات الجاذبية السياحية فى هذا المجال، دراسة إمكانية تطوير مرافق بعض الوكالات والحانات القديمة واستخدامها كأماكن إيواء دون أن تفقد طابعها الأصيل.



(١٠) إقامة أكشاك تصمم وفق الطراز المعمارى والفنى للمنطقة الأثرية، وتكون فى مواقع مختارة، بناءً على التخطيط العام لها، وذلك لاستخدامها كمراكز بيع للهدايا والسلع التذكارية، وكذا الكتب والشرائط والأسطوانات التى تتناول الدين والفن والحضارة الإسلامية.

(١١) التعاون بين وزارة السياحة، ووزارة الثقافة، والأزهر، وجمعية أصدقاء السائح والاتحادات، والنقابات، والأندية، ومشايخ الطرق الصوفية، للتوعية السياحية الدينية والمحافظة على الآثار الإسلامية وتطوير الاحتفالات بالموالد والمناسبات الدينية.

وفى مجال التنشيط أيضاً فإن هناك طوائف وجماعات وتنظيمات دينية وشبه دينية يحسن توجيه الدعاية إليها، وتقديم التسهيلات لمجموعاتها للحضور إلى مصر سنوياً، لزيارة المعالم الفرعونية والمسيحية والإسلامية، التى تحظى باحترام وتقديس أعضائها، ومن أمثلة تلك الجماعات والتنظيمات (مجموعة الشراينرز) وهى تحظى بعدد كبير من الأتباع فى أمريكا، وتهتم ببعض المعالم الفرعونية، ولقد سبق لها تنظيم زيارات ناجحة إلى مصر.

منظمة الروز يكر وشانز (الصليب الذهبى)

ويبلغ عدد أعضائها حوالى (٦) ملايين فرد، ولها فروع فى حوالى(٦٠) دولة، ومقرها الرئيسى فى مدينة (سان جوزيه) الأمريكية، حيث أقامت متحفا كبيرا للآثار المصرية يفد لزيارته حوالى نصف مليون شخص، وتعتبر المنظمة أن أصولها القديمة قد انبثقت من مصر الفرعونية أيام (تحتمس الثالث)، (وإخناتون) وتعقد المنظمة مؤتمراً سنوياً لها يضم حوالى (٨٠٠٠) عضو

الطائفة الإسماعيلية:

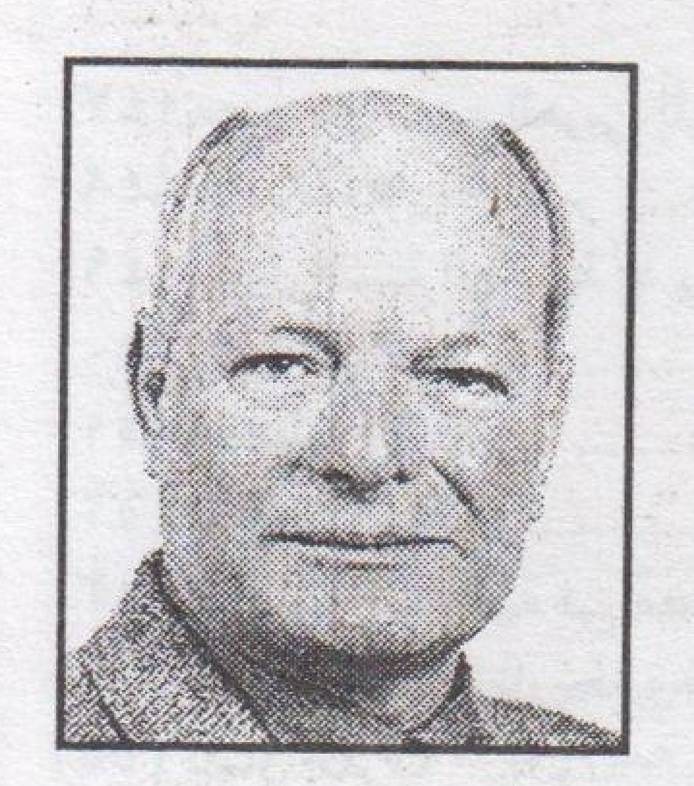
وهم من الشيعة الذين ينتشرون فى الباكستان والهند وبعض دول آسيا، ويفد الكثيرون منهم إلى مصر لزيارة ضريح الأغاخان.. الزعيم الروحى للطائفة.. والمقام على ربوة فى مدينة أسوان.

المراجع

(١) تاريخ سيناء القديم الحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ الشام وجزيرة العرب .... نعوم بك شقير.
(٢) فتح العرب لمصر .... الدكتور الفريد بتلر
(٣) المساجد .... الدكتور حسين مؤنس
(٤) موسوعة القاهرة .... الدكتور أحمد عبد الرحمن زكى.
(٥) مصر فى القرآن والسنة .... الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف.
(٦) مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء «القرن ١٩» .... الدكتور ثروت عكاشة.
(٧) السيد المسيح فى مصر .... توفيق حنا.
(٨) تاريخ مصر القديمة وآثارها .... الموسوعة المصرية.
(٩) موسى والسحرة .... محمد أحمد برانق.
(١٠) آل بيت النبى فى مصر .... أحمد أبو كف.
(١١) السياحة.. ماضيها.. حاضرها.. مستقبلها .... عادل طاهر.
(١٢) سيناء أرض مباركة .... متولى نور
(١٣) سلام على النبى وصحابته .... مصطفى بهجت بدوى.
(١٤) مصر فى القرآن الكريم .... الدكتور أحمد صبحى منصور.
(١٥) رحلة الإنسان مع الأديان .... دكتور عبد الرحمن نور الدين
(١٦) اليهود فى مصر.. من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى .... دكتور قاسم عبده قاسم.
(١٧) اليهود فى البلدان الإسلامية .... ميخائيل افيطبول شالوم ترجمة دكتور جمال الرفاعى
(١٨) المستوطنات اليهودية فى الفكر الصهيونى .... حسن فؤاد
(١٩) اليهود فى مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثى ١٩٤٨ - ١٩٥٦ .... الدكتور نبيل عبد الحميد سيد أحمد.
(٢٠) أرض الميعاد .... الدكتور حسين فوزى النجار.
(٢١) موسى.. مصريا .... محمد العزب موسى
(٢٢) صهيونيون حتى أطراف أصابعهم .... محمد فوزى.
(٢٣) اليهود انثروبولوجيا .... الدكتور جمال حمدان
(٢٤) هزيمة الهكسوس «أول ثورة تحريرية فى التاريخ» .... محمد العزب موسى
(٢٥) القاهرة الكبرى .... د. جمال حمدان
(٢٦) منازل الفسطاط .... جمال محرز
(٢٧) اسفرنامة .... ناصر خسرو ترجمة يحيى الخشاب
(٢٨) عجائب الآثار والأخبار .... عبد الرحمن الجبرتى
(٢٩) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية .... د. حسن الباشا
(٣٠) تاريخ المساجد الأثرية .... حسن عبد الوهاب
(٣١) الآثار الإسلامية .... دكتور حسن الباشا
(٣٢) فنون الإسلام .... زكى محمد حسن
(٣٣) الجامع الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية .... د. سيده إسماعيل كاشف
(٣٤) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .... الدكتور حسن إبراهيم حسن
(٣٥) عمرو بن العاص .... عباس محمود العقاد
(٣٦) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية .... الدكتور أحمد شلبى
(٣٧) القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى .... دكتور أحمد عبد الرحمن زكى
(٣٨) العمارة العربية فى مصر الإسلامية .... فريد شافعى
(٣٩) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون .... دكتوره سعاد ماهر.
(٤٠) طرق مصر المقدسة .... حسن الرزاز
(٤١) رحلة السيد المسيح إلى مصر .... مجموعة كتب دار الهلال
(٤٢) مصر أرض التوحيد .... مجموعة كتب دار الهلال
(٤٣) قصة الأزهر رحاب العلم والإيمان .... مجموعة كتب دار الهلال
(٤٤) مصر المسيحية .... مجموعة كتب دار الهلال
(٤٥) الأزهر فى ألف عام .... دكتور أحمد محمد عوف
(٤٦) الفاطميون فى مصر .... حسن إبراهيم حسن

رقم الايداع بدرار الكتب ١٤١٠٧/١٩٩٩م

الترقيم الدولى I.S.B.N. 9-471-202-669





المؤلف

■ حسن فريد الرزاز

● من مواليد الدقهلية ٧ أبريل ١٩٣٧ .

● درس فنون السينما والتليفزيون فى القاهرة والاتحاد السوفيتى والمانيا وفرنسا .

● كتب فى العديد من الصحف المصرية والعربية .

● كتب وأخرج العديد من البرامج التلفزيونية السياحية والأفلام التسجيلية التى مثلت مصر فى المهرجانات العالمية .

● دعته اليابان لكتابة وإخراج فيلم عن اليابان بمناسبة عام اليابان فى مصر .

● أشرف على البرامج السياحية فى التليفزيون من ٨٠ حتى ١٩٩٠ .

● مديراً عاماً لبرامج المنوعات بالتلفزيون المصرى .

● عضو مجلس إدارة جمعية الكتاب السياحيين المصريين .

● عضو بلجنة الفنون والموسيقى باتحاد الاذاعة والتليفزيون .

● عضو لجنة تحكيم مهرجان التليفزيون عام ٩٥ .

● الخبير الاعلامى فى كتابة وإخراج البرامج فى الدورة العربية بدمشق ٩٥ .

مؤلفاته:

(قصة كفر الكرامة ـ طرق مصر المقدسة ـ عواصم مصر الإسلامية) نشرت .

(حدث فى مصر ـ حدث فى رمضان ـ مواكب النور ـ منجم الذهب المصرى) تحت الطبع .

● انتقل إلى رحمة الله ١٣ ديسمبر ١٩٩٦